دراسات معاصرة في

العهد الجديد والعقائد النصرانية



تأليف

د. محمد علي البار

دار القلم
دمشق

دراسات معاصرة في

العهد الجديد والعقائد النصرانية

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

تطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق: ص.ب: ٤٥٢٣ - ت: ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت: ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب: ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ - ص.ب: ٢٨٩٥
ت: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

دراســات معـاصرة في

العهد الجديد والعقائد النصرانية

تأليـف
د. محمد علي البـار

دار القلم
دمشـق

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية

د. محمد علي البار

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٥].

والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى ونبيّه المجتبى سيدنا وقائدنا وإمامنا وشفيعنا محمد بن عبد الله، الرحمة المهداة، وآله ومن والاه، والقائل: «الأنبياء أبناءُ عِلّات: أبوهم واحد وأمهاتُهم شتّى»(١)، فدين الله واحد منذ آدم إلى قيام الساعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

وكان من دعاء يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

والقرآن كله يؤكد هذه الحقيقة الناصعة وهي أن الأنبياء جميعاً، من لدن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، وأبو داود وأحمد بألفاظ متقاربة.

آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء، وقائدِ الغُرِّ المُحَجَّلين، وإمام المرسلين، محمد ﷺ، ما جاؤوا إلا بعقيدة التوحيد الخالصة. والاختلاف يكون في تفاصيل الشرائع، أما أصولها فهي كلها تأمر بالبر وعمل الخير، والصدق والأمانة، والإحسان إلى جميع مخلوقات الله فضلاً عن البشر، وجميعُها تأمر بالصلاة والزكاة والصوم والصدقة، ثم تختلف بعد ذلك في كيفيات الصلاة ومقدار الصوم، وكمية الزكاة المقررة، وما عدا ذلك فهي كلها واحدة ودين الله واحد، ولكن الأهواء والشياطين تبذر الخلاف وتثير الأحقاد بين البشر.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]، وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، وفي قراءة لعبد الله (بن مسعود) كما يقول الطبري[1]: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فاختَلَفوا).

وقد جاء جميع الأنبياء والرسل بعقيدة واحدة: (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره).

قالها نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقالها هود عليه السلام: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقالها صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

والدعوة ذاتها يكررها شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

ويلخص القرآن الكريم موقف جميع الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) تفسير الطبري ٣٤٧/٢: تفسير سورة البقرة آية: ٢١٣.

ويقولها عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥١ ـ ٥٢].

وفي يوم القيامة يخاطب الله ﷻ عيسى عليه السلام ليقرّع أولئك الذين عبدوه وجعلوه إلهاً مع الله، أو من دون الله، على اختلاف فرقهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

وتحدّث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن هذا النبي الكريم الذي وُلد من غير أب معجزة من الله ﷻ كما خُلق آدم من تراب. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦٠].

وأنزل الله ﷻ صَدْرَ سورة آل عمران للرد على نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ في المدينة، عام الوفود (السنة التاسعة للهجرة). وفيها قصة مولد مريم البتول، وقصة مولد يحيىٰ بن زكريا، وقصة مولد عيسى، عليهم السلام جميعاً، وفيها الرد على النصارى بفرقهم المختلفة الذين ألّهوا عيسى عليه السلام، فأوضح ضلالهم وزيف معتقدهم، ثم أمر النبي ﷺ أن يُباهِلَهم، فجاء رسول الله ﷺ بالحسن والحسين وفاطمة وعلي للمباهلة فَنَكَصَ القوم وقال كبيرهم: إنْ باهلْتُم هذه الوجوه هلَكتُم. قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١]. فجعل الله تعالى الحسن والحسين أبناء النبي ﷺ، ولم يأت من نسائه إلا فاطمة الزهراء، وجعل علياً عليه السلام نفسَه، حيث قال: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ ولما أبى القوم المباهلة دعاهم الله ﷻ إلى كلمة سواء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى نافياً عن رسله أن يكونوا قد دعوا لأن يشركوهم شيئاً من عبادة الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال تعالى يدعو أهل الكتاب من النصارى أن يتركوا الغُلُوَّ في عيسى ﷺ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

وأوضح المولى ﷻ كُفْرَ الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، وكُفْرَ الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، وكيف أنهم في ذلك كله يقلّدون الذين كفروا من الأمم السابقة مما أوضحتْه الأبحاث الجديدة مما أوضحناه في هذا الكتاب في الباب الخامس والسادس والسابع.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٨].

وقال تعالى في سورة التوبة يصف مضاهاة اليهود والنصارى للأمم السابقة في تحويل أنبيائهم أو الصالحين فيهم إلى آلهة يعبدونهم من دون الله أو مع الله،

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣٢]. وقد أوضحتُ في صلب الكتاب كيف دخلت العقائد الوثنية والتثليثية إلى المسيحية ومتى؟.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك عالجتُ قضيتين أساسيتين:

(الأولى): كيف فُقد الإنجيل الذي جاء به عيسى ﷺ؟ حتى إن النصارى جميعاً يقولون: إن عيسى لم يأت بإنجيل قط، وإنما كُتبت الأناجيل بعد رفعه إلى السماء، بعد فترة زمنية تتراوح ما بين أربعين وتسعين عاماً. وقد كتبها أناس لم يروا المسيح ولم يعيشوا معه، بل تقول الأبحاث الحديثة: إنهم لم يروا حتى تلاميذ المسيح، وإنما وجدوا روايات شفهية تتناقلها الجماعات، فسجّلوها، كلٌّ واحدٍ حسب رؤيته.

تقول الطبعة المسكونية (العالمية) الكتاب المقدس العهد الجديد(١): **«لم يطلق اسم العهد الجديد على المؤلفات السبعة والعشرين التي نسميها اليوم العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد. ولم تكن تعتبر أسفاراً مقدَّسة، بل كان العهد القديم هو الكتاب المقدس الأوحد لديهم، وهو الذي كانوا يسمونه «الشريعة والأنبياء»**.

«إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة واحدة أدّيا إلى تطور طويل ومعقد والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة كأداء يعسر فهمها».

وتقول تلك الطبعة المسكونية العالمية الموثقة لديهم: **«وقد نُسخت تلك النصوص مراراً واختلفت تلك النسخ اختلافاً شديداً. إن نسخ العهد الجديد التي**

---

(١) الكتاب المقدس: العهد الجديد، دار المشرق، بيروت، الطبعة ١٩ سنة ٢٠٠٠م. وأخذت المداخل (أي الشروح والمقدمات) من الترجمة الفرنسية المسكونية التي أصدرها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي.

وصلت إلينا ليست واحدة بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية ولكن عددها كثير جداً على كل حال... إن نص العهد الجديد قد نُسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيَدِ نُسَّاخٍ صلاحُهم للعمل متفاوت. وما من أحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أي نسخة مهما بذل فيها من الجهد بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أن يصوبوا ما جاء في مثالهم، وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير الإلٰهي. وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ»... «ومن الواضح أن ما أدخله النُسَّاخ من التبديل والتغيير على مرِّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل إلى عصر الطباعة (القرن الخامس عشر الميلادي) مثقلاً بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت في عدد من القراءات... ولا يرجى في أي حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه».

وهو كلام في منتهى الأهمية من أكبر مرجع مسيحي وهو يمثل الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، وينسف هذا الكلام العقائد التي كانت سائدة لدى النصارى حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وهو أن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) كتبه أناس عديديون يوجههم روح القُدس، وبالتالي كانت لهذه الكتب عصمة عدم الوقوع في الخطأ. فلما تبيّن لهم كثرة الأخطاء العلمية والتاريخية والجغرافية تحولوا إلى القول: بأن الذين كتبوا العهد القديم والعهد الجديد بشر عاديون، ولا بد أن تظهر ثقافة عصرهم، فأيّ كتاب كتب في تلك العصور لا بد أن يحتوي على أخطاء علمية وتاريخية وجغرافية، ويحتوي على كمٍّ هائل من الأساطير، ولكن القيمة الحقيقية لهذه الكتب أنها تحتوي على تعاليم روحية وأخلاقية عالية هي التي أراد الله أن تصل إلينا ولهذا وجَّه الروح القدس الكُتَّابَ الكثيرين إلى هذه المعاني السامية.

تقول الرهبانية اليسوعية في الكتاب المقدس في دراسة المدخل إلى الكتاب المقدس في المسكونية العالمية[1]:

«أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم

---

(١) الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة، مدخل إلى الكتاب المقدس، من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية)، إصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م.

مجهولاً، لكنهم على أي حال لم يكونوا منفردين؛ لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. معظم عملهم مستوحىً من تقاليد الجماعة، وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية».

وتقول الرهبانية اليسوعية: **«وكل هذه الكتب عُدِّلت وبُدِّلت مِراراً، وأضيف إليها وأُسقط منها».**

وتتحدث الرهبانية اليسوعية في دراستها القيّمة في المدخل إلى الكتاب المقدس عن لائحة الكتب المعترف بها، وأنها قابلة للزيادة حسب الحاجة وحسب آراء كبار الأحبار والكهنة: **«ولكنْ إلى متى بقيت هذه اللائحة مفتوحة؟ وما هي المبادئ التي كانت تنظم استعمالها؟ وهل ضُمَّ هذا المؤلَف أو ذلك إلى تلك اللائحة؟ وهل كان الاستعمال واحداً في جميع الأماكن؟ وجميع الأوساط؟ تتضمن هذه الأسئلة كثيراً من النقاط الغامضة!!».**

وتقول الكنيسة[1]: **إن الله قد سمح للإنسان ـ في هذه الحالة كاتب السفر ـ بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص، ما دام ذلك لا يغير ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية، وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية... إلخ، فالمقصود بالكتاب هو أن يعلّم الدين والأخلاق، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة، بل إن كل تمسك بحرفية الكتاب المقدس لمصدر آخر غير الأخلاق والدين، يُنظر إليه نظرة غير مطمئنة، لأن ذلك يعكس عدم فهم للمعنى الأساسي والغرض الرئيسي للكتاب. كما أنه يُعدُّ سلوكاً متعصّباً إلى حدٍّ ما، وهو ما يُضادُّ الاعتدال الذي تأمرنا الأخلاق والدين باتباعه «فالكتاب المقدس في المسيحية إذن هو عمل مشترك بين الله والإنسان. وضع فيه كلاهما ما يريد، بحيث جاء الناتج على ما عليه، يعكس كمال الله في صحة تعاليم الأخلاق، وعلاقات**

(١) نقلاً عن رسالة خاصة بعثها الصديق الدكتور صبري جوهرة لخّص فيها رأي الكنيسة في الكتاب المقدس.

البشر بعضهم ببعض، وعدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة وأحياناً مضحكة».

وقد أوضحتُ في كتابي المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم[1] كيف أن هذا الزعم أيضاً لا يتحقق، وخاصة في كتاب العهد القديم (التوراة وكتب الأنبياء. . . إلخ)؛ لأنها كتب مليئة بالقسوة، والقتل، وسفك الدماء للأبرياء بصورة تقشعرّ لها الأبدان، ويهون بالمقارنة بما فيها ما فعله هولاكو وجنكيز خان وهتلر وستالين وبيجين وشامير وشارون، وكل تلك العصابات المجرمة. وكما قال أرنست بيفن (Ernest Bevin) وزير خارجية بريطانيا في أول وزارة عمالية برئاسة أتلي في بريطانيا: «إن العهد القديم هو أشدّ الكتب بعداً عن الأخلاق»[2]، وقال عن اليهود: «ماذا تتوقع من شعب تربى منذ المهد على أقوال التوراة». وهي أسفار تدعو إلى قتل النساء والأطفال والشيوخ والرضَّع، بل حتى إلى قتل الحيوانات، وإبادة كل شيء، كما أنها تتهم الأنبياء ﷺ بالزنا، والدِّياثة، والسرقة، والظلم وسفك الدماء، وارتكاب الموبقات، والشرك، وعبادة الأوثان، حيث زعموا أن هارون ﷺ هو الذي صنع لهم العجل وعبده معهم، وأن سليمان ﷺ عبد البعل وغيره من الأوثان، وأقام لهذه الرجاسات المعابد إرضاءً لنسائه. وأن داود ﷺ ـ حسب زعمهم ـ زنى بزوجة قائد جنده أوريا الحثّي، ثم دبَّر مؤامرة دنيئة لقتله، وأن إبراهيم ﷺ قدَّم زوجته لفرعون حتى ينال منه مالاً، وكذلك ـ حسب زعمهم ـ فعل إسحاق حيث قدم زوجته رفقة لملك الفلسطينيين حتى ينال منه المال. وكذبوا على يعقوب واتهموه بالكذب والخداع والسرقة، واتهموا لوطاً ﷺ بأنه زنى بابنتيه. . . إلخ، وامتلأت كتب العهد القديم بالكثير من الرجاسات، والنجاسات، والمحارق للبشر، وتصوير الله ﷻ بصورة بشرية، وأنه إله لشعب إسرائيل فقط، ولا يهمه أحد غيرهم. يرضى إن عبدوه، وقدموا له القرابين، ويسخط إن نفروا منه، وعبدوا الأوثان والرجاسات التي عند الأمم الأخرى.

ورغم ذلك فقد حوى العهد القديم كلمات نورانية شفافة تتحدث عن عبادة الله

---

(١) محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٦ ـ ٢٥.

(٢) مذكرات وزير الخارجية البريطاني كريستوفر ماهيو، صحيفة الشرق الأوسط ٩/٣/١٩٨٧م، ص٦.

وحده. . . وتتحدث عن البر وفعل الخيرات وصلة الأرحام وبر الوالدين والوقوف مع الأرملة والمسكين. ففي سفر اللاويين (١٩/ ٤) يقول الرب: «لا تلتفتوا إلى الأوثان. وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم، أنا الرب إلٰهكم». وفي سفر الخروج (٢٠/ ١ ـ ٦): «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلٰهك إلٰه غيور».

وفي سفر التثنية (٦/ ٤ ـ ٩): «اسمع يا إسرائيل الرب إلٰهنا واحد، فتحبّ الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك. ومن كل قوتك. .». ويأمرهم فيها بأن يذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، وفي كل آن وفي كل حال.

وفي سفر أشعيا: «أنا أنا الرب وليس غيري مخلّص. . أنا الأول والآخر، لا إلٰه غيري. أنا الرب وليس آخر، لا إلٰه سواي». . وفيه: «أنا إلٰه الدهر، الربُّ خالق أطراف الأرض لا يكلُّ ولا يعيا».

والنصارى يؤمنون بالعهد القديم، ولذا يجمعون العهد القديم والعهد الجديد في كتاب واحد يسمونه: الكتاب المقدس. وقد قال لهم يسوع: ما جئت لأنقضَ الناموس (متّى ٥/ ١٧)؛ وعندما سأل شاب يسوع عليه السلام: أي وصية هي أول الوصايا؟ أجابه قائلاً: «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الرب إلٰهنا واحد. وتحبّ الربَّ إلٰهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه الوصية الأولى وثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين). إنجيل متّى (٢٢/ ٣٥ ـ ٤٠)، وإنجيل مرقس (١٢/ ٢٨ ـ ٣٤).

وقال يسوع لشاب: «إنْ أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك. أحِبَّ قريبك كنفسك». متى (١٩/ ١٨، ١٩). وفي إنجيل يوحنا (١٧/ ٣): «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلٰه الحقيقي وحدَك، ويسوع المسيح الذي أرسلته». وفي يوحنا أيضاً (٧/ ١٦): «تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني».

وقد وضعت في الباب الثالث من الكتاب أمثلة من التعاليم الحقة الموجودة في الأناجيل، وبعض الرسائل.

أما الباب الأول فقد جعلته مدخلاً لدراسة العهد الجديد وابتدأت بتعريف ما يسمى الكتاب المقدس، وما هو العهد القديم، وما هو العهد الجديد، ثم

شرعت في نقل آراء علماء اليهود والنصارى في الكتاب المقدس، ورأي دائرة المعارف البريطانية وما قالته الدراسات (المدخل إلى الكتاب المقدس) وخاصة ما جاء في الرهبانية اليسوعية عن الترجمة الفرنسية المسكونية الممثلة للفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي بصفتها أهمَّ مرجع ديني للنصارى.

ويكفينا هاهنا أن ننقل ما جاء في كتاب الأب سيداروس اليسوعي **(تكوين الأناجيل)** وهو أحد سلسلة دراسات رسمية في الكتاب المقدس تصدرها دار المشرق في بيروت، وفي مقدمة كتابه يقول:

«ليس الكتاب المسيحي (العهد الجديد) كتاباً منزلاً كتبَه الله، بل هو كتاب بشر بإلهام الروح القدُس، وسيجرنا الحديث إلى أن نقرَّ بأن الكتاب كان في بداية أمره عبارة عن رواية شفهية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى ثم دونها الإنجيليون الأربعة، كلٌ بأسلوبه الخاص وقصده اللاهوتي الخاص.

وستقودنا دراستنا إلى الإقرار بأن هذه الأناجيل الأربعة ليست بمثابة تحقيق صحفي أو كتاب تاريخ يراد به تدوين وقائع حديث لرجل اسمه يسوع الناصري. فالأناجيل هي شهادة وإعلان ليسوع المسيح الممجد في سرِّ موته على الصليب، وقيامته من بين الأموات، ومن منطلق سرِّ حدث موته/ قيامته كمحور وهدف، ذهبت الأناجيل إلى سرد أحداث حياة يسوع الناصري من ميلاد ومعجزات وأقوال.. فكل ما قلناه يكفي ليقنع باحثاً سطحياً أن الأناجيل قد حرَّفها المسيحيون، إذ بين يسوع الناصري والروايات الشفهية والتدوين الرباعي عن يسوع الممجد فجوة وهاوية. والحقيقة كما تبيّنّاها هي أن الأناجيل والعهد الجديد بمجمله كتاب إيمان لا كتاب تاريخ».

ويقول مؤلفو كتاب **(أسطورة تجسد الإله)** وهم مجموعة من أساتذة علم اللاهوت في أربع جامعات بريطانية: **«لقد اتضح لمؤلفي هذا الكتاب، كما اتضح لعدد كبير من مسيحيي اليوم أن المسيحية على امتداد تاريخها كانت حركة نامية ومتغيّرة باستمرار... وفي القرن التاسع عشر قامت المسيحية في الغرب بتعديلين رئيسين في مواجهة التوسعات الهامة للمعرفة الإنسانية فقد قبلت أن الإنسان هو جزء من الطبيعة، وأنه برز ضمن تطور أشكال الحياة على هذه الأرض، وقبلت أن الأناجيل كُتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفي على كلماتها عصمة الأمر الإلهي».**

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية[1] عن الفترة الشفوية لكل من العهد القديم والعهد الجديد فتقول: «إن مرور فترة طويلة من الزمان تم فيها انتقال التعاليم والكتب شفوياً أدى إلى حذف واختصار وإضافة لتلك التعاليم والكتب عندما جاءت فترة الكتابة والتدوين، ولم تصل إلى فترة التدوين إلا بعد تحويرها وتغييرها تغييراً كبيراً جداً. ثم إن المُعضلة ازدادت بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون. وكان كل كاتب يضيف ما يراه مناسباً. ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب أيضاً واجهت عمليات متعددة من التغيير المتعمَّد وغير المتعمد. ذلك أن الناسخ قد يرى أن المادة المكتوبة تؤدي إلى تغيير في العقائد أو تهديد لها فيقوم هو بكتابة ما يظنه الحق والصواب، مقتنعاً بأن روح القدس يوجهه إلى الصواب. هذا بالإضافة إلى أخطاء النُسّاخ المعروفة في حذف سطر أو كلمة أو تغييرها دون قصد. وإذا عرفنا أن عملية كتابة العهد القديم تمتد إلى مدى أكثر من ألف عام فإننا ندرك دون ريب مدى التغيير الذي سيلحق بهذه الكتب في هذه العقود والأزمان المتطاولة».

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية عن الترجمة المشهورة بترجمة الملك جيمس والتي تُعتبر موثوقة ومعترفاً بها، والتي ظهرت في عام ١٦١١م: ثم تتابعت التصويبات والتغييرات. وفي عام ١٨٧٠م قام مجمع كانتربري الكُنُسي بدراسة طبعة الملك جيمس الموثقة والمعتمدة فوجد فيها أخطاء كثيرة. وقامت لجان من بريطانيا والولايات المتحدة وعملت عملاً دؤوباً، وصدرت طبعة جديدة من العهد الجديد سنة ١٨٨١م. وقد قامت هذه اللجان بإحداث ثلاثين ألف تغيير في ترجمة الملك جيمس المعتمدة الموثَّقة، وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن خمسة آلاف من هذه التغييرات والتصويبات هامة جداً»[2].

تَصَوَّرْ ثلاثين ألف تصويب وتغيير في العهد الجديد فقط، وفي كتاب مرَّ بالعديد العديد من التصويبات والتغييرات وهذا كله في إطار الترجمة المعتمَدة الموثقة المعروفة بترجمة الملك جيمس! فأي توثيق وأي اعتماد يمكن أن يوضع في كتاب يتم تغييره كلّ عشر أو عشرين سنة؟

واستمرت التغييرات في عام ١٨٨٥م. وفي عام ١٩٠٠م قام الأمريكان

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، المايكروبيديا، ٢/ ٨٨٤، ٨٨٥.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، ٢/ ٨٩١.

بإصدار ترجمة جديدة للعهد الجديد، وفي العام التالي نشروا ترجمة أخرى للعهد القديم، واستمرت التغييرات والتي عرفت باسم الترجمة الأميركية القياسية (المعيارية) المنقّحة (The Revised Standard Version)، وظهرت طبعة أخرى عام ١٩٢٨م تم تغييرها تغييراً رهيباً عام ١٩٣٧م، ثم واجهت مزيداً من التغيير والتصويبات عام ١٩٤٦م، ثم عام ١٩٥٢م، ثم عام ١٩٥٧م[١]. والأمر مستمر في التغيير كل بضع سنوات:

فهناك الكتاب المقدس الإنكليزي الجديد (New English Bible).

وهناك الكتاب المقدس الأمريكي الجديد (New American Bible).

كما أن هناك الكتاب المقدس الدولي الجديد (New International Bible).

وقس على ذلك الترجمات في اللغات كافة، ففي اللغة العربية كما تقول مقدمة (الإنجيل المقدس: العهد الجديد) إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت عام ١٩٩٧م: «وأما بالنسبة إلى العربية فهناك أكثر من مئة ترجمة للكتاب المقدس». ويقول مترجمو (الإنجيل كتاب حياة): «إننا قد أخذْنا بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية، فضلاً عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة والتي تزيد على المئة».

وكل ترجمة تختلف عن الأخرى اختلافات كثيرة، فما نجده في كتب القرافي وابن تيمية وابن القيم، وابن حزم، والقاضي أبي البقاء الجعفري من النصوص التي ينقلونها عن التوراة والإنجيل، تختلف فيما بينها، كما أن بعضها غير موجود على الإطلاق في التوراة والإنجيل التي بأيدينا اليوم، أي أنها قد تم حذفُها في الترجمات الأحدث، لأنها ـ كما تقول دائرة المعارف البريطانية ـ يراها المترجم مخالفة لعقيدة من عقائده.

وتقول دائرة المعارف الأميركية[٢]: «لغة يسوع وقومه هي اللغة الآرامية، ولكن العهد الجديد بأكمله لم يكتب إلا باللغة اليونانية، ولا تزال فيه بعض الكلمات الآرامية». وكُتّاب الأناجيل لم تعد تلك الشخصيات التي كان يظنها السابقون: فإنجيل متّى منسوب عند القدماء إلى متّى العشّار الذي صار من

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٩٢.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية، لعام ١٩٥٩م، ٣/ ٦٥٤.

الحواريين وتبع يسوع. وأما المُحْدَثون فيقولون: إن كاتب إنجيل متّى يوناني ولا علاقة له مباشرة بمتّى الآرامي، وربما استقى بعض الأقوال التي كان يرويها شخص مجهول يسمى متّى الآرامي، بالإضافة إلى اعتماده على إنجيل مرقس الأقدم منه، وعلى مصدر آخر مجهول.

والشيء ذاته يقال عن مرقس، وأنه ليس الذي كان القدماء يقولون: إنه تلميذ بطرس الحواري.

وأما يوحنا الذي كانوا يزعمون أنه يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح فإنه قد أثبت الباحثون أنه لا علاقة له بمؤلف الإنجيل المعروف بيوحنا الإنجيلي اليوناني الثقافة، والذي ظهر بعد أكثر من سبعين عاماً على رفع يسوع في أقل تقدير، بينما يقول بعضهم: إنه ظهر في عام ١٢٥ بعد الميلاد، أي ما يقرب من مائة عام بعد رفع يسوع.

والحال ذاته في لوقا. فهؤلاء المؤلفون المنسوبة لهم الأربعة الأناجيل المعتمدة شخصيات ضبابية مجهولة لا يكاد أحد يعرف عنها شيئاً موثقاً. وبالتالي تعتبر هذه الشخصيات مجهولة.

بل إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم تكون عهداً جديداً يتميز عن العهد القديم(١) وكانوا يعتمدون التوراة وكتب الأنبياء كتاباً مقدَّساً. ثم دخلت في القرن الثاني بعض رسائل بولس ثم في نهاية القرن الثاني بدأ الاعتراف بالأناجيل. وإنْ ظَلَّ الخلاف فيها إلى قرون تالية حيث بلغ عدد هذه الأناجيل المئات. ولم يتم الاتفاق على أربعة منها إلا بعد معارك طاحنة ومرور مئات السنين.

«وتقول دائرة المعارف الأميركية(٢): إن الاختلاف بين هذه الأناجيل الأربعة عظيم لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (مرقس ومتى ولوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقاً بها، فإنّ ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنّا.

---

(١) فرادريك جرانت: الأناجيل أصلها ونموها. نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية، لعام ١٩٥٩م، ١٢/ ٧٣.

ويقول الباحث المسيحي المشهور فردريك جرانت في كتابه: **(الأناجيل أصولها ونموها)**[(١)]: **«إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شتات مُجمَّع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة. وإن الإنسان لَيستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات التي سار فيها التفكير المسيحي، كما يتتبع إلى حد ما التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة، وكذلك مراحل التطور لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعبادتها وتنظيمها».**

وفي الباب الأول: تفصيل وافٍ عن أقوال النصارى، ودوائر المعارف عن ما يسمى (الكتاب المقدس) وبالذات العهد الجديد، ومخطوطاته، وطبعاته، واللغات التي كُتب بها، وتُرجم منها إلى لغات العالم بأكمله.

وفي الباب الثاني: تحدثت عن الأناجيل، وكيف تشكلت قانونية الأناجيل الأربعة، وما هي الأناجيل الإزائية (المتشابهة) (Synoptic Gospels)، وتناقض الأناجيل، وخصائص كل إنجيل من هذه الأناجيل، واختلاف القصص والحكايات في الأناجيل وتناقضها، وتلاميذ يسوع، وكيف تصورهم الأناجيل بصورة بشعة، ومتناقضة: ففي حين يعطى بطرس (كبير الحواريين) مفاتيح السماء والأرض يقول عنه يسوع: إنه شيطان وأنه معثرة له، وأنه ينكر يسوع، ومن ينكر يسوع يُطرد يوم الدينونية.. إلخ، وتفصيل لأخطاء الأناجيل وتناقضاتها حسبما يذكرها علماء اللاهوت وتاريخ الأديان من النصارى أنفسهم، وتحدثت عن الأناجيل المختلفة المرفوضة أو المنحولة أو الضائعة، ومنها إنجيل عيسى ﷺ، والأدلة على أنه قد وُجد ثم فُقد.

وفي الباب الثالث: أمثلة من التعاليم الحقة في الأناجيل وكتب العهد الجديد. وتناقض المسيحيين ورفضهم لكثير من تعاليمها الهامة والحقة مثل: توحيد الله ﷻ، وأن يسوع ﷺ بشر ورسول، وأنه لا يعلم الغيب، ومثل نهيهم عن الزنا واللواطة، وكيف وصلت بهم الوقاحة **أن يقرر مجلس الكنائس البريطاني الذي أصدر تقريراً نشرته مجلة التايم الأمريكية في عددها الصادر ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦م (ص٣٨) وجاء فيه: «إن مجلس الكنائس البريطاني ضد الاستغلال**

---

(١) فردريك جرانت: الأناجيل أصولها ونموها، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٨٨م.

الجنسي، ويبارك الصلة الجنسية في الزواج، ولكنه يرفض رأي الإنجيل الداعي إلى العفة قبل الزواج أو الالتزام به بعده، ويدعو إلى التراخي في إجراءات الإجهاض (سمح به البرلمان البريطاني عام ١٩٦٧م)، وإلى استخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات، ولو بدون إذن أهلهن».

وتم استعراض سريع جداً لفسق الرهبان والبابوات ـ وخاصة عائلة بورجيا كما تذكره المصادر الغربية ذاتها، وبالأخص دائرة المعارف البريطانية الموثقة المشهورة ـ إلى فضائحهم التي ازدادت، وانتشار اللواطة (الشذوذ الجنسي ويسمونه اليوم المِثْلية). وتم في ٧ أغسطس ٢٠٠٣م تعيين جين روبنسون (بالانتخاب) أسقفاً ومطراناً لولاية نيوهامبشاير الأمريكية في الكنيسة الأسقفية (Episcopal Church)، التابعة للكنيسة الإنجليكانية التي يرأسها أسقف كانتربري، وملك أو ملكة بريطانيا، وقد أعلن هذا الشخص مراراً وتكراراً أنه شاذ جنسياً وكان يدخل الكنيسة برفقة عشيقة!!.

وكثرت حوادث اعتداء القسس والرهبان على الأطفال مما أدى إلى حملات محمومة ضدهم في الصحافة والتليفزيون والإنترنت، ومحاكمة بعضهم وإدخالهم السجون. وقد جمعت من الإنترنت عن موضوع اعتداء رجال الكنيسة على الأطفال (Pedophilia) حوالي مئتي صفحة[1]، ربما يتم نشرها في كتيب خاص، إذا مدَّ الله في العمر، عن فسق الكنيسة ورجالاتها ورهبانها وراهباتها. وهذا لا يعني أنهم كلهم فسقة، بل فيهم أناس مستقيمون وخاصة في الشرق حيث لا يزال التمسك بالأخلاق والأسرة هما السائدان.

وخصصت **الباب الرابع**: لِسِفْرِ أعمال الرسل الذي كتبه لوقا. وفيه قصة الحواريين والرسل بعد رفع يسوع وبداية الانحرافات من بولس.

وقد جعلت **الباب الخامس**: لبولس محرِّف دين المسيح ولرسائله، وما كتبه عنه علماء الغرب من أساتذة علم تاريخ الأديان، والكتب الكثيرة التي صدرت عنه في التسعينات من القرن العشرين، ومن أهمها كتاب أستاذ تاريخ الأديان في معهد ليوبايك بلندن الأستاذ الدكتور هيام ماكبي (Hyam Macciby) وقد صدر الكتاب بعنوان (صانع الأسطورة بول واختراع المسيحية، Paul and the

---

(١) جمعها لي الأخ الكريم الدكتور حسّان شمسي باشا جزاه الله خيراً.

(Invention of Christianity) ونشرته دار هاربر سان فرانسسكو بالولايات المتحدة سنة ١٩٨٦م، وأعيد طبعه بعد ذلك. وعنوان الكتاب يكفي. وقد اختصرت الكتاب الكاتبة الفاضلة سميرة عزمي الزين، ونشرته تحت عنوان: بولس وتحريف المسيحية (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت ١٩٩١م) وقد اعتمدت الأصل واستعنت بترجمتها واختصارها للكتاب.

ونقلت ما كتبه مؤلفو إرث المسيحية (The Mesianic Legacy) عن بولس ومجموعة من المصادر الأخرى، ودرست رسائل بولس وسِفْر أعمال الرسل مع شروحها التي وضعها مجموعة من علماء اللاهوت المسيحيين ونشرتها دار المشرق، بيروت، ومنهم الأب فاضل سيداروس اليسوعي (مدخل إلى رسائل القديس بولس). ورجعت إلى كتاب أستاذ تاريخ الأديان في جامعة باريس الأستاذ الدكتور شارل جينبير: (المسيحية نشأتها وتطورها) الذي ترجمه الإمام الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله.

وخلاصة القول: إن بولس هو المؤسس الأول للدين النصراني الموجود حالياً، وهو الذي رفع يسوع إلى مرتبة ابن الله، وإن كان أقل من الأب في المنزلة، وهو الذي أوجد عقيدة الصلب والفداء. وأن يسوع ما جاء إلا ليموت على الصليب، ويتألم ويفتدينا من الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم)، فيصير هو الخطيئة، ويتحمل عنا اللعنة، فيصير هو اللعنة لأنه مكتوب: كل من عُلِّق على خشبة فهو ملعون. كما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية.

وخصصت **الباب السادس للتأثيرات الوثنية في المسيحية**. وهو مصداق ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

وهو إعجاز في بابه، فما كان العرب ولا غيرهم يعرفون كيف دخلت الأديان الوثنية وعقائدها إلى النصرانية، وكيف أن عقيدة التثليث والقول: بأن المسيح هو ابن الله، قول قد قاله المصريون القدماء في عبادتهم لأوزيريس (الأب)، إيزيس (الأم)، وحورس (الابن) وفي عبادتهم للإله الخالق بتاح، وكلمته توت، وروحه

القدس حورس. وهذا التثليث المصري قديم جداً، وهو الذي عبّد الطريق للهرمسية السكندرية المؤلفة من العقل الأكبر ثم الكلمة الخلاقة ثم الروح القدس. وقال أفلوطين (وفاته ٢٧٠) السكندري: بالتثليث، فالله صدر عنه وتولد منه العقل الكلّي (Logos). ومن هذا العقل الكلي انشقت الروح المقدسة (الروح القدس)، والتي يتم بواسطتها خلق الأشياء. وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد. وقد تعرَّف أفلوطين في رحلته إلى الهند وفارس على عقائدهم وما فيها من تثليث، فعقيدة سافستري الهندوكية القديمة تقرر ما يلي: «نؤمن بسافستري (أي الشمس) إلٰهاً واحداً ضابطاً لكلِّ ما في السماء والأرض، وخالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد (أكني) أي النار. نور من نور، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، تجسد من فايو (أي الروح) في بطن مايا العذراء. ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب والابن يسجد له ويمجد».

وهذه العقيدة موجودة بنصها لدى النصارى في عقيدة مجمع نيقية (٣٢٥م)، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، ومجمع أفسس سنة ٤٣١م، ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ميلادية. ونص هذه العقيدة هي: (نؤمن بإلٰه واحد: الله الأب كلي القدرة، خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إلٰه من إلٰه، نور من نور، إلٰه حق من إلٰه حق. مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكلِّ ما في السمٰوات وما في الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجسَّد وعاش بين الناس، الذي تألم، وفي اليوم الثالث قام وصعد إلى السماء، ويأتي ليدين الأحياء والأموات. ونؤمن بروح القدس الربِّ المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له وممجد). وأضافوا إليها مقدمة (مجمع أفسس سنة ٤٣١م) ونصها: (نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء المقدسة، والدة الإلٰه، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلَّص نفوسنا.. المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا رب ارحم، يا رب بارك. آمين).

وترى أن العقيدتين الهندية والمسيحية متماثلتان. ولدى الهنود ثالوث آخر هو براهما الإلٰه الخالق، وفشنو الإلٰه الحافظ المدبر، وسيفا الإلٰه المهلك،

والثلاثة صور وأقانيم لحقيقة واحدة ورب واحد وإله واحد هو بارميشوار، أي الإله الأكبر أو الآلهة الأم، ولديهم أيضاً المثلث أغني إله النار.

ولدى الفرس تثليث مشابه: فالإله الأكبر هو ميثرا الإله الشمس، ويحيط به كوتيس وكوتوباتيس حاملاً المشاعل. وكلهم آلهة نور من نور.

وفي بابل القديمة آلهة مثلثة هي أنو وبل وأيا: فالأب هو أيا وهو رمز المعرفة، وبل هو الابن ويمثل الخلق والنشاط العملي، وأنو هي الروح القدس.

ولدى بابل آلهة مثلثة أخرى هي: سن (القمر)، وأداد (العاصفة)، والأب (أنو)، ولديهم أيضاً الشمش (الشمس)، وسن (القمر)، وعشتار (وهي نجمة الزهرة وعند اليونان والرومان هي فينوس). وهذا التثليث الأخير موجود أيضاً في اليمن منذ عهد سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد.

ويقول العالم النفسي الشهير كارل يونج في كتابه (علم النفس والأديان الغربية): «إن جذور المسيحية والتثليث تعود إلى الأديان الوثنية القديمة في بابل ومصر وفارس والهند واليونان».

ويقول الباحث الديني المشهور لو كليرك: «طبعاً استعار المسيحيون المؤمنون من هنا وهناك بعض التفاصيل الوثنية أنَّى وجدوها».

ويقول الأب دولا هاي: «إن الطبيعة البشرية التي تتصرف وفقاً لمشاعرها الدينية كافية لتفسير تشابه الشعائر المسيحية وشعائر عبادة ميثرا الفارسية». ويقول أندريه نايتون في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية): «إن الكنيسة ابتلعت بعض العناصر الوثنية، ولكنها أضفتْ عليها طابعها الخاص، وذلك لاستقطاب ما يمكن استقطابه من عبدة الأصنام، وهذا ما أدى إلى دخول عناصر وثنية جديدة على المسيحية غير أن هذه السياسة كانت خطيرة جداً.. وكانت وراء ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي في آخر المطاف».

ويقول: «لماذا لا نعود إلى النصوص الوثنية القديمة ونصوص المسيحيين الأوائل مثل القديس جستين الذي يعترف بوجود أفكار جوهرية متشابهة بين المسيحية والوثنية؟ واعترف القديس جستين بتشابه طقوس القربان المقدس في المسيحية وفي الأديان الوثنية، كما أن كليمان السكندري قارن بين الأسرار المسيحية والأسرار الوثنية. وأكد التشابه بينهما».

ويقول العالم النفسي الشهير كارل يونج في كتابه (علم النفس والأديان

الغربية): «إن التثليث ليس فكرة مسيحية، وإنما جاء من الأديان الوثنية القديمة. إن آباء الكنيسة لم يشعروا بالراحة إلى أن أعادوا بناء عمارة التثليث على غرار نموذجها المصري الأصيل».

«وتوضح الوثنيات القديمة أن الابن (أي ابن الله) ينزل من عالم النور إلى عالم الظلمة، عالم الإنسان والشر، ووظيفة الابن الإلٰه المتجسد في صورة بشرية أن يقدم نفسه ضحية من أجل أن يخلّص العالم من الشر والأذى. وهذا التصور موجود لدى الفرس، فجيومارت هو ابن إلٰه النور، ويسقط في الظلمات، ويخرج منها لكي ينقذ العالم. مثل هذا الإلٰه كان النموذج الأصلي الذي تبنَّته المسيحية فيما بعد.

ويتحدث العلامة شارل جينيبر في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) عن فكرة الإلٰه الذي ينزل من السماء إلى الأرض بصورة بشرية، ويتعذب ثم يرتفع لينقذ ويخلص أتباعه فيقول: «إن هذه الآلهة تموت في موعد معين من السنة ثم يبعثون في موسم آخر، فيشعلون في نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التي تكاد تصل حدَّ الجنون بعودتهم وبعثهم مرة أخرى.

وهذه الآلهة مرتبطة بالشمس أو بالمواسم الزراعية: فميثرا كان إلٰهاً شمسياً، ولذا احتفل بمولده في ٢٥ ديسمبر وهو موعد الانقلاب الشمسي. وكان الإمبراطور قسطنطين ـ باعتباره عابداً للشمس ـ يحتفل به. واضطر رجال الكنيسة أن يجاملوا قسطنطين فحولوا ميلاد المسيح إلى هذا العيد الوثني وجعلوا الاحتفال بعيد الميلاد يوم ٢٥ ديسمبر.

أما تموز فهو من آلهة الزراعة حيث يموت في شدة القيظ وتحييه أول نسمات الربيع، وهكذا الحال بالنسبة لأدونيس. وأغلب الآلهة يموتون ثم يبعثون. وتتمثل الأرض الخصبة بالأم، فعلى سبيل المثال نجد الأم الكبرى (سيبيل) في أسطورة أتيس، وأفروديت بالنسبة لأدونيس. وقد جمع الناس في العبادة بين هاته الأرباب وهاتيك الشخصيات الإلٰهية النسائية.

وتتماثل قصة موت الإلٰه وبعثه في الديانات الوثنية بما هو موجود في المسيحية التي تشربت منها ذلك. فالإلٰه يتعذب أولاً كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلب على الموت ويبعث من جديد في مجده

وقوته كإله. ويقوم الأتباع والمؤمنون بهذه العقيدة بتجديد الاحتفال بموت إلههم وبعثه في الموعد المحدد (غالباً ما يكون في بداية الربيع). وهذا ما يتم بالفعل في الاحتفالات المسيحية المعروفة بعيد الفصح (إيستر) حيث يزعمون أن يسوع صُلب يوم الجمعة وقام يوم الأحد واجتمع بالحواريين والأتباع ثم ارتفع إلى السماء ليجلس عن يمين الأب يحكم على الأحياء والأموات ويدين الكل.

وتتماثل طقوس موت الإله ثم بعثه في الأديان الوثنية والدين المسيحي. فأتيس وأدونيس وأوزريس وسيبيل كلها تتحول إلى آلهة بعد أن تعذبت في صورة بشرية ثم ماتت. ولكن قيامها بعد الموت يشكل لحظة الانتصار على الموت والآلام والخطايا. وتتكامل الصورة باتحاد المؤمنين بهذا الإله عبر أكل لحمه (وهو ما يعبر عنه في العشاء الرباني أو القربان المقدس أو الأفخارستيا حيث يقدمون الخبز على أساس أنه لحم المسيح (الرب الإله) وشرب دمه (وهو النبيذ الذي يقدمه الكاهن للأتباع على اعتبار أنه يتحول عبر طقوس الأفخارستيا (Eucharist) إلى دم المسيح حقيقة).

وعند الوثنيين يقومون بذبح ثور خاص ينهمر فيه دم الثور على المؤمنين الذين يتم تعميدهم بدم الثور الذي يتقمّص فيه الإله، ويتجسّد فيه الربّ، حسب زعمهم في تلك اللحظة، ليجعل للمؤمنين به حظّاً في الاتحاد به. وينزل المؤمن إلى الحفرة (تمثل الهاوية والموت الذي نزل بالإله حسب زعمهم) التي يتساقط إليها دم الثور... والثور هنا هو الإله أتيس. أما دماؤه فتمثل جوهر حياته الإلهية، ويتلقى المؤمن هذا الدم ويتشرّبه ويمتزج به حتى إذا خرج من الحفرة اعتُبِرَ مولوداً جديداً، فيُسقى اللبن كما يُسقى المولود، ويخرج وقد تطهَّر من الآثام كما يخرج الطفل من بطن أمه ملوثاً بدماء النفاس، ومع ذلك فقد تشرَّب جسمه وروحه بالإله، فأصبحتْ له السعادة الروحية الإلهية، وعليه بعد ذلك أن يتّحد مع الآلهة سيبيل كما فعل آتيس، ويتقرب إليها بتقديم الأعضاء التناسلية للثور. وهو أمر يرمز إلى الزواج الذي يتم روحياً في حجرة العرس الخاصة بالأم الكبرى.

وتتم الاحتفالات مع هذه الآلهة آتيس، وميثرا الفارسي، وبعل السوري، وأزوريس المصري في طقوس معقدة، ومآدب ضخمة، حيث يتناول المؤمنون الطعام والشراب على موائد الإله المعبود بحيث يتاح لكافة المؤمنين الامتزاج بدم الإله ولحمه والاتحاد به لينالوا السعادة الأبدية.

«وهذه الطقوس مع بعض التحوير نراها في المسيحية في احتفالات عيد الفصح (إيستر) المرتبطة بالقربان والتي أدخلها بولس إلى المسيحية، وبذلك أبعد النصرانية عن التوحيد، وأدخلها في طقوس وثنية معقدة ومقززة». انتهى كلام الدكتور شارل جينيبر أستاذ تاريخ الأديان في جامعة باريس في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها).

وقد ولد بولس في طرسوس التي كانت مركزاً للثقافة الهلينستية، وكانت مركزاً تجارياً مهماً، وملتقى لعبادات آلهة متعددة، مثل أتيس، وميثرا، وأدونيس وتموز وهي كلها آلهة تتصف بصفات بشرية، وتتعذب، ثم تموت، لتفتدي معتنقيها والمؤمنين بها. وقد تأثر بولس بذلك كله فلما دخل المسيحية أدخل عقيدة الفداء وأن يسوع تعذَّب وصُلب من أجلنا. وأنه نزل من السماء وتجسَّد في صورة بشرية من أجل أن يفتدينا من الخطيئة واللعنة فصار هو بدلاً عنا الخطيئة واللعنة (ألا لعنةُ الله على الظالمين).

واستطاع بولس بهذه العقيدة الوثنية أن يقترب من ملايين البشر الوثنيين في امتداد الأمبراطورية الرومانية الضخمة، واصطدم مع كنيسة أورشليم التي كان يرأسها يعقوب العادل (أخو المسيح حسب زعمهم من أمه)، ومعه بطرس وبقية الحواريين، ومجموعات اليهود المتنصّرين الذين آمنوا بعيسى عليه السلام نبيّاً ورسولاً، ولكنهم لم يؤمنوا به إلٰهاً ولا ابن الإلٰه.

وقد وقعت مشادّاتٌ بين بولس وبين اليهود المتنصّرين حتى كادوا أن يقتلوه، ولكنه كان يتخلص من ذلك بشدة ذكائه، وبزعمه أنه ملتزم بالشريعة، خاضع لها، وأنه فريسي مختون، من سبط بنيامين، مؤمن بالقيامة ولا ينكر شيئاً مما جاءت به الشريعة. كما كان يظهر لهم أنه مواطن روماني تحميه الدولة الرومانية بكل جبروتها.

وقد أدخل بولس عقيدة الفداء والصلب، وجعلها لُبَّ المسيحية، ورفع يسوع من صورته البشرية المعهودة عند التلاميذ والحواريين واليهود المتنصرين، إلى مرتبة ابن الله الذي يجلس عن يمينه. كما سمح للوثنيين المتنصرين بعدم الخِتان وأكل الخنزير والدم والمخنوق وما ذُبح على النُّصُب، ووسّع العقائد النصرانية البسيطة، وأوجد النظام الكنسي الذي بدأ يتعقد فيما بعد، كما أوجد العشاء الرباني (القربان المقدس أو الأفخارستيا) وقد تطورت كل هذه العقائد بعد

بولس، ولكنه كان هو المؤسس الأول لها، ولذا يعتبر بحق مؤسس الدين المسيحي الذي انتشر في الآفاق، والذي تطور إلى التثليث الكامل في عقيدة نيقية سنة ٣٢٥م، وما جاء بعدها من المجامع المسكونية.

وقد أفضتُ في شرح ذلك كله في الباب الخامس الذي جعلتُه عن بولس، ودوره الهام في المسيحية. والباب السادس الذي أوضحتُ فيه التأثيرات الوثنية في المسيحية، وكانت المراجع في ذلك كله كتب علماء النصارى أنفسهم، منها ما هو مترجم إلى العربية، ومنها ما هو باللغة الإنجليزية، وهي كلها مذكورة في صلب البحث فلا حاجة للإطالة بذكرها.

وقد خصصتُ الباب السابع لاستعراض كتاب هام هو **(أسطورة تجسُّد الإلٰه) - أي في المسيح - وهو تأليف لسبعة من كبار علماء اللاهوت وأساتذته في أربع جامعات بريطانية**. وقد نُشر الكتاب عام ١٩٧٧م وأثار ضجّة في حينها، ولكن عيب الكتاب في ظني أنه كُتب بلغة لاهوتية معقدة. وكنت قد أعطيته أحد الأخوة الأمريكيين الذين أسلموا وهو مثقف جامعي، فسألته عن الكتاب فقال لي: إنه معجب بالكتاب لولا أنه كتب بلغة لاهوتية معقدة يعسر على القارئ والمثقف العادي قراءته.

وقد أعدت قراءة الكتاب بعد توسعي في كتب المسيحية، والكتاب المقدس والأناجيل فتيسر لي فهمه، ثم وجدته معرَّباً بواسطة الدكتور نبيل صبحي الذي بذل جهداً يشكر عليه إلا أنه لم يكن ملمّاً بالعقائد والمصطلحات النصرانية فعسرت عليه الترجمة.

ولأهمية الكتاب القصوى اختصرته في فصوله العشرة. وميزة هذا الكتاب الأكاديمي أنه يقول بكلِّ صراحة: إن يسوع المسيح ليس إلا بشراً أرسله الله ﷺ مثل بقية الرسل، مع رفع مكانته كما يرون أكثر من أي شخص آخر. لكنه لم يكن إلٰهاً ولا ابن الإلٰه. **ويقولون ما نصه: «إن الاعتقاد الذي ظهر بعد قرون من رفع يسوع بأن الله تجسّد فيه، وأنه الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس، ليس إلا أسلوباً أسطورياً أو شاعرياً للتعبير عن أهمية يسوع بالنسبة لنا، وهذا الاعتراف مطلوب منا لمصلحة الحقيقة أولاً ولعلاقتنا بأبناء الديانات الأخرى الكبرى ثانياً (المقصود اليهودية والإسلام)**.

«والتغييرات التي عدَّلتْ بها المسيحيةُ نفسها في الماضي كانت تسبب أحياناً عطباً أدى إلى رفض كثير من الناس في العصور الحديثة للمسيحية ذاتها...

والمسيحية لا تستطيع البقاء إلا في كونها منفتحة باستمرار على الحقيقة. ولهذا وضعنا هذا الكتاب».

ويقول المؤلفون: «في القرن التاسع عشر قامت المسيحية في الغرب بتعديلين رئيسين في مواجهة التوسعات الهامة للمعرفة الإنسانية:

١ ـ قبلتْ أن الإنسان جزء من الطبيعةَ ضمن تطور أشكال الحياة.

٢ ـ قبلت أن الأناجيل كُتبت بأقلام أشخاص عدة في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفَىٰ على كلماتها عصمة الأمر الإلٰهي.

ولذا لا بد من اعتراف جديد وهو أن يسوع بشر اختاره الله ليؤدي رسالة هامة جداً، ولم يكن أبداً جزءاً من الذات الإلٰهية، ولا تَجَسَّد الإلٰه فيه، وأن هذه الأسطورة ينبغي أن يُعترف بأنها لا حقيقة لها، وأن ما كان يعتبر لب المسيحية أمر غير صحيح، بل لا بد من الاعتراف بأن هذه العقائد هي عقائد وثنية أسطورية. ولم يكن غريباً في تلك العصور المليئة بالخرافات والأساطير أن يدَّعي أحد أنه إلٰه أو أنه ابن الإلٰه، أو أن الله تجسَّد فيه، وكل الملوك والأباطرة ادَّعَوا ذلك، في مصر القديمة، وفي بابل، وأباطرة روما وكسرى فارس وكل الملوك الآلهة عبر الزمان والمكان من اليونان إلى الصين واليابان. وعقائد التثليث كانت منتشرة جداً في تلك الأصقاع. فلا يستغرب أن يتقمص رجال الكنيسة ابتداءً من بولس ومن جاء بعده عقيدة تجسُّد الإلٰه ثم عقيدة التثليث، ولكن على المسيحيين اليوم أن يعترفوا أن ذلك كله أسطورة من الأساطير ولا يمكن الدفاع عنها بأي حال من الأحوال».

وينتهي إلى القول: «إن أملنا هو تحرير الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش، محررين بذلك الناس لخدمة الله في الطريق المسيحي بكمال أكثر».

ويقول كوبيت أحد المؤلفين: «إن عقيدة التجسيد والتثليث دخيلة على روح المسيحية التي جاء بها يسوع وآمن بها التلاميذ، وتنتمي إلى فترة من تاريخ الكنيسة انتهى في وقتنا الحاضر». «إن النظرة التي شُكِّلت عن المسيح في القرنين الرابع، والخامس الميلادي (عقيدة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، ومجمع أفسس سنة ٤٣١م، ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م) تنهار، ولا تنهار فقط في أذهان الناقدين العقلانيين، ولكنها تنهار في أذهان زعماء الكنيسة

اليوم. ولقد أدتْ عقيدة تجسُّد الإلٰه في يسوع المسيح إلى الاضرار بالإيمان بالله وإدراك علاقة الإنسان بالله.

«ولا شك أن عقيدة تجعل الله متجسداً في المسيح تؤدي إلى عبادة يسوع المسيح على أنه الله، وتجعل له طقوساً تعبديّة خاصة. وهذا أمر وثني يجب التخلص منه». «ولا شك أن فكرة التجسد، وهي أن الله اتخذ بصورة دائمة طبيعةً بشرية، تُضفي الشرعية على العقائد الوثنية التي تحدثتْ عن الإلٰه الإنسان..» وينتهي إلى القول: «إن عقيدة التجسد الإلٰهي في المسيح ما هي إلا وثنية، وتؤدي إلى عبادة الإنسان للإنسان، وهو ما جاء يسوع المسيح ليحاربه»، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

والأبحاث في هذا الكتاب الهام ممتعةٌ وعميقة، وتفتح أبواب الحوار والاتصال بين علماء الإسلام وعلماء المسيحية، هؤلاء المخلصين المنكرين للتثليث والتجسيد، وكل ما بُنيت عليه المسيحية التقليدية. وتلتقي مع الإسلام التقاء مهماً جداً. وعلى علماء الإسلام أن يوطدوا الاتصالات، وأن يهتموا اهتماماً بالغاً بهذه المجموعات التي بدأت تظهر وتزداد في الغرب من علماء اللاهوت وعلماء تاريخ الأديان، ويجب دَعْمُهم وإبرازهم وتعميق الاتصال بهم، وفَتْحُ أبواب الحوار معهم، كما ينبغي مساعدتهم في الوصول إلى الجماهير المضللة من المسيحيين بكافة وسائل الاتصال حتى يُمكن إنقاذ الملايين منهم مما هم فيه من ضلال. أو على أقل تقدير يزيل الاتهامات الباطلة وسوء الفهم العميق المنتشر عن الإسلام وأهله.

وقد خصصتُ الباب الثامن لتطور العقيدة النصرانية عبر التاريخ وتحدثت عن رسالة التوحيد الحقة التي جاء بها عيسى ﷺ وهي نفس الرسالة التي جاء بها الأنبياء والرسل ﷺ من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليهم جميعاً.

وذكرتُ مجموعة الحواريين، واليهود المتنصّرين الذين آمنوا بيسوع المسيح رسولاً ونبياً من الله ﷻ، وما يسمى مجموعة أورشليم، أو كنيسة أورشليم، التي ترأَسها بعد رفع يسوعَ يعقوبُ العادل أخو المسيح من أمه (حسب زعمهم أن للمسيح أخوة من أمه)، ثم شمعون، أحد أقارب يسوع، بعد قتل يعقوب سنة ٦٢ ميلادية، ثم بطرس. وكان هؤلاء جميعاً وأتباعهم على التوحيد الحق، وأنكروا على بولس تحريفاته وخُزَعْبَلَاتِهِ. وتحدثتُ عن **الناصريين** (Nasarenes) وهم اليهود

المتنصّرون من مدينة الناصرة في منطقة الجليل في فلسطين. وهي المدينة التي جاء منها يسوع، ولذا يقال: يسوع الناصري، وتقول المصادر العربية: إن كلمة النصارى نسبة إلى الناصرة التي جاؤوا منها. وهم كذلك من أهل التوحيد الحق.

ومن الموحِّدين: **فرقة الإبيونيين** (Ebonites) وهم الفقراء إلى الله. وهم جماعة من اليهود ظهروا قبل عيسى ﷺ واشتُهروا بالزهد والاستقامة والتواضع وتعليم الناس أمور دينهم مجاناً (احتساباً لوجه الله تعالى) على عكس الفريسيين والصادوقيين الذين كانوا أصحاب مطامع ودنيا وكبر ورياء. ومن أجل ذلك قرَّعهم ووبَّخهم يسوع المسيح تقريعاً شديداً. وقد تبعوا يسوع بعد ظهوره وأخلصوا لله العبادة وحده.

ومنهم الآسيون الذين ظهروا أيضاً قبل يسوع بقرنين أو ثلاثة من الزمن واعتزلوا مجتمع اليهود، **وكانوا يعيشون حياة الزهد والتطهُّر وكثرة الاغتسال ويتوجّهون في صلاتهم التي يصلونها صفوفاً نحو الجنوب (أي نحو مكة) كما كانوا يوجهون موتاهم نحو الجنوب أيضاً، وكانوا يداوون الناس مجاناً ولذا عرفوا بالآسيين ـ نسبة إلى الآسي وهي كلمة آرامية تعني الطبيب المداوي، ولها نفس المعنى في اللغة العربية، فلما ظهرت دعوة يسوع بعد رفعه ذهبوا إلى الحواريين وآمنوا بيسوع رسولاً ونبياً. وكانوا أيضاً في انتظار النبي الذي يظهر من فاران (مكة). وكانوا مجهولين تماماً ولكنهم عُرفوا بعد أن اكتشفت مخطوطات مغارة قمران الهامة (في أريحا) والتي عُرفت باسم مخطوطات البحر الميت،** (Dead Sea Scrolls) فاهتم بهم الباحثون اهتماماً عظيماً منذ أن اكتَشف هذه المخطوطات بعض الرعاة البدو في منطقة أريحا عام ١٩٤٨م.. والاهتمام بهذه المخطوطات وهذه الجماعة لا يزال في ازدياد وخاصة لدى دارسي الأديان، وبالذات دارسي اليهودية والنصرانية. ثم ذكرت الانحرافات التي ابتدأها بولس وكيف ازدادت بواسطة آباء الكنيسة، ودخولَ التأثيرات الوثنية في المسيحية، وتأسُّسَ الكنيسة وتنظيمها ورجالها، **وقضية الاضطهاد الديني للمسيحية الذي قام به أباطرة الرومان وأسبابه ودوافعه، ولماذا قام نيرون الطاغية بحرق روما بعد أن ازداد التعاطف مع المسيحيين الذين كان يرميهم للوحوش الجائعة، ويجعلهم مشاعل حية، فقد اضطر نيرون أن يحرق روما حتى يتهم المسيحيين بفعلها. ونجح في إثارة غضب الجماهير على المتنصرين بعد أن اتهمهم بالإرهاب، ورغم أنهم**

لم يقوموا بأي عمل ضد الإمبراطورية سوى أنهم رفضوا عبادة الإمبراطور وتقديم القرابين له، وللآلهة الأخرى الوثنية. واعتبر ذلك خيانة وتحدّياً لسلطة الدولة وهو ما نراه اليوم في قصة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وهدم البرجين (إمباير ستيت) في نيويورك واتهام المسلمين بذلك، حتى يتمكن نيرون العصر أن يستولي على أفغانستان وباكستان والعراق وأن يحتل أرض المسلمين وينهب خيراتهم، وأن يسحق هو والطاغية الآخر شارون الفلسطينيين المقاومين، ويتم طردهم من أرضهم لتحقيق النبوءات المزعومة بأرض إسرائيل التي تمتد من البحر إلى البحر (من النيل إلى الفرات)، ولهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم، حتى يتمكن ربهم من المجيء ثانية حسب أوهامهم.

ثم ذكرتُ انتشار النصرانية رغم ذلك الاضطهاد، وربما بسبب ذلك الاضطهاد تم تحوُّل قسطنطين الوثني عابد الشمس إلى النصرانية والمجمع المسكوني الذي عقده في نيقية عام ٣٢٥م، والذي أظهر التثليث وحوَّل المسيح إلى الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس الأب ـ الابن ـ الروح القدس، وكيف حارب الموحّدين وكيف تَمَّت إبادتهم... واستمرار مقاومة الموحدين بقيادة آريوس ثم اندثارهم.

وتحدثتُ عن سلسلة المجامع الكنسية التي قررت العقيدة النصرانية وفرقها، من مجمع نيقية عام ٣٢٥م إلى مجمع الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٢م ـ ١٩٦٥م، عبر سلسلة من المجامع التي مزقت النصارى وحوّلتهم إلى مجموعات من الفرق المتناحرة المتحاربة، وظهور البروتستانتية على يد مارتن لوثر الألماني وزونجلي السويسري وكالفن الفرنسي، وموقف لوثر من اليهود أول الأمر، وهو أن غير اليهود مثل الكلاب التي يجب أن ترضى بأكل الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها... وذكر ذلك في كتابه المشهور (يسوع ولد يهودياً) الذي نشره عام ١٥٢٣م. ولكن لوثر بعد أن عرف اليهود وضع كتاباً آخر سنة ١٥٤٤م وسمّاه (فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم) وذكر فيه أن الله قد نزع الأفضلية والخيرية التي كانت ليهود بسبب تعنُّتهم، وكفرهم، وضلالهم، وتجبرهم وحقدهم ومحاربتهم ليسوع المسيح وأتباعه. والغريب حقاً أن الكنيسة اللوثرية والاتحاد العالمي اللوثري أصدر عام ١٩٨٣م بيانات متعددة تندد بهذا الكتاب الأخير للوثر وتعتمد كتابه الأول (يسوع ولد يهودياً) ولا يزال الكتاب الأول يطبع ويعاد طبعه بملايين النسخ، بينما يمنع نشر كتابه الثاني.

وواصلتُ الحديث عن المجامع الكَنسية إلى آخر مجمع وهو مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢م ـ ١٩٦٥م) وناقشت قراراته لتعلقها بالإسلام إلى حد بعيد.

ثم أنهيتُ الكتاب بفصل عن الموحِّدين من النصارى منذ الحواريين إلى اليوم، ودعوت إلى دعم هؤلاء الموحّدين والاتصال بهم وتأييدهم وإجراء الحوارات العميقة معهم؛ فلعلّ الله ينصر هذا الدين بهم.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل للأخ الكريم الأستاذ محمد علي دولة الكاتب والباحث والناشر والمعروف، وصاحب دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت) على تكرمه بإعطائي مجموعة من الكتب الهامة من منشورات دار المشرق التي تنشر كتب الرهبانية اليسوعية والدراسات الرسمية المسيحية الكاثوليكية عن الكتاب المقدس وشروحه، ومجموعة جيدة من الكتب ورسائل الدكتوراه والماجستير عن النصرانية، كما أشكره لاهتمامه بهذا الكتاب، سائلاً الله أن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه. كما أشكر الأخ والزميل الدكتور نصر الله أبو طالب على تكرمه بإعطائي كتاب هيام ماكبي (صانع الأسطورة بولس) وكتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة)، وإهدائه كتاب (تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد)، كما أشكر اللواء المهندس محمد عبد الوهاب على إهدائي مجموعة من كتبه القيمة عندما التقينا في القاهرة ودعاني لمنزله منذ أكثر من عقد من الزمان وهي: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر العصور، وحقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، وأهمها المسيح في مصادر العقائد المسيحية.

وأشكر الأخ الكريم وابن العم العزيز السيد حسن بن عبد القادر البار على تجشمه عناء نسخ الكتاب على الكمبيوتر ما عدا الباب الثاني الذي رقَّمه الأخ الفاضل السيد إبراهيم الرديني.

فجزاهم الله عني خير الجزاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

✍ محمد علي البار

جدة ٢٩ رمضان ١٤٢٦هـ
٣١ أكتوبر ٢٠٠٥م

الباب الأول

المدخل لدراسة العهد الجديد

الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب المقدس

يطلق النصارى لفظ الكتاب المقدس على مجموعة كبيرة من الأسفار والكتب والأشعار والحكم التي كُتبت على مدى ١٥٠٠ عام، بدأت حسب قولهم: بتعاليم موسى عليه السلام في الوصايا العشر في اللوحين اللذين أعطيهما في سيناء، وانتهت بكتابة الأناجيل والأسفار والرؤى ورسائل الرسل التي كتبت في القرن الثاني للميلاد. وقد كُتبت هذه المجموعات الضخمة من الكتب والأسفار المختلفة الأحجام والمواضيع والأفكار بواسطة عدد ضخم من الكتّاب، وأُعيدت كتابتُها وصياغتها على مدى القرون، ولا تزال تخضع لتعديلات مستمرة حتى اليوم.

ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين كبيرين: يُدعى أحدهما: العهد القديم، ويُدعى الآخر: العهد الجديد... وهو ما يوازي عند المسلمين ما يطلق عليه التوراة والإنجيل.

التوراة:

لا تطلق على الحقيقة إلا على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، والتي تحكي قصة الخليقة منذ بدايتها إلى عهد موسى عليه السلام. وهي الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام وتدعى البنتاتوك (Pentateuch) أي الأسفار الخمسة، وتبدأ بسفر التكوين، ثم الخروج، ثم اللاويين، ثم العدد، ثم التثنية، (تثنية الاشتراع)، وتقبل جميع الفرق النصرانية (ما عدا الفرق الغنوصية والعرفانية، ومنها فرقة مرقيون التي ظهرت في القرن الثاني، ورفضت كل العهد القديم. ولكن هذه الفرق اندثرت وسميت فرقاً مارقة ومُهَرْطِقَة) وجميع الفرق اليهودية بما فيهم السامريون والصادوقيون الأسفارَ الخمسة. وبالتالي تُجمع جميع فرق اليهود

والنصارى على قبول ما يسمى أسفار موسى الخمسة (البنتاتوك) أو ما يسمى التوراة.

وكان اليهود والنصارى يعتقدون في كتبهم أنها موحى بها من الله إلى الأنبياء على اعتبار أن كُتّاب هذه الأسفار، وإن كانوا أفراداً عاديين، إلا أن روح القدس يوجههم ويدلّهم؛ ولهذا كانوا يؤمنون بحرفية الكتاب المقدس وصدقيته، ولكن منذ بداية عصر النهضة في أوربا ـ وبالذات منذ القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين ـ اتسعت الدراسات حول الكتاب المقدس، وأصبح علماء الكتاب المقدس من اليهود والنصارى سواء كانوا من الكهنوت أو من خارج الكهنوت (يطلق عليهم العلمانيون بمعنى أنهم خارج النظام الكهنوتي، لا بمعنى أنهم ضد الدين) يؤمنون بأن الكتاب المقدس قد كُتب بيد عدد كبير من الكتّاب على مدى أكثر من ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وعلى مدى مئات السنين بالنسبة للعهد الجديد. وأن هذه الكتب قد بُدِّلت وعُدِّلت مئات المرات، ولا تزال تُعَدَّل من حين لآخر، ففي كل طبعة جديدة من طبعات الكتاب المقدس هناك إضافات ولو يسيرة، وهناك حذف وتغيير لعبارات عدة. ولكنها تحوي من المبادئ الأخلاقية والروحية ما يجعلها (كتاب الحياة) للإنسان المؤمن بها، بل لا تستطيع البشرية أن تصل إلى الحياة الحقة إلا بهذا الإيمان حسب قولهم.

العهد القديم:

ويتكون العهد القديم من:

١ ـ الأسفار الخمسة: التكوين، الخروج، اللاويين (الأحبار)، العدد، التثنية (تثنية الاشتراع).

٢ ـ الأسفار النبوية وهذه تقسم إلى أسفار الأنبياء المتقدمين أو الكبار مثل سفر يشوع، وصموئيل الأول والثاني، وسفر الملوك الأول والثاني، وأسفار الأنبياء المتأخرين مثل عوبديا ويونان وميخا وحبقوق وحجاي وزكريا.

٣ ـ أسفار الشعر والحكمة: وتشمل المزامير (الزبور) ـ وأغلب الأشعار فيه منسوبة إلى داود ﷺ ـ وأسفار الحكمة وأمثال سليمان والجامعة ونشيد الأنشاد ومراثي أرميا وإستير وراعوث. كما تشمل ما يسمى أيضاً الكتب وهي دانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول والثاني.

ومجموع هذه الكتب عند الفرق البروتستانتية هي ٣٩ سفراً. أما الكاثوليك فيعترفون بستة وأربعين سفراً ويقسمونها كالتالي:

١ ـ أسفار موسى الخمسة (التوراة، البنتاتوك).

٢ ـ الأسفار التاريخية (١٦ سفراً).

٣ ـ الأسفار النبوية (١٧ سفراً).

٤ ـ الأسفار الشعرية (٦ أسفار).

٥ ـ الأسفار التعليمية (اثنان فقط).

أما اليهود فيعترفون بـ ٢٤ سفراً، ولكنهم يدمجون بعض الأسفار في بعض، وأما السامرة وهم فرقة من اليهود كادوا أن يندثروا (منهم بقية صغيرة جداً) فيؤمنون فقط بأسفار موسى الخمسة. وقد اندثر الصادوقيون وهم أيضاً يؤمنون بالأسفار الخمسة التي لا ذكر فيها للجنة والنار والبعث، وبالتالي لا يؤمنون بالبعث والنشور.

بالإضافة إلى هذه الأسفار المختلفة الأحجام والمواضيع هناك مجموعة من الأسفار التي لم تقبل كأسفار قانونية معترف بها، ولكنها رغم ذلك تلحق بالعهد القديم وتسمى الأسفار المنحولة (أبوكريفا). . Apocrypha وهي أربعة عشر سفراً، ولا يؤمن بها البروتستانت ولا يُلحقونها بالعهد القديم، بينما تقبل الكنائس الكاثوليكية هذه الأسفار كموادّ للإرشاد والتعليم الروحي لكن دون إعطائها الصفة القانونية (أي المقبولة رسمياً) وهي على أية حال كتابات مشكوك في صحة نسبتها إلى مؤلفيها.

وليست الأبوكريفا مقتصرة على العهد القديم فقط بل هناك كتبٌ منحولة مضافة إلى العهد الجديد ولا تعتبر قانونية، وإن كان التعليم الكنسي يقبل أن تدخل في بعض الطقوس الليترجية دون أن تكون لها أية قانونية، كما أنها تعتبر كتباً ذات فوائد إرشادية أو روحية للمطالعة الخاصة.

وتوضّح القائمة التالية أسفارَ الكتاب المقدس كما وردت في الطبعة المسكونية العالمية، والتي نشرتها الرهبانية اليسوعية في بيروت، منشورات دار المشرق، وهي كالتالي:

العهد القديم:

مجموع أسفاره ٤٦ سفراً:

(١) التكوين، (٢) الخروج، (٣) الأحبار (اللاويين)، (٤) العدد، (٥) تثنية الاشتراع، (٦) يشوع، (٧) القضاة، (٨) راعوث، (٩ و١٠) سفر صموئيل الأول والثاني، (١١ و١٢) سفرا الملوك الأول والثاني، (١٣ و١٤) سفر الأخبار (أخبار الأيام) الأول والثاني، (١٥) سفر عزرا، (١٦) نحميا، (١٧) طوبيا، (١٨) يهوديت، (١٩) أستير، (٢٠) أيوب، (٢١) المزامير، (٢٢) الأمثال، (٢٣) الجامعة، (٢٤) نشيد الأنشاد، (٢٥) الحكمة، (٢٦) يشوع بن سيراخ، (٢٧) أشعيا، (٢٨) أرميا، (٢٩) مراثي أرميا (المراثي)، (٣٠) باروك (باروخ)، (٣١) حزقيال، (٣٢) دانيال، (٣٣) هوشع، (٣٤) يوئيل، (٣٥) عاموس، (٣٦) عوبديا، (٣٧) يونان، (٣٨) ميخا، (٣٩) نحوم، (٤٠) حبقوق، (٤١) صفنيا، (٤٢) حجاي، (٤٣)، زكريا، (٤٤) ملاخي، (٤٥ و٤٦) سفرا المكابيين الأول والثاني.

العهد الجديد:

(١) إنجيل متى، (٢) مرقس، (٣) لوقا، (٤) يوحنا، (٥) أعمال الرسل، (٦) رسائل بولس وهي: إلى روما، كورنتوس «قورنتس» ٢، غلاطية، أفسس، فيلبي. قولسي «كولوسي»، تسالوينقي «تسالونيكي» وهي رسالتان، وطيموتاوس (رسالتان)، وطيطس وفيلمون، (٧) الرسالة إلى العبرانيين (منسوبة إلى بولس وينكر ذلك الباحثون)، (٨) رسالة يعقوب، (٩) رسالتا بطرس، رسائل يوحنا (ثلاث) رسالة يهوذا ورؤيا يوحنا، ومجموع الأسفار ٢٧ سفراً.

رأي علماء اليهود والنصارى في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)

يقول الباحث اليهودي إدمون جاكوب في كتابه العهد القديم[(١)]:

ليس هناك نص واحد للعهد القديم، بل نصوص كثيرة، ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة (الأسفار الخمسة)، وهي النص الماسوري أي المحقق، والنص السامري، والنص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية التي يقال: إنها تمت في عهد بطليموس الثاني في مصر على يد سبعين من التراجمة والأحبار اليهود في سبعين يوماً. ولذا أُطلق عليها الترجمة السبعينية. ويتفق جميع الباحثين بما فيهم الفاتيكان (الرهبانية اليسوعية في شرحها ومقدمتها للكتاب المقدس) أن هذه الترجمة تمت على مدى مئة عام تقريباً ولم تتم في سبعين يوماً. وأن عدد المترجمين كان كبيراً جداً والإضافات إليها كانت مستمرة.

وقد ضاعت النصوص العبرية القديمة ولم يبق إلا النص اليوناني الذي جُمع في القرن الأول للميلاد في كتاب واحد، أي بعد عهد موسى بألف وأربعمئة عام. ولم يتم الاعتراف بهذا النص المسوري إلا على يد عائلة ابن أشير في طبرية (فلسطين ـ سوريا) في القرن العاشر بعد الميلاد أي بعد ٢٤٠٠ عام من عهد موسى عليه السلام.

وتقول **دائرة المعارف البريطانية**[(٢)]: إن العهد القديم كتاب يمثل تراث الشعب الإسرائيلي وتراث شعوب أخرى كثيرة، وإن أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة والناموس لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعد وفاته بقرون طويلة جداً، وأول ما كتب من التوراة هو عند تكون مملكة داود حوالي ألف

---

(١) نقلاً عن موريس بوكاي: القرآن والتوارة والإنجيل والعهد القديم، ص٧ ـ ٣٩.
(٢) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، ٢/ ٧٨٩ (المايكروبديا).

عام قبل الميلاد، ثم في عهد سليمان (٩٦١م ـ ٩٢٢م)، وفي القرن التاسع قبل الميلاد تم تحرير النص اليهوي الذي يذكر فيه اسم الله بيهوه. ثم أضيف النص الإليهمي (الذي يذكر الله باسم ألوهيم)، ثم أضيف النص الكهنوتي وهكذا إلى عهد النفي في بابل في القرن الخامس قبل الميلاد. ولم يتم توحيدها في نص واحد إلا في القرن الأول بعد الميلاد أي بعد عهد موسى بألف وأربعمئة عام على الأقل.

وتقول **دائرة المعارف البريطانية**: إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وأيدي كتّاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباينة، ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيِّناً، وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار. ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد[(١)].

وتقول **الرهبانية اليسوعية ولجنة الكتاب المقدس المسكونية (العالمية) الكاثوليكية** الرسمية[(٢)]: ما هو الكتاب المقدس؟ تكفي نظرة نلقيها على الفهرس لنرى أنه مكتبة بل مجموعة كتب مختلفة جداً.. ذلك أنها تمتد إلى أكثر من عشرة قرون وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين. بعضها وضع بالعبرية مع بعض المقاطع الآرامية، وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافاً كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة.

«أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولاً لكنهم ـ على كل حال ـ لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها، فمعظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب. وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية، لا بل أحدث الأسفار ما هي أحياناً إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكتاب المقدس، إصدار الرهبانية اليسوعية، بيروت، دار المشرق ١٩٨٥م، كتب الشريعة الخمسة، مدخل إلى الكتاب المقدس.

وهذا الكلام في منتهى الأهمية فهو يعترف اعترافاً صريحاً لا لبس فيه أن الكتاب المقدس بأكمله ليس من عند الله مباشرة ولا أوحى الله به لأحد من أنبيائه، بل هو عمل مؤلفين عديدين استلهموا تقاليد الشعب وآلامه وأحلامه. وكانت تلك الصياغات ديناميكية (أي قابلة للتغيير والحذف والإضافة)، وليست إستاتيكية (أي ثابتة جامدة لا تغيير فيها)، وكان القراء ينقّحونها ويعلّقون عليها ويقومون بإعادة صياغتها بحيث تُغيّر النصوص السابقة وتُعدّل وتقول الرهبانية اليسوعية المسكونية (العالمية) وهي أكبر تجمع كاثوليكي عالمي وتعتبر محافظة جداً بالمقارنة مع البروتستانت: «لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة».

هذا اعتراف خطير يُلغي الحاجة للجدل الطويل الذي كان يقوم به علماء المسلمين ليثبتوا أن هذه الكتب المنزلة من عند الله ﷻ على أنبيائه الكرام قد حُرّفت وبُدّلت، فالقوم يقولون: إن هذه الكتب لم تنزل على موسى والأنبياء، ولم يأت عيسى ﷺ بالإنجيل، فليس هناك إنجيل ولا توراة أرسلها الله ﷻ، ولا هناك زبور أُنزل على داود بل هي كتب وضعها مئات الكتّاب على مدى ألف عام أو تزيد. وظل الكثير منها مجهولاً ومرت بمراحل عديدة من التنقيح والتغيير والتبديل والإضافة، والقائمة ليست مقفولة تماماً إلى اليوم. فكل عام تقريباً تظهر طبعة جديدة للكتاب المقدس، وفيها كما يزعم أصحابها تغييرات وتبديلات وتنقيحات بناء على اكتشاف مخطوطات جديدة وإعادة دراسة لمخطوطات سابقة.

وتقول الرهبانية اليسوعية في دراستها الهامة جداً (مدخل إلى الكتاب المقدس)[1]:

«والكتاب المقدس موسوم في العمق بثقافة إسرائيل، وهو يعبر عن نظرته للعالم لا بفلسفة منظمة بل بعادات ومؤسسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد والشعب كله».

وتذكر **الدراسة القيمة للرهبانية اليسوعية** النصوص المختلفة للعهد القديم

(١) الرهبانية اليسوعية من الترجمة الفرنسية المسكونية: الكتاب المقدس، مدخل إلى الكتاب المقدس، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٥م.

«وهناك أيضاً النص المسوري، كما أن هناك النص الذي استخدم أساساً للترجمة السبعينية اليونانية، وهكذا يتضح أن هناك أربعة نصوص يختلف بعضها عن الآخر اختلافاً كبيراً أو طفيفاً وهي:

(١) النص المسوري، (٢) نصوص مغارة قمران، (٣) النص السامري، (٤) النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية.

وتقول: «إن النص المسوري عانى من التشويه ولهذا فإن كثيراً من علماء اللاهوت قاموا بمحاولة تنقيح هذا النص ما بين عام ١٨٥٠ وعام ١٩٥٠ بعد ميلاد المسيح. وتقول الدراسة: إن تشويه النصوص قد يكون بسبب الناسخ نتيجة الأخطاء في الكتابة، أو تشابه الحروف والكلمات، وقد يكون التشويه متعمداً، ويدخل الناسخ في النص الذي ينقله تعليقاً خاصاً به، وقام بعض النُسّاخ بإدخال تصحيحات لاهوتية حسب فهمهم وعقيدتهم، وعلى تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدي خطير. وإذا تركنا جانباً الأخطاء في الكتابة ونسيان أسطر، وتبديل كلمة مكان كلمة دون قصد أو تعمد فإن ما هو أشدُّ أهمية من ذلك اعتقاد النُّسَّاخ بأن لهم الحق في الحذف أو الإضافة أو تغيير معنى لأن ذلك حسب وجهة نظر الناسخ يؤدي إلى تفسير عقائدي خطير».

وتتحدث **الرهبانية اليسوعية في المدخل إلى الكتاب المقدس فتقول**: «وكل هذه الكتب عُدّلت وبُدّلت مراراً، وأضيف إليها وأسقط منها، ولم تتخذ شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد، بل إن النص المسوري ـ وهو الصيغة الرسمية للعهد القديم ـ لم يقرر نهائياً إلا في القرن العاشر بعد الميلاد على يد عائلة ابن أشير التي ظهرت في طبرية في سوريا (في فلسطين حالياً). وأقدم مخطوط مسوري كامل للعهد القديم هو مخطوط حلب الذي يرجع إلى القرن العاشر بعد الميلاد، أي بعد أكثر من ٢٣٠٠ عام من عهد موسى ﷺ.

وتتحدث الرهبانية اليسوعية عن الترجمة السبعينية: Septuagint.

والتي تمت في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٧ قبل الميلاد) في الإسكندرية كما يزعمون على يد سبعين من المترجمين والأحبار، في سبعين يوماً، من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية فتقول: «وبالرغم من كون هذه الأسطورة خالية من القيمة التاريخية، يمكننا أن نأخذ بالتاريخ الذي تشير إليها؛ لأنها من جهة أخرى تدل على أن اليهود الناطقين باليونانية كانوا يَنسبون إلى ترجمة

شريعتهم هذه ما ينسبون إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية، وكانوا لا يترددون في أن ينسبوا إلى المترجمين إلهاماً حقيقياً».

وهكذا تعترف دراسة الرهبانية اليسوعية بأن ما اشتهر باسم الترجمة السبعينية، والتي هي أصل المدونات الرسمية للكتاب المقدس، أمر أسطوري، وأن المترجمين ادّعوا لأنفسهم حق الإضافة والحذف والزيادة والنقصان؛ لأنهم بدورهم ملهمون. ويبدو واضحاً تأثير الثقافة اليونانية في إطار ترجمتهم التي لم تكتمل حسب الأسطورة في ٧٢ يوماً بل في أكثر من قرن كما تقول دائرة المعارف البريطانية[١].

ويقول رجاء جارودي[٢]:

«ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقر أن أقدم نصوص التوراة قد أُلِّف وكُتِبَ على الأكثر في عهد سليمان، وهذه النصوص ليست إلا تجميعاً لروايات شفهية، وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرّت عليها قرون، ليست أكثر تاريخية ـ بالمعنى الدقيق للكلمة ـ من الإلياذة أو الرامايانا».

وكنتُ منذ فترة طويلة قد كتبت إلى زميل وصديق قبطي هو الدكتور **صبري جوهرة** ويعمل طبيباً جراحاً بالولايات المتحدة، وله اهتمام واسع بالكتاب المقدس، فطلبتُ منه أن يعطيني وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية في موضوع الكتاب المقدس فتفضل بالكتابة إليّ برسالة خاصة لخصت موقف الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وهما أكثر محافظة بكثير من الكنيسة البروتستانتية. وقد جاء في رسالته ما يلي[٣]:

«سأعطيك وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية في موضوع الكتاب المقدس عامة بشطريه (أي العهد القديم والعهد الجديد) وهي: أن الله قد سمح للإنسان، في هذه الحالة كاتب السفر، بأن يضع إحساساته وخبراته وحساسياته

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، المايكروبيديا، ٢/ ٨٨٥.

(٢) إسرائيل والصهيونية السياسية ص٩٤ ـ ٩٧.

(٣) استلمت هذه الرسالة في ١٩/ ١٠/ ١٩٨٨م، ونشرتها كاملة في كتابي المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، ١٩٩٠م، بيروت، ص١٥٢ ـ ١٥٤.

وميوله في النصوص، ما دام لا يغيّر ما قصده الله من معاني السفر الأخلاقية والدينية. وبالتالي تعترف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية... إلخ، فالمقصود بالكتاب هو أن يعلم الدين والأخلاق ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة، بل إن كل متمسك بحرفية الكتاب المقدس يُنظر إليه نظرة غير مطمئنة، لأن ذلك يعكس عدم فهم للمعنى الأساسي والغرض الرئيسي للكتاب، كما أنه يعكس سلوكاً متعصباً إلى حدٍّ ما، وهو ما يضادُّ الاعتدال الذي تأمرنا الأخلاق والدين باتباعه، فالكتاب في المسيحية إذن هو عمل مشترك بين الله والإنسان، وضع فيه كلاهما ما يريد، بحيث جاء الناتج على ما عليه يعكس كمال الله في صحة تعاليم الأخلاق وعلاقات البشر بعضهم ببعض، وعدم كمال الإنسان بكتابته لمعلومات علمية غير دقيقة، وأحياناً مضحكة».

ثم ذكر أن اليهود كانوا يعبدون آلهة متعددة (فترات الارتداد كما توضحه أسفار الكتاب المقدس نفسها) وأن الله (يهوه) كان إلٰهاً لبني إسرائيل فقط، وأن فكرة إلٰه واحد للكون لم تكن أصلاً في ديانة العبرانيين بل إن مؤسس هذه الفكرة هو فرعون مصر الشهير أمنحتب الرابع الذي عرف باسم أخناتون، وأن مزامير داود هي نقل حرفي لأناشيد أخناتون... إلخ.

تطور اللاهوت في المسيحية:

جاء في كتاب **أسطورة تجسد الإلٰه** (The Myth of God Incarnate) لمجموعة من أساتذة علم اللاهوت في أربع جامعات بريطانية عريقة، وأشرف على تحريره البروفيسور جون هك John Hick أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهام ما يلي:

«لقد اتضح لمؤلفي هذا الكتاب، كما اتضح لعدد كبير من مسيحيي اليوم، أن المسيحية على امتداد تاريخها كانت حركة نامية متغيرة باستمرار، ونتيجة لذلك نما لاهوتها في اتجاهات كثيرة غير محددة... وكما قال أليوت: تكيف المسيحية نفسها باستمرار لوضع يمكن معه الاعتقاد بها. **وفي القرن التاسع عشر قامت المسيحية في الغرب بتعديلين رئيسين في مواجهة التوسعات الهامة للمعرفة الإنسانية: فلقد قبلت أن الإنسان هو جزء من الطبيعة، وأنه برز ضمن تطور**

أشكال الحياة على هذه الأرض، وقبلت أن الأناجيل كُتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفى على كلماتها عصمة الأمر الإلٰهي».

«ولم يأت هذان التعديلان دون صدام مع أشواك الحقائق التي سببت جروحاً لم تندمل حتى الآن تماماً. ومع ذلك تستمر المعرفة الإنسانية في نموها بتسارع متزايد، والضغط على المسيحية هو أقوى من أي وقت مضى لتعدل نفسها لوضع يمكن الاعتقاد به ويقتنع به المفكرون الأمناء الذين تجذبهم بشدة صورة المسيح والضوء الذي تلقيه تعاليمه على معنى الحياة الإنسانية».

«والمؤلفون مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً رئيسياً آخر مطلوب الآن في الربع الأخير من القرن العشرين، وتبرز الحاجة لذلك من نمو حجم المعلومات عن الأصول المسيحية، والتي تضم اعترافاً بأن المسيح كان إنساناً اختاره الله لدور خاص في إطار الإرادة الإلٰهية، وأن الاعتقاد المتأخر بأنه الله المتجسد، الشخص الثاني ـ الأقنوم الثاني ـ في الثالوث المقدس الذي يحيا حياة بشرية ليس هو (أي الاعتقاد) إلا أسلوباً أسطورياً أو شاعرياً للتعبير عن أهميته بالنسبة لنا. وهذا الاعتراف مطلوب منا لمصلحة الحقيقة، ولكن لهذا الاعتراف أيضاً أهمية متزايدة على صعيد الواقع بالنسبة لعلاقتنا بالناس الآخرين من أبناء الديانات الكبرى»(١).

وسنعود لهذا الكتاب الهام فيما بعد عند مناقشة العقائد المسيحية، وغرضُنا هنا هو توضيح أن الكتاب المقدس بشقّيه (العهد القديم، والعهد الجديد) كتبه عدد كبير من الكتّاب على مدى أكثر من ألف عام، وظل أغلبهم مجهولاً، ولا يزال حتى اليوم، وقد اقتنع علماء المسيحية واليهودية منذ القرن التاسع عشر الميلادي اقتناعاً تاماً بأن الأنبياء العظام الذين نُسبت لهم هذه الكتب لم يكتبوها، بل كُتبت بعد فترة طويلة من وفاتهم، وأن موسى عليه السلام لم يأتِ بالتوراة (والمسلمون يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الله أنزل عليه التوراة هدى ونوراً ولكنها ضاعتْ للأسف) وأن التوراة كُتبت على يد العديد من الكتاب في أزمنة متعاقبة، ولم تصل في صورتها النهائية إلا بعد زمن موسى بأكثر من ٢٣٠٠ عام. وأما عيسى عليه السلام فالنصارى منذ البداية أضاعوا الإنجيل الذي جاء به هدى ونوراً، وهم

---

(١) أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح The Myth of God Incarnate تأليف سبعة من أساتذة علم اللاهوت في بريطانيا، أشرف على التحرير جون هيك John Hick، إصدار SCM Press لندن، وترجمة الدكتور نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ص٢٣ و٢٤.

مُصِرُّون علىٰ أن عيسى ﷺ لم يأتِ بكتابٍ من عند الله اسمه الإنجيل، بل الأناجيل الكثيرة كُتبت بعد رفعه إلى السماء في نهاية القرن الأول الميلادي، وفي القرن الثاني والثالث. ووقعت الخلافات الشديدة بين فرق النصارى وأناجيلهم العديدة حتى تمَّ في مجمع نيقية سنة ٣٢٦م ومجمع خلقيدونية عام ٤٥١م استبعادُ العديد من الأناجيل، والاعترافُ بأربعة أناجيل فقط هي أناجيل (متى ولوقا ومرقس ويوحنا)، كما تم الاعتراف بسفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا ورسائل بولس، وبعض الرسائل الأخرى، ورؤيا يوحنا (المجموع ٢٧ كتاباً ورسالة).

وقد تمت كتابة العهد الجديد باللغة اليونانية بعد أن مرَّ بفترة طويلة من الروايات الشفوية، بينما يزعم بعض الباحثين من رجال الكنيسة أن إنجيل متّى قد كُتب أولاً باللغة الآرامية، ثم ضاع ذلك الأصل الآرامي، وظهر بعده إنجيل متى باللغة اليونانية، وأما الأناجيل الأخرى فقد كتبت مباشرة باللغة اليونانية وكذلك رسائل بولس وكتاب أعمال الرسل ورؤيا يوحنا كلها كتبت باللغة اليونانية.. والمسيح ﷺ لم يكن يتكلم إلا بالآرامية ولم يكن يعرف اليونانية حسبما ورد من المصادر المسيحية ذاتها.

وسنتحدث فيما بعد عن العهد الجديد بما يشمله من أناجيل ورسائل بتفصيل وافٍ ولكن يكفينا هاهنا أن نذكر ما جاء في كتاب **الأب سيداروس اليسوعي**: **(تكوين الإنجيل)** وهو أحد سلسلة دراسات في الكتاب المقدس التي تصدرها دار المشرق في بيروت، وهي سلسلة تشرف عليها هيئة الإكليروس الكاثوليكي المسيحي في لبنان، يقول الأب سيداروس في مقدمة كتابه: **«ليس الكتاب المسيحي (الأناجيل) كتاباً منزلاً كتبه الله، بل هو كتاب بشر بإلهام الروح القدس، وسيجرنا الحديث إلى أن نقرّ بأن الكتاب كان في بداية الأمر عبارة عن روايات شفهية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى ثم دوَّنها الإنجيليون الأربعة كُلٌّ بأسلوبه الخاص وقصده اللاهوتي الخاص.**

«وستقودنا دراستنا إلى الإقرار بأن هذه الأناجيل الأربعة، ليست بمثابة تحقيق صحفي أو كتاب تاريخ يراد به تدوين وقائع حدثت لرجل اسمه يسوع الناصري، فالإنجيل هو شهادة، وإعلان ليسوع المسيح الممجّد في سرِّ موته على الصليب، وقيامته من بين الأموات. ومن منطلق سرِّ حدث موته وقيامته كمحور

وهدف، ذهبت الأناجيل إلى سرد أحداث حياة يسوع الناصري من ميلاد ومعجزات وأعمال وأقوال..

«فكل ما قلناه الآن يكفي ليُقنع باحثاً سطحياً أن الأناجيل قد حرَّفها المسيحيون، إذ بين يسوع الناصري والروايات الشفهية والتدوين الرباعي عن يسوع الممجّد فجوةٌ وهاوية. والحقيقة كما بيّناها بوجه عابر، هي أن الأناجيل والعهد الجديد بمجمله، كتاب إيمان لا كتاب تاريخ، وإن تضمّن هذا الإيمان سرد أحداث ووقائع تاريخية، ولكن الإيمان شكّل هذا السرد بتصرف وإخلاص في آن واحد. وستبيّن دراستنا أن لا تعارض بين حرّية التصرف والإخلاص في الأناجيل، وأن يسوع الناصري في أقواله وأعماله التاريخية هو يسوع الممجد كما ظهر في الأناجيل الأربعة».

والكاتب يقرُّ بصعوبة ما يواجهه، فالأناجيل الأربعة كتبها مجموعة من البشر لم يروا المسيح ولم يعايشوه، بل لم يعايشوا من رآه وسمعه: فإنجيل لوقا كتبه لوقا الذي يزعمون أنه تتلمذ على يد بولس، وبولس نفسه لم ير المسيح ولم يعايشه، وكان عدواً للمسيحيين يضطهدهم، ثم زعم أن المسيح ظهر له وهو في طريقه إلى دمشق ليضطهد المسيحيين، وناداه: لِمَ تضطهدني؟ فآمن بولس، وصار من ساعته رجل المسيحية الأول متجاوزاً بذلك الحواريين، ومختلفاً معهم ورافضاً لهم عندما تتاح له الفرصة، لأنه حسب زعمه يأخذ مباشرة من الرب المسيح الممجد.

وسنتحدث عن الأناجيل كلها في حينه، وما يهمنا هاهنا هو أن المسيحيين يعترفون الآن أن كُتَّاب الأناجيل كتبوا عن يسوع الذي لم يروه ولم يعرفوه، وإنما تناقلوا روايات شفهية أدَّت إلى كثير من التناقضات في الأناجيل، وأن الكُتَّاب لم يكن همهم معرفة ما حدث ليسوع وما قاله بالفعل، بل كان همهم الأول التأكيد على الجانب الإيماني البحت. وهو أن يسوع قد صُلب من أجل خطيئة البشر، وأن الله أرسل ابنه الحبيب ليموت على الصليب من أجل تخليصنا وإنقاذنا من خطيئة آدم الأبدية (وهي أكله من الشجرة المحرّمة)... وبالتالي تعذَّب على الصليب وصاح: إلٰهي إلٰهي! لم تركتني؟ (ألوي ألوي لما شبقتني بالآرامية). ثم دُفن وقُبر وبقي يوماً وليلتين، على خلاف بين الأناجيل: (فمنهم من جعلها يومين، ومنهم من أوصلها إلى ثلاثة أيام، ومنهم من جعلها يوماً واحداً وليلتين).

ثم قام وظهر للنساء، وهناك خلاف شديد في قصة ظهوره، ومن رآه، ثم بعد ذلك أكل وشرب مع الحواريين وصعد إلى جبل الزيتون ومنها إلى السماء.. والخلاف شديد في تلك القصة أيضاً، فمنهم من جعله يبقى أربعين يوماً، ومنهم من جعلها فترة محدودة بلقاء الحواريين ثم الصعود إلى السماء ليجلس على يمين الله الأب، ثم ليعود ليحاكم كل الذين لم يؤمنوا به، ويدخلهم جهنم!!. وينقذ جميع المؤمنين به من العذاب والهلاك الأبدي بشرط أن يعتقدوا بأنه الأقنوم الثاني ابن الله، إله حق من إله حق!!.

المرحلة الشفوية للأناجيل:

ويتحدث **الأب سيداروس اليسوعي** في كتابه (تكوين الإنجيل) عن المرحلة الشفوية للأناجيل (ص٢٤ ـ ٣٧) فيقول: «نشأت بين جماعات المسيحيين الأولى روايات شفهية لأقوال يسوع وأعماله في الأعمال الليتورجية (Liturgy) (أي الطقوسية) وأهمها التعميد (وهو رش الماء أو تغطيس المولود أو الداخل في المسيحية في الماء بواسطة الكاهن) والأفخارستيا. (Eucharist) وهو ما يسمى العشاء الرباني، أو العشاء المقدس، حيث يزعمون أن المسيح قسّم الخبز على الحواريين ليلة الفصح، وأعطاه لهم، وقال لهم: هذا لحمي، ثم شرب من النبيذ وأعطاهم إياه ليشربوا، وقال لهم: هذا دمي. وهكذا كل من يأكل الخبز على يد الكاهن في هذا الطقس يأكل لحم المسيح فعلاً، وكلُّ من يشرب من النبيذ على يد الكاهن، يشرب من دم المسيح فعلاً، فيتحول المسيح فيه، وبالتالي يصير هو أيضاً جزءاً من المسيح الرب، وجزءاً من الأقنوم الثاني!! كما أنّ تعاليم يسوع لتلاميذه وللجموع تم انتقالها شفوياً. وكذلك توجيهات يسوع الإرسالية، وتوجيهاته، تمَّ انتقالها شفهياً، وبالتالي سجّلها كُتَّاب الأناجيل بحسب اجتهاد وغرض كلّ واحد منهم. وكلما مرَّ الزمن وابتعدت الجماعات المسيحية عن زمن يسوع الناصري الأرضية شعر المسيحيون بضرورة تدوين الروايات الشفهية إلا أن بطرس (وهو أهم التلاميذ والذي دعاه يسوع بالصخرة وأن ما يربطه بطرس في الأرض يربطه الله في السماء، وما يحلّه بطرس يحلّه الله في السماء) لم يقبل هذه الفكرة، إذ كان يرى في ذلك خطراً، وقد تحققتْ مخاوف بطرس عندما ظهرت من بعده أناجيل كثيرة جداً (بلغت العشرات وقيل: بلغت المئات)، وأضافت قصصاً غير حقيقية لم يعشها يسوع، بل نُسبت إليه، كما أنها انتحلت اسم أحد

الرسل، (أي رسل يسوع) وهكذا ظهر إنجيل تحت اسم بطرس لم يكن في الواقع إلا اسماً منتحلاً.

وانتشرت الأناجيل المنحولة أو المزيفة (Apocrypha) مضيفة العديد من التفاصيل التي لا علاقة لها بحياة يسوع الحقيقية أمثال طفولة مريم، وطفولة يسوع، وأسرة يسوع، وشباب يسوع في الناصرة، وحياة يوسف (النجار الذي يقولون: إنه تزوج مريم العذراء وأنجب منها عدداً من الأبناء والبنات غير يسوع) كما كثرت معجزات يسوع بمبالغة لا حدَّ لها، ثم ظهرت بعد ذلك الأناجيل الأربعة، وسنتحدث فيما بعد عن هذه الأناجيل الأربعة والأناجيل المنحولة... إلخ».

وتتحدث **دائرة المعارف البريطانية**[1] عن الفترة الشفوية لكلٍّ من العهد القديم والعهد الجديد وتقول: «**إن مرور فترة طويلة من الزمن تم فيها انتقال التعاليم والكُتب شفوياً أدى إلى حذف واختصار وإضافة لتلك التعاليم والكتب عندما جاءت فترة الكتابة والتدوين، ولم تصل إلى فترة التدوين إلا بعد تحويرها وتغييرها تغييراً كبيراً جداً ثم إن المعضلة ازدادت حتى بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون وكان كلّ كاتب يضيف ما يراه مناسباً. ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب أيضاً واجهت عمليات متعددة من التغيير المتعمد وغير المتعمد. وذلك لأن الناسخ قد يرى أن المادة المكتوبة تؤدي إلى تغيير في العقائد أو تهديد لها فيقوم هو بكتابة ما يظنه الحق والصواب مقتنعاً تماماً بأن روح القدس يوجهه إلى الصواب.**

«**هذا بالإضافة إلى أخطاء النُّساخ المعروفة في حذف سطر أو كلمة أو تغييرها دون قصد. وإذا عرفنا أن عملية كتابة العهد القديم امتدت إلى مدى أكثر من ألف عام فإننا ندرك بدون ريب مدى التغير الذي سيلحق بهذه الكتب في هذه العقود والأزمان المتطاولة.** والأدلة على حدوث التغييرات الكبيرة والعديدة لا حصر لها. فهناك مثلاً اختلافات شديدة وعديدة في الكتاب المقدس العبري (Hebrew Bible) ومثاله ما في أسفار الملوك وصموئيل وأخبار الأيام. وهناك الاختلافات المنقولة من العهد القديم فيما يسمى الكتب المنحولة (Apocrypha)

---

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، ٢/ ٨٨٤ من المايكروبيديا.

وأسفار الرؤية (Apocalyptics) والتدخل المباشر لله في أحداث التاريخ. وهناك اختلافات بين ما سجله المؤرّخون من أمثال فيلون الإسكندري (فيلسوف ومؤرّخ يهودي) ويوسيفوس (مؤرخ يهودي إسكندري) وبين أحداث العهد القديم، وأعمال الرسل وآباء الكنيسة الأوائل. كما أن المخطوطات التي وجدت تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً. وكما أن كتب العهد القديم ومخطوطاتها تختلف اختلافاً بيّناً، كذلك فإن مخطوطات العهد الجديد تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً جداً».

الترجمة السبعينية:

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية عن الترجمة السبعينية للعهد القديم (Septuagint) التي يقال: إنها تمت في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٧ قبل الميلاد) والتي يزعمون أنها تمت في سبعين يوماً على يد سبعين من المترجمين والأحبار، وتقول: إن ذلك أسطورة وإن الترجمة تَمَّتْ في أكثر من مئة عام[١]. وأن هذه الترجمة من العبرية تختلف إلى حد كبير عن النصوص الماسورية (Masoretic text) وإلى الآن لم يتم الاتفاق على المصدر التي تمت منه الترجمة اليونانية فهناك اختلاف كبير بين الباحثين في هذه النقطة.

وتحتوي التوراة (الأسفار الخمسة) السامرية على أكثر من ستة آلاف فرق بينها وبين النص الماسوري المعتمد. (يا للهول ستة آلاف فرق!!!).

ترجمات الكتاب المقدس القديمة:

تعتبر مخطوطات مغارة قمران هامة جداً (اكتشفت في عام ١٩٤٧م وما بعدها في الأردن وقد استولت على معظمها الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل ولا يزال يوجد في متحف عمّان بعض المخطوطات الهامة منها) وترجع هذه المخطوطات إلى فترة تمتد ما بين القرن الثالث قبل الميلاد وإلى القرن الثاني بعد الميلاد. وهي تختلف في كثير من التفاصيل عن كتب العهد القديم الموجودة قبلها[٢]، وللأسف فإن أقدم المخطوطات للكتاب المقدس العبرية ترجع إلى موسى بن أشير الطبراني (أي الذي عاش في طبرية في شمال فلسطين ـ سوريا) وقد كتب أسفار الأنبياء في عام ٨٩٥ بعد الميلاد وهذا المجلد المخطوط موجود

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٨٨٥

(٢) المصدر السابق.

في القاهرة. ويأتي بعده المجلد المخطوط في لينتجراد (بطرسبرج) في روسيا وهو أسفار الأنبياء ـ ويرجع إلى عام ٩١٦ بعد الميلاد ـ وقد كُتب في بابل، كما يذكره خبراء الخطوط. وأقدم مجموعة متكاملة للعهد القديم هي مجموعة حلب (Aleppo codcx) التي كتبها سليمان بن بياعة (Solomon ben Buya'a) وتعليقات هارون بن موسى بن أشير، وقد كُتب هذا المخطوط في عام ٩٣٠ بعد الميلاد. ويوجد الآن في متحف القدس (أورشليم). ويحتوي مخطوط حلب على ٣٨٠ ورقة لم يبق منها إلا ٢٩٤ ورقة[١]. وهذا النص المسوري الهام لم يكتب إلا بعد عهد موسى بألفين وثلاثمائة عام. ولا شك أن هذه القرون المتطاولة ستجعل هذا الكتاب يختلف اختلافاً كبيراً عمّا سبقه، كما أن ما جاء بعده من كتب ومخطوطات ومطبوعات يختلف كل واحد منها عن الآخر اختلافاً بيّناً.

وكما اختلفت كتب العهد القديم العبرية عن الترجمة اليونانية فإن الترجمة الآرامية (The Aramaic targums) أيضاً تختلف عن سابقتها اختلافاً بيّناً. وأما الترجمة اليونانية السبعينية فقد مرت بفترات طويلة أيضاً من التغيير والتبديل على يد مجموعة من العلماء والمشهورين من أمثال أكويلا عام ١٣٠ بعد الميلاد (Aquila)، ومراجعة وتنقيحات (Thcodation)، (ثيوداشن) في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد. ثم ظهرت ترجمات أخرى يونانية على يد سيماخوس (symmachus) ثم ظهرت الهكسابالا (Hexpala) وأقدم مخطوطة منها ترجع إلى القرن السادس بعد الميلاد.

وهناك الترجمة الأرمينية وقد ظهرت في وسط القرن الخامس بعد الميلاد من الكنيسة الأرمينية عندما اختلفت هذه الكنيسة مع الكنيسة السريانية.

وتتالت الترجمات: فمنها الترجمة الجورجية التي ظهرت في تفليس (تبليسي) عاصمة جورجيا اليوم، والترجمة الحبشية، والترجمة القوطية (Gothic)، والترجمة اللاتينية القديمة. وكل ترجمة من هذه الترجمات تختلف عن الترجمات الأخرى اختلافاً بيّناً واضحاً.

الفولجات:

وفي القرن الخامس للميلاد ظهرت الترجمة اللاتينية المعروفة باسم فولجات

---

(١) المصدر السابق ٢/٨٨٦.

(أي الشائعة) لأنها شاعت واعتمدت من الكنيسة الكاثوليكية من القرن السابع للميلاد وحتى العصر الحديث، بينما اختلفت معها الكنائس الأخرى ولم تعتمدها رسمياً. وقد أشرف على هذه الترجمة القديس (هيرونمس) المعروف باسم جيروم (St. Jerome) المتوفى سنة ٤٢٠ ميلادية، وقد قوبلت هذه الترجمة أول الأمر بالشك بل بالرفض من قبل الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تعتبر اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية والقانونية للكتاب المقدس. وتوجّس القديس أوجستين (Augustine) من انشقاق في الكنيسة بين الكنائس اليونانية والكنائس اللاتينية. ولكن ترجمة القديس جيروم المعروفة باسم فولجات (Vulgate) كُتب لها النصر في النهاية وأصبحت معتمدة رسمياً في جميع الكنائس الأوربية الغربية. وبقيت كذلك حتى عصر التجديد عندما قامت الحركة البروتستانتية.

«وقد تمَّ دمج ترجمة الفولجات مع ترجمة لاتينية أقدم منها، وانتشرت هذه الترجمة بحيث نسخ منها الآلاف، ويوجد منها الآن أكثر من ٨٠٠٠ (ثمانية آلاف) مخطوطة. ولكن للأسف لا توجد فيها مخطوطتان متماثلتان بسبب ما يفعله النساخ!!!»[١].

«وفي عام ١٥٤٦م قام مجلس ترنت (Trent) الإصلاحي بمهمة رسمية وهي إصلاح الأخطاء العديدة في ترجمة الفولجات المشهورة، وتم طبعها. وقام البابا سيكتس بطباعتها للمرة السادسة عشرة عام ١٥٩٠م بعد تعديلات أخرى. ولكن هذه الطبعة كسابقاتها، لم تحظَ بالقبول العام. وسرعان ما جاء البابا كليمنت عام ١٥٩٢م، وأصدر طبعة جديدة منقحة واعتمدت هذه الطبعة لعدة قرون في عالم الكنيسة الكاثوليكية. ولكن منذ عام ١٩٠٧م قام البابا بيوس العاشر بتنقيحات وتبديلات جديدة واستمرت هذه التنقيحات والتبديلات حتى عام ١٩٦٩م»[٢].

الترجمة السريانية:

وأما الكنائس السريانية فقد كان لها كتابها المقدس المعروف باسم بيشيتا (Pechitta)، ويختلف هذا الكتاب عمّا سبق من ترجمات الكتاب المقدس الأخرى. ومنذ حدوث الانقسام في الكنائس السريانية في القرن الخامس للميلاد

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٢/ ٨٨٩. (٢) المصدر السابق.

فإن النساطرة الشرقيين جعلوا لهم ترجمة تختلف عن السريان الغربيين (اليعقوبيين)، وعُدلت هذه الترجمة في القرن السادس للميلاد على يد (Philoxenos) فيلوكسينوس، ثم جرى تعديلها بعد ذلك مراراً على مدى القرون وتعاقب الأيام. وفي عام ٦١٧م قام الأسقف بولس (paul) بمدينة تيلا (Tella) بترجمة أخرى سريانية معتمداً على الهكسابالا اليونانية. وتوجد ترجمة سريانية فلسطينية تعود إلى عام ٧٠٠ ميلادية، ثم قام بتعديلها يعقوب (أسقف أديسا) (Jacob of Edessa) عام ٧٠٨ بعد الميلاد.

ومن هذه المخطوطات التي كتبت باللغة السريانية لم يتبقَّ إلا أربعة كتب، أقدمها عام ٤٤٢م، وآخرها في القرن الثاني عشر للميلاد.

الترجمات العربية القديمة[١] والحديثة:

لا توجد أدلة على وجود ترجمات عربية قبل الإسلام، ولكن ظهرت في العصور الإسلامية عدة ترجمات أهمها ترجمة سعديا بن يوسف (٨٩٢ ـ ٩٤٢ ميلادية) وترجمها من العبرية إلى العربية، وأصبحت الترجمة المعتمدة لدى اليهود في العالم الإسلامي والذي يتحدث العربية. وأثرت هذه الترجمة إلى حد كبير على المسيحيين في مصر. وقام أبو الحسن (هكذا تذكره دائرة المعارف البريطانية دون توضيح لاسمه) بتعديلها وجعلها موائمة للتوراة السامرية وذلك في القرن الثاني عشر للميلاد. ثم قام أبو سعيد أبو البركات بترجمة أخرى في القرن الثالث عشر. وفي القرن العاشر قام أحد أتباع فرقة القرائيين (وهي فرقة يهودية ظهرت في القرن الثامن الميلادي في العراق، وتدريجياً أسلم كثير من أفرادها) ويدعى يافث بن علي القرَّاء بترجمة أخرى للتوراة من العبرية، وهؤلاء القراؤون لا يعترفون بالتلمود ويعتمدون أساساً على الأسفار الخمسة.

وفي عام ٩٤٦م قام الأسباني إسحاق بن فيلا سكوز (Isaac Son of Velasquez) من مدينة قرطبة بترجمة الإنجيل من اللاتينية إلى العربية. وتوجد في مدينة لينتجراد (بطرسبورج) في روسيا مخطوطات للكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد باللغة العربية ترجع إلى القرن السادس عشر الميلادي. كما

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٢/ ٨٨٩.

توجد كذلك مخطوطات من القرن السابع عشر باللغة العربية للكتاب المقدس موجودة في كل من باريس ولندن.

وعلى العموم فإن الترجمات العربية محيِّرة حقاً لأنها تختلف اختلافات جذرية عن بعضها البعض، وذلك يرجع إلى أن هذه الترجمات قد اعتمدت على ترجمات مختلفة من الكتاب المقدس: فبعضها ترجمت من العبرية، وبعضها من اليونانية، وبعضها من اللاتينية، وبعضها من السريانية. وهكذا أدى اختلاف مصادر الترجمة إلى اختلافات شديدة في الترجمة العربية.

وفي القرن العشرين تمت عدة ترجمات تتبع الكنيسة القبطية والكنيسة البروتستانتية والكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السريانية. وبطبيعة الحال تختلف كل ترجمة عن الأخرى.

ويقول مترجمو (الإنجيل كتاب الحياة) بيروت ١٩٨٣م (طبعة سادسة) في المقدمة:

«وقد أردْنا بهذه الترجمة التفسيرية أن تكون بالدرجة الأولى دقيقة وأمينة في تأدية المعاني للنصوص اليونانية القديمة (أي أن الترجمات السابقة لم تكن دقيقة ولا أمينة) ومخلِّصة لروح الإنجيل. وبالدرجة الثانية أردناها مكسوة بلغة بليغة ومؤثرة خالية من أي تكلف. فمن أجل الوصول إلى ذلك اتبعت اللجنة المسؤولة أهدافاً ومبادئ ثابتة محددة أهمها الأمانة للنصوص، بلاغة اللغة، وضوح المعاني، سلامة الأسلوب، بساطة التعبير والإخلاص لروح الإنجيل، والجمع بين هذه كلها ليس بالأمر اليسير، ولم يكن ذلك ممكناً لولا عون الله وإرشاد روح القدس».

وتقول الترجمة العربية المشتركة في اللغة الأصلية (أي اليونانية) التي تحمل عنوان (الإنجيل المقدس. . . العهد الجديد) والتي أصدرتها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بيروت عام ١٩٩٧م: «**وأما بالنسبة إلى العربية فهناك أكثر من مئة ترجمة للكتاب المقدس**» ويؤكد ذلك أيضاً مترجمو (الإنجيل كتاب الحياة) حيث يقولون: «**إننا قد أخذنا بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية فضلاً عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة والتي يزيد عددها على المئة**. كما أننا جنينا فائدة كبرى من الترجمات الكثيرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية بما فيها من ترجمات حديثة وقديمة».

وسبب هذه الكثرة المهولة في الترجمات هو أن كل فرقة أو مجموعة من

هؤلاء القوم ترى أن الترجمة السابقة مليئة بالأخطاء والتحريفات، وقد تُخلّ بعقائد الفرقة الأخرى، لذا يقوم مترجمو كل جماعة بما يرونه مناسباً لعقائدهم ومفاهيمهم في الكتاب المقدس... وهكذا يتضح بكل جلاء أن الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد وضعه آلاف الكتاب والمترجمين، وعدّلوا فيه وبدّلوا ما شاءت لهم عقائدهم وأهواؤهم ومذاهبهم وفهومهم.

وكـلٌّ يـدعـي وصـلاً بـلـيـلـى ... ولـيـلـى لا تـقـر لـهـم بـوصـل

الترجمات باللغة الإنجليزية[١]:

لقد بدأ تحول إنجلترا إلى المسيحية في القرن الثالث للميلاد ولمدة سبعة قرون لم يكن سكان بريطانيا يستطيعون أن يقرؤوا الكتاب المقدس ما عدا قلة من المثقفين الذين يجيدون اللغة اليونانية أو اللغة اللاتينية.

ويقال: إن بيدا (Bede) المتوفى سنة ٧٣٥ ميلادي ترجم الإنجيل إلى اللغة الإنجليزية آنذاك. وفي القرن التاسع الميلادي أمر الملك ألفريد العظيم (Alfred the Great) بترجمة الوصايا العشر إلى لغة الشعب، وبعض المختصرات من سفر الخروج من التوراة. وفي القرن العاشر ظهرت ترجمة إلى اللغة الأنجلو ساكسونية (عام ٩٥٠م) على يد ليند يسفارين (Lindisfarne) وعرف الإنجيل باسمه. وقام ألفريك النحوي (Aelfric The Grammarian) (٩٩٥م ـ ١٠٢٠م) بترجمة مقتطفات وحكم من العهد القديم والعهد الجديد.

وفي عام ١١٢٠م بعد الغزو النورماندي ظهرت ترجمة للمزامير، ووضعت بثلاث لغات جنباً إلى جنب، هي اللاتينية والأنجلو نورماندية والأنجلو ساكسونية، وبحلول عام ١٦٣١م تمت عدة ترجمات نثرية وبلغة بسيطة (الأنجلو نورماندية) لمعظم أسفار الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد. واشتهرت ترجمة وايكلفت على وجه الخصوص (Wycliffite) التي ظهرت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك باللغة الأنجلو نورماندية. ولا يعرف دور وايكلفت الحقيقي في الترجمة لأن المخطوطة تنتهي بالقول التالي: «هاهنا انتهت ترجمة نيكولاس من هيرفورد (Nicolas of Herford). وقد واجهتْ ترجمة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٢/ ٨٨٩ ـ ٨٩٢.

وايكلفت معارضة من الأكليروس ورجال الكنيسة. ومنع السينودس (Synods) (مجلس الكنيسة الأعلى) برئاسة رئيس الأساقفة أروندل (Archbishop Arundel) هذه الترجمة وحرّم تداولها، وأحرقت نسخها. ولكن نسخاً منها بقيت متداولة سراً، ثم ازداد تداولها في القرن الخامس عشر الميلادي. ويوجد حالياً منها متنا مخطوطة كتب أغلبها فيما بين عامي ١٤٢٠ و١٤٥٠ ميلادية. وفي عام ١٥٢٣م بدأ وليام تيندال (William Tyndale) بترجمة العهد الجديد من اللغة اليونانية (وليس اللاتينية كما فعل السابقون له) إلى اللغة الإنجليزية، ولكن اضطر نتيجة معارضة الكنيسة الشديدة أن يسافر إلى كولون في ألمانيا لإتمام ترجمته، وواجه هناك معارضة شديدة وفرَّ إلى مدينة ورمس Worms حيث أكمل ترجمته التي ظهرت عام ١٥٢٥م. ونسخت ثم طبعت، وبحلول عام ١٥٢٨م كان قد طبع منها ١٨٠٠٠ (ثمانية عشر ألف) نسخة هُرِّب الكثير منها إلى إنجلترا، ولكن لم يبقَ من هذه النسخ سوى نسختين فقط وجزء من نسخة ثالثة.

وعندما أتم تندال العهد الجديد بدأ في ترجمة الأسفار الخمسة (التوراة) وظهر كل سفر على حدة ليسهل تداوله وتهريبه.

وفي عام ١٥٣٥م ظهر لأول مرة الكتاب المقدس بكامله (العهد القديم والعهد الجديد) باللغة الإنجليزية على يد مايلز كوفرديل (Miles Coverdale)، الذي طُبع خارج بريطانيا (في زيورخ أوكولون)، وسرعان ما ازداد الطلب عليه فتتالت طبعاته. وفي عام ١٥٣٧م قام جيمس نيكلسون (James Nycholson) بتنقيح وتصحيح ترجمة كوفرديل، ولأول مرة تم الطبع في إنجلترا ذاتها. وفي العام التالي (١٥٣٨م) ظهرت طبعة أخرى كما يقال معدلة ومنقحة جنباً إلى جنب مع الترجمة اللاتينية المشهورة باسم «فولجات». ونالت هذه الطبعة موافقة الملك ذاته لطبعها.

وسرعان ما ازداد التنافس فأظهر توماس ماثيو طبعته التي قام بالعمل في ترجمتها جون روجرز. وأصدر الملك هنري الثامن أمره عام ١٥٣٨م لرجال الكنيسة بأن يجتمعوا ويصدروا أضخم كتاب مقدّس باللغة الإنجليزية، وظهرت أول طبعة منه عام ١٥٣٩م، وتوالت الطبعات مع التعديلات بسرعة كبيرة حتى إنه تم إيجاد ست طبعات بحلول عام ١٥٤١م، وكل طبعة فيها تعديلات عن سالفتها.

ثم ظهر ما يسمى إنجيل جنيف (Geneva Bible) عام ١٥٥٧م، ثم عام ١٥٦٠م على يد وليام ويتينجهام (William Whittingham) صهر كالفن (أحد أكبر

زعماء البروتستانت ومجددي المسيحية) ولم يطبع هذا الإنجيل في إنجلترا حتى عام ١٥٧٦م في عصر الملكة أليزابيث الأولى التي عرف عهدها العودة إلى البروتستانتية بعد أن قامت أختها ماري الأسكوتلندية (Mary of Scotts) بإعادة إنجلترا إلى الكاثوليكية. وكان عهد إليزابيث هو عهد الرحلات البحرية وعهد ظهور قوة بريطانيا البحرية وتغلبها على إسبانيا (معركة الأرمادا الشهيرة) والبرتغال، وبداية عهد الاستعمار والفتوحات والثروات الضخمة الهائلة. وظهرت عدة ترجمات قبل أن تظهر الترجمة المشهورة بترجمة الملك جيمس الأول (King James 1) التي أصبحت هي الترجمة الأساسية والمعتمدة في اللغة الإنجليزية. وقد أمر الملك جيمس باجتماع علماء الكتاب المقدس ورجال الكنيسة لإخراج (الكتاب المقدس) المعتمد. وبالفعل اجتمع ٤٧ من هؤلاء العلماء ورجال الكنيسة عام ١٦٠٤م وبدؤوا في العمل المتواصل الذي انتهوا منه عام ١٦١١م. وظهرت طبعتان منه في نفس العام واشتهرت إحداهما باسم (هو)، والأخرى باسم (هي)؛ لأن واحدة منها استخدمت ضمير (هو) بينما استخدمت الأخرى ضمير (هي) في سفر روث، وتتابعت الطبعات، وكل طبعة تقوم بمزيد من التنقيحات والتغييرات المتتالية. وفي عام ١٨٧٠م قام مجمع كانتربري الكنسي (Convocation of Canterbury) بدراسة ترجمة الملك جيمس المعتمدة ووجد فيها أخطاء كثيرة. وتكونت لجان عدة من مجموعة من العلماء المختصين بدراسة الكتاب المقدس، وتم الاتصال بالعلماء المختصين أيضاً في الولايات المتحدة، وتم التعاون بين الفريقين على جانبي الأطلنطي المتحدثين باللغة الإنجليزية لإصدار طبعة جديدة منقحة فريدة. **وتم إنجاز تنقيح وتبديل وتغيير العهد الجديد وصدرت الطبعة الأولى من هذا العمل المُضْني عام ١٨٨١م في كلٍّ من إنجلترا والولايات المتحدة بعد أحد عشر عاماً متتالياً من العمل الدؤوب**[١] **وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن هذه اللجان العلمية الكنسية قد قامت بإحداث ثلاثين ألف تغيير في ترجمة الملك جيمس المعتمدة الموثقة. وإن خمسة آلاف من هذه التغييرات والتصويبات هامة جداً لأنهم اعتمدوا على نسخ مختلفة من الكتاب المقدس المكتوبة باللغة اليونانية عن تلك التي اعتمدها المترجمون السابقون لهم**[٢].

(١) دائرة المعارف البريطانية، ١٩٨٢م، الطبعة ١٥، ٢/ ٨٩١.

(٢) المصدر السابق.

تصوَّرْ ثلاثين ألف تصويب وتغيير في العهد الجديد فقط في كتاب مرّ بالعديد العديد من التصويبات والترجمات والطبعات، وهذا كله في إطار الترجمة المعتمدة والموثقة والمعروفة بترجمة الملك جيمس!! فأي توثيق وأي اعتماد يمكن أن يوضع في كتاب يتم تغييره كل بضعة أعوام!!.

على أية حال تقول دائرة المعارف البريطانية: إن العهد القديم تمت إعادة ترجمته وطباعته من هذه اللجان المتعددة الموثقة على جانبي الأطلسي عام ١٨٨٥م. وتمت مراجعة ما يسمى الأبوكريفا (الكتب المنحولة والمزيفة وهي أيضاً كتب معتمدة لديهم إلا أنها ليست قانونية) ونَشْرُها في عام ١٨٩٥م.

في عام ١٩٠٠م لم يكتفِ الأمريكان بترجمة الملك جيمس التي اشتركوا فيها من قبل ولكنهم وضعوا ترجمة جديدة للعهد الجديد، وفي العام التالي (١٩٠١م) نشروا ترجمة أخرى للعهد القديم. وحَذفت هذه الترجمات كثيراً من الألفاظ القديمة واستبدلتها بألفاظ وتعبيرات جديدة، وصياغة جديدة، تناسب العقلية الأمريكية في بداية القرن العشرين ثم ظهرت طبعة جديدة منقحة ومغيّرة أيضاً، وسميت الترجمة الأمريكية القياسية (المعيارية) المنقحة (The Revised Standard Version)، والتي قامت بتغيير الأسلوب وإضافة ما جدَّ من معلومات بسبب توفر مخطوطات جديدة من العهد الجديد والقديم باللغات العبرية واليونانية واللاتينية، ودراسات متعددة حول الكتاب المقدس أدَّت إلى تغييرات هامة في المفاهيم والأساليب. وظهرت أول طبعة منقحة من هذه الترجمة الأمريكية القياسية المنقحة عام ١٩٢٨م، ثم تم تعديلها عام ١٩٣٧م، ثم عام ١٩٤٦م، ثم عام ١٩٥٢م، ثم عام ١٩٥٧م[١]. وهكذا كلما مضتْ خمس أو عشر سنوات ظهرت طبعة جديدة تزعم أنها هي الأفضل وهي الأصوب، وأنها اعتمدت معلومات جديدة لم تكن معروفة، ودراسات في الكتاب المقدس توصل إليها الباحثون بعد العثور على مخطوطات أو معلومات جديدة.. والأمر لا يزال مستمراً إلى اليوم. ومنذ ظهور مخطوطات قمران التي بدأ العثور عليها ١٩٤٧م واستمر حتى عام ١٩٥٧م، وتمت دراستها من قبل لجان متخصصة لمدة طويلة من الزمن، فإن طبعات الكتاب المقدس الجديدة تحتوي كلَّ يوم على شيء جديد

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٩٢.

وهناك على سبيل المثال الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد (New English Bible)، والكتاب المقدس الأمريكي الجديد (New American Bible)، والكتاب المقدس العالمي (الدولي) الجديد (New International Bible)، ولا يمضي عام أو عامان حتى تظهر طبعة جديدة تزعم لنفسها الدقة والصوابية وتتهم سوابقها بعدم الدقة والصوابية، وإن روح القدس هو الذي يرعاها ويوجهها!! وقد تحدثت دائرة المعارف البريطانية عن الكتاب المقدس الجديد (New English Bible) بإسهاب وسنقتطف هاهنا ما أوردته[1]: «لقد بدأت فكرة إيجاد نسخة جديدة من الكتاب المقدس تظهر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك لعام ١٩٤٦م، وبدأ التنسيق بين الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية، وظهرت الطبعة الأولى للعهد الجديد سنة ١٩٦١م، والثانية سنة ١٩٧٠م، وفي نفس العام ظهرت الطبعة الأولى للعهد القديم والأسفار المنحولة (الأبوكريفا)، ولاقت هذه الطبعة نجاحاً كبيراً حيث بيع منها في أسبوع واحد ثلاثة وثلاثون ألف نسخة. وتعتبر هذه الطبعة ترجمة جديدة وليست مجرد تنقيح للترجمات السابقة». وظهرت ترجمة كاثوليكية للكتاب المقدس على يد رونالد نوكس (Ronald Nox)، أولاً للعهد الجديد عام ١٩٤٥م، ثم العهد القديم عام ١٩٤٩م، ثم الكتاب المقدس كاملاً بعد مراجعته عام ١٩٥٥م. وكانت الترجمة من اللغة اليونانية واللغة العبرية، وهي تختلف في تفاصيلها كثيراً عن الترجمة البروتستانتية المعروفة باسم الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد. وفي عام ١٩٧٠م ظهرت أول طبعة من الكتاب المقدس الأمريكي الجديد، كما ظهرت في اللغة الإنجليزية كتاب أورشليم (الكتاب المقدس لأورشليم) (Juraslem Bible) عام ١٩٦٦م، وهو ليس إلا ترجمة إنجليزية لنفس الكتاب من اللغة الفرنسية الذي ظهر عام ١٩٦١م.

الترجمات الأخرى:

مرت الترجمات الهولندية والفرنسية والألمانية والإيطالية واليونانية والروسية والأسبانية والبرتغالية والصربية والكرواتية والهنغارية بنفس المراحل التي مرت بها الترجمات الإنجليزية المتعددة. وكل ترجمة تأتي لتعلن أنها هي الأدق والأصوب، وأن ما سبقها من ترجمات كانت مليئة بالأخطاء والتحريفات البسيطة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، المايكروبيديا، ٢/ ٨٩٢.

والخطيرة[1]. ولا تزال هذه الترجمات بكافة اللغات التي ترجم لها الكتاب المقدس، وهي لغات عديدة جداً تكاد تصل إلى كل لغة ولسان، لا تزال هذه الترجمات تتوالى، وكل ترجمة تدّعي أن ما سبقها كان مشوَّهاً وناقصاً، وأن هذه الترجمة الأحدث هي الأضبط والأصوب. ولك أن تتصور أن قائمة التغيير في الكتاب المقدس بشِقيه العهد القديم والعهد الجديد بالإضافة إلى الأبوكريفا لا تزال مفتوحة. . .

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٩٣.

العهد الجديد كما تعرضه الطبعة العالمية (المسكونية) الصادرة عن الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي

يقول (الكتاب المقدس: العهد الجديد) في المدخل لدراسة العهد الجديد من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية) للكتاب المقدس وترجمة الرهبانية اليسوعية في بيروت[١]: «لم يطلق اسم العهد الجديد على المؤلفات السبعة والعشرين التي نسميها اليوم العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد. ولم تكن تعتبر أسفاراً مقدسة بل كان العهد القديم هو الكتاب المقدس الأوحد لديهم وهو الذي كانوا يسمونه (الشريعة والأنبياء).

إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمَّها في مجموعة واحدة أدّيا إلى تطور طويل ومعقد والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة كأداء يعسر تفهمها».

«وقد رأى اللاهوتيون المسيحيون فيما بعد أن مجموعة رسائل بولس والأناجيل تحتوي على تعاليم للخلاص... ونتيجة للرغبة في التحيز عن اليهود أسْمَوا تلك الأسفار (العهد الجديد) واعتمدوها للطقوس الليتورجية في الكنائس».

«وقد نُسخت تلك النصوص مراراً، واختلفت تلك النسخ اختلافاً شديداً، إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن أن يرى المرء فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكن عددها كثير جداً». على كل حال هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد النحو والصرف أو الألفاظ أو ترتيب الكلام (بتقديم وتأخير)، ولكن هناك فوارق أخرى هامة تتناول معنى فقرات بأكملها».

---

(١) الكتاب المقدس: العهد الجديد (الأناجيل، أعمال الرسل، الرسائل والرؤيا)، دار المشرق، بيروت، الطبعة ١٩، ٢٠٠٠م. أخذت المداخل إلى العهد الجديد من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية) التي أصدرها الفاتيكان ووافق عليها مجلس الكنائس العالمي. (مدخل إلى العهد الجديد ص ١٧ ـ ٣٣) نقلنا الفقرات باختصار.

«إن نص العهد الجديد قد نُسخ ثم نُسخ طوال قرون كثيرة بيد نُسَّاخ صلاحُهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة ـ مهما بذل فيها من جهد ـ بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه. يضاف إلى ذلك أن بعض النُّسّاخ حاولوا أن يصوّبوا ما جاء في مقالهم. وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة، أو قلة دقة في التعبير الإلٰهي، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأً. ثم يضاف إلى ذلك أن استعمال كثير من الفقرات في أثناء إقامة شعائر العبادة (الطقوس الليتورجية) أدى في أحيان كثيرة إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة!!!».

«ومن الواضح أن ما أدخله النُّسّاخ من التبديل والتغيير على مرِّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة (في القرن الخامس عشر الميلادي) مثقلاً بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت في عدد كبير من القراءات.

والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحّص هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصاً أقرب ما يمكن من الأصل الأول. **ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه»**.

«وأدى البحث الدقيق المضني أن العدد الكبير جداً من الوثائق المختلفة تؤدي إلى قراءات مختلفة جداً لهذه النصوص. وبوسع علماء النقد على إثر هذا العمل الذي لم يكتمل إلى اليوم، أن يعتمدوا على فئات من الأصول يظهر في كل منها مثال للنص يمكن تحديد تاريخه ومكانه بكثير أو قليل من اليقين».

ويضرب على ذلك أمثلة **بالنص الأنطاكي أو السوري** الذي يرجع لنحو السنة ٣٠٠ ميلادية. ويقال له أيضاً: **النص البيزنطي أو النسخة الشائعة (فولجات)** (Vulgate) وهو المعتمد سابقاً في بيزنطة ثم لدى العالم المسيحي، ولذا عرف باسم النص المتداول أو الشائع. ولكن قيمته ضعيفة من جهة النقد لأنه يدمج روايات مختلفة في فقرة واحدة، ويتصرف في كثير من النصوص الأصلية.

«أما النص الإسكندري أو المصري وأهم أمثلته المدونة الفاتيكانية (المجلد الفاتيكاني). لأنه محفوظ في مكتبة الفاتيكان فيرجع إلى نحو السنة ٣٠٠م. وتعتمد طبعات العهد الجديد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على مدونة

الفاتيكان، فهو أفضل من النص الشائع المعروف بالفولجات، ولكنه أيضاً لا يمكن اعتباره معصوماً من الخطأ.

«أما مدونة سيناء (المجلد السينائي) الذي اكتشف في سانت كاترين بسيناء فهو أقل أهمية من مدونة الفاتيكان، وإن كان يعتبر أفضل من مدونة الفولجات. وهناك عشرات النصوص المختلفة الأخرى مما تجعل الأمر أشد تعقيداً مما يمكن تصوره. وهناك نص يُعرف باسم النص الغربي، وإن كان قد ثبت أنه موجود في الشرق، وهو مكتوب باللاتينية القديمة وبعض مخطوطاته باليونانية أيضاً. وتميز بميله إلى الشرح والتفسير ومحاولة التوفيق بين الروايات المختلفة، وهذه الأمور تبعده عن الأصل الأول.

«وهناك صيغ ونصوص أخرى أقل أهمية ولكن دراسة هذه النصوص توضح أيها أكثر قدماً والتي يمكن أن تكون الأقرب إلى الأصل المفقود.

«وهدف أصحاب النقد أن يوضّحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ والأسباب التي دعته إلى ذلك. وقد حصل علماء نقد النصوص خلال المئة وخمسين عاماً الماضية على معلومات جديرة بالإعجاب. إن هذه النتائج مكّنت من التقدم الكبير الذي يراه المرء إذا قارن بين طبعات العهد الجديد الحديثة والطبعات التي ظهرت منذ عام ١٥٢٠م (أول طبعة) إلى نحو سنة ١٨٥٠م قبل ظهور قواعد علم نقد النصوص...

«ولا تزال التحسينات والتصويبات مستمرة في كل طبعة من طبعات الكتاب المقدس وخاصة بعد ظهور انتشار مخطوطات مغارة قمران.

قانون العهد الجديد (الأسفار القانونية Canonical Books):

استعمل لفظ قانون (Canon) للدلالة على الأسفار الرسمية التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة أو الإيمان، ولم تندرج بهذا المعنى إلا في القرن الرابع الميلادي.

كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثل عند مسيحيي الأجيال الأولى في مرجعين هما:

١ ـ العهد القديم (الشريعة والأنبياء) الذي كانوا يستشهدون بجميع أجزائه باعتباره كله وحياً من الله.

٢ ـ تعاليم السيد (الرب) أي تعاليم يسوع التي كانت تتداول شفوياً، فقد كانت أقوال السيد (الرب)، وما يبشِّر به الرسل (تلاميذ الحواريين) تتداول على الألسنة دون تدوين.

«ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠م تدرجوا من حيث لم يشرعوا في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة. وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسية، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا مُلْحَقاً بالكتاب المقدس، بل كانوا يدَعون الأحداث توجههم، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة في حين أن التقليد الإنجيلي لا يزال معظمه متناقلاً على ألسنة الحفّاظ (لاحظ أنهم يدعون أن الأناجيل كُتبت في الفترة ما بين ٥٠ إلى ٩٠ ميلادية)، فضلاً على أن بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسائله وتداولها بين الكنائس المتجاورة، وليس هناك قبل القرن الثاني أي شهادة تثبت أن هذه النصوص كانت تعدّ أسفاراً مقدسة لها من الشأن ما للكتاب المقدس (العهد القديم = الشريعة والأنبياء). وليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة. ولا يذكر أن لمؤلَف من تلك المؤلفات صفة ما يُلزِم. فلم يظهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مرّ الزمن (أي في القرن الثالث والرابع وما بعدهما)، بأن هناك مجموعة من الأناجيل لها صفة ما يلزم. وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدريجي.

وكان الشهيد يسطينس أول من ذكر أن المسيحيين يقرؤون الأناجيل في اجتماعات الأحد وأنهم يعدونها مؤلفات الرسل (تلاميذ التلاميذ)، أو مؤلفات أشخاص يتصلون بالرسل بصلة وثيقة... وسرعان ما شدد على نسبة هذه المؤلفات إلى الرسل، وعلى الخصوص لمّا مسّت الحاجة إلى حمايتها من تكاثر المؤلفات الشبيهة بها في ظاهرها (كانت الأناجيل المؤلفة تعدّ بالعشرات وربما بالمئات)، في حين أن محتواها يعود إلى تقليد سخيف بل إلى ما ينسجه الخيال في حال الهذيان!!.

واتجهت الأنظار كذلك إلى الأناجيل الأربعة لأنها نالت انتباه الناس وحَجبت بسرعة مجمل المؤلفات المماثلة. ويمكن القول: إن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠م بمقام الأدب القانوني، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين.

«أما رسائل بولس فمن الأكيد أنها لم تدخل إلى القانون الواحدة بعد الأخرى، بل إن مجموعتها أُدخلت بِرُمَّتها يوم أخذ يغلب في الكنيسة الرأي القائل: بأنه لا بد من الحصول على قانون للعهد الجديد.

«ويُرجح كثيراً أن مرقيون الهرطوقي (يعتبر غنوصياً عرفانياً خارجاً عن الكنيسة وعن الدين المسيحي الحق، وأعلن أنه مهرطق ومرتد وكافر) الذي نبذ سلطة العهد القديم نبذاً تاماً وسبَّ اليهود وكتابهم سبّاً مُقْذِعاً، احتاج أشد الحاجة إلى تزويد كنيسته بأسفار مقدسة وقانون جديد، فاعترف بالأناجيل الأربعة ورسائل بولس مع رسائل أخرى. وهكذا ساهم مرقيون المهرطق (١٦٠ ميلادية وما بعدها) وأتباعه في إيجاد أسفار قانونية للعهد الجديد. ولكن لم يتضح بصورة جلية أي الأسفار تعتبر قانونية، وأيّها غير قانونية، وأخذ ذلك أجيالاً وقروناً طوالاً، لأن كل فرقة من فرق المسيحيين كانت تعتبر بعض الأسفار قانونية بينما لا تعتبرها الأخرى كذلك.. ولم يتم الاعتراف بقانونية الأسفار إلا على نحو تدريجي اتخذ عدة قرون.. مما يجدر بالذكر أن سفر أعمال الرسل اعتبر سفراً قانونياً فيما بين سنة ١٥٠م وسنة ٢٠٠م واعتبره إيريناوس أسقف ليون في أواخر القرن الثاني سفراً مقدّساً. وفازت الأناجيل الأربعة بمنزلة منيعة. واستُشهد برسائل بولس الثلاث عشرة وسفر أعمال الرسل ورسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى..

«وهناك عدد كبير من المؤلفات (الحائرة) التي اعتبرها بعض الآباء قانونية ورفضها الآخرون، منها رسالة إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا.

«وهناك أسفار اعتبرت قانونية في ذلك الوقت للعهد الجديد ومثالها كتاب (الراعي) لهرمس، وكتاب الديداكي، ورسالة إكليمنص الأولى، ورسالة برنابا، ورؤيا بطرس، وكانت رسالة الرؤيا والرسالة إلى العبرانيين موضوعاً لأشد المنازعات بين الكنائس والمسيحيين، وقد أُنكرتْ صحة نسبتهما إلى الرسل إنكاراً شديداً مدة طويلة. ففي الغرب أَنكرت الكنائس صحة الرسالة إلى العبرانيين، وفي الشرق أنكرت الكنائس صحة الرؤيا (ليوحنا).

«ولم تقبل رسالتا يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا إلا ببطء شديد. ومنذ القرن الرابع ظهرت تعبيرات الأسفار القانونية، وإن كان الاتفاق على بعضها لم يتم إلا في فترات متأخرة.

الأسفار المنحولة (أبوكريفا) (Apocrypha):

لم تَحْظَ الأسفار التي لم تعتبر قانونية بالاهتمام الكافي فضاع أكثرها واندثر، ولم يبقَ منها بصورة حسنة سوى سفر الديداكي ورسالة برنابا.

وسميّت هذه الأسفار منحولة (Apocrypha) أو خفيّة لأنها كانت خفيّة وسريّة لمجموعات من الكنائس المختلفة مع التيار العام الرسمي، وكان بعضها غنوصي (عرفاني)، وقد أبَت الكنيسة قبولها بل حرّمت قراءتها، ومنعت أتباعها من الاطّلاع عليها، واعتبرتها أسفاراً للهرطقة والكفر، وحَرَّمت أصحابها (أي جعلتهم كفاراً خارجين عن الملة)، بينما اعتبرت بعض تلك الأسفار صالحة للقراءة الفردية خارج نطاق العبادة والطقوس الليتورجية، وبعيداً عن العامة، واقترنت كلمة منحول بمعنى الذم بصورة عامة، وغدت المؤلفات المنحولة وسائل للضلال والهرطقة، والمؤلفات المنحولة مؤلفات ثمينة لدرس تطور الآراء الدينية في القرنين الثاني والثالث (بعد الميلاد)، وهناك أربع فئات ضمن هذه المؤلفات المنحولة: فهناك أناجيل، وأعمال الرسل، ورسائل، ورؤى وهي تشبه تماماً ما هو موجود في التقسيم في الأسفار القانونية الموجودة اليوم في العهد الجديد.

فهناك إنجيل بطرس الذي عثر على جزء منه في مصر في أواخر القرن التاسع عشر يحتوي على آثار غنوصية (عرفانية). وعثر في مصر كذلك على إنجيل الحق، وإنجيل فيلبس، وإنجيل توما علماً بأن في الإنجيل هذا أموراً كثيرة مشتركة بينه وبين الأناجيل الإزائية (أي الأناجيل المتشابهة (Synoptic) وهي إنجيل مرقص ومتّى ولوقا)، غير أن تلك المؤلفات تختلف اختلافاً واضحاً عن الأناجيل القانونية لأنها تكاد لا تحتوي رواية شيء من الأحداث (والمقصود بها قصة الصلب والقيامة... إلخ وتأليه المسيح. إذ إن هذه الأناجيل تتحدث عن المسيح ﷺ كبشر ونبي وتبعده تماماً عن فكرة ابن الله أو أنه الله، ولهذا استبعدت تماماً من الأسفار القانونية).

وإنجيل يعقوب يروي بصورة مفصلة أناجيل الطفولة (أي طفولة عيسى ﷺ ويولي اهتماماً خاصاً بما جرى لمريم وبأحداث ميلاد يسوع.

وأما أعمال الرسل المنحولة فهي مؤلفات غايتُها أن تكون قدوة حسنة للشعب المسيحي، وتتوسع في جانب المعجزات الخاصة بالرسل، وهدفها

تعظيم شأنهم، وهي أشبه بمقالات صغيرة يغلب عليها السخف.

وأما الرؤى فيمكن أولاً ذكر (الراعي) لهرمس، ثم رؤيا بطرس (وهي تخيّل للحياة المستقبلية والنعيم والجحيم)، ورؤيا بولس وفيها يزعم تفصيل الرؤيا الواردة في رسالته إلى أهل كورنتوس الثانية فقرة ١٢، والتي خُطِفَ الرسول في أثنائها إلى السماء الثالثة.

وأما رسالة الرسل التي كتبت في نحو السنة ١٥٠م فهي أقرب إلى فن الرؤى.

وكل هذه الكتب المنحولة ذات فائدة لتاريخ الفكر المسيحي، ولكن لا تعتبر مرجعاً ذا شأن لدارس العهد الجديد.

ويقول الباحث المسيحي القسيس تكر (T.G. Tucker): «أُلِّفت الأناجيل لكي تعكس بصورة واضحة أفكار المجتمعات والحاجيات الفعلية لها.. ولم يتورعوا عن تعديلها وتغييرها أو الإضافة إليها أو الحذف منها بما يتفق مع هدف الكاتب»[1].

مخطوطات الكتاب المقدس والأناجيل الأربعة:

لا يوجد أي مخطوط من مخطوطات العهد القديم أو العهد الجديد بخط المؤلف نفسه، أو حتى بخط من عاصره، أو من العصر التالي له. وكما أسلفْنا فإن مؤلفي العهد القديم كلهم مجهولون رغم النسبة إلى نبي من الأنبياء ﷺ. فكُتُب موسى الخمسة (التوراة) الحالية والموجودة بين أيدي الناس لا علاقة لها بموسى ﷺ. فالكتاب الذي أنزل على موسى لم يبقَ منه شيء سوى الوصايا العشر وبعض الآيات التي تلمع مثل الجواهر والألماس في وسط الركام... وهكذا قُلْ في كتب الأنبياء وكتب الحكمة... إلخ. وهذا ما يقرره علماء اليهود والنصارى أنفسهم كما أسلفنا القول، ونقلنا عنهم النقولات العديدة بما في ذلك أقوال الرهبانية اليسوعية وهي الأكليروس الهام الكاثوليكي، والتي أصدرت الطبعة المسكونية العالمية للكتاب المقدس بإشراف الفاتيكان نفسه. ثم تُرجمت هذه النصوص والكتب إلى اللغة العربية بواسطة الرهبانية اليسوعية في بيروت، لبنان.

---

(١) Honston Smith: The History of the Christians in the light of modern Knowledge, (Religions of man), Mentor Books, PP320.

وأما أسفار العهد الجديد فهي منسوبة إلى أشخاص بعينهم فهناك الأناجيل الأربعة، وهناك الرسائل وكتاب أعمال الرسل، وسفر الرؤيا وكلها كتب باللغة اليونانية إما مباشرة وإما عن أصول آرامية ضاعت.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية[1]: لغة يسوع وقومه هي اللغة الآرامية، ولكن العهد الجديد بأكمله لم يكتب إلا باللغة اليونانية، ولا تزال فيه بعض الكلمات الآرامية التي قالها يسوع مثل ما جاء في إنجيل مرقس ٥/ ٤١: «وأمسك بيد الصبية وقال لها: طليثا قومي» أي يا صبيّة قومي. وعندما صلب يسوع صرخ بصوت عظيم: «ألوي ألوي لِمَ شبقتني؟» أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟ (مرقس ١٥/ ٣٤).

وسنتحدث فيما بعد عن اختلاف الأناجيل فيما بينها، ولكن علماء المسيحية يجعلون الأناجيل الثلاثة الأولى (حسب ترتيبها الزمني في الظهور وليس ترتيبها في الكتاب المقدس)، وهي مرقس ومتّى ولوقا في مجموعة واحدة، لأنها تتشابه كثيراً جداً، ولذا تسمى الأناجيل المتشابهة أو الإزائية (Synoptic Gospels) بينما يختلف إنجيل يوحنا عنها اختلافاً كبيراً لبعده الفلسفي ويعتبر إنجيل مرقس أساسياً لكلا الإنجيلين: إنجيل لوقا ومتّى الأطول منه.

ولهما مصدر آخر يرمز له بحرف Q أي quilla الذي يعتقد أنه كتب باللغة اليونانية وهو مصدر مفقود. ويرجح كثير من الباحثين وعلماء الكنيسة أن إنجيل متّى اليوناني له مصدر مفقود باللغة الآرامية ويدعونه متّى الآرامي، بالإضافة إلى الروايات الشفوية التي أخذ متّى (الإغريقي) معلوماته. وهل المصدر المفقود هذا هو الإنجيل الحقيقي الذي أُنزل على عيسى عليه السلام وخاصة أنه باللغة الآرامية؟ لا أحد يعرف.

ويقرُّ الباحثون المسيحيون أن شخصيات كُتَّاب الأناجيل نفسها لم تَعُدْ تلك الشخصيات التي كان يظنها السابقون: فإنجيل متّى منسوب حسب ظن الأقدمين إلى متّى العشّار (الذي كان يأخذ العشور للدولة الرومانية)، ثم تبع المسيح وترك ما كان عليه، وأصبح من التلاميذ (الحواريين) الاثني عشر. وأما مرقس، فيقولون: إنه تلميذ بطرس (سمعان) أحد أهم حواريي المسيح وأشهر تلاميذه والذي دعاه الصخرة. وأما لوقا، فيقولون: إنه تلميذ بولس.

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية، لعام ١٩٥٩م، ٣/ ٦٥٤.

وبولس لم يرَ المسيح ولكنه رأى التلاميذ وزعم أن المسيح ظهر له. ثم اختلف مع التلاميذ اختلافاً شديداً وخاصة مع برنابا، وقال: إنه لا يحتاج لهم؛ لأنه يأخذ علمه مباشرة من الرب يسوع المسيح الذي يظهر له حسب زعمه. **فهؤلاء الثلاثة يختلف فيهم الباحثون المسيحيون وأنهم في الواقع شخصيات مجهولة. وكذلك إنجيل يوحنا إذ كان الأقدمون يزعمون أنه يوحنا ابن زبدي تلميذ يسوع، ولكن هذا الإنجيل لم يكتب إلا في بداية القرن الثاني الميلادي أي بعد رفع يسوع بزمن طويل نسبياً (حوالي ٨٠ عاماً). وكاتب الإنجيل فيلسوف ويجيد اليونانية، وتلميذ يسوع رجل بسيط جداً ولا يعرف اليونانية. ولهذا يقرر الباحثون أن يوحنا هذا هو غير يوحنا ابن زبدي تلميذ يسوع[(١)(٢)]، وبالتالي هو شخص مجهول أيضاً.**

وتقول دائرة المعارف البريطانية[(٣)]: إن المسيحيين الأوائل ظلّوا لمدة القرن الأول بعد الميلاد بأكمله ليس لديهم أناجيل معترف بها، وكانوا لا يعترفون سوى بالعهد القديم ويقرؤونه في مجامعهم بل كانوا معظم الوقت يتعبدون في نفس المعابد اليهودية. وكذلك فعل يسوع طوال حياته على الأرض. وفي منتصف القرن الثاني الميلادي بدأ المسيحيون يقرؤون مختارات من الأناجيل المختلفة في طقوسهم بالإضافة إلى كتب العهد القديم وخاصة المزامير. وكانت الترجمة اليونانية السبعينية للعهد القديم هي المعتبرة (الكتاب المقدس). ولم يدخل العهد الجديد ضمن الكتاب المقدس إلا في فترة متأخرة، ثم أخذت بعض الكنائس المسيحية منحى جديداً، وهو إهمال العهد القديم والاعتماد فقط على العهد الجديد في الطقوس الدينية بالإضافة إلى مقاطع متعددة من المزامير (المنسوبة إلى داود عليه السلام.

وأخذت الكنائس الشرقية اليونانية والرومانية والسريانية بإهمال العهد القديم إهمالاً تاماً. وكانت الطقوس تعتمد على مقاطع من العهد الجديد (الإنجيل مع قراءة مختارة من إحدى الرسائل بالإضافة إلى بعض الأناشيد الدينية المكتوبة خصيصاً لهذه الطقوس العبادية التي تُغَنّى مع الموسيقى «الكورال»).

---

(١) الأب سيداروس اليسوعي (تكوين الأناجيل، فصل تاريخ تكوين الأناجيل) ص٢٤ ـ ٢٧.
(٢) دائرة المعارف البريطانية (المايكروبيديا) ٢/ ٩٣٩، و٢/ ٩٥٠ ـ ٩٥٦.
(٣) دائرة المعارف البريطانية ٢/ ٩٧٤.

ويقول الباحث المسيحي المشهور فردريك جرانت في كتاب (الأناجيل: أصولها ونموّها)(١): «إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكوّن عهداً يتميز عن العهد القديم. فقد كان العهدان اللذان نعرفهما الآن شيئاً واحداً متصلاً. لقد كان الناموس (التوراة، الأسفار الخمسة، البنتاتوك) والأنبياء والمزامير كما يذكر لوقا (٢٤/ ٤٤) كتباً مألوفة لكلّ اليهود، بما فيهم اليهود المسيحيين في فلسطين وغيرها، كما كانت مألوفة لكلّ المتنصرين الذين كانوا على صلة بالمعابد اليهودية.

وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية وفي مقدمتها رسائل بولس التي كانت تقرأ على الجمهور في اجتماعات العبادة (كولوسي ٤/ ١٦)، ثم تَلَتْها رسائل أخرى وأناجيل فقد كان ينظر إليها جميعاً باعتبارها إضافات، أو ملحقات لما في أسفار الناموس والأنبياء التي كانت تقرأ أسبوعياً في المعابد اليهودية والكنائس المسيحية.

وعندما ننظر في العهد الجديد فإننا لا نتوقع أن نجد عقيدة محددة أو ثابتة، أو تفصيلاً كاملاً لتنظيم الكنيسة، بل على العكس من ذلك تماماً فإننا نتوقع ـ وهذا ما نجده فعلاً ـ اقتراحات لم يُعمل بها أبداً وحلولاً تجريبية قُصد التغاضي عنها في مستقبل تطور الكنيسة».

«إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شَتاتٌ مجمَّعٌ، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة. وإن الإنسان يستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات التي سار فيها التفكير المسيحي، كما يتتبع إلى حد ما التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة، وكذلك مراحل التطور لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعباداتها وتنظيمها».

وتقول دائرة المعارف الأمريكية(٢): «إن الاختلاف بين هذه الأناجيل عظيم لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (مرقس ومتّى ولوقا) باعتبارها صحيحة

---

(١) Frederick Grant: The Gospels: Their Origin and Growth, Faber and Faber, London 1957 P12,15,17 ـ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية، لعام ١٩٥٩م، ١٢/ ١٧٣؛ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨م (ط٢).

وموثوقاً بها فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا».

وتقول أيضاً[1]: «إن العهد الجديد الذي بين أيدينا لم يتحدد قبل القرن الرابع الميلادي». إن اختيار كتب العهد الجديد لم يتم عن طريق مرسوم صدر عن سنودس أو مجمع، بل بالاستخدام في الحياة اليومية، فقد صار ينظر إليها على أنها فريدة في نواحي التهذيب والتعليم...

«وأول من جمع الأناجيل الأربعة هو ماركيون (مرقيون) سنة ١٤٠ ميلادية وذلك ليبعد نفوذ العهد القديم. وكان عنيفاً جداً ضد اليهود لدرجة أنه اعتقد بأن إله اليهود «يهوه» الذي أعطى الناموس لموسى وخلق العالم كان في الحقيقة شريراً»..

«ويقول علماء المسيحية: ليس لدينا أي معرفة محددة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك. ويرتبط إنجيل مرقس بكنيسة روما، بينما يرتبط إنجيل متّى بأنطاكية (موجودة حالياً في لواء الإسكندرون التابع لتركيا) وإنجيل يوحنا بأفسس (في شمال غرب تركيا) وحتى بداية القرن الرابع الميلادي كان يوجد كثير من البلبلة بالنسبة إلى العهد الجديد.

ويصف إيزبيوس هذا الوضع فيقسم كتب العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات:

(الأولى): قُبلت بوجه عام، (والثانية) لا تزال موضع جدل، و(الثالثة) رُفضت.

وينتمي **للطائفة الأولى**: الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، ورسائل بولس، ورسالة بطرس الأولى، ورسالة يوحنا الأولى، ويمكن إضافة رؤيا يوحنا.

أما **الطائفة الثانية**: فتشمل رسالة يعقوب، ورسالة يهوذا (وهو غير يهوذا الأسخريوطي الذي خان يسوع وأسلمه لأعدائه بثلاثين من الفضة، ثم انتحر حسب زعمهم) ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة.

وأما **الكتب المرفوضة**: فهي رسائل أعمال بولس وراعي هرمس ورؤيا بطرس ورسالة برنابا، وبالنسبة للبعض رؤيا يوحنا»[2].

وتذكر دائرة المعارف الأمريكية بعض الأمثلة الأخرى على الكتب المرفوضة

(١) المصدر السابق ٣/ ٦٥١ ـ ٦٥٣.

(٢) دائرة المعارف البريطانية، لعام ١٩٦٠م، ٢/ ٥١٤.

مثل إنجيل متى المكذوب، وإنجيل الاثني عشر وإنجيل الأبيونيين (وهم الفقراء وقد آمنوا بالمسيح رسولاً ونبيّاً، وأنكروا عقيدة الألوهية والصلب والتثليث. . . إلخ)، وإنجيل المصريين وأشار له كليمنت الإسكندري وأوريجين، وإنجيل بطرس، وإنجيل باسيليوس (إسكندري قبل منتصف القرن الثاني)، وإنجيل ماركيون (مرقيون)، وإنجيل أبلُلس (عمل مع بولس ثم اختلف معه)، وإنجيل ناسينس (الغنوصي)، وإنجيل فيليب في القرن الثاني، وكانت تستخدمه طائفة غنوصية مصرية، وإنجيل ماتياس، وإنجيل مريم، وإنجيل بروثولماوس.

وكل سِفْرٍ من هذه الأسفار توجد منه بعض المخطوطات الكاملة أو الناقصة وبلغات مختلفة حسب الترجمات الموجودة. والعهد القديم كتب أولاً باللغة العبرية، ثم جاءت الترجمة اليونانية المشهورة باسم السبعينية، وضاعت المصادر السابقة لها، **وأصبحت هذه الترجمة التي تمت في عهد بطليموس الثاني ثم استمرت بعده (أي القرن الثالث والثاني قبل الميلاد) هي الأساس المعتمد للعهد القديم. ثم ظهر العهد الجديد بأسفاره العديدة المختلفة وذلك بعد فترة من الروايات الشفهية، ثم تقررت الأناجيل الأربعة والرسائل ورؤيا يوحنا وأعمال الرسل (المجموع ٢٧ سفراً) في القرن الرابع بعد الميلاد، بعد جدل وانشقاقات كبيرة في الكنائس المسيحية، وكانت كل كتب العهد الجديد قد كُتبت أساساً باللغة اليونانية، ويقال: إن إنجيل مَتّى كتب أولاً بالآرامية ثم ضاع هذا الإنجيل، ثم كتب متّى الآخر إنجيله باللغة اليونانية، وربما كان الإنجيل الآرامي أحد أهم مصادره. ثم ظهرت الترجمات العديدة للكتاب المقدس بشِقَّيه العهد القديم والعهد الجديد كما ظهرت ترجمات للعهد الجديد أو للعهد القديم مستقلة، أو حتى ترجمات لبعض الأسفار في العهد القديم أو في العهد الجديد أو الكتب المنحولة (أبو كريفا).**

وأهم هذه المخطوطات:

١ ـ مخطوطات مغارة قمران:

تعتبر مخطوطات مغارة قمران (غرب البحر الميت) في الأردن، من أهم المكتشفات في مجال الكتب الدينية والتي لها أهمية خاصة لليهود والنصارى، بل ولغيرهم من الملل والنحل بما فيهم المسلمون. وتوضح هذه المخطوطات

المحتوية على بعض أسفار العهد القديم أنها تختلف إلى حد مهم عن المعروف من هذه الأسفار. وعندما اكتشفت هذه المخطوطات الهامة بعث البروفسور وليام فوكسويل ألبرايت من جامعة جون هوبكنز في بالتيمور بالولايات المتحدة إلى البروفوسور ميلز بروز من جامعة ييل الذي كان أول خبير مختص بفحص هذه المخطوطات قائلاً له: «أهنئكم بأعظم اكتشاف في عالم المخطوطات في العصر الحديث»[1]، وكتب في المجلة الأمريكية للأبحاث الشرقية في أبريل ١٩٤٨م قائلاً: «إنه من اليسير أن يدرك الباحث أهمية هذا الاكتشاف الجديد الذي سيجعل جميع المخطوطات السابقة حديثة بالنسبة له، وأن جميع الدراسات في العهد الجديد والعهد القديم ستتأثر إلى حد بعيد بعد هذا الاكتشاف الهام»[2].

وترجع هذه المخطوطات الهامة إلى فرقة من اليهود المتنسكين المتطهرين الذين يدعون الآسيين[3] لأنهم كانوا يداوون المرضى ويعيشون حياة التطهر والنسك منعزلين عن بقية المجموعات اليهودية، ويكثرون من الاغتسال، ويصلون الفجر جماعة، في صفوف متراصة، ويتجهون جنوباً (أي إلى مكة المكرمة)، وكذلك عندما يقبرون موتاهم يوجهونهم إلى مكة (جهة الجنوب)، وهو أمر غريب جداً، إذ إن كل الفرق اليهودية كانت تتجه إلى أورشليم ولا تزال ما عدا السامرة الذين يتجهون إلى جبل جرزيم بالقرب من نابلس حيث كان لهم هيكل خاص بهم هناك، ويتميز هؤلاء الآسيون بالإضافة إلى الطهارة الحسية والمعنوية، وكثرة الاغتسال ولبس الثياب البيضاء، ومداواة المرضى، بالزهد والكفاف ويقتسمون الواجبات، والطعام فيما بينهم، ولا يأكلون اللحوم، ويحرمون القرابين والذبائح الدموية التي كانت أساسية في عبادة اليهود، ويحرّمون الرِّقّ، ويؤمنون بالبعث والنشور، ويؤمنون بقرب مجيء المسيح الذي بشر به الأنبياء، ويعيشون في انتظار ظهوره لتأييده ونصرته، كما أنهم كانوا ينتظرون النبي الذي يشرق من فاران (مكة المكرمة)، ولا يتزوجون، ويأخذون اللقطاء والأيتام ويربونهم[4].

---

(١) James Vanderkam: The Dead Sea Scrolls, William Eerdman Pub. Co, Michigan USA, 1994 PS.

(٢) المصدر السابق ص٧.

(٣) الآسي: هو الطبيب المداوي باللغة الآرامية واللغة العربية.

(٤) James Vanderkam: The Dead Sea Scrolls p15.

وقد اكتشفت مخطوطات مغارة قمران والبحر الميت بمحض الصدفة حيث كان أحد الرعاة البدو من فلسطين يرعى غنمه في صخور (خربة قمران) بقرب قرية (عين فشخة) في منطقة أريحا جنوب غرب البحر الميت وذلك عام ١٩٤٧م (في فترة الربيع).

وتحتوي المخطوطات على سفر أشعيا، وسفر حبقوق ونبوءته، ونظام الجماعة الصارم، وترتيل وترانيم الشكر لله، وبعض أناشيد المزامير، وقوانين الحرب، وفيه وصف للحرب التي ستقوم آخر الزمان بين أبناء النور وأبناء الظلام، وسفر التكوين مختلف تماماً عن سفر التكوين الموجود في التوراة المعروفة، ولذا أطلق عليه سفر التكوين المنحول (Genesis Apocryphon).

وقد تم العثور على هذه المخطوطات من الكهف الأول على يد محمد أحمد الحامد المعروف باسم محمد الذيب وذلك في ربيع عام ١٩٤٧م، ثم تتالت الكشوفات بعد أن تبيّن العلماء قيمتها العلمية الكبيرة، واكتشفت هذه المخطوطات في جرار، وبعضها من أوراق البردي، وبعضها من النحاس الرقيق وأغلبها من الجلد (الرّق) ومكتوبة باللغة الآرامية، وبعضها بالعبرية، وترجع إلى وسط القرن الرابع قبل الميلاد وتمتد إلى القرن الثاني بعد الميلاد. واستمر البحث عن المخطوطات من عام ١٩٤٧م وحتى عام ١٩٥٦م وتم العثور على مئات المخطوطات القصيرة والطويلة في أحد عشر كهفاً، ويبلغ عدد قطع المخطوطات ثمانمئة. ومكث العلماء يدرسونها وينظمونها قرابة أربعين عاماً، ولا تزال الدراسات والتعليقات عليها مستمرة.

ويذكر كتاب مخطوطات البحر الميت لفاندركام[(١)] في الجدول الذي وضعه أن أقدم المخطوطات يعود إلى سنة (٣٥٠) قبل الميلاد، وأن آخرها كان في القرن الثاني بعد الميلاد (١٣٤).

ولكنّ هناك خطاباً موجوداً في خربة ميرد يعود إلى عام ٧٤٤ بعد الميلاد. ولا شك أنه لا علاقة له بالآسيين، لأن هذه المجموعة قد اندثرت في القرن الأول بعد الميلاد بسبب غير معروف.

ويذكر هذا الباحث المخطوطات التي هي الآن ضمن الكتاب المقدس كالآتي[(٢)]:

---

(١) المصدر السابق، ص١٨، الجدول رقم١. (٢) المصدر السابق ص٣٠.

م	عدد المخطوطات	اسم السفر
١	١٥	سفر التكوين
٢	١٧	سفر الخروج
٣	١٣	سفر اللاويين
٤	٨	سفر العدد
٥	٢٩	سفر التثنية
٦	٢	سفر يشوع
٧	٣	سفر القضاة
٨	٤	سفر صموئيل الأول والثاني
٩	٣	سفر الملوك الأول والثاني
١٠	٢١	سفر أشعيا
١١	٦	سفر أرميا
١٢	٦	سفر حزقيال
١٣	٨	سفر الأنبياء الاثني عشر
١٤	٣٦	سفر المزامير
١٥	٢	سفر الحكم والأمثال
١٦	٤	سفر أيوب
١٧	٤	سفر نشيد سليمان
١٨	٤	سفر روث (راعوث)
١٩	٤	سفر أرميا (المراثي)
٢٠	٣	سفر الجامعة
٢١	٠	سفر أستير
٢٢	٨	سفر دانيال
٢٣	١	سفر عزرا
٢٤	١	سفر أخبار الأيام الأول والثاني

وأما الأسفار المنحولة (الأبوكريفا) فقد كان لمغارة قمران نصيب فيها، وقد وجد منها كتاب التوبيت (Tobit) وهي قصة منفي يهودي وصل مرتبة عالية في الدولة الآشورية، وله قصة طويلة ليس هذا مكان سردها. وفي مغارة قمران وجدت أربع مخطوطات متعلقة بقصة توبيت هذا باللغة الآرامية ومخطوطة واحدة باللغة العبرية. وأما سفر يسوع بن سيراخ فتعود المخطوطة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، ووجدت في المغارة أجزاء من هذا السفر، كما وجدت في الجنيزا في القاهرة كمية وافرة منه. كما يوجد فصل من سفر باروخ والمزمور ١٥١. **وهناك أسفار تعود إلى ما يُسمى الكتب الزائفة (Pscudepigraphia) وهي أسفار وكتب لم تعتبر قانونية، وكتبت في القرون الأخيرة قبل الميلاد، والقرن الأول والثاني بعد الميلاد، ومنها سفر أخنوخ (إدريس)، وكتاب الفلك والتنجيم، وكتاب العمالقة (Book of Giants)، وكتب الأعياد، والعهود للآباء الاثني عشر، وسفر التكوين**

المنحول، وسفر نوح، وسفر يعقوب، وسفر يوسف، وسفر كوهات (جد موسى)، وعمرام والده، وسفر موسى، وسفر يشوع، وصموئيل، وداود، وأرميا، وحزقيال، ودانيال، وأستير، وكلها تختلف عمّا هو موجود في أسفار العهد القديم الموجود بأيدي الناس.

هذا بالإضافة إلى تعليقات وشروح على الكتاب المقدس بقسمَيه: العهد القديم والعهد الجديد، ويتحدث عن الملك داود (هكذا تصفه أسفار العهد القديم الموجودة والمعروفة) بأنه نبي. وهناك تعليقات على سفر حبقوق، وحديث عن المسيح القادم وعن الدجال الأعور الكذّاب. ووصف للرومان بالطغاة، ومجلس الشيوخ يوصف بأنه بيت الإثم، وأنهم يعبدون المال، ويعبدون آلهة الحرب وأدواتها[1]. وكأنهم يصفون أمريكا (الولايات المتحدة) وخاصة في عهد بوش الابن.

وتصف هذه التعليقات على سفر ناحوم، نينوى (في العراق)، وعهرها وجرائمها، وهناك الكثير من النبوءات التي تحتاج إلى قراءات فاحصة، وأحاديث كثيرة عن أحداث آخر الزمان إلى يوم القيامة مما يحتاج إلى دراسة. كما تتحدث المخطوطات عن بيت الله الذي جعله مثابة للناس وأمناً، وأن الله هو الذي بناه وليس البشر (أي بُني بأمر الله مباشرة كما حدث للكعبة حيث بناها إبراهيم وابنه إسماعيل بأمر الله، بل قيل: إن الكعبة بنتها الملائكة ثم انهدمت فرفع إبراهيم ﷺ القواعد من البيت وإسماعيل).

وهناك كلام طويل عن ملكي صادق الذي بارك سيدنا إبراهيم، وهو ملك أورشليم وكاهن العلي وكان من الموحّدين وآمن بإبراهيم ﷺ وأيده وناصره.

وتتحدث هذه المخطوطات العجيبة في كتاب أحكام الحرب عن الملحمة (Milhamah)[2] بهذا اللفظ والتي ستقع في آخر الزمان بين أبناء النور وأبناء الظلام، وينتصر فيها المؤمنون على الكافرين بعد مقتلة عظيمة أسماها الكتاب الملحمة (يذكرنا بأحاديث الملحمة في آخر الزمان المروية عن المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله). وهناك مخطوطات عن القدس الجديدة (أورشليم

---

(١) المصدر السابق ص٤٨.

(٢) المصدر السابق ص٦٥، ويتحدث فيها عن انتصار المؤمنين انتصاراً نهائياً على أتباع الشيطان.

الجديدة) التي تقوم بالمحبة والنور على عكس ما كان في أورشليم القديم من الظلم والفجور.

وهناك أيضاً مخطوطات عن أسفار الحكمة وهكذا. وهذه الأسفار والمخطوطات من أوراق البردي والرق، وبعضها مكتوبة على رقائق من النحاس.

وقد توزعت المخطوطات هذه في عدة دول أهمها الولايات المتحدة وإسرائيل، وآخرها الأردن حيث توجد هذه المخطوطات في متحف القلعة في عمّان، وقد زرتها وكتبت عنها مع صورة لها في كتابي المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (دار القلم ـ دمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت) وتذكر دائرة المعارف البريطانية (٢/ ٨٨٥ ـ ٨٨٩ و٢/ ٩٤٣) المخطوطات التالية:

٢ ـ **مخطوطات نجع حمادي في صعيد مصر**: وكانت تعتبر هذه المجموعة أقدم المخطوطات للكتاب المقدس حتى تم اكتشاف مخطوطات مغارة قمران (البحر الميت). وتحتوي على ترجمة يونانية (الترجمة السبعينية)، وتحتوي بردية ناش (Nash Papyrus) وهي الأقدم في هذه المجموعة، على الوصايا العشر وسفر التثنية فقط، وترجع إلى سنة ١٥٠ قبل الميلاد. وأما المخطوطات الأخرى فترجع إلى فترة ما بعد الميلاد، وفيها مقاطع متعددة من العهد القديم باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية).

٣ ـ **مدونة سيناء (Codex Sinaiticus)**: وقد عثر عليها في سيناء وترجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد، وهي موجودة بالمتحف البريطاني وتحتوي على معظم أسفار العهد القديم، وهي مكتوبة باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) بالإضافة إلى معظم أسفار العهد الجديد.

٤ ـ **مدونة الفاتيكان (Codex Vaticannus)**: وهي موجودة في مكتبة الفاتيكان وترجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد، وهي مكتوبة باللغة اليونانية بالحروف الكبيرة، وتحتوي على العهد القديم بأكمله تقريباً، وليس فيها سفر العبرانيين. ولا الأسفار المنحولة، ولكنها تحتوي على معظم أسفار العهد الجديد.

٥ ـ **مدونة الهكسابالا (Hexpala)**: وقد قام بها العالم الإسكندراني أوريجن وهي ترجمة يونانية للكتاب المقدس كتبها بين عامي ٢٣٠ و٢٤٠ بعد الميلاد، وذلك ليصحح الترجمات اليونانية السابقة وسمّاها هكسبالا أي الملفوفات الست حيث وضع النص باللغة العبرية في أعمدة طويلة وبجانبها محاذياً لها الترجمة

اليونانية، ووضع بجانب ترجمته أيضاً في أعمدة طولية ترجمة من سبقه مثل أكويلا (Aquila)، وسيماخوس (Symmachus)، والترجمة السبعينية، وترجمة ثيودوشن (Theodotion)، وهكذا ترى ست ترجمات جنباً إلى جنب في أعمدة طويلة.

وبعد فترة قام أوريجن باختصار الأعمدة الستة إلى أربعة بعد أن وجد أن الترجمات الست مرهقة للقراء.

وأقدم مخطوط للهكساباﻻ يرجع إلى عام ٦٠٠ بعد الميلاد ويحتوي على قطع صغيرة من هذا العمل الضخم.

الترجمة السبعينية (Septuagint): وأقدم مخطوط لها يرجع إلى القرن السابع بعد الميلاد وتوجد منها قطع مختلفة على أوراق البردي، وهناك قطعتان من البردي من سفر التثنية (Deutronomy) ترجع إلى ما قبل العصر المسيحي.

وأهم بردية هي بردية الباحث الإيرلندي شستر بيتي (Chester Beatty) حيث وجد ١١ مدونة تحتوي قطعاً من تسعة من أسفار العهد القديم، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني إلى الرابع بعد الميلاد، وتوجد حوالي مئتي مخطوطة (على أوراق البردي والرق) تمثل مقاطع من الكتاب المقدس، وترجع إلى الفترة ما بين القرن الرابع والقرن السابع للميلاد.

وتتميز المخطوطات المكتوبة بالحروف اليونانية الكبيرة بأنها كلها مكتوبة على الرق (Vellum) وأنها كتبت فيما بين القرن الرابع والعاشر للميلاد.

وأهم مخطوطات الترجمة السبعينية هي مدونة الفاتيكان ومدونة سيناء التي سبق الإشارة إليهما. **ومدونة الإسكندرية**: التي ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد والتي تحتوي على العهد القديم بأكمله تقريباً، بالإضافة إلى معظم العهد الجديد. **وهناك مدونة ماركالينوس** (Marchalianus): التي تحتوي على أسفار الأنبياء من العهد القديم وترجع إلى القرن السادس بعد الميلاد.

وقد كانت هذه الترجمات اليونانية تستخدم الحرف الكبير (Capital Letter) وتكتب دون فواصل ولا نقط بحيث تتكرر الأخطاء في معرفة الكلمات والجمل.

وفي القرن التاسع الميلادي بدأت تظهر مخطوطات كُتبت بالحرف اليوناني الصغير، ومن القرن الحادي عشر إلى السادس عشر بعد الميلاد ساد هذا الحرف

واختفى الحرف الكبير. وتوجد ١٥٠٠ قطعة من هذه المخطوطات بهذا الخط في هذه القرون الخمسة (الحادي عشر إلى السادس عشر)، ولا توجد بين الحروف والكلمات نقط ولا فواصل بل كلها متصلة بحيث تَعْسُر قراءتها.

وأول طبعة ظهرت من الترجمة السبعينية اليونانية كانت عام (١٥١٤م - ١٥١٧م) والمعروفة باسم بولي جلوت (Poly glot) (متعددة الألسنة) ولم تظهر إلا عام ١٥٢٢م، وسبقتها في الظهور طبعة ألدين فينيس (Aldine Venice) عام ١٥١٨م كما تقول دائرة المعارف البريطانية.

الترجمات القبطية:

بدأت في الظهور منذ القرن الثالث والرابع بعد الميلاد. وهي تعتمد على الترجمة السبعينية اليونانية، وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن هذه الترجمات اعتمدت اليونانية واللاتينية القديمة، ولكن للأسف ليست لدينا معلومات عن هذه الترجمات ولا مخطوطاتها.

وهناك مخطوطات مصرية قبطية للعهد الجديد ولكنها مكتوبة باللغة اليونانية وتعود إلى القرن الرابع بعد الميلاد، وقد أخذها الإنجليز عندما استعمروا مصر، وسرقوها ووضعوها في لندن في مكتبة جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية (British and Foreign Bible Society)، وفي باريس في المتحف الوطني للكتاب المقدس توجد نسخة قديمة من العهد الجديد (غير كاملة) باللغة اليونانية ولكنها كتبت في أثيوبيا.

وقد أسلفنا القول عن الترجمات الأخرى للكتاب المقدس، وأن أقدم مخطوط باللغة العبرية للعهد القديم هو مخطوط حلب الذي يعود إلى عائلة ابن أشير في سوريا والذي كتب في القرن العاشر للميلاد. وبطبيعة الحال فإن مخطوطات مغارة قمران المكتوبة باللغة العبرية والآرامية هي بدون شك أقدم منها بحوالي عشرة قرون أو أكثر، ولكنها مجموعات غير متكاملة. وأما مخطوط حلب فهو مدونة كاملة للعهد القديم باللغة العبرية؛ ولذا يعتبر أقدم مخطوط حتى الآن، رغم أن ما بينه وبين عهد موسى ﷺ أكثر من ألفين وثلاث مئة عام.

وأما **الترجمات السريانية** فلم يَتبقَّ منها إلا أربع نسخ، كُتب أقدمها عام ٤٤٢ ميلادية، وآخرُها في القرن الثاني عشر الميلادي، كما تقول دائرة المعارف البريطانية.

ويذكر الدكتور فتحي عثمان في كتابه (مع المسيح في الأناجيل الأربعة)[1] أن اثنين من علماء الآثار البريطانيين قد اكتشفا عام ١٨٩١م **في حفائر مدينة البهنسا** ورقة بردي طولها ١٥سم، وعرضها ٩سم، مكتوباً على وجهَيْها باليونانية، وترجع إلى أواخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل الثالث، وتحتوي على أقوال غير معروفة ليسوع المسيح، ومنها قوله: «إن لم تصوموا عن العالم لن تجدوا ملكوت الله، وإن لم تحفظوا السبت كما يجب فلن تُبصروا الأب»، والتشديد على احترام السبت يدل على أن كاتبها كان من اليهود المتنصّرين، وأما الأناجيل فقد أوضحتْ أن يسوع قال: «جُعل السبت للإنسان وليس الإنسان للسبت». وبالتالي كان يداوي يوم السبت وهو عند أحبار اليهود وخاصة الفريسيين محرّم.

وفي عام ١٩٠٣م اكتشف علماء الآثار في **خرائب البهنسا** أيضاً أقوالاً ليسوع موجودة في الأناجيل المنحولة (الأبوكريفا) مثل: إنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين، وإنجيل لوقا، وهي مكتوبة باللغة اليونانية، وفيها: «قال يسوع: ينبغي أن ذاك الذي يطلب لا يكف حتى يجد، وحينما يجد يمتلئ بالعجب، وحين يمتلئ بالعجب سيملك، وحينما يملك يستريح».

وفي عام ١٩٠٥م وجدت وريقة من البردي ٨,٨سم × ٧,٤سم مكتوبة من الوجهين باللغة اليونانية، وترجع للقرن الرابع الميلادي ويبدو أنها كانت تستعمل كحجاب.

وفي عام ١٩٣٥م اكتشفت صحيفة (بردية) تحوي مناقشة المسيح لعلماء اليهود، ويرجّح أنها من إنجيل غير معروف، وهي قصة موسعة لما ورد في إنجيل يوحنا.

وفي إحدى **برديات البهنسا** نجد هذه الكلمات منسوبة إلى يسوع المسيح:

«أتيت في وسط العالم، وفي الجسد ظهرت لهم، ووجدتهم جميعاً سكارى، ولم أجد واحداً منهم ظمآناً للحق، ونفسي تئنُّ لأجل بني البشر، لأنهم عميان في قلوبهم ولا يبصرون».

وهذه الجمل غير موجودة في الأناجيل المعروفة.

---

(١) د. فتحي عثمان: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، الطبعة الثانية ١٩٦٦م ـ القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص١١٦ ـ ١١٩.

ومما ورد في **برديات البهنسا**: «حيث هناك اثنان فالله معهما، وحيث هناك واحد بمفرده أقول لكم: أنا معه (أي الله معه).. ارفعوا الحجر تجدوني هناك، شقوا الخشب هناك أنا».

ولا شك أن كل طائفة كانت تصطنع لها أقوالاً تنسبها ليسوع المسيح.

وقد كشف هنت وجرنفل (Hunt and Gren Fell) عام ١٨٩٧م وعام ١٩٠٣م في خرائب بمصر برديات من عشرين قطعة باليونانية فيها كلمات تتفق إلى حد ما مع الأناجيل المعروفة، وترجع إلى القرن الثالث الميلادي وما بعده.

الباب الثاني

الأناجيل الأربعة
(مَتّى ومرقس ولوقا ويوحنا)

الأناجيل الأربعة (مَتّى ومرقس ولوقا ويوحنا)

معنى كلمة الإنجيل:

تعني كلمة الإنجيل باليونانية البشرى، أو بشرى الخلاص، وبالتالي إعلان هذه البشرى بالخلاص في شخص يسوع المسيح كما تقول دراسة المدخل من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية) للكتاب المقدس: العهد الجديد.

كيف كتبت الأناجيل؟ وكيف تشكلت قانونية الأناجيل؟:

وكما أسلفْنا في الباب الأول، لم يكن الإنجيل كتاباً أو مؤلَّفاً أدبياً أو كتاباً تاريخياً، بل هو عبارة عن روايات شفهية تم تناقلها لفترة طويلة من الزمن، ثم كتب بعض الأشخاص كلٌّ على حدة كتاباً سمّاه إنجيلاً بناءً على فهمه لتلك الروايات الشفهية المختلفة، ووضع كل واحد من هؤلاء آراءَه وتوجيهاته وإيمانه. وقد فُقدت تلك الأصول الأولى وتم تناقلها وتغييرها بشكل كبير جداً. وبقيت الاختلافات دون الوصول إلى حلول جذرية.

وكان عدد هذه الأناجيل كبيراً جداً، وتم الاتفاق على الاعتراف بأربعة منها: هي إنجيل **متّى ومرقس ولوقا ويوحنا**.. وبقيت بعض الفئات المسيحية بكتبها الأخرى، ورغم ذلك فإن هذه الكتب لم تعتبر كتباً مقدسة لدى النصارى إلا في نهاية القرن الثاني وفي القرن الثالث والرابع من الميلاد. وكان الكتاب المقدس المعترف به لديهم هو كتاب الأنبياء والشريعة أي العهد القديم، وبالتدريج كانت تتلى رسائل بولس في التجمعات الكنسية، ثم مقاطع من الأناجيل، وبمرور الزمن تم اختيار الأناجيل الأربعة من ضمن عشرات بل مئات الأناجيل الموازية التي اعتبرت مزيّفة أو منحولة (أبوكريفا).

ورغم الاعتراف بأربعة أناجيل إلا أنه لا توجد نسختان متماثلتان من آلاف النسخ الموجودة بسبب تغييرات النُسّاخ واعتقادهم أن لهم الحق في تغيير ما يرونه غير مناسب لعقائدهم، وأنهم في ذلك ملهمون بواسطة الروح القدس، وبالتالي يحق لهم

أن يغيّروا في هذه الكتب المدّعاة (أناجيل) ما شاءت لهم أهواؤهم. هذا إذا تركنا جانباً ما يحدث من النسّاخ من سقط أو تغيير كلمة سهواً أو إسقاط جملة أو فقرة.

ولغة يسوع (عيسى ﷺ) هي الآرامية وكذلك كانت لغة الحواريين (التلاميذ)، ولكن هذه الأناجيل كُتبت باللغة اليونانية كما يقرر جميع الباحثين من رجال الكنيسة في العصور الحديثة.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية[1]: ليس لدينا أي معرفة محددة بالنسبة للكيفية التي تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك، ويرتبط إنجيل مرقس بكنيسة روما ثم (مصر)، بينما يرتبط إنجيل متى بأنطاكية (في سوريا)، وإنجيل يوحنا بأفسس (في شمال غرب تركيا)، وحتى بداية القرن الرابع الميلادي كان يوجد كثير من البلبلة بالنسبة للعهد الجديد والأناجيل. وتذكر دائرة المعارف الأمريكية بعض الأمثلة على الكتب المرفوضة مثل إنجيل متّى المكذوب، والأناجيل اليهودية المسيحية، وهي: إنجيل العبرانيين، وإنجيل الناصريين (نسبة إلى الناصرة في فلسطين التي نشأ فيها يسوع حتى إنه يقال: يسوع الناصري)، وإنجيل الاثني عشر (أي التلاميذ والحواريين)، وإنجيل الأبيونيين (وهم الفقراء إلى الله وهم فرقة من اليهود). وكل هؤلاء من اليهود الذين آمنوا بعيسى ﷺ رسولاً ونبيّاً من الله ﷻ، ولكنهم رفضوا العقائد التي أدخلها بولس وغيره لاجتذاب الأمم، وجعل يسوع ابن الله أو فيما بعد هو الله، وأنكروا التثليث والصلب... إلخ.

وهناك أيضاً من الأناجيل المرفوضة ما يسمى إنجيل المصريين، وقد أشار له كليمنت الإسكندري وأوريجين، وإنجيل بطرس (وهو أعظم حواريي المسيح والذي سمّاه الصخرة)، وإنجيل باسيليوس الإسكندري (الذي عاش في القرن الثاني للميلاد) وإنجيل مرقيون (ماركيون) الغنوصي والذي اتهم بالهرطقة، وإنجيل أبُلُّلس، رغم أنه كان زميلاً لبولس وعمل معه فترة، ولكنه اختلف معه وتركه. وإنجيل ناسينس الغنوصي، وإنجيل فيليب في القرن الثاني وكانت تستخدمه طائفة غنوصية مسيحية مصرية، وإنجيل ماتياس، وإنجيل مريم، وإنجيل بروثولماوس.

وهناك إنجيل برنابا الذي لا يتحدث عنه المسيحيون. وهو إنجيل وجده

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية، عام ١٩٥٩م ١٢/ ٧٣، ٣/ ٦٥١ ـ ٦٥٣، و١٣/ ٧٠، ٧١، ودائرة المعارف البريطانية، لعام ١٩٦٠م، ٢/ ٥١٤.

راهب مسؤول عن مكتبة الفاتيكان، يُدعى (فرامينو) أواخر القرن السادس عشر الميلادي، **وهو ينكر ألوهية يسوع كما ينكر التثليث، وينكر قصة الصلب.**

ويقول: إن الذي صُلب هو يهوذا الإسخريوطي الذي أراد أن يخون يسوع، فرُفع يسوع وألقي الشبه على يهوذا فأخذه الجند، وحكم عليه السنهدرين اليهودي وصلبوه... ولهذا كان يصرخ ولم يكن له أي ثبات... وقد ظهر كثير من الشهداء المسيحيين أنفسهم الذين صلبوا وقتلوا وعذبوا أشد من العذابات التي يدّعون أن يسوع عاناها، ومع هذا كانوا ثابتين صابرين.

وقد عثر كريمر مستشار ملك بروسيا عام ١٧٠٩م على النسخة الإيطالية الأصلية، وانتقلت مكتبته إلى البلاط الملكي في فينا سنة ١٧٣٨م، ومما يدل على وجود هذا الإنجيل أن البابا جلاسيوس منع سنة ٤٩٣م مطالعة هذا الإنجيل المنسوب لبرنابا وقد ذكره أريانوس في رده على بولس.

وفي الدراسة التي وضعتها المسكونية (العالمية) للكتاب المقدس، وفي المدخل إلى الأناجيل الإزائية[1] ما يلي (باختصار):

«لم يكن الإنجيل في الأصل كتابا أو مؤلَّفاً أدبياً أو تاريخياً، بل هو روايات شفوية كتبت فيما بعد، وإذا أُطلق لفظ الإنجيل على الكتب الأربعة المنسوبة إلى متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، فالأمر يعود إلى أن هؤلاء المؤلفين، كلاً على حدة، أعلن تلك البشرى في روايته لأقوال يسوع وأعماله وموته وقيامته، كما نُقلتْ إليه عبر الروايات الشفهية.

«إن القارئ في عصرنا يقع في حيرة أمام هذه المؤلفات التي تبدو مفككة ويخلو تصميمها من التنسيق ويستحيل التغلب على تناقضاتها، ولا يمكن أن ترد على الأسئلة التي تطرح عليها، فالذين حرروا هذه الأناجيل ليسوا بكتَّاب انكبوا في مكاتبهم على وثائق مبوَّبة تبويباً محكماً فأقدموا على وضع تاريخ ليسوع الناصري من ميلاده إلى موته، فطريقة تأليف الأناجيل تختلف كل الاختلاف عن هذه الطريقة العلمية. فقد تكلم يسوع، وأعلن بشرى الملكوت، وجمع

---

(١) الكتاب المقدس: العهد الجديد، مدخل إلى الأناجيل الإزائية، ص٣٧ ـ ٤٨، منشورات دار المشرق، بيروت، الطبعة ١٩، السنة ٢٠٠٠م. وتعتبر هذه الطبعة والمداخل ممثلة لأعلى إكليروس مسيحي، فهي تمثل الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي.

التلاميذ، وشفى المرضى، وقام بأعمال ذات مغزى، وبعد موته وفي جو من الإيمان الفصحي (عيد الفصح الذي زعموا فيه أن المسيح صُلب فيه ثم قام بعد صلبه ودفنه) بشّر التلاميذ، فتكونت تقاليد شفوية مدة تقرب من أربعين سنة، وحفظت ونقلت بواسطة الطقوس اللتيرجية والتعليم الديني وقصص الوعظ، وبدأ تسجيل بعض أقوال يسوع وبعض العبارات».

«وعاشت هذه التقاليد الشفوية فترة زمنية قبل أن تصبح نصّاً يغذّي إيمان المسيحيين.. وقد جمع الإنجيليون وفقاً لنظراتهم الخاصة ما أتاهم من التقاليد الشفوية».

«إن الأناجيل المسيحية بما فيها من تفاصيل مميزة كثيرة تعود بنا إلى إيمان الجماعات المسيحية الأولى وحياتها. فعلى سبيل المثال النصوص التي تروي لنا عشاء يسوع الأخير لدينا أربع روايات (متّى ومرقس ولوقا ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس)، وتعود عند التحقيق إلى صيغتين: صيغة متّى ومرقس من جهة، وصيغة لوقا وبولس من جهة أخرى. وتختلف هاتان الصيغتان اختلافاً جذرياً في عدة أمور. (كذلك تختلف رواية متّى عن رواية مرقس، ولكن الاختلاف بينهما ليس شديداً، كما أن رواية لوقا وبولس تختلفان أيضاً إلا أن درجة الاختلاف ليست كبيرة).

«وهذا كله يعطينا مثالاً واحداً فقط على درجة الاختلاف... وقصة الصلب تختلف في الأناجيل الأربعة، كما أن قصّة اكتشاف يسوع وقيامته بعد دفنه تختلف من إنجيل لآخر اختلافاً بيِّناً وكبيراً، ومدة بقائه في القبر هي في رواية: يوم وليلتان، وفي رواية: يومان وليلتان، وفي رواية أخرى: ثلاثة أيام بلياليها. وهكذا في كل حدث من الحوادث التي ترويها الأناجيل الأربعة. فالمرور في رحلة التقليد الشفهي يبين لنا أيضاً لماذا تبدو الكثير من الفقرات كوحدات أدبية صغيرة مركزة على قول من أقوال يسوع أو عمل من أعماله بلا إطار زمني أو جغرافي. حيث يستخدم الكاتب عبارة (في تلك الأيام) (متى ٣/ ١ ومرقس ٨/ ١) وعبارة (في ذلك الزمان) (متى ١١/ ٢٥)، (وبعد ذلك) (لوقا ١٠/ ١). **فكل من هذه الروايات كان لها أولاً وجود مستقل عن الأخرى ثم نُسِّقَتْ فيما بعد عبر الأجيال وانصهرت الذكريات المروية في صيغ أدبية تحيط بأقوال وأعمال يسوع.**

«وهناك أمران لا بد من توضيحهما:

(الأول): **إن مضمون الأناجيل لا يمكن أن يُحقَّق تحقيقاً تاريخياً.** ولكن

هناك أدلة تلقي ضوءاً على سائر النصوص تمكننا من أن نعرف أن الإيمان بالمسيح الذي قام من بين الأموات إنما هو متأصل في حياة يسوع الناصري وأعماله.

«(الثاني): **إننا لا نصل إلى أقوال وأعمال يسوع إلا من خلال الترجمات التي تأتينا بها التقاليد القديمة**. ورغم أن الأناجيل كُتبت باللغة اليونانية بينما لم يتكلم المسيح إلا بالآرامية، إلا أن ما قاله المسيح بالآرامية قد كُتب باليونانية من خلال الروايات الشفهية التي تناقلتها الأجيال حتى وصلت إلى عهد مؤلفيها.

«**ومهما ابتعدنا في الرجوع إلى الماضي في أثناء التحقيق فلا يزال السؤال مطروحاً: من هو يسوع؟ والأناجيل توفر للقارئ سبل التثبت من معرفته ليسوع وإغنائها بواسطة إيمان الجماعة المسيحية**. (أي بدون تمحيص أو تفكير أو تحقيق. فالإيمان المجرد هو السبيل الوحيد للوصل إلى يسوع الممجَّد).

الأناجيل وعلاقة بعضها ببعض:

يتضح أن الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) له ميزات خاصة ينفرد بها عن بقية الأناجيل الثلاثة الأخرى (متّى ومرقس ولوقا)، وكلها وُضعت قبل إنجيل يوحنا، وقد كُتبت كلها باللغة اليونانية، ويمكن تأريخ مرقس في السنين من ٦٥م ـ ٧٠م، ومؤلفه على الأرجح من أصل روماني، وأما إنجيل متى ولوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها لأنهما وُجّها إلى بيئات أخرى. وقد وُضعا بعد إنجيل مرقس بخمس عشرة إلى عشرين سنة. ومع ذلك فالأناجيل الثلاثة تبدو في صيغ كثيرة التشابه حتى قيل عنها: (الأناجيل الإزائية أو المتشابهة) (synoptic gospels) ويمكن وضع نصوصها في ثلاثة أعمدة متوازية تساعد على المقارنة بينها. وهذا الأمر يثير مشكلة خاصة، فهناك مواد مشتركة بين ثلاثة أناجيل (متَّى ومرقس ولوقا) وهي ٣٣٠ موضعاً، ونقاط مشتركة بين متَّى ومرقس (١٧٨ موضعاً)، ونقاط مشتركة بين متَّى ولوقا (٢٣٠ موضعاً)، ونقاط خاصة بكل واحد من هذه الثلاثة (٥٠٠ في لوقا و٣٣٠ في متّى و٥٣ في مرقس).

وجميع النقّاد مقتنعون بوجود مصدرين: فمتَّى ولوقا يأخذان من مرقس ومن مصدر آخر مشترك بينهما يرمز له بحرف (Quilla) = Q، وهذه الوثيقة المشتركة ضائعة، وهل هي شفوية أم خطية؟ أمر لا يجزم به النقاد.

وهناك مصدر خاص بمتَّى ومصدر بلوقا، ومن غير المعروف مصدر مرقس. ورغم أن النقاد يتفقون على أن مرقس يعتبر مصدراً لكل من متّى ولوقا إلا أن

النقاد لا يجزمون هل كان نص مرقس الذي استعمله متّى ولوقا هو نفس النص الذي بأيدينا، أو نصاً آخر.

«ورواية متَّى (إنجيل متَّى) تختلف كل الاختلاف عن رواية مرقس سواء بعدد المواد الخاصة به وسعتها أم بمجموعة من المواد لا يستبعد أنه أخذها عن مجموعة أقوال ليسوع استعملها لوقا. ومن العسير جداً أن نوضح إلى أي قدر كانت قد وصلت تلك المراجع في صياغتها في مجموعات أوسع، ولكن يمكننا أن نطَّلع على طريقة متّى في التأليف من مقارنتها بمرقس ولوقا.

إن اللحمات الزمنية لا قيمة لها عموماً عند متَّى، وأما الإشارات المكانية فهي غامضة ولا يمكن من تحديد مسيرة مفصلة، ولكنها تتيح للقارئ أن يجد نفسه أمام مصير تاريخي لا أمام مجموعة من المشاهد، إن متَّى يحبُّ التصوير في الرواية أو الحكمة، ويقال له: ردُّ العَجُزِ على الصَّدْر. ومتَّى مُولَعٌ بالمجموعات العددية، ويتوسع في مجال تعليم يسوع، وبالذات ما يسمى خُطَبَ يسوع الخمس، فهي كتل من أقوال يسوع تُكَوِّن لُحْمَةَ الإنجيل، وتنتهي كلٌّ منها بهذه الخاتمة (ولما أتمَّ يسوع هذا الكلام). وهي تتناول تباعاً برَّ الملكوت، والمنادين بالملكوت، وأسرار الملكوت، وبني الملكوت، وما يلزم من سهر وأمانة في انتظار الملكوت في النهاية.

«ومتَّى هو الإنجيل الأكثر تشديداً على الشريعة والعادات اليهودية ويوازيه تشدد آخر على وجوب اكتمال الشريعة في شخص يسوع، وعلى المساوئ التي ولَّدتها التقاليد الفريسية، ويشدد النكير عليهما وعلى نفاقهم وريائهم، وشدد متَّى على انتقال البشارة إلى الوثنيين، وسيُدين ابن الإنسان جميع الناس، كما أن جميع الشعوب مدعوة إلى تلقي تعاليم يسوع.

«والتلاميذ عند متَّى ليسوا بطيئي الفهم خلافاً لما جاء في مرقس، ولكن متَّى يخفِّف ملامحهم التاريخية، وهم يمثلون بذلك سالفاً لكل تلميذ بعدهم حتى عندما يَبدون رجالاً قليلي الإيمان، وتتأثر صورة المسيح بالجماعة المسيحية التي يقصدها متّى. ويظهر المسيح مثالياً وهو يُعلِّمُ بِرّاً، أي أمانة جديدة للشريعة الإلٰهية، وهو (أي يسوع) سلطة الله الأخيرة. فيسوع منذ فاتحة الإنجيل هو المسيح ابن داود بل ابن الله أيضاً، وهو المعلِّم والمفسِّر الحاسم لمشيئة الله فلا عجب أن يدعوه التلاميذ رباً (والرب هو السيد karios) ويهمل متَّى مظاهر غضب يسوع أو حنانه التي يذكرها مرقس (٦/ ٣ و٨/ ٤).

من هو المؤلف متَّى؟:

متَّى عند الأقدمين هو الذي كتب الإنجيل من أصل يهودي ويقولون: إنه متَّى العشّار الذي تبع يسوع، أي أنه أحد الحواريين الاثني عشر، ولكن من الواضح أن النص يعكس تقاليد آرامية وعبرية. ومنها المفردات الخاصة بفلسطين، والعبارات التي يشرحها متَّى لقرائه والعادات المتنوعة. وهو من جهة أخرى لا يبدو مجرد ترجمة عن الأصل الآرامي، بل هناك ما يدل على أنه دُوِّن باليونانية مع أنه مجبول بالتقاليد اليهودية، فلا سبيل إلى إثبات أصله الفلسطيني، ومن المعتقد أنه كُتب في سوريا وربما في أنطاكية أو في فينيقيا (جنوب لبنان) حيث كان يعيش في هذه البلاد عدد كبير من اليهود.

وكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ هذا الإنجيل ما بين سنة ٨٠م وسنة ٩٠م (أي بعد خراب أورشليم عام ٧٠م) بينما كان الأقدمون يجعلونه في فترة سابقة ما بين سنة ٤٠ و٥٠ للميلاد.

أما المؤلف متَّى فالإنجيل لا يذكر أي شيء عنه، وكان القدماء ينسبونه إلى الرسول متَّى أو إلى متَّى العشار الذي تبع يسوع وصار من التلاميذ الاثني عشر. ولكن متّى العشَّار لم يكن يجيد اليونانية؛ ولذا يقولون: لعلّه كان هناك إنجيل متّى بالآرامية، ثم جاء متَّى آخر وضعه اليونانية. **ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت أياً من هذه الآراء فهي كلها ظنون.**

وكاتب سفر متَّى طويل الباع في علم الكتاب المقدس، والتقاليد اليهودية، ويعرف رؤساء شعبه الدينيين ويوقِّرهم من جهة، ويوبِّخهم ويقرِّعهم من جهة أخرى. وهو بارع في فن التعليم وجميع هذه الصفات توافق صفات يهودي مثقف أصبح مسيحياً (رُبَّ بيتٍ يُخرج من كنزه كلّ جديد وقديم) [متّى ١٣/ ٥٣].

ويقول سيداروس اليسوعي في كتابه تكوين الأناجيل (دار المشرق، بيروت): أن هناك عدداً من الأشخاص باسم متّى: فهناك متَّى العشَّار تلميذ يسوع وأحد الحواريين الاثني عشر، وهو الذي نُسب له الإنجيل سابقاً، وهناك متَّى الآرامي الذي جمع الإنجيل وكتبه بالآرامية ثم ضاع هذا النص، ثم جاء متَّى اليوناني، ثم متَّى يتحدث اليونانية وهو الذي وضع الإنجيل المعروف اليوم باسم متّى، وهكذا تضيع معالم شخصية متَّى حتى تصبح شخصية ضبابية لا يكاد أحد يعرف عنها شيئاً ذا بال.

ويقول جرانت في كتابه (الأناجيل)[1]: هناك اختلاف شديد حول شخصية متَّى، وهل هو من تلاميذ المسيح أم لا؟ فهناك ذكر لشخص متَّى في إنجيل متَّى (الإصحاح ٩/٩)، «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية (أي جباية العشور والمكوس للدولة الرومانية) اسمه متَّى فقال له يسوع: اتبعْني فقام وتبعه». وترك ما كان فيه من أخذ المكوس والعشور وهو أمر تحرِّمه اليهودية والمسيحية كما حرَّمه الإسلام.

ويواصل إنجيل متَّى حديثه فيقول: «وبينما هو متكئ (أي يسوع) إذا عشَّارون وخطاة كثيرون قد جاؤوا، واتكؤوا مع يسوع وتلاميذه. فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشَّارين والخُطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة؛ لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة». فسلام الله عليك يا ابن مريم. وكلامه يذكرنا بقول الله تعالى عن رسوله ومصطفاه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومتَّى العشَّار هذا صار أحد الحواريين الاثني عشر: ففي إنجيل متَّى الإصحاح العاشر: وأما أسماء الاثني عشر رسولاً (الحواريين، التلاميذ) فهي هذه: الأول سمعان الذي يقال له: بطرس وأندراوس أخوه، (٣) يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه (ويوحنا هذا هو الذي نُسب إليه إنجيل يوحنا ثم تبيّن أنه يوحنا آخر)، (٥) فيلبُس، (٦) وبرثولماوس، (٧) توما، (٨) متَّى العشَّار، (٩) يعقوب بن حلفي، (١٠) لباوس الملقب تداوس، (١١) سمعان القانوي، (١٢) ويهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه (أي خان يسوع وأسلمه للجند).

ولكن مرقس في إنجيله رغم أنه يذكر هذه الحادثة إلا أنه يحذف اسم متّى ويبدله باسم لاوي بن حلفي. ففي إنجيل مرقس (٢/ ١٤): «وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلفي جالساً عند مكان الجباية. فقال له: اتبعْني فقام وتبعه». ثم ذكر قصة الخطاة والعشَّارين الذين كانوا يجلسون مع يسوع ويأكلون معه، وانتقاد الفريسيين لذلك، وتشنيعهم على يسوع من أجل جلوسه مع الخطاة والعشارين.

وإنجيل متَّى هو الكتاب الأول في العهد الجديد، وترتيبه يسبق الأناجيل

---

(١) F.c Grant: The Gospels, Faber and Faber, London, 1957, P:140,141.

الأخرى وإن كان الباحثون يعتقدون أن إنجيل مرقس قد سبقه في الزمن، وأن إنجيل مرقس يعتبر مصدراً هاماً لأناجيل متَّى وإنجيل لوقا كما أوضحْنا.

وإنجيل متَّى متمسِّك بالشريعة الموجودة في التوراة والعهد القديم وهو يُكثر من الإشارة إليها، ومن النبوءات التي وردت فيها عن مقدم يسوع المسيح ابن الإنسان والمسيح المنتظر، وحملته على الكتبة والفريسيين شديدة ولكن لا يسمح بترك تعاليم الناموس، كما تشير إلى ذلك تعاليم بولس الموجهة أصلاً إلى الوثنيين، والذي سمح لهم بأكل الخنزير والتحلّل من أحكام الناموس والختان.

نسب يسوع المسيح:

يبدأ إنجيل متَّى في الإصحاح الأول بنسب للمسيح، وكذلك فعل لوقا.. وكلاهما يختلف عن الآخر في سلسلة ذلك النسب الذي يصل إلى داود ثم إلى إبراهيم ثم إلى آدم عليه السلام..

ومن الغريب جداً أن يحرص النصارى على إثبات نسب للمسيح، وهم يعتقدون أنه ابن الله، وإلٰه حق من إلٰه حق، الأقنوم الثاني في الأقانيم الثلاثة التي هي الله (الآب، الابن، والروح القدس) أبدي أزلي قديم، وُلِدَ ـ من غير أب ـ من مريم العذراء وإن كان سابقاً لها في الوجود!! ويرجع السبب في ذلك إلى أن النصارى حاولوا إثبات هذا النسب إلى داود، حتى يثبتوا النبوءات الواردة في العهد القديم بظهور المسيح من نسل داود، رغم أن نبوءات العهد القديم تتحدث فقط عن ملك لليهود يخلّصهم مما هم فيه من اضطهاد (كانوا تحت حكم الرومان)، ويصبحون فيه سادة العالم وهو بشر، وليس إلٰهاً ولا ابن الله.

وتتحدث الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار وظهر لها الملاك وأحبلها بالرب حسب قولهم، فلما علم يوسف النجار بحملها أراد أن يتركها فظهر له الروح القدس وأكّد له طهارة مريم. وقام يوسف النجار بإظهار مراسيم الزواج منها حتى لا يتهمها قومها اليهود بالزنا، ولكن لم يمسَّها حتى ولدت يسوع. لذا دُعي يسوع ابن يوسف النجار، ثم إنه بعد ذلك أتى زوجته مريم وأنجب منها حسب زعمهم بنين وبنات، ورغم ذلك فإن يسوع كان وقحاً حسب زعمهم مع أمه وأخوته، ففي إنجيل مرقس: «فجاء حينئذ إخوته وأمه، ووقفوا خارجاً، وأرسلوا إليه يدعونه وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هوذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك، فأجابهم

قائلاً: مَن أمي وأخوتي؟ ثم نظرَ حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي وأخوتي، لأن من يصنع شيئاً الله هو أخي وأختي وأمي» (مرقس ٣/ ٣١ ـ ٣٥).

ويبدأ إنجيل متَّى في الإصحاح الأول بذكر يسوع تحت عنوان (كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم) إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من تامار (زوجة ابنه عير والتي زنى بها يهوذا حسب زعمهم الكاذب) وفارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام، وآرام ولد عمينا داب، وعمينا داب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من راحاب الزانية، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسّي، ويسّي ولد داود الملك، وداود الملك ولد سليمان من التي (كانت زوجة لأوريا (بعد أن زنى بها وقتل زوجها أوريا حسب زعمهم الكاذب).. وهكذا تستمر سلسلة النسب إلى (يوسف النجار) رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً.

ويختلف إنجيل متَّى عن إنجيل لوقا في ذكر الأعداد من الآباء وفي كثير من الأسماء كما أن كُلاً من الإنجيلين متَّى ولوقا، اختلفا في ذكر الآباء وأعدادهم عن سفر أخبار الأيام (من العهد القديم الذي ذكر أنساب داود وأولاده).

ويقول فينتون في كتابه (القديس متّى)[1]: من المحتمل أن يكون متَّى قد استمر في الاعتماد على سفر أخبار الأيام الأول إلا أنه حذف ثلاثة أجيال بين بورام ويوثام كما حذف يهوياقيم بعد جوشيا.

أما تسلسل النسب في لوقا فإنه يسير من ابن لآخر لداود هو ناثان (بدلاً من سليمان كما في إنجيل متّى). ويشير متَّى إلى أنه في كل العصور (الحقب الثلاث) يوجد أربعة عشر جيلاً رغم أنه في الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسماً في الحقبة الأخيرة.

وفي منتصف قائمة لوقا نجد يوحنا بن ريسا بن زربابل، ولم يُذكر ريسا هذا في سفر الأيام الأول.

وفي الخلاصة كما يقول أحمد عبد الوهاب في كتابه (المسيح في المصادر المسيحية) نلاحظ ما يلي:

---

(١) J.C Fenton: Saint Mathew, Penguin Books, 1963, Middlessex England, P39-40.

١ ـ أخطأ متَّى حين أسقط خمسة آباء من نسب المسيح (مقارنة بسفر أخبار الأيام الأول).

٢ ـ أخطأ لوقا حين أضاف اسم ريسا (الرقم ٢٤ في سلسلة النسب) بين زربابل ويوحنا.

٣ ـ اختلف لوقا مع متّى حين جعل يوسف (النجار) زوج مريم ينحدر من نسل ناثان بن داود بينما هو في إنجيل متَّى سليمان بن داود.

٤ ـ لما كان متَّى ولوقا، ينقلون نسب يسوع من مصادر مختلفة فقد أدّى ذلك إلى أن عدد الآباء (الأجيال) المذكورين من داود إلى يوسف هم ٢٧ حسب رواية متّى، بينما هم ٤٢ أباً حسب رواية لوقا. والفرق بينهما شاسع والبون واسع. ومن إبراهيم إلى يسوع ٤١ أباً في متّى و٥٦ أباً في لوقا[1]، **ويهتم الباحث والجراح والمستشرق الفرنسي الدكتور موريس بوكاي بنسب المسيح في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)[2] فيقول: «إن نسب المسيح الوارد أحدهما في متَّى والآخر في لوقا يطرحان مسائل الصحة والتوافق مع المعطيات العلمية ومع الأصالة التي تزعج الشُرّاح المسيحيين لأنهم يرفضون النظر إليها على أنها من نتاج المُخَيِّلة الإنسانية التي ألهمت كتاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن السادس قبل المسيح في تحديد أنساب الناس (الآباء) الأوائل، (من آدم إلى إبراهيم ومن إبرهيم إلى داود) كما اتُهِمَ متَّى ولوقا فيما لم يأخذاه من العهد القديم». هذا وينبغي أن نلاحظ أولاً بأن هذه الأنساب المتعلقة بالذكور غير ذات معنى بالنسبة للمسيح (لأنه ولد من غير أب) وإذا كان يجب تحديد نسب له وهو ابن مريم العجيب، وليس له أب بيولوجي، فينبغي أن يكون نسبه لمريم** (وهو أمر جاء به القرآن حيث نسبه إلى أمه فقال: عيسى بن مريم).

ثم يقارن الدكتور موريس بوكاي بين سلسلة النسب كما وردت في إنجيل

---

(١) اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة ـ القاهرة.

(٢) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة الشيخ حسن خالد (مفتي لبنان) المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٠٨ ـ ١٢٠. وقد أسلم موريس بوكاي (رحمه الله تعالى). وأخبرني بذلك بنفسه في مدينة جدة في لقاء طويل خاص حول آرائه عن الإعجاز العلمي في السنّة النبوية.

متّى التي جعلها في ثلاث حقب، في كل حقبة ١٤ شخصاً (ولكن ذكر في الحقبة الأخيرة ١٣ شخصاً بذكر يسوع ذاته) وبين تلك السلسلة التي وردت في لوقا من إبراهيم إلى يسوع في ٥٦ أباً، بينما هي في متّى ٤١ أباً[١]، وذكر لوقا في آدم إلى إبراهيم عشرين أباً، بينما لم يذكر أحد منهم متَّى.. وفي العهد القديم الذي يفترض أن لوقا أخذ منه هذه الأنساب (ما بين إبراهيم وآدم) هي ١٩ أباً فقط.. ويسخر موريس بوكاي من محاولات بعض علماء اللاهوت البائسة في التوفيق بين هذه التناقضات، ويتحدث عن الكاردينال دانييلو في كتابه أناجيل الطفولة [١٩٦٧م] الذي تحدث عن شجرة النسب المرقمة ليسوع.. وأن متّى ولوقا مؤرخان أخذا لائحة النسب من محفوظات عائلة المسيح التي هي على التأكيد مفقودة تماماً!! ورغم ذلك فإن الكاردينال يُلقي الحرمان (والطرد من رحمة الله إلى الأبد) لكل أولئك الذين ينتقدون وجهة نظره، وأن الكتاب المعاصرين ينتقدون الكتاب المقدس والأناجيل بعقلية ديكارت وهيجل وهيدجر ويشكّكون في كل شيء.

ويتحدث الشراح عن أهمية الرقم ٧ حيث إن متَّى جعلها ثلاث حقب من ١٤ فكل حقبة هي ٧×٢. وأما لوقا فقد اختار ٧٧ اسماً لنسب يسوع من يوم آدم إلى يسوع وهو أيضاً يوضح أهمية الرقم ٧ (أي ٧×١١). والرقم سبعة يعني الكمال، فالله خلق الكون في سبعة أيام (في ستة واستراح حسب زعمهم في السابع) والأرض سبع والسموات سبع.. إلخ.

أسماء التلاميذ:

كما اختلفت أسماء آباء يسوع (حسب زعمهم) إلى إبراهيم ومن ثم إلى آدم فقد اختلفت الأناجيل أيضاً في أسماء التلاميذ، فكما أسلفنا يذكر متَّى التلاميذ الاثني عشر ويجعل بينهم متَّى العشار، (إنجيل متّى ٩/٩) بينما مرقس يسميه لاوي بن حلفي (إنجيل مرقس ٢/ ١٤)، ويذكر إنجيل متَّى قائمة بأسماء التلاميذ (١٠/ ١ ـ ٤) تختلف عن قائمة الأسماء عند لوقا (٦/ ١٣ ـ ١٦)، حيث يظهر عند لوقا يهوذا أخو يعقوب وسمعان الغيور ومقابلهما لبآوس وسمعان القانوي عند متّى.

---

(١) المصدر السابق.

عند إنجيل متّى	عند إنجيل لوقا
١ ـ سمعان (بطرس)	١ ـ سمعان (بطرس)
٢ ـ أخوه أندراوس	٢ ـ أخوه أندراوس
٣ ـ يعقوب بن زبدي	٣ ـ يعقوب بن (زبدي)
٤ ـ يوحنا بن زبدي (أخوه)	٤ ـ يوحنا أخوه
٥ ـ فلبس	٥ ـ متّى
٦ ـ برثولماوس	٦ ـ فيلبس
٧ ـ توما	٧ ـ برثولماوس
٨ ـ متّى العشار	٨ ـ توما
٩ ـ يعقوب بن حلفي	٩ ـ يعقوب بن حلفي
١٠ ـ لباوس الملقب تداوس	١٠ ـ سمعان الغيور
١١ ـ سمعان القانوي	١١ ـ يهوذا (أخو يعقوب).
١٢ ـ يهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه	١٢ ـ يهوذا الأسخريوطي

اختلاف القصص والحكايات في الأناجيل:

تختلف الحادثة الواحدة في الأناجيل الأربعة في تفاصيلها، وأحياناً كثيرة تُذْكَرُ قصةٌ ما في إنجيل وتُهْمَل في آخر، أو تُذكر بصورة مغايرة تماماً لما في الإنجيل الآخر. ومن ذلك قصة شجرة التين التي تَوجَّه لها يسوع وكان جائعاً فوجدها لم تثمر فلعنها ودعا عليها (وهو أمر غريب جداً فيسوع النبي الرحمة ولا يلعن أحداً). وتختلف الأناجيل في وقت حدوث هذه القصة: هل كان قبل دخوله الهيكل أم بعد خروجه منه؟.

قصة بطرس مع يسوع:

يعتبر بطرس (سمعان) أهم التلاميذ وأكبرهم مقاماً. وسمّاه يسوع حسب قولهم: الصخرة، وقال عنه في إنجيل متّى الإصحاح (١٦/١٣/١٩) ما يلي: (ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصريا فيلبس سأل تلاميذه قائلاً: مَنْ يقول الناس: إني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون آرميا أو واحد من الأنبياء. وقال لهم: وأنتم مَنْ تقولون: إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا.. إن لحماً ودماً لم يعلن لك. لكن أبي الذي في السماوات،

وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تَحُلُّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات». حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح. وفي إنجيل مرقس (٨/ ٢٧ ـ ٢٩) نجد القصة تَروى بشكل مغاير لما في إنجيل متّى، وهي هكذا: ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس. وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم: من يقول الناس: إني أنا؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وآخرون إيليا وآخرون واحد من الأنبياء فقال لهم: وأنتم مَنْ تقولون: إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: أنت المسيح. فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه، والكلام مختلف: ففي متّى يقول بطرس عن يسوع: إنه المسيح ابن الله الحي، وفي مرقس يقول عنه: المسيح فقط دون زيادة ابن الله الحي، وفي مرقس ينتهرهم يسوع عن مثل هذا الكلام، وفي متّى يمدح يسوع سمعان بن يونا (بطرس) ويسميه الصخرة، ويعطيه مفاتيح السماوات والأرض!!.. وما يربطه في الأرض يربط في السماء وما يحلُّه بطرس في الأرض يحلُّه الله في السماء.. وهذا الكلام لا وجود له على الإطلاق في إنجيل مرقس.

بطرس شيطان:

وفي كلا الإنجيلين مباشرة بعد هذه القصة يقول يسوع لتلاميذه: إنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه وبدأ ينتهره، قائلاً: حاشاك يا ربُّ لا يكون لك هذا. فالتفت يسوع وقال لبطرس: **اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس** [إنجيل متّى ١٦/ ٢١ ـ ٢٣].

وفي إنجيل مرقس (٨ (٣١ ـ ٢٣): وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً **ويُرفض** من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم، **فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره، فالتفت، وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلاً: اذهبْ عنّي يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.**

وهو أمر في منتهى الغرابة حيث نجد في صفحة واحدة في كلام متتالٍ يصف يسوع بطرس بأنه الصخرة ويعطيه مفاتيح السموات والأرض، وبعد دقيقة

واحدة فقط يقوم بطرس بانتهار يسوع. فيرد عليه يسوع وينتهره أيضاً، ولا يكتفي بذلك بل يقول له: اذهبْ عنّي يا شيطان أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بالله لكن بما للناس، فأيّ كلام أشد تناقضاً من هذا الهذيان، ففي لحظة يعطيه مفاتيح السموات والأرض، وفي اللحظة الأخرى مباشرة يطرده، ويعلن أنه شيطان ومعثرة ليسوع!! وكيف تبلغ الوقاحة ببطرس أن ينتهر سيده الذي دعاه ربه؟ إنها حكايات متناقضة بعيدة عن أن يقبلها أيُّ عقل سليم أو إنسان ذي فكر غير ملوّث بالتناقضات والأساطير.

بطرس ينكر المسيح والمسيح يقول: من ينكرني قدّام الناس يُنْكَر قُدَّام الملائكة والله: جاء في إنجيل متَّى (١٠/ ٣٢/ ٣٣): «فكل من يعترف بي قُدَّام الناس، اعترف أنا أيضاً به قُدَّام أبي الذي في السموات، ولكن من يُنكرني قدام الناس أنكره أيضاً قُدَّام أبي الذي في السموات».

وفي إنجيل لوقا (١٢/ ٩، ٨): «وأقول لكم: كل من اعترف بي قُدَّام الناس يعترف به ابن الإنسان قُدَّام الملائكة. ومن أنكرني قدام الناس يُنكر قُدَّام الملائكة».

وكان أول من أنكر يسوع عند الشدَّة بطرس، فقد وردت هذه القصة في الأناجيل الثلاثة (متّى ٢٦/ ٣١ ـ ٣٥ ومرقس ١٤/ ٢٧ ـ ٣١ ولوقا ٢٢/ ٣٤) وخلاصة القصة: أن يسوع كان مجتمعاً بالحواريين قبل أن يُقبض عليه في الليلة الأخيرة، فقال للحواريين: كلكم تشكُّون فيَّ هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدَّد خراف الراعي، فأجاب بطرس: وإن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشكُّ فيك أبداً. قال له يسوع: أقول لك: إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تُنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس: ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك. ولكن التلاميذ هربوا عندما جاء الجند للقبض على يسوع، ووقع بطرس في المحظور، وأنكر يسوع ثلاث مرات: مرة عندما شهدت جارية بأن بطرس كان مع يسوع الجليلي فأنكر بطرس معرفته بيسوع. وقالت أخرى: هذا مع يسوع الناصري فقال: إني لست أعرف الرجل، وبعد قليل جاء القيام (الحرس) وقالوا لبطرس: حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تُظْهرك؟ فابتدأ بطرس حينئذٍ يلعن ويحلف (كاذباً): إني لا أعرف الرجل. وللوقت صاح الديك، فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له: إنك قبل أن يصيح الديك تُنكرني ثلاث مرات، فخرج إلى خارج وبكى بكاء مُرّاً. (متَّى ٢٦/ ٦٩ ـ ٧٥).

وهكذا نرى بطرس الذي يزعمون أنه الصخرة وأنه قد أعطي مفاتيح السموات والأرض يسميه المسيح شيطاناً ويقول له: اذهب عني يا شيطان؛ فأنت لي معثرة لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس.

ويقول عنه أيضاً: من أنكرني قُدَّام الناس أُنكره أنا أيضاً قُدَّام أبي الذي في السموات، ومن أنكرني قُدَّام الناس يُنكَر قدام الملائكة، فهذا هو بطرس الذي يزعمون أنه أقام كنيسة روما، وأن روح يسوع حلَّت فيه، ويقول عنه يسوع: إنه شيطان مطرود ملعون!!.

ويدَّعي كثير من المسيحيين وخاصة الكاثوليك أن بطرس ذهب إلى روما وبنى كنيسته هناك على أحد جبال روما، وهي الموجودة إلى اليوم في الفاتيكان.. وهو أمر ينكره الباحثون إذ كانت روما وثنية وتحارب المسيحية، ولا يمكن للإمبراطور أن يسمح بإقامة كنيسة في روما.. وكانت اجتماعات المؤمنين بيسوع سرية والمسيحيون مضطهدون، بل إنهم يقولون: إن بطرس نفسه قُتل. ورغم ذلك يزعمون أنه هو الذي بنى الكنيسة المنسوبة إليه في الفاتيكان في روما، وكان المسيح حسب زعمهم قد تَقَمَّص شخصية بطرس وصار هو أول الباباوات المعصومين ثم انتقلت هذه العصمة إلى خليفته وتسلسلت تلك العصمة في كل من يجلس على عرش البابوية.. ويتقمص فيه يسوع كما تقمص في بطرس.. وسلسلة هذا التقمص ممتدة في البابا الحالي إلى بطرس ومن بطرس إلى يسوع.

وإذا كان المسيحيون يعتقدون أن الأفخارستيا (العشاء الأخير).. وهو أن يسوع قدَّم للتلاميذ في العشاء الأخير ـ قبل أن يُقبض عليه ويُصلب ـ الخبز، وقدَّمه لهم ثم قال لهم: كُلوا.. هذا لحمي، ثم أعطاهم النبيذ فشربوا، وقال لهم: هذا دمي.. وبالتالي أصبح كل من أكل من ذلك الخبز قد أكل من لحم يسوع، وكل من شرب من النبيذ وكأنه شرب دمه، أي أنه امتزج بيسوع لحماً ودماً على الحقيقة (أنكر ذلك البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي).. وأعطيت هذه السلطة للبابا، والبابا أعطاها لجميع الكهنة، وبالتالي فإن أي شخص من العامة يتناول الخبز من الكاهن في طقس الأفخارستيا (Eucharist) فإنه يتناول لحم المسيح لأن الخبز يتحول فعلاً وحقيقة إلى لحم يسوع بواسطة الكاهن الذي يتلو مجموعة من الطقوس، وينخز الخبز بدبوس ممثلاً كيف وُخِزَ المسيحُ وعُذِّبَ. وكل من شرب من يد الكاهن شيئا من النبيذ فإنه يشرب من دم المسيح

على الحقيقة لا على المجاز، لأن الكاهن قد حوَّله فعلاً بمعجزة من يسوع المسيح بعد إجراء طقوس العشاء الرباني إلى دم لإلٰههم وربهم!!.

وهذه السلطة للكاهن إنما تعود في النهاية إلى البابا كبير الكهنة ورئيس أحبار النصارى الكاثوليك، والبابا يستمد سلطته من بطرس الصخرة أعظم تلاميذ المسيح، وبطرس استمدها مباشرة من يسوع الممجد!!.

التلاميذ الاثني عشر:

يمتدح يسوع التلاميذ الاثني عشر ويقول: إنهم سيجلسون معه يدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، ويدينون الأمم يوم يأتي مجده، وفي نفس الوقت يتحدث الإنجيل عن يهوذا الأسخريوطي الذي باع سيده لقاء ثمن بخس دراهم معدودة. وأن يهوذا سيذهب إلى الجحيم... إلخ فيُنقص من الاثني عشر واحداً، ثم إن بطرس أهم التلاميذ كما أسلفنا قال عنه المسيح يسوع: «اذهبْ عني يا شيطان أنت معثرة لي»، وقال: إنه أول من ينكره. وتروي الأناجيل كلها قصة إنكار بطرس لسيده وربه ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك كما أسلفنا.

وقد قال يسوع: (فكل من يعترف بي قُدّام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات، ولكن من يُنكرني قدام الناس أُنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات) [إنجيل متّى ١٠/ ٣٢/ ٣٣] ويقول أيضاً كما يرويه لوقا: (وأقول لكم: كلّ من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قُدّامَ الملائكة ومن أنكرني قدام الناس يُنكَر قدام الملائكة) [لوقا ١٢/ ٨، ٩].

وبطرس قد أنكره ثلاثاً وبالتالي يصبح بطرس مطروداً، ولا يجلس مع يسوع يوم الدينونة، بل هو شيطان مَرِيد مَطرود ملعون على لسان يسوع.

وكذلك العشرة الباقون من التلاميذ فَرّوا وتركوا يسوع ليواجه الآلام والتعذيب، وأنكروا سيدهم وربَّهم حسب زعمهم، وبالتالي سيُنكرهم يسوع المسيح عند أبيه وعند الملائكة. وهكذا نرى التناقض في هذه الأناجيل، فتارة يقول لهم يسوع: «الحق أقول، أنتم الذين تبعتموني في التجديد. متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» [إنجيل متّى ١٩/ ٢٨]، وتارة يقول لهم يسوع: «كلكم تشكُّون فيَّ هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية.. فأجاب بطرس وقال

له: وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً. قال له يسوع: الحق أقول لك: إنه في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تُنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس: ولو اضطررتُ أن أموت معك لا أنكرك. قال هذا أيضاً جميع التلاميذ» (متّى ٢٦/ ٣١ ـ ٣٥)، «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا (الأسخريوطي) أحد الاثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعِصِيٍّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذي أسلمه (أي يهوذا) أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبّله هو هو، أمسكوه. فللوقت تَقدَّم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدي وقَبَّلَه فقال له يسوع: يا صاحب، لماذا جئت؟، حينئذٍ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه» [متّى ٢٦/ ٤٧ ـ ٥٠].

وهكذا نرى التلاميذ الاثني عشر، وأكبرهم وهو بطرس سماه المسيح يسوع شيطاناً ومعثرة، وأنكر سيده ثلاث مرات، وكان جباناً ورعديداً، وشهد وحلف ضد سيده. والثاني يهوذا الأسخريوطي (المسؤول المالي في الجماعة) خان سيده وأسلمه لقاء ثمن بخس دراهم معدودة.

وجاء في إنجيل متّى (٢٦/ ١٤ ـ ١٦): «حينئذٍ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الأسخربوطي إلى رؤساء الكهنة، وقال: ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه». ويقولون: إن يهوذا الأسخريوطي كان مسؤولاً عن مال الجماعة، وأنه أخذ من هذا المال لنفسه، فخاف أن يفتضح فتآمر على يسوع وذهب إلى رؤساء الكهنة وقَبِلَ منهم أن يخون سيده بمبلغ زهيد من المال وهو ثلاثون من الفضة!! ثم إن يهوذا حسب قولهم اشترى بالمال ضيعة (ولعله مال الجماعة لأن ٣٠ من الفضة لا تكفي لشراء ضيعة)، ثم انتحر وبقر بطنه. خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين.

ثم إن العشرة أيضاً أنكروا يسوع وأعلنوا أنهم لم يعرفوه وهربوا منه وتفرقوا عنه لكي لا يمسكهم الجنود ومن معهم من الكهنة.

وبالتالي فإن الاثني عشر جميعاً لن يجلسوا على الكراسي بجوار يسوع يوم مجده ليحاكموا أسباط بني إسرائيل الاثني عشر بل سيُطْرَدون شَرَّ طردةٍ حسبما جاء في الأناجيل (إنجيل متّى ١٠/ ٣٢، ٣٣): ولكن من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات. وإنجيل لوقا (١٢/ ٨،٩): ومن أنكرني قدام الناس يُنكر قدام الملائكة.

أخوة يسوع وأمه:

يزعمون أن مريم العذراء ﷺ تزوجتْ يوسف النجار ولكن لم يدخل عليها ولم يمسَّها إلا بعد أن ولدت يسوع، والذي أولدها إياه الروحُ القدُس. فقد جاء في إنجيل متّى: «أما ولادة المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجِدَتْ حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلُها إذ كان باراً ولم يشأ يشهرها أراد تخليتها سراً. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً، يا يوسف بن داود، لا تَخَفْ أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره (الله معنا).. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته، ولم يعرفها (أي لم يجامعها) حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع» (متّى ١٨/١ ـ ٢٥).

ثم إن يوسف النجار بعد ولادة يسوع، أخذه وأمه إلى مصر بأمر المَلَك حتى لا يقتله الملِك هيرودوس، ثم عاد إلى الجليل وسكن في الناصرة بعد أن مات هيرودوس الذي كان يطلب نفس الصبي، فعاد بأمر المَلَك أيضاً. وعاش يوسف مع زوجته كما يعيش الأزواج، وأنجب منها يعقوب ويسّي ويهوذا وسمعان. جاء في إنجيل مرقس الإصحاح السادس أن الناس كانوا يتساءلون عن سر الحكمة التي أوتِيَها يسوع في مواعظه فقالوا: «أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويسّي ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته هاهنا عندنا؟ (لم يذكر أسماءهن)، فكانوا يعثرون. فقال لهم يسوع: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وبين بيته» (مرقس ٦/ ٣، ٤).

وفي إنجيل مرقس (٣/ ٣١ ـ ٣٥): فجاء حينئذٍ إخوته وأمه، ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه. وكان الجمع جالساً حوله فقالوا له: هوذا أمك وأخوتك خارجاً يطلبونك فأجابهم قائلاً: من أمي وإخوتي؟ ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي وإخوتي؛ لأن من يصنع شيئاً لله هو أخي وأختي وأمي.

وفي إنجيل متّى (١٢/ ٤٦ ـ ٥٠) تتكرر نفس القصة: «وفيما هو يكلم

الجموع إذا أمه وأخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه. فقال له واحد: هوذا أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي؟ ومن هم إخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي؛ لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي».

وفي إنجيل متّى ٢٧/ ٥٥ أن نساء كثيرات تبعْن يسوع من الجليل إلى حين صلبه بينهن مريم المجدلية ومريم أمه وأم أخوته يعقوب ويوسّى وكذلك أم يعقوب ويوحنا بن زبدي وهو موقف غريب من عدة نواحٍ:

أولاً: مريم العذراء عليها السلام لم تتزوج يوسف النجار. وإن ابنها آية من آيات الله، خلقه تعالى بدون أب كما خلق آدم من دون أب أو أم.

ثانياً: يسوع (عيسى) عليه السلام كان باراً بوالدته، قال تعالى عنه في القرآن: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٢]، وهم يصفونه في هذه الأناجيل بأنه كان وقحاً مع أمه ورفض أن يقابلها. فإذا لم يكن باراً بأمه فكيف يكون باراً بغيرها؟ وحاشاه من هذا السلوك الفجّ الوقح.

ثالثاً: لم يكن لعيسى أخوة لا ذكور ولا إناث، وهذه التخرصات ليس لها سند من التاريخ، وعيسى عليه السلام وُلد من مريم العذراء التي لم يكن لها زوج.

ويضطرب المسيحيون في قضية إخوة يسوع من الذكور والإناث فمنهم من يقبلها كما وردت في الأناجيل حسبما أوردناه، ومنهم من يؤول ذلك فيجعلهم أقاربه وليسوا إخوته على الحقيقة!! رغم أن النصوص واضحة في ذلك كما أن النصوص عندهم تذكر أن مريم تزوجت يوسف النجار وأنه لم يعرفها (أي لم يجامعها) طوال فترة حملها بيسوع. ومعنى ذلك أنه أتاها بعد ميلاد يسوع وأنجب منها بنين وبنات: وإن كان الإنجيل لا يتحدث كثيراً عن يوسف النجار بعد أن شَبَّ يسوع. وكلما يذكره أن يوسف النجار وأمه كانوا يبحثون عنه عندما يغيب ويجدونه وهو صبي في الهيكل ويجادل الكهنة والأحبار. ولا يأتي أي ذكر ليوسف النجار عند ظهور يسوع بدعوته، وهي فترة قصيرة من الناحية الزمنية (سنة أو سنتين على الأكثر).

جاء في دراسة المسكونية العالمية للكتاب المقدس مقدِّمات باسم المداخل

نقتطف منها ما يلي لأهميتها عن إنجيل مرقس (المدخل ص١٦٣ ـ ١٦٨):

«الإنجيل الثاني (إنجيل مرقس) هو عبارة عن سلسلة من الروايات القصيرة، خالية من الروابط، والإطار الأكثر ظهوراً للعيان يقوم على الإشارات الجغرافية، قام يسوع بنشاطه في الجليل ثم مَرَّ ببرية ثم أريحا، وصعد إلى أورشليم. أعرب الكتاب منذ كلماته الأولى عن بشارة يسوع (ابن الله، بشارة الله أو البشارة) تدل هذه الكلمة في نظر مرقس على البشرى الموجهة إلى جميع الناس فقد أتم الله في يسوع ما وعدهم به فلا بد من أن تعلن البشارة لجميع الشعوب (رغم أن يسوع يقول: ما جئتُ إلا لخراف بني إسرائيل الضالة) ولا يتردد مرقس في تكييف أقوال يسوع (أي أنه يغيرها حسبما يرى مرقس).. والبشارة هي ذلك العمل الإلٰهي بين الناس أكثر منها رسالة جاءت من عند الله!!.

«إن المواعيد الإلٰهية قد دخلت مرحلة التحقيق ببشارة يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام الذي بَشَّر بعيسى) وقد مهّد الطريق ليسوع الناصري. أما يسوع فبعد أن أشار الله إلى أنه ابنه وقهر الشيطان في البرية.. أخذ يعلن البشارة في الجليل. ومن ذلك الحين نشبت مأساة بكل معنى الكلمة، وهي مأساة ظهور المسيح ابن الله في مرحلتين مختلفتين:

«الأولى اعتراف كثير من الناس بتعليم يسوع وبأعماله المحاربة قوى الشر، ولكنه بشر وليس ابناً لله، ولهذا يبقى هذا الأمر سراً مكتوماً. وقد أغلق على التلاميذ (الحواريين) فهم رسالة يسوع إغلاقاً تاماً. ومع هذا فقد توصلوا إلى الاعتراف بلسان بطرس بأن يسوع هو المسيح، ولكنهم أمروا بالكتمان (ولم يقل بطرس ولا التلاميذ: إنه ابن الله بل قال: إنه المسيح).

«الثانية: مرحلة عذاب ابن الإنسان ولا بد له أن يجتاز الألم والموت ومن ثَمَّ القيامة من بين الأموات.. ويجابه يسوع خصومه في أورشليم، وتبلغ المأساة خاتمتها، وينكشف سر يسوع في أثناء آلامه.. ورواية الآلام هي ذروة الكتاب، وأوضحت سر المشيح (المسيح) حيث إن يسوع لم يعترف به في حياته الدنيا كما اعترف به بعد الفصح (أي بعد عيد الفصح حيث صُلِبَ ومات ودفن ثم قام من بين الأموات). ويبقى السر ملتبساً على اليهود والوثنيين.

«ويظهر يسوع مع التلاميذ في إنجيل مرقس منذ البداية. وروى مرقس دعوة يسوع لأربعة من الصيادين في الجليل ليتبعوه، من غير أن يهتم الكاتب: هل كان

ذلك الأمر محتملاً من جهة التاريخ أو الاستعداد النفسي، وكان المعلم دائماً مصحوباً بأحد التلاميذ، ولا يبقى وحده إلا في الآلام بعد هربهم منه وتخلّيهم عنه. وينتهي الكتاب بتجمع التلاميذ حول المسيح الذي قام من الأموات في الجليل حيث يجتمع بهم مرتين.

ويتحدث إنجيل مرقس عن التلاميذ وبلادتهم في عدة مراحل:

١ ـ مرحلة ظهور يسوع ودعوته للصيادين الأربعة واختبار الاثني عشر للعيش معه وللرسالة.

٢ ـ ينالون منه تعليماً خاصاً غير التعليم العام للناس والذي يشهدونه معهم. ويَحْظَون بمشاهدة معجزات مدهشة.

إرسال الاثنى عشر للتبشير ليكونوا رسلاً مكلَّفين بتغذية الجمع. وفي أثناء ذلك يكشف للتلاميذ أسراراً تفوق مداركهم فتزداد غلاظة أفهامهم، ويتم توبيخهم توبيخاً عنيفاً من قِبَلِ يسوع عند التعليم بالأمثال، وعند شفاء الأعمى.

بعد اعتراف بطرس بالمشيح، وأن يسوع هو نفسه المسيح، لم يفهم التلاميذ نبوءات يسوع عن الآلام والصلب والقيامة، ومع ذلك يشرح لهم يسوع الأمثال رغم غلاظة أفهامهم وبلادة حِسّهم. ويريد يسوع إشراكهم في مصيره، ولكنهم يَبْقَون بلا فهم. وهذا القسم يختم أيضاً بشفاء أعمى أخذ يتبع يسوع.

٥ ـ يسوع مع الجمع ومع خصومه، ومحاكمته الفصول (١١ ـ ١٦). ومع ذلك يُطْلَع يسوع التلاميذ على أهمية الإيمان والصلاة واللّجوء إليهما وقت الشدة ويشرح لهم معنى موته في انتظار ملكوت الله.

وينبئهم بارتدادهم وتنكرهم له ويحذرهم من التجربة. ولكن هربهم في جتسماني (خارج أسوار القدس في وادي سلوان)، وإنكار بطرس ليسوع ثلاث مرات يدلان على فشلهم في اتباع يسوع، وفهمهم لرسالته. ومع ذلك فإن يسوع بعد قيامته يتقدمهم إلى الجليل.

ويشدد مرقس على بلادة التلاميذ، وبطئهم في الإيمان، وتقصيرهم حتى عند ظهور يسوع بعد قيامته من الأموات. إن هناك حملة من مرقس على التلاميذ الأولين. ولم ينمُ إيمانهم بيسوع إلا بعد الفصح وبعد القيامة.

وعدم الفهم من قبل التلاميذ له قيمة مثالية لإيمان المسيحيين المعرَّض

دائماً لعدم الفهم مثل التلاميذ، فالصليب لا يزال حجر عثرة، ويقتضي الإنجيل لكي يكون معلناً ومقبولاً في حقيقته أصالة الحياة في اتباع يسوع لا الأمانة (وهي قواعد الإيمان وشهادته عند المسيحيين) فقط. **وفهم حياة يسوع وموته وقيامته أمر صعب على التلاميذ وواجه بطئاً وعسراً، فكذلك يواجه كل من يعتنق المسيحية هذه الصعوبة في فهم حياة يسوع وموته وقيامته. وله في التلاميذ (الحواريين) القدوة والمثل.**

أسلوب إنجيل مرقس: لقد أُثني على مهارته في الرواية، ولكن جُمَلَهُ غير مترابطة، وأسلوبه مضطرب، والأزمنة عنده غير واضحة... وراويته قريبة من الإنشاء الشفهي، ولا يوجد ترابط زمني، مع عدم الاكترات بشعور الأشخاص ومع ذلك فهناك صور حية لردود فعل يسوع غير المنتظرة مثل سرعة انفعاله أو غضبه أو شفقته. وأمام هذا الإنسان فجميع المواقف ممكنة، من الدهش إلى الإعجاب، ومن الحذر إلى العزم على القتل، ومن التعلق غير الواعي عند التلاميذ إلى عدم الفهم والهجر. (كيف يمكن أن نتصور أن هذه صفات عيسى عليه السلام وصفات تلاميذه الذين يصفهم بالبلادة وعدم الفهم؟!).

أصل الكتاب ومؤلفه:

أثبت بانياس مطران هبرأ بولس حوالي سنة ١٥٠م نسبة الإنجيل الثاني إلى مرقس الذي سمّاه لسان حال بطرس في رومة. وكانوا يقولون: إن الكتاب أُلِّفَ في رومة بعد وفاة بطرس. وكانوا يعتقدون أن مرقس هذا هو يوحنا مرقس المولود في أورشليم ورفيق بولس وبرنابا، ثم رفيق بطرس في (بابل) أي رومة على الأرجح (والمشكلة أن ذهاب بطرس إلى رومة لا دليل عليه، بل يعتبر عند الباحثين أسطورة اخترعها الفاتيكان) ويقولون: إنه ابن أخت برنابا وأنه بسببه انفصل برنابا عن بولس كما جاء في سفر أعمال الرسل.

ويُعتقد أن الكتاب أُلِّفَ في رومة بعد اضطهاد نيرون سنة ٦٤م، والكتاب موجَّه إلى غير اليهود في خارج فلسطين. وهو يشرح بعض العادات اليهودية للقارئ (غير اليهودي)، ويشدد على أهمية الإنجيل للوثنيين. وعلى حمل الصليب وذلك في مواجهة اضطهاد نيرون للجماعة المسيحية. ويلمّح مرقس إلى خراب الهيكل ولهذا يُعتقد أن الكتاب وضع فيما بين سنة ٦٥م و٧٠م.

ومن العسير جداً تحديد صلة الكتاب بتعليم بطرس. ولا يبرز من جماعة الاثني عشر التلاميذ سوى يعقوب ويوحنا. ولا يوجد ما يدل على الاهتمام ببطرس ولا يُكال له المديح. (وهذا دليل آخر على أن مرقس لا علاقة له بالحواري بطرس). وتبقى مراجع مرقس مجهولة إلى حدٍّ كبير، وإن هناك موروثاً شفوياً اعتمد عليه رغم أن مرقس نفسه كان مرجعاً لمتّى ولوقا. وهناك سؤال لم يَلْقَ جواباً بعد. كيف كانت خاتمة الكتاب؟ من المسلَّم به أن الخاتمة كما هي الآن (١٦/٩ ـ ٢٠) قد أُضيفتْ في فترة لاحقة لمرقس لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية ٨. ولكننا لن نعرف أبداً هل فُقدتْ خاتمة الكتاب الأصلية أم أن مرقس رأى أن الإشارة إلى تقليد التراثيات في الآية ٧ تكفي لاختتام رواية.

أهمية إنجيل مرقس: لقد اعتبرت الكنيسة أن إنجيل متّى ولوقا أهم وأفضل من إنجيل مرقس.. ولكن الأبحاث في القرنين التاسع عشر والعشرين أعادت لإنجيل مرقس أهميته. وفضل مرقس أنه دَوَّنَ الذكريات عن حياة المسيح يوم كانت حياة الكنائس المنتشرة خارج فلسطين في خطر لأنْ تفقد صلتها بينابيع الإنجيل. ونجح في أن يحفظ رواية حية لسيرة حافلة بالأحداث يعسر فهمها.. والذكريات التي تناقلتها الشفاه دهراً صيغت تلبية لحاجات الوعظ، أو التعليم المسيحي أو الرد على الخصوم، أو إجراء الطقوس الليترجية الكنسية.. بالتالي ليست تاريخاً موثقاً لأحداثٍ بعَينِها، أو رجلٍ بذاته هو يسوع المسيح. (أي أنها صِيغتْ حسب حاجات الجماعة المسيحية وتنظيراتها لا أنها كلام موحى به من الله أو حتى إنها تسجيل دقيق لحياة يسوع وأقواله، بل هي عبارة عن روايات شفهية تمثل فكر الجماعة).

المدخل لإنجيل لوقا (٢٣٣ ـ ٢٣٩):

خصائص إنجيل لوقا:

إنجيل لوقا هو الإنجيل الوحيد الذي له مقدمة مثل كثير من المؤلفات اليونانية في تلك الأيام. وقد وجه لوقا إنجيله إلى شخص يدعى ثاوفيلس. وقد وجه إليه لوقا كتابه أعمال الرسل: ففي السفر الأول (أي إنجيل لوقا) ذكر المؤلف جميع ما عمل يسوع وعلَّم. واستنتج الباحثون بل والأقدمون أن مؤلف إنجيل لوقا ومؤلف كتاب أعمال الرسل هو شخص واحد. وأثبت النقاد في عصرنا هذا الرأي استناداً إلى تجانس اللغة والتفكير في الكتابين وتناسب ما يرميان إليه، فالإنجيل يركز على صعود يسوع إلى أورشليم حيث تَمَّ سرُّ الفصح في آلآم المسيح وقيامته.. وأعمال الرُسل تروي التبشير بهذا السر من أورشليم إلى أقاصي الأرض: ففي مقدمة الإنجيل يقول لوقا: «لما أخذ كثير من الناس يدوّنون رواية الأمور التي تمت عندنا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة ـ (أي يسوع المسيح) ثم صاروا عاملين لها، رأيت أنا أيضاً أن أكتبها لك مرتبة ياثا وفيلس المكرم لتتيقن صحة ما تلقيت من تعليم».

وهكذا عرّف لوقا نفسه على طريق المؤرِّخين، كما أنه اتبع عادتهم في تلك الأيام. وجوهر قصده هو معنى الأحداث عند المؤمن بسر الفصح وحياة الكنيسة؛ ولهذا فإن لوقا يَدلف مباشرة بعد المقدمة إلى بشارة يسوع فى الجليل ثم صعوده إلى أورشليم، وبلوغ رسالته غايتها في هذه المدينة بآلآمه وقيامته. والتأليف عند لوقا بالمقارنة مع متّى ومرقس محكم بدقة ويبرز ما في ذلك التاريخ من أزمة وأمكنة.

ونرى لوقا بعد مقدمته الأولى لتاوفيلس يتحدث عن طفولة يوحنا (المعمدان) ويسوع، حيث يكون يوحنا مقدمة ومبشّراً بيسوع الذي حبُل به من الروح القدس، وأنه قدوس ابن الله، المخلص المسيح، الرب، ثم يعدد نسب

يسوع ويختلف مع متّى في عدد الآباء وأسمائهم حتى يصل به إلى داود ثم إبراهيم ثم آدم من يوسف النجار زوج مريم أمه.

ويجري القسم الأول كله في الجليل خلافاً لمتّى. وعندما يتحدث عن الصعود لأورشليم يأتي بأحداث لم تذكر في مرقس ولا متّى، رغم اشتراك الأناجيل الثلاثة في ذكر القصة، مع وجود اختلافات متعددة في التفاصيل. **والرحلة ليست سوى إطار اصطناعي مَكَّنَ لوقا من تجميع مواده ووضعها في ضوء ما تمَّ في الفصح.** وفي هذا القسم يَرجح كلام يسوع على المعجزات، وتَرجح العظة على عرض سرّ المسيح.

فالمعلم يوجه كلامه إلى إسرائيل، ومجابهته للفريسيين وعلماء الشريعة شديدة، ويدعو الشعب إلى التوبة، ويتوجه إلى التلاميذ محدداً رسالتهم وداعياً إياهم إلى الصلاة والزهد.. فقد أتت الساعة التي سيغادرهم فيها يسوع، ويجب عليهم أن يلتمسوا روح القدس، ويعترفوا بعلمهم أمام الناس، وينتظروا عودته، ويهتموا بإخوتهم في الجماعات.

وتضيف رواية لوقا زيادة عن متّى ومرقس رواية خلاص ولا سيما مثل الأمناء (١٩/ ١ ـ ٢٧)، وفي القسم الثالث (١٩/ ٢٩ ـ ٥٣) يروي لوقا حصول الخلاص في أورشليم بحدوث مأساة الصليب.. ويتقدم يسوع ليدخل أورشليم كالملك ويُثبت سلطته، بطرد الباعة من الهيكل وينتهي التعليم في الهيكل بدينونة أورشليم وعن مجيء ابن الإنسان.

وتقع الروايات عن الفصح والعشاء الأخير في أورشليم (عكس الأناجيل الأخرى التي تذكر أن ذلك حدث في الجليل). وينتهي الكتاب برواية أولى للصعود تُظهر سيادة الذي قام من بين الأموات ويكشف الإنجيل بشكل تدريجي عن سر يسوع، واطلاع بطيء من قبل التلاميذ والذين سيبشرون بهذا السر.

زمن يسوع وزمن الكنيسة:

لقد ميز لوقا بين زمن يسوع وزمن الكنيسة: فإنجيله يدل على نشاط يسوع في سبيل إسرائيل وحده، والغاية من هذا التمييز تسليط الضوء على مراحل العمل الإلٰهي في التاريخ. والخلاص حصل أولاً وآخراً في يسوع المسيح. ويظهر لوقا ما في تعليم يسوع من قاعدة حياتية يومية للتلاميذ، ويشدد على التوبة منذ البدء،

ويدعو إلى التخلي عن المال والتصدق به على الفقراء من أجل الانضمام إلى ركب يسوع الذي أعلن مجيئه في نهاية العالم.

عمل لوقا الأدبي:

لقد استعمل لوقا كثيراً من المواد المشتركة بينه وبين متّى ومرقس، ولكنه استعمل أيضاً كثيراً من المواد التي انفرد بها، كروايات الطفولة (ليسوع ويوحنا)، وبعض المعجزات، ومشاهد التوبة، وتدخلات هيرودس، والترائيات الفصحية، ومثل السامري الشفوق، والغني الغبي، والتينة العقيمة، والغني ولعازر، والقاضي الظالم، والفريسي والعشار.

ورغم وجود بعض التشابه بين إنجيل لوقا ويوحنا إلا أنه من العسير تفسير وجوه الشبه هذه بصلات أدبية بين الإنجيلين ولا بد من اللجوء إلى صلات تعود إلى تقليد سابق للأناجيل.

ولوقا كتب بلغة يونانية أفضل من إنجيل متّى أو إنجيل مرقس، ومع ذلك فهو يكثر من العبارات السامية في نصوص ينفرد بها، وخاصة ما ورد على لسان يسوع من أقوال، وهو يأخذ كثيراً من عبارات العهد القديم اليوناني، ولا سيما في رواية طفولة يسوع وطفولة يوحنا المعمدان.

أصل الإنجيل الثالث ومن هو لوقا؟:

لا يمكن الجزم في أصل هذا الإنجيل دون البحث في ما ورد في كتاب أعمال الرسل الذي يرتبط به ارتباطاً وثيقاً.

يبدو أن لوقا عاصر حصار أوشليم وخرابها عام ٧٠م بواسطة طيطس. وأنه كتب إنجيله بعد هذه الأحداث ما بين عام ٨٠م وعام ٩٠م، ووجهه إلى تاوفيلس وهو مسيحي وثني الأصل، يوناني الثقافة، ولذا لا يهتم لوقا بالمجادلات في الشريعة (على عكس متّى)، واهتمامه يتركز على الوثنيين وتشديده على الذي قام من بين الأموات.

والمؤلف نفسه ينتمي إلى العالم الهلنستي (عالم اليونان خارج أراضي اليونان) ولا يعرف جغرافية فلسطين ولا عاداتها.

وهناك تقليد يزعم أن لوقا هو لوقا الطبيب الذي صحب بولس، وذكره

بولس في رسالته إلى أهل كولسي. ولكن لا يوجد في الإنجيل ما يدل على هذه الصلة سوى بعض الألفاظ الموهمة.

وبالتالي يعتبر شخص لوقا مجهولاً مثل مؤلّفي الأناجيل الآخرين:

ويبدو أن لوقا هو ذاته مؤلف كتاب (أعمال الرسل) الذي أوضح فيه سيرة تلاميذ يسوع إلى حد ما، وركّز على بولس الذي عمل معه لوقا وتتلمذ على يديه. ويسميه بولس: لوقا الطبيب، وإن كان بعض الباحثين يزعم أن الذي كتب (أعمال الرُسل) غير الذي كتب إنجيل لوقا.

واختلف الباحثون في لوقا اختلافاً شديداً فمنهم من جعله رومانياً نشأ في إيطاليا، ومنهم من جعله من سكّان آسيا الصغرى (تركيا) حالياً، ومنهم من قال غير ذلك ولكنهم متفقون على ثقافته اليونانية، وعلى أنه كان وثنياً ثم آمن، ولم يكن قطّ من اليهود ولا له علم واسع بعقائدهم.

وأما عمله: فمنهم من قال عنه: إنه طبيب، واستند في ذلك إلى ما ورد عن بولس في أعمال الرسل الذي سمّاه طبيباً، بينما يجعله آخرون مصوراً.. أو غير ذلك.

والخلاصة: أن شخصية لوقا مِثْلُها مثل بقية الشخصيات التي تنسب لها الأناجيل شخصية مجهولة.

المسكونية المدخل إنجيل يوحنا (يوحنا ٣٤٩م ـ ٣٥٧م):

خصائص إنجيل يوحنا:

لا شك أن يوحنا أراد أن يؤلف إنجيلاً بكل معنى الكلمة، فبعد الاستهلال بفاتحة لاهوتية مع جانب كبير من الفخامة يروي أحداثاً وتعاليم مترابطة في القسم الأول. أما القسم الثاني فهو رواية منفصلة لأحداث الآلام وترائيات المسيح الذي قام من بين الأموات. ويقول: إنه يوجه كلامه من أجل أن يتعمق المؤمنون بيسوع مسيحاً وابناً لله فينمو إيمانهم باتحادهم بالله. وهذا ما جعله يواجه مختلف ما كان يعتبره انحرافات تتهدّد المسيحية في أيامه (حيث أعلن كثيرون أن المسيح بشر وأنه رسول الله وأنه ليس ابناً لِلّهِ).

نسق الإنجيل: لا نرى بجلاء ما هي القواعد التي بموجِبها رُتبت تلك

الأحداث التي أحاطت بحياة يسوع وموته وقيامته. ومن الباحثين من يرى أن بعض الأقسام نُقلت من مكان إلى آخر، ويبدو من المستحسن أن ننقل الفصل الخامس إلى السابع فيما بين الفقرات ١٦ و١٧، ففي ذلك ترتيب جغرافي، أي أن الإقامة في الجليل يليها نشاط طويل في أورشليم.

وليس هناك ما يؤكد أن يوحنا وضع مؤلفه على وجه تام (أي أن هناك إضافات إلى الكتاب بعد عهد يوحنا) ولم يرتب الإنجيل سلسلة الأحداث ترتيباً دقيقاً، لا جغرافياً ولا تاريخياً.

علاقته بالأناجيل الإزائية (المتشابهة وهي: متّى ومرقص ولوقا):

هناك فوارق جغرافية وزمنية بين إنجيل يوحنا والأناجيل الإزائية: فبينما توحي الأناجيل الإزائية: بمدة طويلة في الجليل تليها مسيرة إلى اليهودية، وتنتهي بإقامة قصيرة في أورشليم، نرى في إنجيل يوحنا نقلات متواترة ليسوع من منطقة إلى أخرى ويجعل الإقامة في اليهودية، وفي أورشليم طويلة، وهو يذكر عدة احتفالات بعيد الفصح تصل إلى السنتين.

وتظهر الفوارق في أسلوب التأليف والإنشاء فبينما تنطوي الأناجيل الإزائية على أجزاء قصيرة أو رواية معجزة، يقتصر إنجيل يوحنا على مختارات من الأحداث توضح في صورة أحاديث أو خطب هدفه وغايته، ورغم أنه يذكر كثيراً من الأحداث الموجودة في الأناجيل الإزائية مثل نشاط يوحنا المعمدان واعتماد يسوع في الأردن ودعوة التلاميذ الأولين وشفاء المقعد والأعمى وتكثير الأرغفة، ولكن لا وجود لبعض المواد الموجودة في الأناجيل الإزائية مثل التجربة في البرية (تجربة الشيطان ليسوع)، والتجلّي وتقديس الخبز والخمر، والنزاع في بستان الزيتون، وكثير من المعجزات.

ويفضل يوحنا الكلام عن مجد الله الآتي والحديث عن النور والظلمات. وفيه أحداث لم توجد في الأناجيل الإزائية كآية قانا الجليل، والحوار مع السامرية، وإقامة لعازر من القبر ونتائجها، وغسل أقدام التلاميذ وروايات الآلام والقيامة، وطول الخطب والمحادثات.

يقول عدد من علماء الأناجيل: إن يوحنا كان يجهل وجود الأناجيل الإزائية، ولم يعرف سوى بعض التقاليد الشفوية المروية عن يسوع، بينما يرى

آخرون أنه اطلع على إنجيل لوقا خصوصاً، وربما أيضاً إنجيل مرقس.. ويوحنا يركز على أحداث الخلاص والقيامة والفصح والمعاني العميقة.

يعتقد بعض علماء النقد للتراث المسيحي أن هناك مصدراً آرامياً اعتمد عليه يوحنا، لأنه يستعمل بعض العبارات الآرامية في مؤلف يوناني بحت. ولا شك أن هذا الإنجيل قد وضع مباشرة باللغة اليونانية من قبل شخص يجيد هذه اللغة، ويستطيع التعبير بها عن آرائه بأسلوب أدبي، ولكننا لا نعرف المراجع الخاصة التي رجع إليها في كتابة سفره، وخاصة في رواية الأحداث والمعجزات والعبارات الطقسية والمواعظ.

ومن الواضح تأثُّر إنجيل يوحنا بالبيئة الفكرية المحيطة به وهي تتمثل في الآتي:

١ ـ **الثقافة اليونانية**: ويتميز إنجيل يوحنا عن الأناجيل الإزائية بوجود شبه بينه وبين الفكر والثقافة اليونانية. واستعمل بصورة خاصة لفظ لوجوس (Logos) أي الكلمة أو العقل الفعّال الذي خلقه الله، ومنه خلق كل الأشياء. وكان فيلون الإسكندري الفيلسوف اليهودي الهلنستي قد استخدم هذا اللفظ وجعله مرادفاً للتوراة، فالتوراة أو اللوجوس أو الكلمة هي أساس الكون، وأول الأنوار التي خلقها الله (الآب)، ومن ثَمَّ خلق العالم في تسلسل كما عبر عنه الفكر الأفلاطوني وبالذات الفكر الأفلوطيني (نسبة إلى أفلوطين) الذي جاء بعد أفلاطون ببضعة قرون.. وجعل مراحل الخلق متتالية عبر اللوجوس.

ولكننا لا نرى عند يوحنا سُلَّماً للمعرفة يصعد من العلوم والتفكير الفلسفي إلى مشاهدة الكائن الإلٰهي، فالمهم عنده هو معرفة الابن المتجسد في الإيمان. واللوجس عند يوحنا ليس هو الخليقة الوسيطة بين الله والكون، بل الابن السابق الوجود، المشترك في عمل الأب اشتراكاً تاماً، رغم أن الخلق تمَّ بواسطته!!. (فهو ليس مخلوقاً للأب كما في فلسفة أفلوطين وفيلون الإسكندري عن الكلمة (لوجوس)، بل إن يسوع عند يوحنا قديم مثل الأب، ولكن الأب خَلق الأكوان بواسطته، فالكلمة هي الله، والله هو الكلمة، والكلمة عند الله، ويصبح الأمر صعباً جداً على فهم أي إنسان).

٢ ـ **المؤثرات اليهودية**: التأثر بالعهد القديم ووجود بعض العبارات

السامية؛ مما أدى ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بوجود أصل آرامي يرجع إليه يوحنا، وهو يستخدم تعبيرات العهد القديم المتصلة بالحكمة، ويبعد بعداً تاماً عن تلك المتصلة بالشرائع والأحكام. ويوحنا بعيد جداً عن التمسك بالشرعية والطقسية اليهودية، ويوضح الفوارق الشديدة التي تفصل اليهودية عن المسيحية.

أما وثائق قمران المكتشفة عام ١٩٤٨م فإنها توضح اهتمام هذه الجماعة بالنور والظلمة، وأصحاب الحق وأتباع الباطل، والصدق والكذب، والأهمية الكبرى للمعلم أو الهادي القائد المنتظر لتلك الجماعة. ولكن يوحنا بعيد عن تمسك جماعة قمران بشدة بالشريعة، كما أن انتظارهم لمعلم البِرّ أو معلم الحقّ البشري يختلف عن قيامه يسوع وجلوسه على يمين الأب، وتسلمه السلطة العالمية وظهور مجده كما يتصورها يوحنا.

٣ ـ **الغنوصية** (Gnostics) أو مذهب العرفانية.. ووصول المعرفة عن طريق الإلهام والاستبطان. لقد كانت التيارات الغنوصية المسيحية قوية جداً خاصة منذ بداية القرن الثاني بعد الميلاد، وقد أثّرت في كثير من المسيحيين، وأوجدتْ فرقاً خاصة بالمسيحية أظهرها فرقة **مرقيون** الذي رفض العهد القديم رفضاً تاماً وركّز على وجوب الالتفات إلى الكتابات المسيحية والطقوس الكنسية والتي عرفت فيما بعد باسم العهد الجديد.

ولا شك أن يوحنا قد تأثر بكلٍّ هذه التيارات الفكرية من هلينستية (فيلونية) وفكرة اللوجوس التي توسع فيها واستبدلها إلى حد ما بالابن الذي هو أيضاً قديم، وجزء من الأب، وليس مخلوقاً منه مع استخدامه للفكر اليهودي وخاصة ما كان لدى جماعة قمران بالإضافة إلى الأفكار الغنوصية. وصاغ منها جميعاً عقيدة جديدة تمثّلت في إنجيل يوحنا الفريد مع استخدامه لرسائل بولس وتقليد أفسس، والطقوس الليتورجية الكنسية.

تأريخ الإنجيل الرابع ومؤلفه:

لقد روى يوحنا أحداثاً عرفها التقليد المسيحي، ولكن أتى أيضاً بموادَّ فريدة، وأفكار ومعتقدات جديدة.

ورغم أن يوحّنا لم يشهد الأحداث التي كانت في زمن يسوع ولا نقلها عن أحد حواريي (تلاميذ) يسوع مباشرة إلا أنه نقل تلك الأحداث المروية في التقليد

الشفوي مع تفسيره لها بصورة فريدة وخاصة به، ولم يسبقه إليها أي من الأناجيل السابقة: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله. . وكان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان، و«إن الكلمة صار بشراً وسكن بيننا حتى إننا رأينا مجده». فهو لا يتحدث فقط عن أحداث مولد وحياة وموت يسوع بل يفسر ذلك منذ البدء تفسيراً خاصاً فريداً، يستخدم فيه التأثيرات الهلنستية عن اللوجوس ويطورها لا بطريقة فلسفية، بل بمحض الشهود والإيمان المباشر بيسوع ابن الله وكلمة الله. (ولذا لا تصمد أمام أي تفكير منطقي أو فلسفي أو حتى تفكير عادي. ولا بد من الإيمان بها هكذا دون تفكير، أي دع عقلك واتبعني).

كان القدماء يظنون أن يوحنا هو ابن زبدي تلميذ يسوع، ولكن زبدي رجل شبه أمي ولا يعرف اليونانية وإنسان بسيط. . ويوحنا كاتب الإنجيل، لا علاقة له بتلميذ المسيح يوحنا بن زبدي، وهو رجل يوناني مثقف بثقافة يونانية وعلى إطلاع على العهد القديم، وإن كان ينفر تماماً من الشريعة الموجودة فيه!!.

ولا يوضّح إنجيل يوحنا تاريخ كتابة الإنجيل، كما أنه لا يوضّح لنا شيئاً مباشراً عن المؤلف نفسه. ولكن بعض القدماء أنفسهم كانوا يميزون بين يوحنا القديم ابن زبدي تلميذ يسوع وبين يوحنا كاتب الإنجيل، والذي يطلق عليه أحياناً اسم يوحنا الرسول أو يوحنا الإنجيلي.

ولهذا فإنّ النقاد منذ القرن التاسع عشر الميلادي كانوا ينظرون إلى صاحب الإنجيل الرابع نظرتهم إلى اللاهوتي الذي حقق في أواسط القرن الثاني نوعاً من التوفيق بن التيارات البطرسية والتيارات البولسية. ولا شك أن رد الفعل عند البيئات الكنسية كان شديداً في أول الأمر؛ لأنهم كانوا يربطون بين هوية المؤلف، وقدرته على الشهادة وكادوا يجعلون من نسبة النص إلى يوحنا الرسول نفسه مسألة إيمان، أما اليوم فقد تعلمنا أن نحسن التمييز بين المسائل.

نُشر جزء يسير من الإنجيل الرابع عثر عليه في مصر، ويرقى تاريخه إلى السنوات ١١٠م ـ ١٣٠م ويُعتقد أن كاتبه من أفسس (بآسيا الصغرى في شمال غرب تركيا اليوم) وهو هلينستي. وبالتالي يعتقد أن إنجيل يوحنا كتب أوائل القرن الثاني للميلاد من قبل شخص مجهول يدعى يوحنا وأغلب الظن أنه من أفسس، ولا علاقة له مباشرة بيوحنا بن زبدي تلميذ يسوع كما كان القدماء يظنون.

من أخطاء الأناجيل:

نبوات الإنجيل بنهاية العالم وعودة يسوع في حياة التلاميذ:

كان تلاميذ المسيح وأتباعهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن يسوع المسيح المجيد سيعود إلى مملكته الأبدية بعد أن جلس على يمين الرب، وسينزل ليحاسِب كل أعداء المسيح ويرميهم في جهنم.. وأن تلك العودة ستكون سريعة جداً قبل أن تنتهي حياة ذلك الجيل، ففي إنجيل متّى (١٦/ ٢٧/ ٢٨): «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه معه ملائكته وحينئذٍ يجازي كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم: إن من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته». وهو كلام صريح بأن قوماً ممن كان مع يسوع سيشاهد عودة المسيح الأخيرة ليحاكم العالم، ويأتي ابن الإنسان في مجده.

وقال لهم يسوع أيضاً كما رواه متّى (٢٤/ ٢٩ ـ ٣٥): «وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر ليعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع، وحينئذٍ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء.. ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير...

الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول».

وفي إنجيل مرقس (١٣/ ٢٤ ـ ٣١) يقول لهم يسوع: «وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السماء تتزعزع، وحينئذٍ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد.. فيرسل حينئذٍ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصى الأرض إلى أقصى السماء... **الحق أقول لكم: لا يمضي هذ الجيل حتى يكون هذا كله**. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول».

وفي إنجيل لوقا ٢١/ ٢٥ ـ ٣٢ يتكرر نفس الكلام حول الظواهر الكونية والشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تنكدر.. ثم يقول: «الحق أقول لكم: إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل» أي ما قلته لكم من نهاية العالم «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول».

وها قد مضت ألفا عام، ومئات الأجيال، ولم تقم القيامة ولم يظهر المسيح بعد في مجده، ولا شك أن القيامة ستحدث، ولكن تحديدها في الجيل الذي رأى المسيح وعاش معه أمر غير صحيح وأثبتَ الزمن بطلانه.

أخطاء في الاستشهاد بالعهد القديم:

وتبدو في الأناجيل أخطاء أخرى أثناء الاستشهاد بأسفار العهد القديم والمزامير وقد أفاض في ذلك دارسو الأناجيل. وإن كثيراً من النبوءات بمقدم المسيح كانت تتحدث عن ابن الإنسان وعبد الله. وتتحدث عن المسيا من نسل داود الذي سيكون له ملك في الدنيا، ويعتقد اليهود أن المسيا لم يَأتِ بعدُ وأن يسوع الناصري كاذب مدعٍ، وأنه مجدف، وخارج عن الدين، ولذا حكم عليه السنهدرين بالإعدام.

ولا شك أن المؤمنين الأوائل الذين عاصروا يسوع كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله، ولم يكونوا يؤمنون بأنه إله، أو ابن إله، وأن عقيدة الفداء والصليب والتثليث، كلها جاءت في مراحل لاحقة، بدأها بولس وازدادت تطوراً لدى آباء الكنيسة على مدى أجيال عديدة، وأدت إلى وجود مئات الفرق المختلفة ومئات الأناجيل التي لم يقبل منها في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م إلا أربعة، ورسائل بولس، وسفر أعمال الرُسل للوقا، وبعض الرسائل الأخرى.

قصة الصلب وتناقضاتها في الأناجيل:

وتتناقض الأناجيل في ذكر قصة الصلب في تفاصيلها ابتداءً من مسح جسد المسيح بالطيب، فقد قامت امرأة بمسح جسد المسيح ورأسه بطيب ناردين خالص كثير الثمن. ويقول مرقص: إن ذلك كان قبل أيام عيد الفصح بيومين، بينما يذكرها يوحنا بأنها قد حدثت قبل ذلك، بينما يجعلها لوقا في أثناء حياة المسيح وبعيدة جداً من الفصح، وما حدث فيه من صلب يسوع حسب زعمهم. كما أن مرقس يقول: إنها حدثت في منزل سمعان الأبرص، بينما يقول يوحنا: إنها حدثت في بيت مريم ومرثا ولعازر. والمرأة التي مسحته قيل: إنها امرأة خاطئة (لوقا)، ومجهولة في مرقس ومتّى، ومريم أخت لعازر الذي أحياه المسيح من الأموات في إنجيل يوحنا.

وتختلف قصة خيانة يهوذا وتفاصيلها من إنجيل لآخر. وقصة العشاء الأخير كذلك تختلف من بداية إعداد العشاء وطريقة الإعداد، ومكان الإعداد، وتوقيت

العشاء الأخير، هل هو قبل القبض على يسوع وصلبه، أم بعد القبض عليه وصلبه، ودفنه، وقيامته من الأموات؟ فمتّى ولوقا ومرقس يروون أن ذلك حدث قبل القبض على يسوع وصلبه، بينما يرى يوحنا أن العشاء الأخير كان بعد الصلب والقيامة من الموت. ويختلفون في يوم الصلب، هل حدث يوم الخميس أو الجمعة؟ ويقول لوقا: «ولما كانت الساعة، اتكأ يسوع والاثنا عشر رسولاً معه، وقال: شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم...» وأخذ خبزاً وشكر وأعطاهم قائلاً: «هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» لوقا (٢٢/ ١٤ ـ ٢٠). ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلم المسيح لأعدائه بثلاثين من الفضة يقال: إن الشيطان دخله قبل العشاء حسب رواية لوقا (٢٢/ ٣)، وبعد العشاء عندما غمس يسوع اللقمة وأعطاه إياها، أو الذي غمس معه في الصحفة مثلما جاء في مرقس ويوحنا. ويقول الإنجيل: إن التلاميذ شكّوا في يسوع كما جاء في مرقس: «وقال لهم يسوع: إن كلكم تشكّون فيّ هذه الليلة..» ولكن بطرس كما سبق أن أشرنا قال: إنه لا يشك، وإنه مستعد أن يموت معه ولكنه كان أول من أنكره وزعم أنه لا يعرفه.. وهكذا يرتد التلاميذ ويرفضون يسوع ويفرّون منه بعد أن أكلوا معه العشاء الأخير وأعطوه مواثيقهم بأن يثبتوا معه.

ويصف الإنجيل أن المسيح كان مكتئباً جداً ومضطرباً جداً ليلة الصلب: يقول مرقس (١٤/ ٣٢ ـ ٤٢): «وجاؤوا إلى ضيعة اسمها جشيماني (أي الجمجمة) فقال لتلاميذه: اجلسوا هنا حتى أصلي.. ثم أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا، وابتدأ يدهش ويكتئب وقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا.. وقال: يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجِزْ عني هذه الكأس.. ثم جاء فوجدهم نياماً فقال لبطرس: يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة.؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف.. ثم رجع فوجدهم أيضاً نياماً». وأما إنجيل متّى فيقول: «حينئذٍ تركه التلاميذ وهربوا»!!.. وأما لوقا فيقول: «وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون (في القدس) وتبعه أيضاً تلاميذه، ولما صار إلى المكان قال لهم: صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة. وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه

وصلّى قائلاً: يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنّي هذا الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه. وإذ كان في جهاد يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً» لوقا (٢٢/ ٣٩ ـ ٤٦).

ويقول جورج كيرد في كتابه عن إنجيل لوقا[١]:

«حسب رواية مرقس نجد أن يسوع بدأ يكتنفه الفزع والذهول وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها.. وقضى الليل في تشنُّجات متتالية من صلاة المكروب، لكن رواية لوقا تعطينا انطباعاً أقوى عن حالة الاضطراب التي حلت بيسوع، وأن عرقه صار مثل قطرات الدم.. وعندما نتذكر الشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان، بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يسوع يرجو الله في صلاته، أن يجيزها عنه. إن صلاة يسوع تُرينا أن عذاب الشك كان أحد مصادر محنته المعقدة فكم تنبّأ بآلامه لكنه عشية حدوثها نجده ينكص على عقبيه!! إن تحذير يسوع لتلاميذه من خطر التجربة يكشف لنا شعوره بأنه شخصياً وتلاميذه قد أحاطت بهم سلطات الظلمات الروحية التي جاهدها في مستهل دعوته. ولقد كان من بواعث محنته، ما شعر به من أن جهاده وما كان يمثل من طهر وكمال، يتعرض آنذاك بصورة مروعة لعملية اغتصاب نهائي على يد سلطات الظلمة».

وهو كلام شديد عن يسوع لا نقبله، ولكنه يوضح التناقضات في الإنجيل. وهناك عشرات التفاصيل المتناقضة في قضية القبض على يسوع. والغريب أن الكهنة لم يعرفوا يسوع مع أنه كل يوم معهم في الهيكل وفي الطرقات، ويعرفونه معرفة تامة. وأنهم احتاجوا ليهوذا الإسخريوطي ليدلهم عليه عندما أقبل، وقبّل يسوع، وكان اتفق معهم بأن الشخص الذي يُقبّله هو يسوع.

وقد تشكك كثير من الباحثين المسيحيين في صحة هذه التفاصيل؛ إذ تختلف الأناجيل في قصة القبض على يسوع أيضاً: فالتلاميذ هربوا من يسوع في رواية، وفي رواية بقوا معه، بل إن أحدهم استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة،

---

(١) G.Caird: Saint Luke, Penguin Books, 1963, P247.

فقطع أذنه، مما يدل على مقاومة رفضها يسوع نفسه. وهرب شاب عرياناً في رواية، وفي رواية هرب الجميع.. وفي أخرى يقول لهم يسوع: إنه لو أراد لطلب من الله أن يأتيه باثني عشر جيشاً من الملائكة ليدافعوا عنه لجاءت جيوش الملائكة، وتختلف التفاصيل من إنجيل إلى آخر ولكن أشدها اختلافاً يوحنا.

وتذكر بعض الأناجيل أن القُبلة من يهوذا كانت الوسيلة الوحيدة للتعرف على يسوع، بينما تروي أناجيل أخرى أن يسوع أظهر نفسه لهم متحدياً، وأنه قد حدثت حادثة أذهلتْ أفراد القوة وجعلتهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون إلى الأرض مغشياً عليهم. ثم أفاقوا، وألقوا القبض على يسوع.

والحق أن تلك اللحظة التي أصابت القوة ومن معهم هي التي رفع فيها يسوع إلى السماء حياً دون أن يُمَسَّ بأي أذى. وأن الشبه قد ألقي على يهوذا الإسخريوطي فأخذوه عندما أفاقوا.. وهذا ما يفسر جبن يهوذا وصياحه، وكثرة بكائه وتوسله. ويؤكد ذلك ما جاء في المزمور ٩١ الذي يستشهدون به كثيراً ففيه. «لأنك قلت: يا رب ملجأي، جعلت العلى مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربة من خيمتك؛ لأنه يوصي ملائكة بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي يحملونك لئلا تصطدم بحجر رجلك. أرفعه لأنه عرف اسمى، يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجّده، من طول الأيام أشبعه، وأريه خلاصي» (المزمور ١٦/٩١) ويصف هذا المزمور أن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها في تلك اللحظة التي زاغت فيها قلوب الحواريين، وهجمت فيها قوى الشر على المسيح عيسى ابن مريم ﷺ لتصلبه، ولكن الله رفعه وكرمه وأنقذه منهم.

محاكمة يسوع:

واختلفت الأناجيل في موضوع محاكمة يسوع، ففي إنجيل مرقس أنهم أخذوا يسوع إلى رئيس الكهنة وأخذ يحقق معه والمسيح لا يجيب، ثم قال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. سوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء، فمزّق رئيس الكهنة ثياب الله. وقال: ما حاجتنا بعد إلى الشهود؟ قد سمعتم التجاديف، وما رأيكم؟ فالجمع حكموا عليه أنه مستوجب الموت. فابتدأ القوم يبصقون عليه، ويغطون وجهه

ويلكمونه ويقولون: تنبأ. وكان الخدام يلطمونه. (مرقس ١٤/ ٥٣ ـ ٦٥). وهكذا تمت المحاكمة حسب إنجيل مرقس ومتّى في الليل، أما إنجيل لوقا فيقول: إن رؤساء الكهنة ومشيخة الشعب اجتمعوا بالنهار لمحاكمة يسوع.

ويسأل **نينهام**[١]. في كتابة عن مرقص: إذا كان يسوع قد أدين بسبب التجديف كما يقرر الإنجيل، فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب وذلك برجمه حتى الموت حسبما يقرر سفر اللاوابين (من التوراة). وتختلف القصة في إنجيل يوحنا حيث يذهبون بيسوع أولاً إلى حنان قريب رئيس الكهنة وحميه، كما تختلف تفاصيل المحاكمة والأسئلة.

وكذلك تختلف تفاصيل قصة إنكار بطرس (سمعان بن يونا) لسيده يسوع من إنجيل إلى آخر. يقول نينهام: إن قصة إنكار بطرس ليسوع تثير عدداً من المشاكل.. ويرى بولتمان أنها أسطورية.

وتأتي المحاكمة الثانية ليسوع أمام بيلاطس الحاكم النبطي من قبل الرومان. ومن الواضح أن بيلاطس يرى براءة يسوع من التهم الموجهة إليه. ولكن الكهنة والشعب كانوا كلهم يصرخون: اصْلبْه اصْلبْه. فأسلمه لهم بعد ما قال اليهود: دَمُه علينا وعلى أولادنا من بعدنا. وقال لهم: دم هذا البار عليكم. وتختلف أيضاً تفاصيل المحاكمة الثانية أمام بيلاطس من إنجيل لآخر؛ ففي متّى: «أرسلت زوجة بيلاطس لزوجها قائلة: إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله (متّى ١٩/ ٢٧)، بينما لا تروي الأناجيل الأخرى هذه القصة. وفي لوقا تتم محاكمة يسوع عند بيلاطس على مرحلتين، بينما هي في الأناجيل الأخرى في مرحلة واحدة. ويقولون أيضاً: إن هناك محاكمة ثالثة أمام الملك هيرودوس ملك الجليل، حيث جاء في إنجيل لوقا: «فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل: هل الرجل جليلي فلما أجابوه بالإيجاب أرسله إلى هيرودوس.. ولما مثل أمام هيرودوس احتقر يسوع واستهزأ به وألبسه لبساً لامعاً وردّه إلى بيلاطس» (لوقا ٢٣/ ٥ ـ ١١).

ويقول جورج كيرد في كتاب (القديس لوقا)[٢]:

---

(١) B.E.Nincham: Saint Mark, Penguin Books, 1963, P398-403.

(٢) G.Caird: Saint Luke, Penguin Books, 1963, P247.

«إن المحاكمة أمام هيرودوس لم تذكر في إنجيل آخر غير إنجيل لوقا ويتساءل بعض العلماء عما إذا كان هناك وقت كاف بين طلوع النهار، والتاسعة صباحاً، ويسمح بحدوث المرات الكثيرة من المجيء والرواح.

«وهناك عشرات بل مئات الاختلافات الصغيرة والكبيرة في قصة المحاكمة وقصة الصلب مما يشكك في مصداقية هذه الأناجيل. ويقول لوقا: «وكان واحد من المذنَبين المعلَّقين (اللصَّين اللذين صلبا معه) يجدّف عليه قائلاً: إن كنت أنت المسيح فخلِّص نفسك وإيانا فأجابه الآخر وانتهره.. ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس». لوقا (٢٣/ ٣٩ ـ ٤٣)، بينما نرى الأناجيل الأخرى تقرر أن اللصين كانا يُعيِّرانه ويستهزئان به (متّى ومرقس). واختلفوا أيضاً في وقت الصلب (الساعة الثالثة، الساعة السادسة.. إلخ) وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم «ألوي لِمَ شبقتني؟» (مرقس ١٥/ ٣٢ ـ ٣٤)، أي إلٰهي إلٰهي لماذا تركتني!!.

وتختلف الأناجيل في التفاصيل فيما حدث بعد الصلب وقصة كسوف الشمس وانشقاق حجاب الهيكل.. ويقول كيرد: إن حدوث كسوف للشمس (حسب رواية لوقا)، بينما يكون القمر بدراً، كما كان وقت الصلب، إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث. كيرد في كتاب (القديس لوقا) ص٢٥٣.

وأما متّى فقد ذكر حدوث الزلزلة بعد الصلب، وفتح القبور، وقيامة القديسين من الأموات وظهورهم للكثير فى أورشليم وبعد قيامة المسيح كما يقول فينتون(١)، إنما هو نوع من الأساطير.

وتستمر التناقضات بين الصلب والدفن، ثم القيامة، وهي جليّة لكل من يقرأ هذه الأناجيل. يقول فتنون: «إن مرقس ومتّى ولوقا يخبروننا أن شهود الصلب كن نساء تبعْن يسوع من الجليل إلى أورشليم. وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خالياً صباح الأحد وقابلن يسوع بعد قيامته». ومرة يذكرون والدته مع النساء ومرة ينفون وجودها، وكذلك إخوته.

تنبؤ المسيح بآلامه:

«مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويرذل» (مرقس ٩/ ١١ ـ ١٣)،

---

(١) Fenton Saint Mathew, P445, 446.

«كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم» (متّى ١٧/ ١٠/ ١٣). «قال للتلاميذ: ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون. ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل» (لوقا ١٧/ ٢٢ ـ ٢٥). وفي إنجيل (متّى ٢٠/ ١٨ ـ ١٩) يتنبأ المسيح أيضاً بموته: **«ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم كي يهزؤوا به ويجلدوه ويصلبوه»**.

وإنجيل متّى هو الوحيد الذي ذكر التنبؤ بالصلب، ولكن الباحثين المعاصرين من علماء المسيحية يقولون: إن هذه التنبؤات أُضيفت كلها بعد رفع المسيح. يقول تشارلز دود[1]: «لقد سُجِّلت أقوال: بأن يسوع تنبأ بأن الآلام تنتظره هو وتابعيه، وغالباً ما استحسن ذلك الاعتقاد في أن الإنذار بموته، إنما هو تنبؤ خرج من واقع الأحداث بعد وقوعها».

«وما من شك في أنه يمكن قبول الرأي الذي يقول: أن التنبؤات في الأناجيل ليست أكثر من انعكاس لتجارب الكنيسة الأولى التي تكوَّنت فيها تعاليم المسيحية، ومن المؤكد أن بعضاً من هذه التنبؤات ـ على الأقل ـ قد لَوَّنَتْها تلك التجارب.. وفضلاً عن هذا تظهر بعض الآثار لتنبؤات نسبت ليسوع ولم تتحقق».

شهادة يسوع:

«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلٰه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجَّدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» يوحنا (١٧/ ٣ ـ ٤). ويقول لهم يسوع المسيح عن الله ﷻ: «أريد رحمة لا ذبيحة» فالله ﷻ لا يريد ذبيحة ولا يقدم ابنه ذبيحة، ولكن يريد من البشر أن يتراحموا. **«الراحمون يرحمهم الرحمٰن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** ولا يريد منهم كذلك كثرة ذبائح ومَحْرَقات كما تزعم أسفار التوراة بل يريد منهم الرحمة والبر وتفقّدَ المسكين والغريب واليتيم. وأما عقيدة الصلب والفداء فهي عقيدة وثنية، نقلها بولس وتوسع فيها بعد ذلك آباء الكنيسة، ووجدت مقاومة من الموجودين أتباع المسيح أول الأمر. ولكن تم إقصاؤهم، ثم إبادتهم

---

(١) C.H.Dood: The Parables Of Kingdom. Fontana Books, 1964 P41-47.

بعد ذلك حتى لم يبقَ لهم قول يُسمَع. وسيأتي تفصيل عقيدة بولس والعقائد الوثنية في المسيحية في فصل خاص.

اختلاف المسيحيين الأوائل في حادثة الصلب:

يقول مرقس (١٥/ ٢٠ ـ ٢٥) عن المصلوب: «بعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه، ثم خرجوا به ليصلبوه فسخّروا رجلاً مجتازاً كان آ تياً من الحقل وهو سمعان القيرواني أبو ألكسندروس وروفس ليحمل صليبه.. وكانت الساعة الثالثة فصلبوه».

ويقول نينهام[1] في كتابه عن إنجيل مرقس معلقاً: «ولعلّ السبب في حذف هذه الرواية، والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب من إنجيل يوحنا، هو أنه في الوقت الذي كُتب فيه الإنجيل الرابع (أي إنجيل يوحنا) سنة ١٠٠ إلى ١٢٥ ميلادية كان الادّعاء بأن سمعان قد حَلّ مَحَلّ يسوع، وصُلب بدلاً منه لا يزال سارياً في الدوائر الغنوصية التي كانت لها الشهرة فيما بعد.

«وتتفق الأناجيل الثلاثة متّى ومرقص ولوقا بأن سمعان القيرواني حمل الصليب نيابة عن يسوع، بينما يذكر إنجيل يوحنا أن الذي حمل الصليب هو يسوع نفسه».

ويقول جون فنتون[2] في تعليقه على ما جاء في إنجيل متّى عن وجود حراس يحرسون قبر المسيح بعد صلبه ودفنه حسب زعمهم، يقول فنتون: «إن السبب في ذلك يرجع إلى وجود أناس قالوا: بأن يسوع قد أنزل من على الصليب قبل أن يموت.. وكذلك فإن إحدى الطوائف الغنوصية التي عاشت في القرن الثاني للميلاد قالت: بأن سمعان القيرواني قد صُلب بدلاً من يسوع، فلعل متّى كان يردّ على هذه الأقوال».

ويقول الفليسوف الألماني فنتوريني (بداية القرن التاسع عشر): «إن يسوع أغمي عليه فقط ولكن لم يمت». كما ينقله عنه فرانك موريسون في كتابه (من حرك الصخرة)[3]: «لقد كانت نظرية صلب المسيح كفّارةً عن الخطايا هي عقيدة

---

(١) D.E.Nineham: Saint Mark, Penguin, Books 1963 P422.

(٢) J.C.Fenton: Saint Mathew, Penguin Book, 1963, P440.

(٣) Frank Morrisin: Who moved The stone? farber & farber, London, P64.

بولس التي بشّر بها في طول العالم الروماني وعرضه، ولم يرَ بولس في رسالة المسيح شيئاً غيرها. ولكن هذه النظرية وجدتْ مقاومة من أتباع المسيح الأوائل فنجد بولس في رسالته إلى تموتاوس (١/ ١٥) يقول: «أنت تعلم هذا. إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني». وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطيه (١/ ٦ ـ ٨): «إني أتعجب أنكم تنتقلون سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشّرناكم نحن أو ملاك السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما (Anathema).

(كلمة معناها إثم عظيم، لعنة الحرمان والطرد من الكنيسة ومن رحمة الله).

وفي هذه الكلمة لبولس نلاحظ الآتي:

١ ـ يتحدث بولس عن انتقال عدد من أنصاره إلى فرقة أخرى معها إنجيل آخر.

٢ ـ كل الأناجيل الأربعة الموجودة حالياً إنما كُتبت بعد وفاة بولس بفترة تتراوح ما بين عشرين وخمسين عاماً. وبالتالي تدّعي الكنيسة أنه لا توجد، أناجيل سابقة لعصر بولس، وبولس له رسائل فقط. فرسائل بولس كُتبت في حوالي ٥٠ ميلادية، وإنجيل مرقس كُتب حوالي سنة ٧٠م، وإنجيل لوقا سنة ٨٠م، وأعمال الرسل للوقا سنة ٩٥م، وإنجيل متّى فيما بين (٩٥م ـ ١١٥م)، وإنجيل يوحنا وهو رابع الأناجيل كتب فيما بين سنة (١٠٠م ـ ١٢٥م).

٣ ـ إن كلام بولس يدل دلالة قاطعة على وجود أناجيل أخرى مضادة لعقيدته ولكنها مُنعت فيما بعد وأُخفيت أو أعدمت. ويشير أدولف هرنك[(١)] في كتابه تاريخ العقيدة (History of Dogma) لا يوجد في أي مكان من تعاليم الاثني عشر (حوارياً) أي ذكر للخلاص الذي يقدّمه المسيح وحتى إعلان الإنجيل (المتعلق بموت يسوع وقيامته)، ولم يُلاحظ شيء عن عقيدة الخلاص هذه. إن كتابات هرمس المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثاً وقع... ويصف هرمس عمل يسوع بأنه:

١ ـ حِفْظ الشعب الذي اختاره الله.

---

(١) Adolf Harnack: History Of Dogma Constable & Company. London, 1961, 1/201.

٢ ـ تنقية الشعب من الخطيئة.

٣ ـ تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلٰهي.

وكتاب هرمس هذا هو أحد الكتب غير القانونية (التي لم يعترف بها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وغيرها من المُجَمَّعات الكَنَسية التي حددت اتجاه الديانة المسيحية)، ورغم ذلك فقد ظل كتاب هرمس يُقرأ علانية في الكنائس كما يؤكد ذلك كتاب (الكتب المفقودة من الكتاب المقدس)(١). ورسالة يعقوب العادل (أخو المسيح حسب قولهم) تقرر بوضوح أن الخلاص لا يأتي إلا على طريق الإيمان بالله والعمل الصالح. **ويقول يعقوب في رسالته: «إن الدينونة التي تحدد المصير الأبدي للإنسان تقوم على ركيزتين هما: إيمان بالله الواحد الأحد يصحبه عمل صالح. وبدونهما لا فائدة تُرجى، وأنت تؤمن أن الله واحد الأحد يصحبه عمل صالح. وبدونهما لا فائدة تُرجى، وأنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون، ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت..؟ بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده» (رسالة يعقوب ٢/ ١٩ ـ ٢٤). ويقول: «الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم» (٢/ ٢٧). ويقول: «واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلّص ويهلك» (٤/ ١٢).**

وما أجمل هذا الكلام وأروعه وهو يتفق تماماً مع ما جاء به الإسلام وما جاء به الأنبياء على مدار التاريخ.

والأناجيل الموجودة إلى اليوم رغم ما فيها من إضافات وتحريف إلا أنها لا تذكر أن الخلاص هو عن طريق الإيمان بصلب يسوع وذبحه. وأنه قد تَحمّل عنا جميع الخطايا، بل تذكر أن يسوع نفسه قال لرجل سأله: أي صلاح أعمال لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له الرجل: أي وصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل، لا تَزْنِ، لا تسرق. لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك. فقال الشباب: هذه كلها

(١) The Lost books of Bible. The World Publishing Company. Cleveland & Newyork. 1926 p197.

حفظتها منذ حداثتي. وقال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبِعْ أملاكك وأعْطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. (إنجيل متّى ١٦/١٩).

ويتحدث إنجيل متّى في يوم الدينونة عن الذين أطعموا الجائع وسقَوا العطشان وكسَوا العاري فيدخلهم في رحمته، وأما الذين لم يفعلوا فيقرِّعهم ويدخلهم ناره وعذابه. ويستخدم إنجيل متّى نفس العبارة التي وردت في الحديث القدسي تقريباً «جعت فأطعمتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرْياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ فيجيبه الأبرار: يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمْناك، أو عطشاناً فسقيناك... إلخ، فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: إنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم».

وفي سفر حزقيال (١٨/ ٢٠): «الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون».

وللأسف فإن عقيدة بولس عن الصلب والخلاص والفداء هي التي سيطرت على المسيحية، وتطوَّرت في هذا الاتجاه مع التثليث، وجُعِلَ يسوع ابن الله، أو هو الله، على اختلاف بين فرقهم حتى وصل الأمر بأحد تلاميذ بولس من بعده وهو مركيون أنه قال: «إن إلٰه اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان إلٰهاً شريراً». واعتقد مركيون أن الحَواريين الاثني عشر لم يفهموا يسوع، لهذا ألهم المسيح بولس بوحيٍ خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير. وهكذا أصبح بولس هو صاحب هذه العقيدة وهذا الدين الجديد الذي لم يأتِ به المسيح ولم يعرفه التلاميذ.

اختلاف قصة قيامة المسيح في الأناجيل:

تقول الأناجيل: إن يسوع بعد صلبه ودفنه يوم الجمعة (حسب رواية مرقسْ ولوقا ومتّى) أو يوم الخميس حسب رواية يوحنا. وفي الساعات الأولى من فجر يوم الأحد اكتشفت بعض النسوة من معارف المسيح (اختلاف كبير في عددهن وأسمائهن) خلو القبر من الجسد ثم ظهوره لمريم المجدَلية أو لهن (اختلاف في الروايات).. ولم يتم الإعلان عن قيامة المسيح بين أتباعه إلا بعد مرور خمسين يوماً من حدوثها ورفعه إلى السماء كما تقول رسالة الأعمال التي كتبها لوقا بعد

٦٠ عاماً من رفع يسوع. يقول كيرد[١]:

«إن أول شهادة عن القيامة لم تُغطِها الأناجيل لكنها جاءت من رسائل بولس وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس الإصحاح ١٥».

زيارة النساء للقبر:

يقول مرقس (١/١٦ ـ ٨: «بعدما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالوما حنوطاً ليأتين ويدهنّه. وباكراً جداً في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس وكنّ يقلن في أنفسهن: مَنْ يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فَتَطَلَّعْنَ ورأين أن الحجر قد دُحرج لأنه كان عظيماً جداً. لما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن فقال لهن: لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. فقد قام ليس هو هاهنا. هو ذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يسبقكم إلى الجليل. وهناك ترونه كما قال لكم، فخرجْن سريعاً وهربْن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتهن، ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كنّ خائفات».

ويعلق نينهام في كتابه (القديس مرقس)[٢] على هذه القصة قائلاً: «من الصعب أن نثق في أن الغرض من زيارة النساء كان دهان جسم إنسان انقضى على موته يومان. . . إن أغلب المعلّقين يرددون ما يقول مونتفيوري من أن السبب الذي تُعزى له هذه الزيادة غير محتمل البتة. وفي الواقع نجد أنه حسب رواية القديس مرقس فإن جسد يسوع لم يدهن أبداً بعد الموت خلافاً لما جاء في يوحنا (١٩/ ٤٠). . ».

«يبدو أن وصف مرقس مَحْضُ خيال إذ إنه يصوّر لنا في وصفه ما يعتقد هو أنه قد حدث».

وقد أكد متّى أن بيلاطس وافق اليهود على طلبهم، بوضع حراس على القبر بعد صلب يسوع، ودفنه مباشرة. ومع هذا فيقول: «إن مريم المجدلية ومريم الأخرى، جاءتا لتنظرا القبر عند فجر أول الأسبوع. وإذا زلزلة عظيمة تحدث وينزل ملاك الرب، ويدحرج الحجر عن القبر، وارتعد الحراس وصاروا

(١) G.B. Caird: Saint Luke, Penguin Books, 1963, p255.

(٢) D.Nineham: Saint Mark, Peuguin Books, 1963, P443/444.

كالأموات، بينما طمأن الملاك المرأتين وأخبرهما أن يذهبا إلى التلاميذ سريعاً ويخبراهم بأن يسوع سبقهم إلى الجليل. فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه» (متّى ٢٨/ ١ ـ ٨).

والتناقض واضح ما بين إنجيل مرقس ومتّى.. وإذا أضفنا إلى ذلك رواية لوقا (٢٧/ ١) فإننا نرى تناقضات أخرى، حيث يقول: «إن النساء وجدن في القبر رجلين قالا لهن: لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ ليس هو هنا لكنه قام.. فرجعن وأخبرن الأحد عشر الباقين بهذا كله. وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن».

وهكذا تختلف قصة لوقا عن قصة مرقس الشبيهة لها والمختلفة عنها في عدة نقاط: منها أن عدد النساء وأسماءهن يختلف، وأن النساء وجدْن رجلاً في مرقس، وهنا وجدن رجلين... إلخ. وأن الرجل في مرقس أمرهن بإبلاغ التلاميذ فدهشن وحِزْنَ ولم يفعلن، وفي لوقا ذهبن من تلقاء أنفسهن إلى التلاميذ... إلخ.

أما رواية يوحنا عن القيامة فهي تختلف عن الأناجيل الثلاثة اختلافاً كبيراً، فالتي جاءت إلى القبر هي مريم المجدلية وحدَها دون غيرها. وأنها ركضت مباشرة إلى سمعان بطرس، والتلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه (لم تُسَمِّه).. «وخرج الاثنان يركضان إلى القبر، فوجد بطرس الأكفان موضوعة، والمنديل ملفوفاً وحده.. وأما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكي، فنظرت مَلاكَين بثياب بيض جالسَين: واحداً عند الرأس، والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟ قالت لها: إنهم أخذوا سيدي، ولست أعلم أين وضعوه؟» (يوحنا ٢٠/ ١ ـ ١٣).

وواضح جداً من هذا التناقض بين الأناجيل أن القصة وُضعت وأُلفت فيما بعد، وتناقلتها الكنائس بروايات مختلفة. يقول فرانك موريسون[١] في كتابه (من حَرَّك الحجر): «ما من شك في أنها (أي قصة القبر وزحزحة الحجر والنسوة وعدم وجود يسوع في القبر..) أضيفت إلى تعاليم الكنيسة عندما هدأت الأمور واستقرت، ثم ما لبث أن خرج من تلك القصة التي تناثرت على نطاق واسع في

(١) Frank Morison: Who moved the stone? Farber & Farber. London, P182.

الكنائس المسيحية في أوروبا وآسيا كل تلك الروايات التي تطورت واختلفت، والتي نقل عنها كل من القديسين لوقا ومتّى».

ثم تختلف بعد ذلك قصة ظهور يسوع بعد قيامته من القبر اختلافاً كبيراً من إنجيل لآخر. ويقول علماء الإنجيل: إن إنجيل مرقس ـ وهو أقدم الأناجيل ـ لم يذكر قصة ظهور يسوع أصلاً. ولكن هذه القصة (الإصحاح ٩ إلى ٢٠) أضيفت إلى إنجيل مرقس حوالي سنة ١٨٠ ميلادية، وفي هذه الزيادة ظهر يسوع لمريم المجدلية أولاً فأخبرت التلاميذ فلم يصدقوا، وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين من التلاميذ وهما يمشيان منطلقين إلى البرية فلم يصدقا أيضاً، ثم ظهر يسوع للأحدى عشر وهم متكئون ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروا قد قام (مرقس ١٦/٩ ـ ١٤).

وأما إنجيل متّى (٢٨/٩ ـ ١٧) فيقول: «إن يسوع ظهر لمريم المجدلية ومريم الأخرى فسجدتا له فقال يسوع: لا تخافا، اذهبا قولا لإخوتي: أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني». «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكّوا».

وأما لوقا فيذكر أن يسوع ظهر لاثنين من التلاميذ وهما منطلقان إلى قرية عمواس، ولم يعرفا يسوع، وقالا عن يسوع الناصري: إنه كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. فقال لهما يسوع: «أيها الغبيان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء.. ثم ابتدأ يسوع يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب منذ زمن موسى ومن بعده من الأنبياء. وناولهما الخبز ثم اختفى عنهما. ولما رجعا إلى أورشليم وجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم. وهم يقولون: إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان (بطرس). وفيما هم يتكلمون ظهر يسوع في وسطهم، وقال لهم: سلام لكم، فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم رأوا روحاً.. وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال: آكل شيئاً من سمك مشوي وشيئاً من عسل ليتأكدوا أنه لحم وعظم، وأراهم يديه ورجليه ليجسّوهما». لوقا (٢٤/١٣ ـ ١٤).

ونجد قصة مختلفة في (يوحنا) حيث إن يسوع ظهر أولاً لمريم المجدلية فظنته البستاني، وسألته عن جسد يسوع. ثم أخبرها بأنه هو المسيح فذهبت وأخبرت التلاميذ الذين لم يصدقوا. فلما رأوه شكّوا فأراهم يديه وجنبيه وأثر المسامير والصلب، ثم ظهر لهم مرة أخرى بعد ثمانية أيام من الظهور الأول، وذلك على بحر طبرية، وكانوا يصطادون السمك، فقال لهم يسوع: ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا.. فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئاً سمكاً كثيراً.. ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم.. هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعد ما قام من الأموات ٢٠/١٣ ـ ٢٦ و٢١/١ ـ ١٤).

والغريب حقاً أن الأناجيل تقول: إن التلاميذ شكّوا في قيامة المسيح. وعندما قامت النسوة بإخبار التلاميذ بقيام يسوع من قبره تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوه (لوقا ٢٤/٩ ـ ١٢).

مع أنهم يزعمون أن يسوع قد أخبر تلاميذه بأنه سيتألم كثيراً ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم. وانتهر يسوع بطرس قائلاً له: «اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله ولكن للناس» (إنجيل مرقس ٨/٣١ ـ ٣٢، وإنجيل متّى ١٦/٢١ ـ ٢٣، ولوقا ٩/٢٢). ويزعمون أن الكهنة والكتبة طلبوا من بيلاطس حراساً على القبر لأنهم قد سمعوا يسوع يقول: إنه سيقوم من القبر. ومع ذلك كله نجد أن التلاميذ (الحواريين) لا يصدقون بقيامة يسوع، ويرون كلام النساء عن قيامته كالهذيان. ثم ظهر لهم يسوع أفراداً ومجموعات (ثلاث مرات).. ولم يصدقوا وأمرهم يسوع بأن يجسّوا لحمه وعظمه ويديه ورجليه، وأكل سمكاً وعسلاً حتى يصدقوا فبقوا متعجبين.

وهذا كله يدل على أن تفاصيل موضوع صلب المسيح ودفنه في القبر ثم قيامته إنما أضيفت بعد فترة من رفع يسوع واختفائه. ويقرر إنجيل يوحنا أن فكرة قيامة يسوع كانت غريبة تماماً بالنسبة للتلاميذ الذين فوجئوا برواية مريم المجدلية. ويقول عن التلاميذ: «إنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات» مع أن الأناجيل تدّعي أنه أخبرهم بذلك قبل أن يصلب ويموت.

قد اتفقت الأناجيل جميعاً في خلوّ ذلك القبر من أي جسد. وهو القبر الذي زعموا أن يسوع دُفن فيه.

وقد أجمعت الأناجيل أيضاً على أن التلاميذ الحواريين لم يصدقوا مريم المجدلية والنساء اللائي أخبرنهم عن قيامة يسوع. وكذلك أجمعت الأناجيل على أن يسوع ظهر بعد دفنه للتلاميذ.. (مرة بطرس ومرة اثنان ثم بعد ذلك للأحد عشر) ومع ذلك لم يصدّقوا وبقوا في شك شديد «لأنهم لم يصدّقوا الذي نظروه قد قام» «جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً».

وأما توما أحد الاثني عشر الذي يقال له: التوأم فلم يكن معهم حين جاء يسوع، فقال له التلاميذ الآخرون: قد رأينا الرب. فقال لهم: «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أومن»، «ولكن بعضهم (أي التلاميذ) شكوا»!.

يقول أدولف هرنك[1] في كتابه (تاريخ العقيدة): «إن أحداً من خصوم المسيح لم يره بعد موته، وإنه لا يمكن التحقق من تواتر مرات الظهور وعددها، وإن القبر كان خالياً في اليوم الثالث. وكل هذا لا يمكن أن يعتبر حقيقة تاريخيه بأي حال من الأحوال.

«ناهيك أن روايات الصلب متناقضة ومضطربة. وأقل ما يدعو إليه هو تَنْحيتُها جانباً وعدم الاعتماد عليها في معرفة ما حدث للمسيح. ومجمل القول في هذا المقام هو: إن تلاميذ المسيح شكّوا فيما قال الرواة، وأولهم مريم المجدلية عن قيامة المسيح وظهوره. وأكثر من هذا فإن تلاميذ المسيح شكوا في ذلك الذي قيل لهم: إنه ظهر لهم باعتباره المسيح».

ويقول أدولف هرنك (المصدر السابق ص٢٠١ ـ ٢٠٤) عن صعود المسيح إلى السماء: «إن الاعتقاد في أن يسوع صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً من القيامة قد أخذ يشق طريقه تدريجياً على خلاف المعتقدات القديمة التي كانت تقول: بأن القيامة والصعود حدثا في نفس الوقت.. وضد أفكار أخرى كانت تؤمن بوجود فاصل زمني أكبر. على أن بولس لا يذكر شيئاً عن الصعود، وكذلك لم يذكر كل من كليمنت واجناتيوس وهرمس

(١) Adolf Harnack: History of Dogma Constable & Company London, 1961, vol 1:85.

وبوليكارب. وفي إنجيل لوقا (٢٤/ ٥٠) ورسالة برنابا (١٥/٩) فإن الصعود إلى السماء قد حدث في نفس يوم القيامة. إن القول: بأن الصعود قد حدث بعد أربعين يوماً من القيامة قد ذكر لأول مرة في سفر أعمال الرُسل للوقا».

ويقول أدولف هرنك أيضاً في نفس المصدر (History of dogma P204):

«إن بعض الطوائف المسيحية قالت: إن الصعود إلى السماء قد حدث بعد ١٨ شهراً من القيامة، وقالت أخرى: إنه حدث بعد ١١ عاماً!!».

الزعم بأن آدم والأنبياء في الجحيم وأن يسوع يخرجهم منها:

الغريب حقاً أن قانون إيمان الرسل جاء فيه (توما ٦): «ونزل يسوع إلى الجحيم وفي اليوم الثالث قام ثانية من الأموات».

وجاء في إنجيل نيقو ديموس (١٧/ ١٣) أن آدم وإبراهيم والأنبياء قد استقروا في الجحيم بعد الموت إلى أن نزل المسيح إليهم، ثم صعد بهم إلى الفردوس في السماء، وفي إنجيل يوحنا (١٠/ ٧ ـ ٩): «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي (أي من الأنبياء) هم سُرّاق ولصوص!؟ أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى». هذا مناقض لما قاله يسوع عن الأنبياء والناموس، وأنه لم يأت ليغيّر ما قالوه ولا ينقضه بل ليؤكده. وقد مدحهم عيسى ﷺ وأكد أنه لم يأتِ ليهدم بل ليكمل البناء الذي بدأه الأنبياء والرسل قبله.

وقد أدت هذه التناقضات إلى أن يشك مجموعة من علماء المسيحية في وجود المسيح ذاته، وإليك بعض ما قال علماؤهم:

الشك في وجود المسيح:

ول ديورانت في قصة الحضارة (ج٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

«هل وُجد المسيح حقاً، أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير؟ لقد كان بولينجبرك Bolyng Broke والملتفون حوله ـ وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فولتير نفسه ـ يقولونه في مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق. وجهر فولن (Volney) بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية (١٧٩١م). ولما التقى نابليون سنة

١٨٠٨م بفيلاند (Weiland) العالم الألماني سأله: هل تؤمن بتاريخية المسيح؟ (أي هل وجد المسيح حقاً وتؤمن أنت بذلك؟).

يقول فتحي عثمان في كتابه (مع المسيح في الأناجيل)[١]:

وقرر برونس باور (Bruns Bauer) سنة ١٨٤٠م أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة أو تجسيداً للطقوس في القرن الثاني (بعد الميلاد). وأنكرت المدرسة الهولندية حقيقة المسيح التاريخية بعد بحوث مضنية، وكان ممن قاموا بها بيرسون (Peirson)، ونابر (Naber)، وما ترهاس (Matrhas)، وفي إنجلترا وصل إلى نفس النتيجة آرثر دروز (Arthur Drews)، وسميث (W.B.Smith)، وروبرتسون (JM Robertson). وانتشرت فكرة أن المسيح أسطورة في ألمانيا عام ١٩٠٦م، وكان ظهور هذه الأفكار في القرن التاسع عشر، وعرضها الكاتب المسيحي والفيلسوف أرنست رينان في كتابة (حياة يسوع).

ومن الباحثين الأوروبيين في العصور الحديثة من يقول: إن المسيح ليس مؤسساً للمسيحية، وإنما هو الشخصية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين: بالبعث والحساب. ومن هؤلاء البروفسور هيرمان ريماروس (Herman Reimarus) أستاذ اللغات الشرقية المتوفىٰ سنة ١٧٦٨م، وقد نُشرت بعض أعماله بعد وفاته. ويشير هررد سنة ١٧٩٦م إلى أن الفروق ما بين مسيح أناجيل متّى ومرقس ولوقا من جهة ومسيح إنجيل يوحنا لا يمكن التوفيق بينها.

وعرض هنريش بولس (Heinrich Paulus) تفسيراً عقلياً للمعجزات التي جاء بها يسوع عزاها لعِلَلٍ طبيعية سنة ١٨٣٨م، لكن شتراوس (David Strauss) (١٨٣٦م) رفض هذه المحاولة، وقرر أن الروايات التي تتضمن خوارق للطبيعة أساطير خرافية وينبغي إعادة كتابة حياة يسوع متحررة من هذه الأساطير.

ويتحدث كتاب (أسطورة تجسد الإلٰه) لمجموعة من اللاهوتيين البريطانيين[٢] عن قضية التشكيك في وجود يسوع، وأن ذلك راجع إلى عدم وضوح شخصية يسوع في الأناجيل والتراث المسيحي.. وإلى التناقضات العديدة في قصة مولده

---

(١) مع المسيح في الأناجيل، فتحي عثمان، الطبعة الثانية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص١٠٠.

(٢) كتاب أسطورة تجسد الإله The Myth of God Incarnate, Editor: J. hick.

وحياته ودعوته ومحاكمته وصلبه وموته وقيامته، مما يجعل بعض الباحثين يشكّون في وجود شخصية تاريخية حقيقية اسمها يسوع الناصري. . بينما يعتقد آخرون أنه ربما وُجدت شخصية حقيقية تاريخية باسم يسوع الناصري، لكن الأناجيل والتراث المسيحي أضفى عليها هالات غير حقيقية مما أدى إلى عدم وضوح الرؤية وإلى ضبابية هذه الشخصية.

وجاء في الفصل الثالث من هذا الكتاب: (يسوع الإنسان ذو القدر العالي) بقلم مايكل جولدر[1]: «يبدو أن كثيرين يعتقدون أن يسوع شخصية خيالية أسطورية لم توجد في التاريخ نتيجة لما يُروى عنها من متناقضات». ويروي الكاتب نكتة (طرفة) في هذا الصدد: «اجتمع الكرادلة وقالوا للبابا: إن بقايا يسوع اكتشفت في أورشليم (القدس) وقد أجمع علماء الآثار أنها بقايا يسوع (يزعمون أن يسوع قام من موته ورفع إلى السماء) فقال البابا متحيّراً: ماذا نفعل الآن؟ فقال الكرادلة: بقي لنا أمل واحد، هناك عالم لاهوت بروتستانتي في الولايات المتحدة الأمريكية يدعى تلليش، ربما تريد الاتصال به هاتفياً؟ فاتصل البابا بتلليش ونقل له الخبر، وبعد صمت طويل على الهاتف قال تلليش: هل تعني حقاً أن يسوع كان شخصية حقيقية؟». وتدل النكتة على وجود الشك حتى عند رجال الكنيسة في حقيقة وجود شخص يدعى يسوع الناصري.

إنجيل عيسى عليه السلام:

لا يرد في المصادر النصرانية ذكر لإنجيل جاء به عيسى عليه السلام إلا عرضاً ومعنى كلمة الإنجيل كما أسلفنا تعني البشارة، وبالتالي فإن ما ورد في المصادر المسيحية عن الإنجيل على لسان يسوع المسيح يؤول لديهم بمعنى البشارة، وكذلك ما ورد في رسائل بولس عن الإنجيل، حيث إن الأناجيل الأربعة المعروفة لم تكتب إلا بعد وفاة بولس، ولنبدأ بما جاء عن الإنجيل في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝﴾ [آل عمران: ٣، ٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

(١) المصدر السابق p48.

ﭐلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

فهذه آيات صريحة بأن الله أنزل على عيسى ﷺ كتاباً يتلى اسمه الإنجيل، كما أنزل على موسى ﷺ كتاب التوراة، وكما أنزل على داود الزبور، وكما أنزل على محمد ﷺ الفرقان (القرآن الكريم). بل ولا بد لكل مسلم أن يؤمن إيماناً تاماً ويقيناً كاملاً بأن الله أنزل هذه الكتب المذكورة. يضاف إليها صحف إبراهيم ﷺ، وما أُنزل على شيث بن آدم من الصحف.

في المصادر المسيحية:

جاء في إنجيل مرقس (١/ ٤١ ـ ١٥): «**وبعد ما أسلم يوحنا** جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان، واقترب **ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل**». وهذا نص صريح على وجوب الإيمان بالإنجيل ولا يمكن صرفه إلى البشارة العامة فقد ذكرها مرقس بقوله: يكرِّز ببشارة ملكوت الله. ولهذا فقوله ﷺ: «فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» يدل على وجود إنجيل ينبغي عليهم الإيمان به. وجاء كذلك في إنجيل مرقص (١٦/ ١٥/ ١٦): «وقال لهم (يسوع): اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يُدَنْ».

وجاء في رسالة بولس إلى أهل رومية (١/ ١): «بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولاً **المفرز لإنجيل الله الذي سبق بوعد به لأنبيائه في الكتب المقدسة**».. وفيه أيضاً (رومية ١/ ٩): «فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم» وفيه أيضاً (رومية ١/ ١٦، ١٧) «**لأني لست أستحي بإنجيل المسيح؛ لأنه قوة الله للخلاص لكلّ من يؤمن: لليهودي أولاً ثم لليوناني**؛ لأن فيه معلن بر الله بإيمان كما هو مكتوب أما البارّ بإيمان يحيا».

وفي رسالته إلى أهل غلاطية (١/ ٦، ٧) «**إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون إنجيل المسيح**» وفيها (٢/ ١٤): «لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب الإنجيل قلت لبطرس: قدام الجمع إن كنتَ

وأنت يهودي تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا؟». وفي رسالة إلى أهل تسالونيكي الأولى (١/٥): «إن إنجيلنا لم يُصِرْ بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد، كما تعرفون أي رجال كنا بينكم من أجلكم». وفيها أيضاً (٢/٣ ـ ٤): «لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر. بل كما استحسنا من الله أن نؤمن على الإنجيل، هكذا نتكلم لا كأننا نرضي الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا». وفيها أيضاً (٢/٨، ٩): «هكذا إذ كنا حانين «إليكم كما نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً لأنكم صرتم محبوبين، فإنكم تذكرون أيها الإخوة تَعَبَنا وكَدَّنا إذ نُكرّز بإنجيل الله». وفي سفر الأعمال للوقا: «وكما شهدا (أي بطرس ويوحنا) وتكلّما بكلمة الرب رجَعا إلى أورشليم وبشّرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين».

وهذه الأقوال تدل على وجود إنجيل جاء به عيسى ﷺ إما مكتوباً أو كان يلقى شفاهاً. وقول الباحث أكهارت[1]: «كان في بداية المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح، ويجوز أن يقال: إنها الإنجيل الأصلي، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب، ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب».

ويقول آيين دينيه: «أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه، فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر أو أنه أبيد»[2].

وعلى هذا فالمفترض أن يكون هذا الإنجيل بالآرامية لأن عيسى وقومه كانوا يتكلمون الآرامية. وهذا أقرب الفروض، وفي الأناجيل الموجودة حالياً بعض كلمات من الآرامية.

ويقول الباحثون: إن الإنجيل كان شفوياً وانتشر شفاهاً، ثم كُتب بعد سنين أي بعد أن ضاع الكثير منه وأضيف إليه بسبب ما جاء به بولس، ثم جاء الذين كتبوا الإنجيل وتأثّروا به (لوقا أحد تلامذته، ويوحنّا كان متأثراً به وكذلك متّى ومرقس).

وكانت هناك أناجيل عديدة كما أسلفْنا وتختلف إلى حد كبير عن الأناجيل

---

(١) محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص٥٦، دار الفكر العربي وبسمة أحمد جسثية: تحريف رسالة المسيح دار القلم، دمشق.
(٢) المصدر السابق، وكتاب الأديان في القرآن، للشريف، ص١٤٧.

الأربعة الموجودة، وخاصة الأناجيل التي كانت لدى الفئات اليهودية المتنصّرة مثل الأبيونيين الذين اعتقدوا أن المسيح بشر ورسول من الله ولم يكن قط يدّعي أنه إله أو ابن الإله. وكذلك ما جاء في إنجيل برنابا وهو أحد الرسل الموثوق بهم وقد أنكر على بولس واختلف معه اختلافاً شديداً، تماماً كما اختلف معه بقية الحواريين وجماعة أورشليم، والذين أنكروا عليه قوله ببنوّة يسوع لله، كما أنكروا عليه إنكاره لتعاليم الناموس.

الباب الثالث

التعاليم الحقّة في الأناجيل

التعاليم الحقَّة في الأناجيل

ليس كل ما في الأناجيل باطلاً بل الحقّ فيها كثير، والكلام النوراني فيها يسطع مثل الشمس التي تنير الظلام، أو القمر المنير في الليلة الظلماء، أو الجواهر والألماس في وسط ركام كثيف من قطع الزجاج والجواهر المزيفة.

ولا شك أن الروايات الشفوية التي نقلت كلام يسوع فإن كُتّاب الأناجيل أبقت شيئاً كثيراً مما قاله يسوع ﷺ. كما أن النقل قد أدّى إلى تشويه كثير منها بإضافةٍ، وحذف، أو تغيير كامل كما أوضح ذلك علماء المسيحية أنفسهم فيما سبق أن نقلناه عنهم.

وعيسى ﷺ من الخمسة الكرام، أولي العزم من الرسل، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات ربي وسلامه عليهم، أوضح القرآن الكريم والسنّة المطهرة مكانتهم العالية بين الأنبياء.

وعيسى ﷺ معجزة في مولده من غير أب، مثل آدم خلقه الله من غير أب ولا أم، وحواء خلقها من ضلع من أضلاع آدم كما جاء في سِفرِ التكوين، وذكرتْه الأحاديث الصحيحة أنها خُلقت من ضِلَعٍ أعوج (قالوا: كنايةً عن عِوَجِ طبعها)، وحديثه في المهد معجزة أخرى لم تتحدث عنها الأناجيل مطلقاً، بل ادّعت الأناجيل أن يوسف النجار تزوج مريم حتى لا يتهمها قومها بالزنا، ثم إنه أتاها بعد أن ولدت يسوع، فأنجبت منه مجموعة من البنين والبنات منهم يعقوب ويحيى ويهوذا وسمعان، وله أيضاً أخوات من البنات حسب زعمهم لم تذكر الأناجيل أسماءهن.

وفيما يلي **ذكرٌ لبعض التعاليم الحقّة** التي جاء بها عيسى ﷺ وأوردتها الأناجيل لمطابقتها لما في القرآن الكريم والتوحيد الخالص فيها.

من كلام يسوع الحق في الأناجيل ودعوته للتوحيد:

فقد جاء في سفر متّى (٥/١٧): «لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئتُ لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولا يزول حرف من الناموس حتى يكون الكُلّ».

وأول الوصايا التي أكدّ عليها الناموس وأكدّ عليها يسوع أيضاً عبادة الله وحده لا شريك له.. وأن تحب الله من كل قلبك، تماماً كما جاء في أسفار العهد القديم قبله:

ففي سفر الخروج (٢٠/١ ـ ٦): «أنا الرب إلٰهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما.. لا تسجد لهن ولا تعبدهن.. لأني أنا الربُّ إلٰهك إلٰه غيور».

وفي سفر أشعيا: «أنا الربُّ وليس غيري مخلّص.. أنا الأول وأنا الآخر لا إلٰه غيري. أنا الربُّ وليس آخر إلٰه سواي».

«أنا الرب وليس آخر، مصوّر النور وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق البشر».

«أنا الرب ولا إلٰه غيري، إلٰه بارٌّ ومخلّص، ليس سواي».

«بمن تشبهون الله وأي شيء تعادلون به.. بمن تشبهونني وتُسوُّونني وتمثلونني لنتشابه».

«لأنني أنا الله وليس آخر. أنا الإلٰه، وليس مثلي..».

«أنا إلٰه الدهر، الربُّ خالق أطراف الأرض لا يكلّ ولا يعيا».

ونجد صدى هذه التعاليم في إنجيل متّى عندما سأل واحد من الكهنوت يسوع: «أي وصية هي أول الكل؟» فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الربُّ إلٰهنا واحد، وتحبُّ الربّ إلٰهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن فكرك ومن قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها: تحبُّ قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين» (متّى ٢٢/٣٥ ـ ٤٠ ومرقس ١٢/٢٨ ـ ٣٤).

وقال يسوع: «إن أردتَ أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك. أَحِبَّ قريبك كنفسك» (متّى ١٩/١٨ و١٩).

وقال لهم يسوع: «الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله» (يوحنا ١٣/١٦).

وقال لهم يسوع: «**تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني**» (يوحنا ٧/ ١٦).

ويقول لهم عن علمه بالساعة يوم القيامة: «**أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء إلا الأب**» (مرقس ١٣/ ٣٢).

ويقول لهم: «**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإِلٰه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته**» (يوحنا ١٧/ ٣).

ويقول يسوع: **الرب إلٰهنا ربٌّ واحد ويقول: «إلٰهي وإلٰهكم واحد»**.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية:

«لقد بدأت عقيدة التوحيد، كحركة لاهوتية، بداية مبكرة جداً في التاريخ. وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير، من عشرات السنين».

فالأصل هو التوحيد الحق الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ومروراً بنوح وأخنوخ (إدريس) وإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وداود وسليمان.. وكل أنبياء الله الكرام، ولكن هؤلاء القوم حرّفوا رسالة نبيهم، ورغم هذه التحريفات والزيادات والطمس لمعالم الدين الحق بقيت في الإنجيل كما في التوراة آيات كثيرة تشعُّ بنور الحق كما تشعُّ الشمس فتنير الظلام.. وكما تلمع قطع الجواهر والألماس في وسط ركام كثيف من المواد المزيفة، ومنها هذه الآيات التي تتحدث عن التوحيد الحق.

يسوع لا يعلم متّى الساعة؟:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده» (متّى ٢٤/ ٣٦). وكلمة (أبي) هنا بالمعنى المجازي حيث قال عدة مرات: أبي وأبيكم. أي الذي يرعاني ويرعاكم كما يرعى الأب ابنه «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم. واعلموا هذه: أنه لو عرف ربُّ البيت في أي هَزيعٍ من الليل يأتي السارق لَسَهِرَ ولم يدعْ بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدِين» (متّى ٢٤/ ٤٢ ـ ٤٤).

وفي إنجيل مرقس (١٣/ ٣٣ ـ ٣٧): «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحدٌ ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب. انظروا واسهروا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت. كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد علمه، وأوصى البواب أن يسهر. اسهروا إذاً لأنكم لا

تعلمون متى يأتي ربُّ البيت أمساء، أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً؟ لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا» أي في عبادة الله وطاعته.

وفي إنجيل لوقا (٢١/ ٢٤ ـ ٢٦): «فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسُكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتةً (المقصود يوم القيامة وقيام الساعة)، لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض. اسهروا إذاً وتضرّعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون».

وتذكرنا هذه الكلمات النورانية بما جاء في القرآن الكريم والسنّة المطهرة من أن علم الساعة محجوب عن كل الخلائق، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٦].

والآيات في الكتاب العزيز كثيرة جداً عن الساعة وأنه لا يعلم أحد موعدها. وفي حديث جبريل المشهور الذي أخرجه البخاري والذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (أي جبريل وهو السائل في صورة رجل شديد بياض الثياب

شديد سواد الشعر لا يعرفه أحد): «متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! فقال: أخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان».

يسوع والشيطان:

وفي إنجيل متّى عندما امتحن الله يسوع بالشيطان وأراه الشيطان جميع ممالك الأمم ومجدها وقال له: «أعطيك هذه جميعها إن خَرَرْتَ وسجدت لي. حينئذٍ قال له يسوع: **اذهب يا شيطان لأنه مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**» (إنجيل متّى ٤/٨ ـ ١٠).

وبما أن عيسى ﷺ جاء لبني إسرائيل خاصة، وكان بنو إسرائيل قد فسدوا وخاصة علماؤهم وأحبارهم فإنه وجّه كلامه إلى المساكين والضعفاء وبشّرهم بملكوت الله وشدد النكير على أولئك الفسقة من الأحبار والكَتَبة الذين يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

طوبى للمساكين:

ففي موعظة الجبل (متّى ٥/١ ـ ١٢) «ولما رأى الجموع صعد الجبل.. قائلاً: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات. طوبى للحزانى لأنهم يتعزّون. طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعِطاش إلى البر لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء لأنهم يرحمون. طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون. طوبى للمطرودين من أجل البرّ لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عَيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. إفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم».

وقوله: (لأنهم أبناء الله يُدْعَون) يوضح أنه يقصد المعنى المجازي وأن كل ما ورد من قوله: أبي وأباكم إنما يقصد هذا المعنى. وهذا ينفي ما يزعمونه من بنوة يسوع لله، تعالى الله عنه ذلك علواً كبيراً. وإنما المعنى مثل قوله ﷺ: «الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله» فالخلق جميعاً عالة عليه وحده، وهو يرزقهم ويحييهم ويميتهم، فسبحانه مِنْ إله قدير حليم كريم!.

وتستمر موعظة الجبل وهي أول مواعظ يسوع المسيح ﷺ كما أوردها متّى (تختلف في كثير من التفاصيل عن الأناجيل الأخرى) ويؤكد لهم أنه ما جاء لينقض الناموس والشريعة ولا يغيّر في أحكامها، ولكنه ييسر بعض الأحكام ويشدد في بعضها، قال يسوع: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء (أي أسفار الأنبياء وتعاليمهم). ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متّى ٥/١٨، ١٧).

تشديد بعض الأحكام:

ثم يشدد يسوع بعض الأحكام عليهم بسبب غِلْظة قلوب بني إسرائيل فيقول: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم (وهو القصاص). وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجبا الحكم. ومن قال لأخيه: رقا يكون مستوجباً المجمع. ومن قال: يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنم. فإن قدَّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً فاترك هناك قربانك قدام المذبح وأذهب أولاً اصطلح مع أخيك (يركز اليهود على أهمية القربان ويرونه أهم العبادات، ولكن يسوع يوضح لهم أهمية المودة والمحبة وأنها تفوق بكثير تقدمة القربان عند الله) وحينئذٍ تَعالَ وقدّمْ قربانك. كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق» (متّى ٥/ ٢١ ـ ٢٥).

تعاليم يسوع عن الزنا وتعاليم الكنيسة اليوم:

يقول لهم يسوع ﷺ: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. أما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم» (متّى ٥/ ٢٧ ـ ٣٠). وقد جاء في الوصايا العشر: «لا تَزْنِ. . لا تَشْتَهِ امرأة قريبك» (سفر الخروج ٢٠/ ١٤ ـ ١٧).

ولكن انظر إلى مجلس الكنائس البريطاني الذي أصدر تقريراً عن الجنس ونشرته مجلة التايم الأمريكية في عددها الصادر ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦م (ص٣٨)، وقد جاء في هذا التقرير: «إن مجلس الكنائس البريطاني ضد الاستغلال الجنسي،

ويبارك الصلة الجنسية في الزواج، ولكنه يرفض رأي الإنجيل الداعي إلى العفة قبل الزواج أو الالتزام به بعده. ويدعو إلى التراخي في إجراءات الإجهاض (سمح به البرلمان البريطاني بعد هذه الدعوة عام ١٩٦٧م) وإلى استخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات ولو بدون إذن أهلهن».

وهو أمر فظيع فظيع، فكيف يقرر مجلس الكنائس البريطاني أنه يرفض رأي الإنجيل في العفة، وتبلغ به الوقاحة أن يردَّ كلام الله على لسان يسوع الذي يعتبرونه ابن الله، الأقنوم الثاني في الثالوث الإلٰهي المقدس!!. وكيف يبلغ بهم التحدي لأوامر دينهم فيسمحون بالزنا قبل الزواج، وبعده وأثناءه. كما يطالبون بالسماح بالإجهاض وقتل الأجِنَّة البريئة بسبب انتشار الزنا، والمفروض أنهم أشدّ الناس معارضة للإجهاض، ولكنهم سبقوا حتى ما يُسمَّى الليبراليين، وكانت دعوتهم للإجهاض المقدمة لإباحته من البرلمان البريطاني عام ١٩٦٧م. وتبلغ بهم الصفاقة إلى السماح باستخدام وسائل منع الحمل للفتيات الصغيرات، ولو بدون إذن أهلهن مساهمة منهم في نشر الفاحشة على أوسع نطاق.

ثم إنهم لم يكتفوا بذلك كله، بل سمحوا بالزنا بين الرهبان والراهبات، وأضافوا إليه إباحة الشذوذ الجنسي بين رجال الكنيسة، والمساحقة بين نسائها. ولم يتركوا رذيلة من الرذائل إلا فعلوها.. ولا شكَّ أنهم فاسقون كما أخبرنا المولى سبحانه وتعالى عنهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦].

والقرآن الكريم العظيم الجليل لم يقل: إنهم كلهم فاسقون، بل إن كثيراً منهم فاسقون. ولا يزال كثيرٌ من النصارى وخاصة في المشرق يبتعدون عن الزنا والخنا ولا يوافقون نصارى الغرب في إباحيتهم وتحدّيهم لأقوال التوراة والإنجيل.. وفسقُ رجال الكنيسة يملأ المجلدات ويزكم الأنوف. وقد ثارت

قضايا كبيرة من اعتداءات البابوات أنفسهم، وإذا علمنا أن الكاردينال روتشيلو (١٥٨٥م ـ ١٦٤٢م) حاكم فرنسا القوي كان مصاباً بمرض الزهري فإننا لا نستغرب أن تنشر مجلة نيوزويك الأمريكية في عددها الصادر ١/٧/١٩٧٤م أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات.

وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها: أن من عشّاقها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كاردينالاً. ونشرت صحيفة الديلي ميل البريطانية عام ١٩٧٠م تحقيقات عن زنا الرهبان والراهبات، وجاء فيها: أن ٨٠ بالمئة من الرهبان والرهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا، وأن ٤٠ بالمئة منهم أيضاً يمارسون الشذوذ الجنسي (اللواطة والمساحقة). وكانت عائلة بورجيا التي تولى منها البابوية اثنان مغرقة في الزنا ونكاح المحارم، وقد جاء ما يلي عن عائلة بورجيا في دائرة المعارف البريطانية[١].

«تمثل عائلة بورجيا البابوات الفسقة الذين ظهروا في القرون الوسطى أصدق تمثيل، ومنهم البابا الإسكندر السادس، حكم في البابوية عن عام ١٤٩٢م إلى عام ١٥٠٣م. اسمه رودريجو بورجيا، ولد في إسبانيا من عائلة غنية عام ١٤٣١م وكان عمه ألونسودي بورجيا رئيس أساقفة فالنسيا في إسبانيا ثم صار كاردينالاً.

«وهو الذي أشرف على تربيته وتعليمه وأهَّله للدخول في سلك الكهنوت والإكليروس. وأقطعه عمه دخل الرتبة الكنسية الهامة، ولمّا يزل في سن المراهقة وعندما تسنّم عمه ألونسودي بورجيا عرش البابوية في روما قام بتعيين ابن أخيه الشاب (٢٥ عاماً) في منصب كاردينال (وهو منصب رفيع جداً في الكنيسة الكاثوليكية. ويحق لمجلس الكاردينالات اختيار البابا عند فراغ المنصب. ولا يعيّن البابا إلا من هؤلاء الكاردينالات). وأصبح رودريجو نائب رئيس الكنيسة في العالم الغربي (Vice Chancellor) (لم تكن البروتستانتية قد ظهرت) وبالتالي استطاع جمع ثروة ضخمة، وكان يعيش عيشة البذخ والفجور. وكان له العديد من العشيقات، والعديد من الأولاد غير الشرعيين الذي يعدّون بالعشرات (لم تكن هناك وسائل لمنع الحمل في ذلك الزمن).

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، المجلد ٦/٤٦٧، مادة: البابا الإسكندر السادس.

وكانت عشيقته المفضلة الإسبانية النبيلة فانوزا كاتاني (Vanoza Catanei) التي أنجبت له أربعة أطفال، اعترف بهم فيما بعد. وهم جوان وقيصر (سيزر) وجوفري ولوكريزا الفاتنة. (رغم أن الكنيسة الكاثوليكية تحرّم على القسس والرهبان والراهبات الزواج) وكان هذا الكاردينال الفاسق الداهية يبيع المناصب الكهنوتية العالية لمن يدفع الثمن، واستطاع بالرشوة أيضاً أن يحصل على عرش البابوية في ١٠ أغسطس ١٤٩٢م في الفاتيكان. وعند توليه عرش البابوية حارب الدولة العثمانية وساند الحملات الصليبية، وبارك ما تفعله إيزابيلا وزوجها فرديناند في إسبانيا من حرب إبادة للمسلمين، وتنكر لكل المعاهدات والاتفاقيات. ودخل بعد ذلك في منافسات وحروب مع ملك فرنسا شارلز الثامن، وحروب ظاهرة وخفية مع كاردينال من أسرة ديلا روفر التي حاولت عزله والإطاحة بعرشه. ولمواجهة المخاطر اتصل البابا بعدوه اللدود بايزيد الثاني، السلطان العثماني ليواجه مكايد ملك فرنسا واستطاع هذا الداهية أن يضطر ملك فرنسا للانسحاب كلياً من إيطاليا.

ثم نصّب البابا ابنه المراهق سيزار كاردينالاً كما فعل عمه من قبل وعيّن شقيق عشيقته المفضلة جوليا بيلا كاردينالاً الذي صار فيما بعد البابا بولس الثالث وعين ٤٧ كارلادينالاً من أنصاره وممن دفعوا الثمن (عشيقة، أموال، خدمات معينة).

ووزع المناصب على أولاده، وزوجهم من أميرات ذوات نفوذ وكذلك فعل مع ابنته اللعوب لو كيرزا التي زوجها لجيوفاني سفورزا حاكم ميلانو، وعندما وجده غير ذي نفع ألغى هذا الزواج بقانون كنسي، ثم زوجها إلى الأمير الفونسو حاكم مقاطعة أرجون في أسبانيا. ثم تزوجت بعد ذلك دوق مقاطعة فيراراً. والمشكلة والفضيحة الكبرى أن لوكيرزا كانت على علاقة محرّمة مع كلٍّ من أبيها البابا المهيب، وأخيها سيزار الكاردينال. وقد أنجبت لوكيرزا من أبيها طفلاً..!!.

واشتعلت النيران في بيت الفسق والفجور فقتل سيزار أخاه الأكبر جوان في ١٤ يونيه ١٤٩٧م. وصُدم البابا فأوقف بيع المناصب الكهنوتية، ومنع اتخاذ العشيقات والمحظيات لرجال الكهنوت مما أدى إلى مواجهات مستعرّة ضد رجال الكهنوت الفسقة الذين جاء بهم وأعطاهم المناصب. وكان هو بفسقه وفجوره مثلهم الأعلى، ودخل في حرب مع الراهب الدومينكاني (الفريري) جيرولامو

سافونا رولا الذي اغتصب السلطة في فلورنسا، إحدى أهم المدن الإيطالية سنة ١٤٩٤م، والذي قام بحملات متتالية تنعي فساد البابا وعائلته وكرادلته. ولكن البابا بدهائه استطاع بمؤامرة دنيئة أن يغتال عدوه اللدود الراهب الدومينكاني جيرولامو سافونا رولا عام ١٤٩٨م.

وقام سيزار في نفس العام بالزواج من شارلوت ألبرت الفرنسية ليوطد العلاقة مع ملك فرنسا لويس الثاني عشر، وذلك بعد أن ألغى البابا زواجه السابق (لا تسمح الكنيسة بإلغاء الزواج إلا بثبوت الزنا). واستطاع سيزار الذي تفوق على أبيه في الفجور والمؤامرات والرشاوي والاغتيالات أن يحكم شمال إيطاليا لدرجة أن ميكافيلي المؤلف المشهور وضع كتابه (الأمير) مستوحياً إياه من حياة سيزار ومؤامراته.

وفي نفس الوقت قام والده البابا بالتحالف مع فرديناند وإيزابيلا ملكَي إسبانيا وقشتالة وأعطاهما لقب ملكين كاثوليكيين. وقسّم ممتلكات العالم الجديد (أمريكا الجنوبية والوسطى) بين الإسبان والبرتغال، وأعطاهما سلطات واسعة في تلك الأصقاع باعتبارهم ممثلين للبابا نفسه. وحاولت البابوية في العصور الحديثة تلميع صورة البابا الإسكندر السادس إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، وظلت صورة البابا الإسكندر السادس تمثل مجموعة البابوات الفسقة الفسدة القتلة في أبشع صورها.

ومن الغريب حقاً أن نجد في هذا العصر شخصاً متديّناً ومتمسكاً بتعاليم يسوع وينفّذها حرفياً على نفسه وذلك في الولايات المتحدة. فقد جاء في الكتاب المرجع (أساسيات الأخلاقيات الطبية الحيوية)[١]: قصة شاب في السابعة والعشرين من عمره قام أول مرة بقلع عينه عام ١٩٦٩م، لأنه يطبق تعاليم يسوع التي جاءت في إنجيل متّى فأُدخل مستشفى المجانين وبقي فترة طويلة، وكان سلوكه مثالياً، ثم سمح المستشفى بإخراجه، ولكنه قام في يونيه ١٩٧١م بقطع يده اليمنى بناء على أوامر يسوع الذي تراءى له، لأنه سرق من أحد المتاجر ولم ينتبه له أحد. فقام بتطبيق تعاليم يسوع، فأُدخل مستشفى المجانين مرة أخرى، وبقي فيه فترة طويلة. وهو يصرُّ على أنه سليم عقلياً وأنه يقوم فقط بتنفيذ ما أمره به

(١) T.Beauchamp, J.Childress: Principles Of Biomedical Ethics 2nd edition, Oxford University Press, New York, Oxford, 1983, PP295-296.

يسوع ﷺ. والمستشفى يقر بأن سلوكه مثالي، وفي منتهى العقل، ولكنه يقرُّ أيضاً بأن الرجل لا يزال يشكلُ خطراً على نفسه، وربما على غيره عندما يعتقد أنه ينفّذ أوامر يسوع.. وطالت المشكلة بين الأهل الذين يطلبون إبقاءه في المستشفى وبين الأطباء الذين يرون أنه لا يعاني من أي جنون. ثم ظهرت مشكلة من يدفع تكاليف المستشفى وتكاليف العلاج؟ وقد أعلن الأهل أنهم لا يستطيعون الاستمرار في دفع الفواتير الباهظة... إلخ.

والمقصود من هذه القصة وإيرادها ها هنا هو أن من يقوم بتنفيذ تعاليم يسوع يعتبره المجتمع الحديث مجنوناً، ولا بد من إدخاله مستشفى الأمراض العقلية!! وأن من يقوم برفض تعاليم يسوع يعتبر إنساناً عاقلاً، بل إن الكنائس المسيحية التي تدّعي أنها تعبد اليسوع، وتتبعه تقوم علناً برفض تعاليم اليسوع، وتنكرها وتسخر منها. ولم يكتفِ هؤلاء القُسُس والأحبار بالزنا واللواطة والمساحقة ولكنهم أضافوا إلى ذلك الاعتداء الجنسي على الأطفال، وقد ازداد الاعتداء الجنسي على الأطفال في الكنائس لدرجة أثارت الرعب، وأدت إلى حَمَلات ضخمة ضد الكنيسة في الولايات المتحدة وأستراليا. وقد جمعت من الإنترنت أكثر من ٢٠٠ صفحة عن اعتداء رجال الكنيسة على الأطفال جنسياً، وأن يقوموا رسمياً بتزويج الرجال على الرجال والنساء على النساء في كنائس خاصة تسمح بذلك العفن.. وفي ٧ أغسطس ٢٠٠٣م تم تعيين شخص (يدعى جين روبنسون) يعلن شذوذه الجنسي ويدخل الكنيسة مع عشيقه، تم تعيينه مطراناً وأسقفاً في الكنيسة الأسقفية في الولايات المتحدة. وهي إحدى الكنائس الإنجليكانية التي يرأسها رئيس الأساقفة في كانتربري في بريطانيا وقد تم انتخابه بأغلبية ٦٢ صوتاً ضد ٤٥ من المعارضين وذلك في الكنيسة الأسقفية (Episcopal Church) ليصبح الأسقف والمطران لولاية نيوهامبشير الأمريكية[(١)].

وقد نشرت صحيفة نيوستريت تايمز الماليزية في عددها الصادر ٢ أكتوبر

---

(١) وقد ورد في (تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل) للقاضي أبي للبقاء صالح بن الحسين الجعفري: أن النصارى أرادوا تنصيب رئيس لهم (بطريركاً)، فجاء أحد كبار القساوسة واعترف بأنه كان مع هذا البطرك يلوطان ببعض ويفعلان الفاحشة، أي أن الأمر قديم جداً فيهم. تحقيق د. محمود عبد الفتاح قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ٢/ ٥٩٥.

٢٠٠٣م صفحة (٢٢) نقلاً عن وكالة الأنباء أن الحكومة الإيرلندية تواجه معضلة دفع تعويضات تبلغ بليون يورو كتعويضات لضحايا الاعتداء الجنسي الذي يقوم به رجال الكنيسة الكاثوليك في إيرلندا ضد الأطفال هناك منذ فترة الثلاثينات من القرن العشرين. وقد وافقت الكنيسة الكاثوليكية على دفع ١٢٨ مليون يورو كتعويض للمتضررين من اعتداءات رجال الكنيسة الجنسية على الأطفال. وستواجه الكنيسة أكثر من ١٠٨٠٠ دعوى جديدة بالتعويضات نتيجة اعتداءات رجال الكنيسة على الأطفال في ذلك البلد، وهو ما يرفع مبالغ التعويض إلى بليون يورو لا تستطيع الكنيسة دفعها، ومطلوب من الحكومة أن تتولى هي الدفع نيابة عنها!!.

الحلف بالله:

يقول يسوع في موعظة الجبل: «سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحْنَثْ بل أوْفِ لربك إقسامك. وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنها لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء ولا سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير» (متّى ٥/ ٣٣ ـ ٣٧).

التسامح ومن لطمك على خدك الأيمن فأعطه الأيسر وموقف الكنيسة المغاير:

يقول يسوع: «سمعتم أنه قيل: عين بعين وسنّ بسنّ، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّلْ له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخّرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا تَرُدَّه» (متّى ٥/ ٣٨ ـ ٤٢).

وهذا لا شك أقسى وأصعب التوصيات والأوامر التي لم تنفَّذ قط عند أتباع عيسى على مدى ألفي عام. بل كانوا في منتهى الظلم، والهمجية، والبربرية، وسفك الدماء البَرِيَّة. فمن ذا الذي يستطيع أن ينفذ تعاليم يسوع: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات» (متّى ٥/ ٤٣ ـ ٤٥).

وعندما تمكّن النصارى واستطاعوا أن يقنعوا قسطنطين الإمبراطور بالانضمام إليهم وصاروا رجال دولته فإنهم ما انفكّوا يعذّبون مخالفيهم ومن أجل ذلك أضافوا إلى تعاليم يسوع المنادية بالبرّ وبالمحبة وبالتسامح تعاليمَ أخرى نسبوها إليه تنادي بإبادة الأعداء (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدّامي) (لوقا ١٩/ ٢٧).

ويزعمون أنه قال: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟ ولي صبغة أصبغها وكيف أنحصر حتى تكمل؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض؟ كلا أقول لكم: بل انقساماً» (لوقا ١٢/ ٢٩ ـ ٥١).

وقد بدأت الكنيسة هذه الحرب أو الأمر ضد من خالفوها وكانت لهم أناجيل تختلف عن الأناجيل الأربعة، وتجعل يسوع بشراً رسولاً فكفّروهم وطردوهم وسمَّوهم هراطقة. واستمرت موجات قتل الهراطقة في أوربا إلى القرن الرابع عشر، فقد قُتل أكثر من عشرة آلاف شخص بتهمة الهرطقة في فرانكفورت ونورمبرج وغيرها من مدن ألمانيا بسبب ظهور بقع دموية على القربان الموجود في بعض كنائس ألمانيا، واعتبر ذلك دليلاً على وجود السحرة والمهرطقين الذين لا يحترمون تعاليم دينهم، فتمَّ في عام ١٣٢٩م قَتْلُ أكثر من عشرة آلاف بريء بهذه التهمة.

وكانت محاكم التفتيش البابوية قد قتلت في إسبانيا وبقية أوربا مئات الآلاف خلال قرون الظلام بتهمة قتل الهراطقة. وعندما استولى الإسبان على الأندلس الإسلامية قتلوا مئات الآلاف وشردوا الملايين... واضطر جميع من بقي لدخول المسيحية، ورغم ذلك لحقتهم محاكم التفتيش، فقتلت الآلاف منهم إذا وجدت أن أحداً لم يأكل الخنزير، أو اختتن أحدٌ في بيته، أو قام بأي سلوك ينمّ عن انتمائه للحضارة الإسلامية، ولو كانت مجرد نوع من الطبخ أو أغنية من الأغنيات التي كانت موجودة في الأندلس.

وفي الحروب الصليبية قامت أوربا في القرن العاشر والحادي عشر بذبح النصارى الموجودين في القسطنطينية لأنهم مخالفون لنصارى أوربا الغربية، ثم كانت مذابحهم في المشرق مروعة، ويكفي أن نعرف أنهم قتلوا سبعين ألفاً من المصلين والملتجئين إلى المسجد الأقصى عند دخولهم إليه حتى وصلت الدماء عنان الخيل.

وعند وصول الأوروبيين إلى الأمريكيتين (الشمالية والجنوبية) كان فيهما ما يقرب من مئة مليون ممن يُسَّمون الهنود الحمر، وقام الرجل الأوروبي بقتل غالبية السكان، وفرض الدين المسيحي على من بقي منهم. ونحيل القارئ إلى كتاب هام في هذا الموضوع هو (المسيحية والسيف) بقلم المطران برثولومي دي لاس كازاس ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية (بيروت ١٩٩١م). وفيه تحدّث المؤلف عن مشاهداته للمذابح التي أقامها الإسبان ورجال الكنيسة للهنود الحمر في أمريكا الجنوبية، فكان هو أول كاهن يعيّن في البحر الكاريبي عام ١٥١٣م، ولم يقبل ضميره هذه المجازر الرهيبة للهنود الحمر فكتب كتابه إلى ملك أسبانيا يوضح له الحقائق ويطلب منه التدخل لإيقاف المذبحة الرهيبة، ولكن ملك أسبانيا لم يُعِر الأمر اهتماماً.

كما نحيل القارئ لكتاب صدر حديثاً في الولايات المتحدة بعنوان (الجانب المظلم من التاريخ المسيحي) للباحثة هيلين أليربي[1] التي أوضحت فيه جرائم القتل وسفك الدماء التي قام بها النصارى منذ أن انضم الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية، وتكوّن التحالف بين الإمبراطور ورجال الكنيسة، وتحوّلت الأعياد الوثنية إلى أعياد مسيحية، كما تحولت معظم الطقوس الوثنية إلى طقوس مسيحية، وتم إعدام المخالفين. واستمر الاضطهاد بين المسيحيين أنفسهم حتى إن الكنائس الشرقية عانت معاناة شديدة من الكنائس الإمبراطورية (المذهب الملكاني).. وكان أتباع نسطور واليعاقبة في الشام والعراق ومصر يعانون الاضطهاد والتعذيب على يد رجال المذهب الملكاني، وكان ذلك من أسباب مناصرة المسلمين وتأييدهم عندما جاءت جيوش الفتح في عهد عمر بن الخطاب ﷺ. ويكفي أن نعرف أن جيش عمرو بن العاص الذي غزا به مصر كان مكوَّناً من أربعة الآف مقاتل فقط وكان في مصر من الرومان أكثر من مئة ألف مقاتل، وسكان مصر آنذاك من القبط عشرون مليوناً.. ورغم العدد الضئيل لجيش عمرو بن العاص (زاده عمر إلى اثني عشر ألفاً) إلا أنه استطاع أن يهزم الروم شرَّ هزيمة وذلك بسبب تعاون الأقباط معه وترحيبهم به، وتقديمهم كل معاونة ممكنة حتى إن بعضهم قاتل معه فعلياً، وأمدّه الآخرون بالمِيرة، كما دّلوه على مكان العدو ومواقع الغرّة منه.

---

(١) Hellen Ellerbe: The dark side of christian History, 1995, Morning star and Lark, Orlando, U.S.A.

وتاريخ النصرانية في أوروبا تاريخ دماء، فكم من الحروب قامت بين الفرق المسيحية المختلفة، وكم من الحروب قامت بين ملوك أوروبا والبابوات. . . ثم كم من الحروب المدمرة قامت بين البروتستانت والكاثوليك (حرب المئة عام، حرب الثلاثين عاماً، حرب الروزيس. . إلخ). . وآخر هذه الحروب حرب الكاثوليك ضد البروتستانت في إيرلندة الشمالية والتي لا تزال تستعر من حين لآخر حتى اليوم. وتاريخ البابوية والكنيسة في أوروبا تاريخ مظلم شديد الظلام، فاسد شديد الفساد، ولم تقلّ عنه الحركة البروتستانتية دموية. . وهتلر وموسوليني كانا مسيحيين متعصبين، وكذلك كان الحلفاء، وقد قُتل في الحرب العالمية الثانية أكثر من خمسين مليون شخصٍ. والقائمون بهذه الحرب على كلا الجانبين كانوا من المسيحيين وكلاهما يرفع الصليب وإن كان أحدهما معقوفاً والآخر غير معقوف. وكان رجال الثورة الفرنسية يقولون: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس.

تنديد يسوع بالمرائين ودعوته إلى الزهد:

كان في زمن يسوع مجموعة من الفرق اليهودية نَدَّدَ يسوع منها بفرقة الفريسيين والكتبة الذين اشتُهروا بالتظاهر بالدين والتشدد فيه وكثرة الرياء والتظاهر فيه. كما ندد يسوع بفرقة الصادوقيين الذين ينكرون القيامة والبعث، فمنهم رئيس الهيكل حنانيا وقريبه قيافا، وكانوا موالين للرومان، ومن قبل لليونان وثقافتهم إلى حد كبير هيلينستية (يونانية) وعلاقتهم بالدولة قوية، ويعلنون لها الولاء، على عكس الفريسيين الذين كانوا يكرهون الرومان ومنهم ظهر المتعصبون أو القناؤون أو السفاكون الذين ثاروا عدة مرات على الدولة، وأثاروها حرب عصابات ضد الدولة الرومانية الوثنية التي أمرت بتقديم القرابين إلى الإمبراطور والآلهة. ومن الفرق اليهودية في زمن يسوع فرقة السامرة الذين اعتزلوا في السامرة (نابلس)، وكان لهم هيكلهم الخاص في جبل جرزيم، وينكرون هكيل القدس ولا يؤمنون من العهد القديم إلا بالأسفار الخمسة الأولى (أي أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة). والسامريون هم خليط من اليهود الذين بقُوا في فلسطين بعد النفي إلى بابل واختلطوا بالآشوريين وغيرهم وتزاوجوا منهم فاحتقرهم اليهود لذلك.

يقول يسوع لأتباعه أن يحذروا الرياء: «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدّام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عندك أبيكم الذي في السموات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع والأزِقَّة لكي يمجّدوا من الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تُعرّف شمالك بما تفعل يمينك؛ لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يراك في الخفاء هو الذي يجازيك في العلانية.

«متى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلّوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس. الحق أقول لكم: إنهما قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء؛ فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك في العلانية...

«ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين؛ فإنهم يغيّرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين، الحق أقول لهم: إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صمت فادهَنْ رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوس والصدأ، وحيث ينقُبُ السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد السوس ولا صدأ وحيث لا ينقب السارقون... فإن كان النور الذي فيك سلاماً فالظلام كم يكون!!».

«**لا يقدر أحد أن يخدم سيدين**؛ لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال؛ لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ لكن اطلبوا أولاً

ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شرّه» (متّى: الإصحاح السادس).

وهذه دعوة للزهد وعدم الرياء في قوم من اليهود اشتُهروا بالرياء وحبِّ المال حتى عبدوا العجل الذهبي. وقليل من المسيحيين على مدى التاريخ التزموا بهذه التعاليم وكان منهم قسيسون ورهبان لا يستكبرون.. وأما غالبيتهم بما فيهم البابوات فاكتنزوا المال وعبدوه، وجعلوه إلٰههم الأول، واستعبدوا العالم من أجله واجترحوا جميع الموبقات في سبيله، وقتلوا وسفكوا الدماء، ونشروا الفساد في الأرض، واستعبدوا الأمم ولا يزالون. وهم يدّعون أنهم أتباع يسوع المسيح؛ فما أبعدهم عن يسوع وعن تعاليمه!.

قال تعالى يصف ما يفعلون: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

تنديد يسوع بالفريسيين والكتبة:

ووبخ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الفريسيين والكتّاب والأحبار اليهود قائلاً لهم: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدّام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل. ولعلّه تطيلون صلاتكم؛ لذلك تأخذون دينونة أعظم. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبرّ لتكسبوا دخيلاً واحداً، ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً... ... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون (أي أشياء تافهة) وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان... أيها القادة العميان الذين يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل، (وهم كما قال عبد الله بن عمر فيما بعد في أهل العراق يسألون عن دم البعوضة ويسفكون دم الحسين عليه السلام). ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً

ودعارة. أيها الفريسي الأعمى، نَقِّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجها أيضاً نقياً. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، تشبهون قبوراً مبيّضة: تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً... أيها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم؟ لذلك ها أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح.. يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين... كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا؟ وهذا بيتكم يترك لكم خراباً لأني أقول لكم: إنه لا يترك حجر على حجر هاهنا لا ينقض». (إنجيل متّى ٢٣: ١٢ ـ ٣٨ وإنجيل متّى ٢٤:٢).

لا تدينوا الناس:

وجّه يسوع إلى تلاميذه وأتباعه الدعوة إلى أن لا يدينوا الناس حتى لا يُدانوا قائلاً: «لا تدينوا لكي لا تدانوا؛ لأنكم بالدينونة التي تدينون بها تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم. لماذا تنظر القذى في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ يا مراءٍ أخرج الخشبة أولاً من عينك، وحينئذٍ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك. لا تعطوا القدس للكلاب.. ولا تطرحوا درركم قُدّام الخنازير».

الجدُّ والاجتهاد في الطلب من الله:

«اسألوا تُعْطَوا، اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتَحْ لكم لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له» (متّى ٧/ ١ ـ ٨). ويشرح لهم أن يطلبوا من الله وأن يجتهدوا في قرع الباب فإن الله كريم لا يرد من سأله. **ثم ينبههم يسوع ﷺ من الأنبياء الكذبة قائلاً: «احترزوا من الأنبياء الكذبة** الذين يأتونكم بثياب الحِملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. فمن آثارهم تعرفونهم، هل يجنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً؟... فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح، ووقعت على ذلك

البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسَّساً على الصخر، وكل من يسمع أقوالي ولم يعمل بها يُشبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبّت الرياح، وصدمت البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً». (متّى ٧/ ١٥ ـ ٣٧).

وقال يسوع للتلاميذ: **«مجّاناً أخذتم مجّاناً أعطوا. لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم. ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصباً؛ لأن الفاعل مستحق طعامه. وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق، وأقيموا هناك حتى تخرجوا، وحين تدخلون البيت تسلِّمون عليه» (١٠/ ١١ ـ ١٢).**

بشارات بالنبي محمد ﷺ:

جاءت بشارات بالنبي محمد ﷺ في أسفار العهد القديم، ولكن كُتَّاب العهد الجديد جعلوها في عيسى عليه السلام. ومن ذلك ما في متّى (١٢/ ١٤ ـ ٢٢): «فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، وانصرف من هناك، وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً وأوصاهم أن لا يظهروا. لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل: هو ذا فتاي الذي اخترته. حبيبي الذي سُرَّت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر بين الأمم بالحق، لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة وفتيلة مُدخّنة لا يطفئ، حتى يخرج الحق على النصرة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم».

فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص وإنه لموصوف في التوراة بمثل ما هو موصوف به في القرآن. فقد أخرج البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمرو بن العاص عندما سئل عن وصف النبي ﷺ في التوارة (وكان عبد الله يقرأ التوراة والكتب القديمة) فقال: «أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاً للأميين، فأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل. ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع (باب كراهية السخب في الأسواق)، وكتاب التفسير (وسورة الفتح الحديث رقم ٢١٢٥ و٤٨٣٨).

وجاء في إنجيل متّى (٢١/ ٤٢ ـ ٤٤): «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه». فالحجر الذي رفضه البناؤون (بنو إسرائيل) هو إسماعيل وأولاده، ومنه يخرج محمد ﷺ فيصبح هو رأس الزاوية في بناء الأنبياء العجيب. وتنزع النبوة من بني إسرائيل وتُعطى لبني إسماعيل فيقومون بالدين خير قيام. ويصبح هذا الدين مثل الصخرة من سقط عليه يترضض. وأما من وقعت عليه الصخرة فهو يُسْحَق.

جاء في إنجيل متّى (٢١/ ٢٤): «إن ملكوت الله يُنزع منكم (أي اليهود) ويعطي لأمة تعمل أثماره». وهم المسلمون الذي حملوا دين الله إلى كافة أصقاع الأرض.

وجاء في إنجيل يوحنا (٦/ ٥ ـ ١٤): «وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني، ليس أحد منكم يسألني: أين تمضي؟ لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم، لكني أقول لكم الحقّ: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي (باليونانية البارقليط أو الفارقليط. قالوا: إن ترجمتها الأكثر حمداً أو أحمد)».

«ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيّة وعلى برّ وعلى دينونة. أما على خطيّة فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على برّ فلأني ذاهب إلى أبي (بالمعنى المجازي) ولا ترونني أيضاً. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين».

«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ؛ لأنه. لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدّني لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم».

وتدلُّ كلمات يسوع ﷺ على أنه قد بشر بالرسول محمد ﷺ وسمّاه الفارقليط (البارقليط) أي الأكثر حمداً أو أحمد، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: ٦].

ورسول الله ﷺ لا يتكلم من عند نفسه بل بكل ما يسمع من الوحي يقول كما جاء عن عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١ ـ ٥]. فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل ما يقوله له جبريل عليه السلام من الوحي يقوله ويعلنه. والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة جداً. والأحاديث النبوية في البخاري وغيره تشرح كيف كان يأتيه الوحي في أشكال متعددة مثل صَلْصَلَة الجرَس فَيَفْصِمُ عنه وهو يتفصّد عرقاً في الجو البارد، أو يأتيه على هيئة رجل وبالذات على صورة دحية الكلبي، أو يأتيه في مثل النوم. ورأى جبريل على هيئته التي خلقه الله عليها مرتين، في أول البعثة وعندما أُسري به وعرج إلى السموات.

لهم أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها:

وكان يسوع يكلِّمهم بالأمثال فقال له التلاميذ: «لماذا تكلمهم بأمثال؟ فأجاب وقال: لأنه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأما لأولئك فلم يُعْطَ.. ومن أجل هذا أكلِّمهم بأمثال لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون. فقد تمت فيهم نبوءة أشعيا القائلة: تسمعون سمعاً ولا تفهمون ومبصرون تبصرون ولا تنظرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظ، وآذانهم قد ثَقُل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع». (متّى ١٣/ ١٠ ـ ١٦) وفي أعمال الرُسل (٢٨/ ٢٧، ٢٦): «ستسمعون سمعاً ولا تفهمون، وستنظرون نظراً لا تبصرون. ولأن قلب هذا الشعب قد غلظ. بآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها؛ لئلا يبصروا بأعينهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم». وهذه الكلمات تشبه في معانيها ما ورد في القرآن الكريم عن هؤلاء الذين لهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم قلوب لا يفقهون بها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨﴾ [الأعراف: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣].

وقال يسوع عن الفريسيين الذين يعترضون عليه ويشددّون في المظاهر ويتركون الجوهر: «اتركوهم. هم عميان، قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في الحفرة» (متّى ١٥/ ١٤). وقد أكد يسوع ﷺ أنه لم يرسل إلا لبني إسرائيل في أكثر من موضع في الأناجيل فعندما خرج يسوع إلى نواحي صور وصيدا (في جنوب لبنان) وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال: **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة. فأتتْ** وسجدت له قائلة: يا سيّد أعنّي. فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. (كلام شديد لعلّه من وضع اليهود الذين تبعوا يسوع وليس من قول يسوع) فقالت: نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذٍ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة، عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين. فشُفيت ابنتها من تلك الساعة».

ويستخدم المسيحيون البروتستانت المعاصرون المتصهينون هذا الكلام من أجل دعم إسرائيل، وأن على المسيحين أن يعملوا خدماً لدى اليهود ويأكلوا من فتات موائدهم.

ولم يعتبروا أن كفر اليهود ومحاولتهم قتل يسوع (وهم يعتقدون أنهم فعلاً صلبوه وقتلوه) قد أخرجهم من الامتيازات والخيرية التي كانت لهم بين الأمم، فأصبحوا بموقفهم الشائن ذلك أعداءَ لله وللمسيح والبشرية قاطبة.

من تعاليم يسوع الحقّة حفظ الوصايا وثقل الغنى:

جاء في إنجيل (متّى ١٩/ ١٦ ـ ٢٩): «وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أيّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: **لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله** (المقصود أن كل البشر خطاؤون وأن الصلاح المطلق الكامل هو الله وحده)، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له: أيّة الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن، لا

تسرق، ولا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك قال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتي، وماذا يعوزني بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبعْ أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة. فقال يسوع لتلاميذه: **الحقّ أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضاً: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله**. فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين: إذاً من يستطيع أن يخلّص؟ فنظر لهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاعٌ».

وقد طلب يسوع من تلاميذه عندما تبعوه أن يتركوا أموالهم وأهليهم ويكونوا لله في كل شيء فتبعوه. وهم الحواريون الاثنا عشر، وأما الآخرون فلم يصلوا إلى هذه المرتبة. وكان الحواريون في أغلبيتهم من الفقراء والصيادين، ومنهم متّى العشّار فتاب، وتبع يسوع المسيح ولكن النصارى في كل زمن وفي كل مكان نبذوا تعاليم يسوع وسعوا وراء الأموال وخاصة الأحبار والرهبان، إلا من عصم ربك وهم قليل على مدى التاريخ.. فهل أمريكا التي تعبد المال مسيحية؟.

يسوع يندد بالباعة والصيارفة في داخل الهيكل:

جاء في إنجيل (متّى ٢١/ ١٢ ـ ١٣): «ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص».

ولم يكتف الأحبار من اليهود بتحويل الهيكل إلى مكان للباعة والصيارفة حيث كانوا يؤجّرونه لهم ويأخذون منهم الأموال، بل بلغت بهم الوقاحة في بعض الفترات أن جعلوا في الهيكل بغايا ومخنثين ليفعلوا بهم الفاحشة ويؤجرونهم ويأخذون منهم الأموال السحت الحرام، حتى ندد بها أرميا وأشعيا.

لهذا كله كان يسوع شديداً على هؤلاء الأحبار الذين حولوا الهيكل إلى نجاسة، وبيت الله إلى دار نخاسة. فقال لهم: «الحقّ أقول لكم: إن العشّارين

والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله لأن يوحنا جاءكم في طريق الحقّ فلم تؤمنوا به. وأما العشارون والزواني فآمنوا (وتابوا على يديه كما تاب كثير على يدي يسوع). وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به» (متّى ٢١/ ٣١ ـ ٣٢).

إطعام الفقير والمسكين وكسوته وزيارة المريض وأجرها العظيم عند الله:

في يوم القيامة يتحدث الملك للذين عن يمينه قائلاً: «تعالوا يا مباركي أبي، رِثُوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عشت فسقيتموني. كنتُ غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ. فيجيبه الأبرار قائلين: يا ربّ (بمعنى يا سيد) متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحقُّ أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغرة فبي فعلتم».

«ثم يقول للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وجنده؛ لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تأووني، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني. حينئذٍ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يا رب متى رأيناك جائعاً، أو عطشاناً، أو غريباً، أو عرياناً، أو مريضاً، أو محبوساً فلم نخدمك؟ فيجيبهم قائلاً: الحقّ أقول لكم: بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (متّى ٢٥/ ٣١ ـ ٤٦).

وكلام يسوع هذا يذكرنا بماجاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٦٦١) (كتاب البر/ باب فضل عيادة المريض) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تَعُدْني. قال: يا ربِّ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تَعُدْه، أما علمت أنّك لو عُدْته لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتُك فلم تطعمني. قال: يا ربِّ وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه. أما علمت أن لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب

كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تَسقه. أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي.

قال الإمام النووي في شرحه لحديث مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه ﷻ، والمراد العبد تشريفاً للعبد، وتقريباً له. قالوا: ومعنى (وجدتني عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث: لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي، أي ثوابه. والله أعلم.

ونجد صدى قول يسوع: «لماذا تنظر القذى في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟!» (متّى ٣/٧)، في قوله ﷺ: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه». أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة. وروى الديلمي عن أنس بن مالك قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس». وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المماراة قوله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل موكَّلاً بذنوب الناس، ناسياً ذنبه، فاعلموا أنه قد مُكرِ به». رواه بكر بن عبد الله المزني.

محبة يسوع للأطفال ومحبة الرسول ﷺ لهم:

بينما كان يسوع يعظ الجموع قدّموا إليه أطفالاً لكي يلمسهم ويباركهم فمنعهم التلاميذ لكي لا يشغلوا يسوع عن موعظته فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم: «دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله. الحقّ أقول لكم: لا يقبل الله مثل ولد فلن يدخله. فاحتضنهم ووضع يده عليهم وباركهم» (إنجيل مرقس ١٠/١٣ ـ ١٦).

وهذا يذكرنا بصفات النبي ﷺ ومحبته للأطفال وتقبيله لهم، وإنكار الأقرع بن حابس التميمي عندما رآه يقبل الأطفال فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت أحداً منهم قط، يظن أن ذلك رجولة وقوة، فقال له الرسول الكريم البرّ الرحيم: ما أصنع لك إن نزع الله الرحمة من قلبك. وفي رواية: من لا يَرْحَم لا يُرْحَم.

وكان ﷺ يتجّوز (أي يسرع) في صلاته إذا سمع بكاء طفل وراءه، حتى لا يطول بكاؤه فتأخذه أمه. وكان يتألم عندما يرى طفلاً تُساء معاملته ويغضب عندما

كانوا يدغرون أطفالهم عند التهاب اللوزتين. وكان يقول للأمهات: علام تدغرن أطفالكن؟ (وكان الدغر يتم بآلة حادة تفتح بها مكان الصديد من اللوز الملتهبة فيسيل الدم والقيح من فم الطفل)، عليكن بالكست (الكست الهندي).

وكان ﷺ يلعب مع أحد الأطفال ويسأله عن طير صغير كان يلعب به فيقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير؟

وكان ﷺ يكسو الأطفال فإذا جاءته ألبسة حسنة كسا منها الأطفال.. وكان صلوات ربي عليه يسمح لهم حتى أن يعبثوا بخاتم النبوة بين كتفيه ويتركهم ويمنع أهلهم من نهرهم.

وهذه الصورة المشرقة الجميلة نراها في عيسى عليه السلام كذلك فالأنبياء أبناء علّات أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات صلى الله عليهم جميعاً.

قصة زكريا في الإنجيل مماثلة إلى حد كبير قصته في القرآن الكريم:

جاء في إنجيل (لوقا ١/ ٧ ـ ٢٢): ولم يكن لهما ولد إذ كانت إليصابات (زوجة زكريا) عاقراً، وكان كلاهما متقدمين في أيامهما. فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخّر. وكان كل جمهور الشعب يصلّون خارجاً وقت البخور، فظهر له ملك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملك: لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سُمعت، وامرأتك إليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا. ويكون ذلك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب، وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلٰههم، ويتقدم أمامهم بروح إيليا وقوّته ليردّ قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً. فقال زكريا للملك: كيف أعلم هذا لأني شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها؟ فأجاب الملك وقال له: أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدّق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئ إليهم وبقي صامتاً».

وفي القرآن الكريم جاءت قصة زكريا في سورة آل عمران وفي سورة مريم؛ قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٣٨ ـ ٤١].

وفي سورة مريم: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ٢ ـ ١١].

وهناك تشابه بين ما ورد في الإنجيل وبين ما ورد في القرآن الكريم مع اختلاف في التفاصيل لا يؤثر في جوهر القصة.

قصة مولد عيسى عليه السلام في الإنجيل والقرآن:

وكذلك قصة مولد عيسى عليه السلام فيها تشابه بين ما ورد في القرآن الكريم وفي الإنجيل مع اختلاف كبير في كثير من التفاصيل.

جاء في إنجيل (لوقا ١/ ٢٦ ـ ٣٨): «وفي الشهر السادس من (حمل إليصابات زوجة زكريا) أرسل جبرائيل الملك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بني داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملك وقال: سلام لك أيتها المنعَمُ عليها، الرب معك. مباركة أنت في السماء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملك: لا تخافي مريم لأنك وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً

وتسميته يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلّي يدعى، ويعطيه الربّ الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟! فأجاب الملك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فذلك أيضاً القدّوس المولود منك يدعى ابن الله (أعوذ بالله من الكفر). وهوذا إليصابات حبلى بابن في شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: هوذا أنا أمة الربّ. ليكن لي كقولك فمضى من عندها الملك».

وفي سورة آل عمران ترد قصة حمل مريم بعيسى عليه السلام بصورة مشابهة إلى حد ما بدون الكفر والتجديف وإضفاء صفة ابن الله وابن العلي على عيسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٥١].

وقصة الحمل متشابهة ما بين القرآن الكريم وما ورد في إنجيل لوقا إلى حد ما، وبحذف الأوصاف التي تؤلّه عيسى وتجعله ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ثم إن جميع الآيات والمعجزات التي قام بها عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وشفاء المرضى وإحياء الموتى قد جاءت في الأناجيل بتفاصيل كثيرة. ولكن لم يرد فيها قط أن عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله. ولو وردت هذه لديهم لازدادوا في غيّهم، وتسميته بابن الله العلي. وفي سورة مريم ترد قصة مريم وميلاد عيسى عليه السلام بعد قصة زكريا ومولد يحيى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ

أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا
﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ
هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ
فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ
مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ
سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا
﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ
ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٥].

ولا ترد في الأناجيل ولا غيرها من كتب النصارى أن عيسى عليه السلام تكلَّم في المهد، ولو كان ذلك لديهم لازدادوا عُتُوّاً، ولاعتبروا ذلك دليلاً على ألوهيته وبنوته لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وما ورد في الأناجيل هو أن يوسف النجار خطيب مريم أراد أن يتركها عندما علم بحملها ولكن الملك تراءى له وأخبره أنها طاهرة وأن الحمل من الروح القدس فأبقاها وأتم مراسيم زواجها، ولكنه لم يعرفها ـ أي لم يجامعها ـ حتى ولدت يسوع. ولما أراد هيرودوس الملك قتل يسوع بعد نبوءة المجوس الذين أعلنوا مولد ملك اليهود، أخذ يوسف النجار زوجته وابنه ـ حسب زعمهم ـ إلى مصر وبقي فيها إلى سن العاشرة ثم عاد به إلى فلسطين بعد مَمات الملك. وكان يسوع يذهب مع أبيه وأمه إلى أورشليم وإلى الهيكل في عيد الفصح وفي سن الثانية عشرة ترك أمه وأباه حسب زعمهم وبقي يناقش ويحاور الأحبار، وأمه وأبوه يبحثون عنه وكان حسب زعمهم وقحاً معهم عندما طلب منهم أن لا يبحثوا عنه. وكما أسلفنا في أبواب سابقة كان وقحاً جداً حسب زعمهم مع أمه وإخوته وهو كله افتراء على عيسى عليه السلام.

يحيىٰ (يوحنا المعمدان) يبشر بعيسى عليه السلام ويدعو إلى التوبة:

جاء في إنجيل (لوقا٦/ ٢ ـ ١٦) في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن (أي بنهر الأردن) يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر أقوال أشعيا النبي القائل: صوت صارخ في البّريّة: أعدّوا طريق الربّ. اصنعوا سبلاً مستقيمة. كل وادٍ يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقاً سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله.

«وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا للغضب الآتي. فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم: لنا إبراهيم أباً. لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. وكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار. وسأله الجموع: ماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشّارون أيضاً ليعتمدوا فقالوا له: يا معلم ماذا نفعل؟ فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضاً قائلين: وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائقكم».. ثم بشر بمجيء يسوع قائلاً: «أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار». ثم قام يحيى بتعميد يسوع في نهر الأردن حسب طلب يسوع. ومنذ تلك اللحظة حلّت على يسوع الروح القدس وبدأ في مهمته ودعوته.

وفي سفر متّى ٣/ ١ ـ ١٢ وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان في بريّة اليهودية قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات... يوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلاً بريّاً. حينئذٍ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية، وجمع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم. فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة..». ثم كرر نفس الكلام الموجود في لوقا.

إن يوماً واحداً عند الربّ كألف سنة:

جاء في رسالة بطرس الثانية (٣/٨ ـ ١٠): «إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنّى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلصٍ في الليل يوم الرب (أي يأتي فجأة وبغتة) الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحلّ العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات».

وفي القرآن الكريم نجد قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٧، ٤٨]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [السجدة: ٥، ٦].

يسوع يقول: إنه رسول من عند الله:

يقول عيسى عليه السلام: «الحقّ الحقّ أقول لكم: الذي يقبل من أرسله يقبلني، والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني» يوحنا (١٣/ ٢٠). ويقول لهم: «لكن الذي أرسلني هو حقّ. وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم» (يوحنا ٨/ ٢٦) فهو عليه السلام رسول الله يبلغ رسالته كما سمعها من الله بواسطة الروح القدس جبريل عليه السلام، كما هو شأن رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

ويستخدم الإنجيل لفظ (أبي وأبيكم) على المعنى المجازي: فالله هو أبو الخلائق جميعاً، بمعنى عائلهم، فآمن به مجموعة من اليهود فهو يدعوهم ويعظهم فقال لهم: «إنكم إن ثبتّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق، والحقّ يحرّركم. أجابوه: إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط. كيف تقول: إنكم تصيرون أحراراً. أجابهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم: إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة... أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم. أتكلم بما رأيت عند أبي وأنتم تعلمون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا: أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان أكلّمكم بالحق الذي سمعته من الله. هذا

لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم (يقصد إبليس) فقالوا له: إننا لم نولد من زنا (يتهمونه عليه السلام أنه ابن زنا) لنا أب واحد وهو الله (أي إن أبانا الذي يرزقنا وعليه نتكل هو الله وليس إبليس كما زعمت)، قال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت. **لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني**. لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم (إبليس) تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس منذ البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذّاب وأبو الكذب. وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي» (يوحنا ٨/ ٣٠ ـ ٤٥).

ويقول يسوع: «**ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني**» (مرقس ١٩/ ٣٧). ويقول: «**تعليمي ليس لي بل الذي أرسلني**. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله؟ أم أتكلم أنا من نفسي؟ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم» (يوحنا ٧/ ١٦ ـ ١٨). ويقول: «**أنا معكم زماناً يسيراً ثم أمضي إلى الذي أرسلني**» (يوحنا ١٧/ ٣٣) ويقول عليه السلام: «إن كنت أنا أدين فدينونتي حق لأني لست وحدي، بل أنا والأب (الله) الذي أرسلني» (يوحنا ٨/ ١٦). وعندما كان يصنع المعجزات يطلب من الله ذلك ويشكر الله على أنه حقق له هذه المعجزات حتى يؤمنوا، يقول يسوع: «فأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي (وتجيب دعوتي)، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: **ليؤمنوا أنك أرسلتني**» (يوحنا ١١/ ٤٢). فنادى يسوع وقال: «**الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي، بل الذي أرسلني، والذي يراني يرى الذي أرسلني**» (يوحنا ١٢/ ٤٤). ويقول يسوع عليه السلام: «**وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي الوحيد، والذي أرسلته يسوع المسيح**».

فما أصدق هذا الرسول الكريم الذي يعلن لهم أنه رسول من عند الله يدعو إلى الله وإلى عبادته وحده لا شريك له. ويخلّص بني إسرائيل مما هم فيه من باطل وزيف وكذب ورياء وخيانة وحب للدنيا وجمع لحطامها بكل وسيلة، مع الكبر والعجب وجميع أخلاق إبليس الذي يتخلقون بأخلاقه ويتبعون أوامره ونسوا أباهم إبراهيم واتخذوا إبليس لهم أباً.

من أقوال يسوع النورانية:

١ ـ «ليس بالخبز وحده يحيىٰ الإنسان بل بكلِّ كلمة من الله» (متّى ٤/ ٤، لوقا ٤/ ٤).

٢ ـ «اذهب يا شيطان، إنه مكتوب: للرب إلٰهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متّى ٤/ ١٠ ولوقا ٤/ ٨).

٣ ـ «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متّى ١١/ ٢٨).

٤ ـ «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (متّى ١٦/ ٢٦، مرقس ٨/ ٣٦، لوقا ٩/ ٢٥).

٥ ـ «أنا هو نور الله... من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور حياة» (يوحنا ٢٦/ ١).

ونرى مثل هذا الكلام في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

٦ ـ إني أريد رحمة لا ذبيحة... لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (متّى ٩/ ١٢).

٧ ـ السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت (متّى الإصحاح ١٢، مرقس إصحاح٢، ولوقا الإصحاح ٦). وذلك عندما اعترض عليه اليهود أنه يشفي المرضى يوم السبت. وقال لهم: «هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر، تخليص نفس أو إهلاكها؟».

٨ ـ «يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب

يخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور. ولكن أقول لكم: إن كلمة باطلة يتكلم بها الإنسان سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرّر وبكلامك تُدان» (متّى ١٢/ ٣٤ ـ ٣٧).

وهذا الكلام يذكرنا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويذكرنا بقول المصطفى ﷺ لمعاذ: «وهل يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألْسِنَتِهم؟) أخرجه البخاري وغيره والأحاديث في خطورة اللسان كثيرة، وأنها إذا لم ينتبه لها الإنسان ألقته في جهنم وهو لا يشعر... فربّ كلمة يقولها ليُضحك بها جلساءه يهوي بها في النار سبعين خريفاً.

٩ ـ يقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (١/ ١٧): «الله مالك العالمين الذي لا يفسد ولا يُرى، هو الله الأحد، له الكرامة والحمد إلى أبد الآباد، جلَّ وعلا». وهو من الكلام الحق، رغم أن بولس هذا هو أول من جعل المسيح ابن الله ونادى بذلك، وإن كان قد جعله أقل مرتبة من الأب (الله)، وأنه يطيع الأب ويخضع له. وقد جاء مؤتمر نيقية بعد ذلك سنة ٣٢٥م وجعلوا يسوع المسيح ابن الله البكر، من إلٰه حقّ، ليس بمخلوق ولا مصنوع. لكان الانحراف الأول من بولس وزاد هذا الانحراف في مؤتمر نيقية وما بعده من المؤتمرات والمجامع.

١٠ ـ وجاء في إنجيل يوحنا (١٧/ ١ ـ ٣): «الله الإلٰه الحق هو الذي أرسل يسوع المسيح».

١١ ـ وجاء في إنجيل مرقس (١٠/ ١٨) ولوقا (١٨/ ١٨) عندما دعاه رجل أيها المعلم الصالح: «لماذا تدعوني صالحاً.. لا صالح إلا الله وحده» بمعنى الكامل الصلاح.

١٢ ـ وفي إنجيل يوحنا (٢٠/ ١٧) قال لهم يسوع: «إني ذاهب إلى إلٰهي وإلٰهكم».

١٣ ـ وفي إنجيل يوحنا (٥/ ٤٤) قال لهم يسوع: «الله واحد هو الله».

١٤ ـ وقال: «إن الله لم يره أحد قط» (يوحنا ١/ ١٨).

١٥ ـ وقال: «لأنه مكتوب: للرب إلٰهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متّى الإصحاح ١٠).

الباب الرابع

سِفر أعمال الرُسل

سِفر أعمال الرُسل

سِفر أعمال الرُسل: قراءة عامة إجمالية:

جاء في دراسة المسكونية للكتاب المقدس في المدخل لسِفر أعمال الرُسل[1] (باختصار وتصرف):

١ ـ **إنّ إنجيل لوقا (الإنجيل الثالث) وسفر أعمال الرسل يعودان لنفس المؤلف كما يقرره غالبية علماء النصارى**، وإن كان هناك فريق يشكك في ذلك ويعتبر أن كل واحد من هذين السفرين يعود لكتاب خاص به، إن المؤلف يستخدم لفظ نحن وهو يشير بذلك إلى مجموعة بولس.

٢ ـ **أخذت المجموعات المسيحية تدريجياً تعترف بكتاب أعمال الرسل**، فقد ابتدأت المجموعات تقرأ رسائل بولس، ثم عندما ظهرت الأناجيل الأربعة تِباعاً (٦٥ ـ ١٢٥ ميلادية) بدأت تجد مكانها في الطقوس الليتورجية أو على الأقل كانت بعض فقراتها تقرأ في تلك الاجتماعات، **ولم يكن لكتاب (أعمال الرسل) تلك القانونية إلا في القرن الرابع للميلاد حين كانوا يقرؤون هذا السفر أو أجزاء منه في أثناء القداس زمن عيد الفصح**.

٣ ـ **إن إثبات نص كتاب أعمال الرسل ونسبته إلى لوقا مسألة معقدة جداً**، ومعظم نسخ هذا النص تبدو في صيغتين الأولى: **النص السوري أو الأنطاكي**. الثانية: **النص المصري أو الإسكندري**.

وهناك **نص ثالث** يدعى **الصيغة الغربية** وهي مختلفة تماماً عن كلا النصين الأنطاكي والإسكندري، فهما متشابهان إلى حد ما، بينما الصيغة الغربية مختلفة تمام الاختلاف عنهما، لذا فإن هذه الصيغة الغربية لا تمثل نص أعمال الرسل الأصلي وإن كانت شائعة ومنتشرة في الشرق والغرب، وتعتبر ذات فائدة تاريخية ولاهوتية.

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد، دار المشرق، بيروت، الطبعة ١٩، ٢٠٠٠م، المدخل لأعمال الرسل ص٤٥٥ ـ ٤٦٤، والكلام مدمج فيه آراء لبعض الباحثين من المسيحيين.

٤ ـ **يقسم كتاب أعمال الرسل إلى قسمين: (الأول) ذو صيغة سامية، فكره قديم، ويبدأ من الفصل الأول إلى الفصل الثاني عشر ثم الخامس عشر. (الثاني) ذو صيغة يونانية ولُحْمة متصلة، وفيه إشارات زمنية، ومجموعته أشد تنظيماً، وهي تمثل الفصول: الثالث عشر والسادس عشر إلى الثامن والعشرين.**

٥ ـ **يتحدث السفر عن تلاميذ يسوع** الذين أرسلهم لنشر دعوته في أثناء حياته وبعد مماته وقيامته، **والمجموعة التي لم ترَ يسوع قط وأبرزهم بولس** الذي يطيل الحديث عنه، **كما يتحدث السفر عن مجموعات من الروايات والخوارق، وكنيسة أورشليم التي أسسها يعقوب العادل (أخو المسيح) ومعه بطرس، وما حصل بين هذه الكنيسة وبولس من خلافات يخففها** كاتب السفر **كما يتحدث عن الخلافات التي حصلت بين بولس وبرنابا بعد أن كانا متفقين**، كما يبرز السفر مجموعة من الخطب والأقوال القصيرة والحوارات والحوادث.

٦ ـ **هل كانت مراجع الكاتب لهذا السفر مخطوطة؟ أم شفوية؟ أم كليهما معاً؟** هذا أمر يصعب الجزم به. كانت كل كنيسة تحتفظ بذكريات إنشائها وتاريخ مؤسسها إلى حد ما، وكانت تلك الأخبار تنتقل من كنيسة إلى أخرى، وقد حظيت كنيستا القدس (أورشليم) وأنطاكية باهتمام خاص، ويمكن الاستفادة من رسائل بولس في فهم الحوادث التي يشير إليها هذا السفر. ولكن للأسف لا توجد لدى المؤرِّخ أي طرق للتحقيق الخارجي عن هذه الأحداث.

ويكتشف الناقد الداخلي التنافرَ والتناقض في بعض الروايات، وأصعب المسائل هي مسألة الخوارق والمعجزات التي يبدو من المرجح أن المؤلف بالغ فيها مبالغة شديدة، يجب على الناقد ألا ينسى أن المعجزات كانت ذات شأن هام وكبير جداً في المسيحية القديمة (وبالتالي لا بد من إضافتها واختراعها).

٧ ـ **إن تاريخية الخطب في سفر أعمال الرسل (أي نسبتها إلى أصحابها) تطرح مسائل أشد تعقيداً من المسائل الروائية**، إذ إن المؤلف يعطي نفسه الحق في أن يكتب الخطبة كما يتصورها، فيضيف إليها ويحذف منها، هذا إذا كان لها أصل. و من الممكن بل يكاد يكون من المؤكد في بعض الأحيان أنه يخترعها اختراعاً، وهذا لا ينفي قيمتها، إذ توضح الأقل ما يظنه الكاتب أنه أمر ذو أهمية، وينسبه إلى من يراه أليق بهذا الخطاب.

٨ ـ **قيمة الكتاب التاريخية مشكوك فيها، لا سيما يوميات سفر المؤلف.**

والكاتب يغفل كثيراً من الأمور الهامة فهو لا يقول لنا شيئاً عن كيفية إنشاء كنائس كثيرة يذكرها، ولا يتفوه الكاتب بكلمة عما وقع من خلافات بين بولس وكنيسة كورنتوس (قورنتس)؛ فإغفال هذه الأمور وغيرها أياً كانت أسبابه يدل على أن سفر أعمال الرسل ليس بأي حال من الأحوال تاريخاً عاماً للمسيحية القديمة، ولا حتى سيرة كاملة لأستاذه ومعلمه بولس.

٩ ـ أعمال الرُسل كتاب إيمان أكثر منه كتاب تاريخ:

لهذا لا ينبغي أن نعتبر سِفر أعمال الرسل وثيقة تاريخية، بل هو كتاب إيمان وهو يشبه من هذه الناحية الأناجيل التي ليست لها تلك القيمة التاريخية التي كان المسيحيون القدماء يُضْفُونها عليها بل هي كتب إيمان، تُقبل بالقلب لا بالعقل. ولا تقبل التمحيص والنقد العلمي أو النقد التاريخي. وكتب الإيمان هي شهادة إيمان واضحة لمعتنقيها، ولا يمكن أن تتجاوزهم إلا على سبيل شهادة الإيمان التي تنطلق فتكسب الآخرين، بقوة الكلمة الإيمانية، لا بقوة الحجة المنطقية العقلية، ولا الأدلة التاريخية!! فالله يعمل مباشرة على يد ملاكه، أو روحه القدس أو على يد المرسلين المسيحيين (الذين أرسلهم يسوع أو أرسلوا أنفسهم بعد رفعه إلى السماء).

لذلك فالهدف التاريخي للكتاب مندمج في هدف إيماني أكثر صراحة مما في الأناجيل، والمؤرِّخ مؤرِّخ مؤمن فمن أراد أن يتفهمه، وجب عليه أن ينظر إليه في إطاره الإيماني وتفكيره اللاهوتي الذي لا يخضع للعقل المنطقي ولا النقد التاريخي، وهذا التفكير اللاهوتي حاضر في كل صفحة من صفحات الكتاب، ولكن جوهرهُ وارد في الخطبة الرسولية بصورة خاصة. والله عندما يقيم يسوع من بين الأموات ويجعله (رباً ومسيحاً) ويهب له الروح الموعود به، يتم حينئذٍ تصديق الوعد الذي وعد به الآباء، والبشارات التي نطق بها أنبياء بني إسرائيل وخاصة داود وأشعيا. ورغم أن يسوع أصبح غير منظور إلا أنه لا يزال مع الله في مركز الأحداث، ورسالته تستمر، وهو الذي يفيض الروح الذي ينعش حياة الكنيسة، ويبشّر بلسان بولس جميع الوثنيين بالنور، رغم أن بولس لم يرّ المسيح أثناء حياته، وإن كان قد ظهر له في رؤيا خاصة في طريق دمشق وحوّله من عدو للمسيح وللحقيقة إلى رسول إلى الأمم، بعيداً عن بني إسرائيل الذين بعث لهم يسوع وكانت رسالته، كما أكد ذلك مراراً إليهم فقط (لم أرسل إلا إلى خراف

بني إسرائيل الضالة). واهتداء بولس هو جزء من التدبير الإلٰهي.

١٠ ـ **كلمة الله ومجالها في أعمال الرسل**: الزمن الحاضر (أي في وقت المصنف) هو زمن كلمة الله والبشارة، والشهادة التي يعلن عنها يسوع الذي قام من بين الأموات، وتحول يسوع البشري إلى ربّ ومسيح!!.

وعلى رأس هؤلاء الشهود بولس (الذي لم يكن يوماً ما من تلاميذ يسوع ولم يره قط). وقد استطاع بولس أن يؤسس الكنيسة، وأن يؤسس لهذا الدين ويحوله من دين لبني إسرائيل خاصة إلى دين لكافة الأمم. وبالتالي لم يعد يهتم بكل التعاليم الموجودة في العهد القديم والوصايا التي كان يؤكد عليها يسوع (ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله)، والتي نجدها بصورة مشددّة جداً في إنجيل متّى. وهكذا تم التخلص من كل ما يمتّ إلى الشريعة الموسوية، وأمكن إيجاد دين جديد. فقد كانت النصرانية أيام يسوع والتلاميذ تتعبد في الهيكل، وتعتمد كتاب الشريعة والأنبياء (أي العهد القديم). ولكن بعد ظهور بولس بدأت تتكون كنيسة منفصلة عن اليهود، لها طقوسها الليتورجية، ولها كتبها، وساعد على ذلك ظهور مرقيون (مركيون) الذي أتى بعد بولس، وكان مرقيون غنوصياً ويكره بشدة كل ما لليهود، بما فيه كتابهم وشريعتهم، بل وصل به الأمر إلى أن يسّب يهوه الذي اعتبره إلٰه اليهود وحدهم، ورغم أن يسوع حين أرسل تلاميذه ليبشروا قال: «لا تذهبوا إلى الوثنيين ولا تدخلوا بيوت السامريين» (متّى ١٠/ ٥)، وقال عن نفسه: «ما جئت إلا لخراف بني إسرائيل الضالة» (متّى ١٥/ ٤٤).

ويهتم كتاب أعمال الرسل بالمكان والزمان الذي تنشر فيه الكلمة الرسالية، وخاصة تلك التي قام بها بولس، وينطلق الكاتب من أورشليم إلى اليهودية والسامرة ثم يبلغ فينيقيه (جنوب لبنان)، ثم قبرص وسوريا (أنطاكية)، ومنها إلى آسيا الصغرى واليونان، ثم إلى روما حتى تبلغ الكلمة أقاصي الأرض. والإنجيل ليس موجهاً لإسرائيل كما كان أولاً بل هو موجه إلى كافة الأمم وهذا الانتقال للأمم ولخلاص الوثنيين بدلاً من بني إسرائيل يوافق مشيئة الله ومشيئة يسوع التي أعلنها على لسان بولس رسول الأمم.

واستطاع بولس أن يقدم على الرحلة الكبرى التي مكنته من حمل الإنجيل وفقاً لدعوته الخاصة إلى روما عاصمة العالم الوثني (لاحظ أن الأناجيل الأربعة لم تكتب إلا بعد وفاة بولس بسنين).

١١ ـ **الكنيسة وشعب الله**: اهتم المهتدون الجدد وكوّنوا كنائس متعددة، كل مجموعة في بلدة معينة يصبح مكان اجتماعهم السّري أو العلني هو الكنيسة. ورغم كثرة هذه الكنائس إلا أن طريقها نحو الله طريقة واحدة، قبل أن يأتي زمن أطلق عليهم لفظ المسيحيين. «وكنيسة الله اقتناها الرب يسوع بدمه الخاص» وشعبه يجمع المختونين وغير المختونين، ويُبعد اليهود الذين لم ينضموا إلى هذه الكنيسة فيُخرجون ويُطردون.

وتبرز في الكنائس جماعات من المؤمنين تقوم بأعمال خاصة. ابتدأت هذه المجموعة بالرسل الاثني عشر (المقصود التلاميذ. الغريب أن يُدخلوا يهوذا الإسخريوطي الذي خان يسوع بثلاثين من الفضة، وأسلمه لأعدائه ضمن التلاميذ الاثني عشر رغم أنه كان مطروداً وانتهى بالانتحار ولكنهم عينوا بدلاً منه ميتاً بواسطة القرعة، بعد موته).

وقد كان هؤلاء التلاميذ شهوداً على كلمة (يسوع). والرسل هم الذين أقاموا الشمامسة السبعة بعد أن زادت أعباؤهم. ويسوع كما ظهر في الرؤية الخاصة لبولس قد عهد إليه أن يكون رسوله إلى الأمم (لا أحد سوى بولس يثبت هذه الرؤية، فبولس كما أسلفنا لم يرّ يسوع في حياته قط)، وبذلك اعتبر بولس المؤسس الأول للكنيسة والمسؤول عنها. أما الأنبياء (أي الذين يتنبؤون) فشأنهم يختلف كل الاختلاف عن الرسل، فليس الناس هم الذين يقيمونهم بل (الروح) هو الذي يلهمهم، ويقومون بعمل مهم في حياة الكنائس.

يذكر سفر أعمال الرسل شيوخ الكنائس البولسية الذين أقامهم بولس للاضطلاع بأعباء هذه الكنائس، ويدينون بالولاء التام لبولس مؤسس هذه الكنائس (وفي الواقع المؤسس الفعلي للمسيحية التي لم يأت بها يسوع).

١٢ ـ كيف يرى المؤلف الانتقال من اليهودية إلى المسيحية؟

من الخلاص بالشريعة إلى الخلاص بالإيمان والنعمة دون الحاجة إلى شريعة، إذ: أن يسوع قد قدّم نفسه نيابة عن ذنوبنا وخطايانا وصار هو نفسه لعنة كما يقول بولس حتى يتحمل اللعنة الأبدية من أجل خلاصنا!! (أيُّ هذيان هذا؟) ورغم ذلك فقد كان بولس حسب الظروف يعلن أنه متمسك بالشريعة وبالختان فمن جهة الختان فهو مختون، ومن جهة العقيدة فهو فريسي، ومن جهة النسب فهو بنياميني (نسبة إلى بنيامين). وكلها ينقضها في مجالس أخرى عند الأمم ويبيح

لهم عدم الختان وأكل الخنزير وترك الشريعة، ويتخلص من كل ما قاله أمام اليهود المتنصّرين.

وعلى أتباع يسوع أن ينفتحوا على الأمم بطرق لم يوحِ بها يسوع ولا الله إلى المؤمنين اليهود، فالله نفسه يتدخل في اهتداء القُلْف (غير المختونين) الأولين مثل قرنيليوس وأنسبائه في قيصرية، ويكشف لبطرس أن مخالطة هؤلاء القُلْف ليس نجاسة. والكنيسة المسيحية اليهودية في أورشليم قد سلّمت بهذا وقبلت أن يبقى اليونانيون المهتدون الجدد بدون ختان، وبدون أمور الشريعة. ويدّعي المؤلف أن هذا الحلّ قد تمّ في أورشليم بالتراضي، واعتبره انتصاراً، لأن الجوهر واحد، بختانٍ، أو بدون ختان، لا يخلص المسيحيون إلا بالإيمان وبنعمة الرب يسوع!!!.

١٣ ـ من القراء الذين قصدهم المؤلف؟ وما هي الأسباب التي حملته على تأليف كتابه هذا؟

لقد وجه المؤلف كتابه إلى المؤمنين الجدد من الأمم غير اليهود، ولكنه لم يستثنِ هؤلاء اليهود النصارى. ويركز المؤلف نقده على رفض اليهود للإنجيل، وعلى قتلهم ليسوع، ولذا يركز على الوثنيين من الأمم. وبولس عنده مواطن روماني منذ مولده، والمحاكم الرومانية لا تنفك تعترف ببراءته، ولذا فهو يصوّر بولس بصورة قريبة إلى مواطني الإمبراطورية الرومانية لأنه يشاركهم فيها. ولا يشكل بولس أي خطر على الإمبراطورية كما يفعل اليهود الذين يدعون إلى الثورة ضدها، وهو على العكس يدعو إلى طاعتها وإلى توقير الإمبراطور والسلطة.. ومع ذلك يحاول أن يخفف النقد لليهود الذين آمنوا بيسوع، ويربطهم بالوثنيين الذين دخلوا الدين حديثاً. فهو في الحقيقة رجل الوحدة والمشاركة رغم نقده المتكرر لهؤلاء اليهود النصارى، حسبما يرى المؤلف.

١٤ ـ أخيراً، من هو المؤلف؟ ومتى وضع كتابه؟

تقول المصادر الكلاسيكية: إن المؤلف هو لوقا الذي وضع كتاب الإنجيل المعروف باسمه والذي أرسله إلى تاوفليس (المفروض أنه كتبه في حدود سنة ٧٠ ميلادية) وأنه هو أيضاً الذي وضع سفر أعمال الرسل وأرسله أيضاً إلى تاوفليس كما جاء في افتتاحية هذا السفر «ألفتُ كتابي الأول (أي الإنجيل) ياتاوفليس في

جميع ما عمل يسوع وعلّم، ومنذ بدأ رسالته إلى اليوم الذي رفع فيه إلى السماء...» ثم استمر يصف القيامة أي قيامة يسوع وما حدث بعد ذلك...

فالكتاب وضع بعد فترة زمنية من الكتاب الأول (إنجيل لوقا)، وبالتالي فإن الباحثين يتصورون تاريخه في حدود سنة ٨٠ ميلادية (هذا إذا كان إنجيل لوقا كتب عام ٧٠ ميلادية، بينما يقول آخرون: إنه كُتب عام ٨٠م وبالتالي يكون سفر أعمال الرسل كُتب عام ٩٠م). وهل المؤلف هو نفسه لوقا الطبيب رفيق بولس والذي دعاه بلوقا الحبيب؟ أمر يشكك فيه بعض الباحثين حيث إن لوقا سكت سكوتاً تاماً عن الأزمة في غلاطية، وانقلاب رفاق بولس عليه وتمرُّدِهم عليه، ووقوع الشّقاق بينهم لدرجة أن كل فريق كان يكفّر الآخر. ولو كان لوقا المؤلف هو لوقا رفيق درب بولس لكتب عن هذه الأزمة، ولاشتغل بالدفاع عن أستاذه ومعلمه بولس. على أية حال هذا السؤال لم يجد جواباً إلى الآن. ولكن معظم الباحثين يُصرّون على أن لوقا مؤلف أعمال الرسل هو نفسه مؤلف الإنجيل الثالث، وأن اللغة اليونانية السليمة، وأسلوب الكاتب واحد في الكتابين إلى حد كبير.. ولم يهتم لوقا بموضوع نهاية محاكمة بولس في روما رغم أنه وضع لها كثيراً من الفصول من بدايتها، ولكنه لم يوضح نهايتها، وهذا يسبب تشوشاً لدى الباحثين حول هذه القضية. وترد الكنيسة الكاثوليكية بأن غرض لوقا هو أن يوضح وصول البشارة وإعلان يسوع في روما «في أقاصي الأرض»، وبالتالي تفقد خاتمة الدعوى ضد بولس أهميتها ولهذا لم يهتم بها الكاتب، رغم التصاقه الوثيق بصاحب الدعوى.

سِفر أعمال الرُسل ـ قراءة متأنية:

لديّ عدد من نسخ الكتاب المقدس المترجمة إلى اللغة العربية، وبما أن الترجمات تختلف فإنني سأعتمد على ترجمتين فقط، هما: ترجمة دار الكتاب المقدس بالقاهرة وهي تمثل الأرثوذكسية القبطية. وترجمة الرهبانية اليسوعية عن الترجمة الفرنسية المسكونية التي تمثل الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي (دار المشرق بيروت). وقد اعتمدتُ الطبعة التاسعة عشرة لعام ٢٠٠٠م باعتبارها آخر الطبعات، وفيها آخر التعديلات والتصويبات.

ويبدأ السِفر: «الكلام الأول (أي المعروف بإنجيل لوقا) أنشأته ياثاوفيلس

(وهو شخص روماني وثني يوناني الثقافة، يبدو أنه موظف لدى الدولة ذو مكانة وقد تحول إلى المسيحية) عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه. بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم وأظهر لهم نفسه حيّاً بعد آلامه بكثير من الأدلة إذ تراءى لهم مدة أربعين يوماً، وكلمهم على ملكوت الله (وهذه نقطة خلاف في الأناجيل، فمنهم من يزعم أنه ارتفع مباشرة بعد أن كلّمهم، ومنهم من قال: إنه بقي أسبوعاً، ومنهم من جعلها أربعين يوماً، ومنهم من أوصلها إلى سنتين)، وبينما هو مجتمع بهم أوصاهم أن لا يغادروا أورشليم، بل ينتظروا فيها ما وعد الربّ وسمعتموه مني» (مؤكداً لهم أنه سيعود قريباً جداً ليعلن لهم يوم الدينونة، ويجلسون معه على اثني عشر كرسياً يدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وقد ناقشنا هذه النقطة فيما سبق ذكره عن التلاميذ. والمهم هو تأكيده لهم بعودته سريعاً أثناء حياته).

«وانطلق يسوع وارتفع في السماء وهم ينظرون (وهذا أمر لم يذكره لوقا في الإنجيل المنسوب له، ولا ذكره أحد من كتّاب الأناجيل)، وأخذته سحابة (غمامة) عن أعينهم، وظهر لهم رجلان بلباس بيض وقالا: أيها الرجال الجليليون.. إن يسوع الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء.. ودخلوا إلى العلّية (غرفة عالية) التي كانوا يقيمون فيها: بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتّى ويعقوب بن حلفي وسمعان الغيور، ويهوذا آخر أخو يعقوب (لأن يهوذا الإسخريوطي قد مات وانتحر على خلاف في الروايات مطروداً ملعوناً). هؤلاء كانوا يواظبون بنَفَسٍ واحد على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع وأخوته. (جاء في إنجيل مرقس ٦/٣ ـ ٤) أليس هذا (أي يسوع) هو النجار ابن مريم، وأخذ يعقوب ويوسيّ ويهوذا وسمعان».

ويتحدث لوقا عن أن بطرس قال عن يهوذا: «إنه اقتنى حقلاً من إجارة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها» وبالتالي كان لا بدّ من اختيار شخص آخر بدله في مجلس الاثني عشر. فاختاروا اثنين هما بارسابا الملقب يوستس وميتّاس. وأجروا القرعة بينهما ففاز بها ميتّاس (متيسّا) ليقوم بخدمة الرسالة مقام يهوذا.

ووعظ بطرس الناس (في اليوم الخمسين من قيامة يسوع) وهو ما يسمى

العنصرة[1] بعد أن نزل عليه روح القدس وتكلموا بألسن عديدة ولغات مختلفة. وذكر ما جاء على لسان النبي يوئيل (من أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم) من البشارة بالمسيح. ثم ذكر ما جاء في المزمور على لسان داود من أن جسده أي جسد داود لن ينال منه الفساد. «ولكن أيها الأخوة، إن أبانا داود مات ودفن، وأكل منه الفساد». وأما الذي بقي فهو ابنه (أي يسوع) الذي لم يأكل منه الفساد، لكنه قام من بعد الموت وصعد إلى السماء. «فليعلم يقيناً بنو إسرائيل أجمع أن يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم قد جعله الله ربّاً ومسيحاً».

هذا كلام نسبه لوقا تلميذ بولس إلى بطرس، ويشكك كثيرٌ من الباحثين المسيحيين في هذا الكلام لأن بطرس لم يقل: بألوهية يسوع، لا هو ولا التلاميذ، بل قالوا: إنه رسول من الله وبشر، ومسيح بالمعنى الذي وردت به أسفار العهد القديم.

حياة الجماعة المسيحية في بدء نشأتها:

كانت المجموعة المؤمنة تعيش حياة الزهد وحياة المشاركة. لم تكن لأحد منهم ملكية. كانوا يبيعون أملاكهم وأموالهم ويأتون بها إلى الجماعة ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل واحد منهم... ملازمين الهيكل كل يوم بقلب واحد. لم تكن لهم كنيسة، بل كانوا يذهبون إلى الهيكل، ويقرؤون أسفار الشريعة والأنبياء (التوراة والعهد القديم) ويصلّون في معبد اليهود. ويتناولون طعامهم بالاشتراك سوية «بابتهاج وسلامة قلب».

ويتحدث لوقا عن المعجزات مثل شفاء كسيح أمسكه بطرس وأقامه يمشي. ويقول لهم بطرس: إن الذي فعل ذلك هو الله الذي أقام إبراهيم، وموسى، وأقام يسوع من بين الأموات، «وقال لإبراهيم: في نسلك تبارك جميع عشائر الأرض. فمن أجلكم أولاً أقام الله عبده وأرسله ليبارككم فيتوب كل منكم عن سيئاته».

وهاهو بطرس يقول عن يسوع: إنه عبد الله ورسوله. وهذا يناقض ما ورد

---

(١) العنصرة: في الأصل عيد زراعي وثني، وهو عيد حصاد القمح يحتفلون به بعد مرور خمسين يوماً من الفصح. وعند اليهود تحول إلى عيد تجديد العهد وعطية الشريعة في سينا. وعند أتباع يسوع صار احتفالاً بذكرى قيام يسوع. والعنصرة: هي تتمة سر المسيح الذي أقامه الله ثم رفعه وأجلسه عن يمينه وأعطاه مجده!!.

قبل قليل على لسان بطرس «فليعلم يقيناً بيت إسرائيل أجمع أن يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم قد جعله الله ربّاً ومسيحاً». وقد وردت قصص كثيرة عن معجزات التلاميذ مثل شفاء المرضى وإحياء الموتى، ورغم ذلك فهم يعتبرونهم بشراً، ولم يعتبروا أنفسهم قط سوى بشر. ومعجزات يسوع كذلك لا تدل على أنه إله أو ابن الإله، بل هو بشر أعطاه الله هذه المعجزات. كما أعطى تلاميذه في أثناء حياته ومن بعده.

وكثر الداخلون في المسيحية على يد بطرس والتلاميذ في أورشليم وما حولها، واعتُقل بطرس ويوحنا في السجن ولكن سرعان ما أطلق سراحهما. وكان كثير من الداخلين يأتون بأموالهم كلها، ومنهم برنابا الذي كان لاوياً (من بيت لآوى من أهل قبرص). وكان يدعى يوسف، ولقَّبه الرسل برنابا، أي ابن الفرج، كان يملك حقلاً فباعه وأتى بثمنه، وألقاه عند الرسل.

ولم يَسْخُ بعض الداخلين بجميع ما لهم فأتَوا ببعضه، وقالوا: إنهم قد جاؤوا بكل مالهم ومنهم حنينا وسفيره، فأماتهم الله حسب زعمهم نتيجة كذبهم.

وأقام بطرس وتلاميذه سبعة معاونين لكي يهتموا بتوزيع الأرزاق والطعام يومياً. وظهر أحد المؤمنين ويدعى إسطفانس، وكان خطيباً مفوّهاً فحقد عليه اليهود، واتهموه بأنه يسبُّ الشريعة، وأن يسوع الناصري سينقض الهيكل، ويبدّل سنن موسى؛ فقتلوه بعد محاكمته لدى عظيم الكهنة ورجموه.

ومما جاء في دفاع أسطفانس استشهاده بكلام موسى ﷺ الذي قال لبني إسرائيل: «سيقيم الله لكم من بني إخوتكم نبي مثلي». وهذا يدل على أن الحواريين وأتباعهم كانوا يرون أن عيسى ﷺ كان نبياً مثل موسى، ولم يكن إلٰهاً، ولا ابن الله. والشيء الثاني أن عيسى ﷺ كان يختلف عن موسى ولم يأت بشريعة جديدة، وأخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، وبالتالي فإن النبوءة تنطبق على سيدنا محمد ﷺ أكثر مما تنطبق على عيسى ﷺ.

وذكر أسطفانس أن الله العلي لا يسكن في بيوت صنعتها الأيدي، كما يقول النبي. ويقول الربّ: «السماء عرشي، والأرض موطئ قدمي، أي بيت تبنون لي؟ أم أيّاً يكون مكان راحتي؟ أليست يدي قد صنعت هذا كله؟».

ويوبّخهم أسطفانس قائلاً: «يا صلاب الرقاب، وغُلف القلوب والآذان... أيّاً من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البار (أي تنبؤوا

بمجيء يسوع). وله أصبحتم أنتم الآن خونة وقَتَلَة!! فقد أخذتم الشريعة التي أعلنها الملائكة ولم تحفظوها».

شاول (بولس) عدو المسيح:

فلما سمعوا مقالته رجموه وقتلوه وكان من بين الشهود على أسطفانس والذين أيّدوا رجمه، شاول الذي سيدعى بعد ذلك بولس.

وكان شاول يفسد في الكنيسة (لم تكن هناك كنيسة وإنما المقصود أتباع يسوع)، يدخل البيوت فيجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن، ويضطهدهم (أعمال الرسل ٩/ ١).

وقصد شاول إلى عظيم الكهنة (وكان صدوقياً)، وقدم له خدمات كثيرة وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق، حتى إذا وجد أناساً على هذه الطريقة (يتبعون يسوع الناصري) رجالاً ونساء ساقهم موثقين إلى أورشليم. (أعمال الرسل ٩/ ٢).

وهذا الكلام يشكل معضلة تاريخية، دمشق في ذلك الزمان كانت تحت حكم النبطيين (الملك الحارث) المستقلين عن حكم روما[١]. ولم يكن لعظيم الكهنة أي سلطة على دمشق، لا من اليهود، ولا من المسيحيين، ولا من الفريسيين، وسلطته الدينية على اليهود ليست من الناحية الإدارية، بل من الناحية الدينية فقط، وبالتالي لا يمكنه أن يرسل مندوبين للقبض على من تنصّر من اليهود أو غيرهم.

وهذا وحدَه يدل على أن القصة التي يعتمدون عليها في دخول بولس المسيحية ملفقة من أساسها ولا تصمد أمام النقد التاريخي.

يقول لوقا في سفر أعمال الرسل: «وفي ذهابه (أي ذهاب بولس) حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتةً أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤل شاؤل، لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الربّ: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد

---

(١) استقلت دمشق عن حكم الرومان في زمن الإمبراطور كالإيجولا سنة ٣٧م، وصارت تحت حكم الأنباط العرب وملكهم الحارث.

ومتحيّر: يا ربّ ماذا تريدني أن أفعل؟ فقال له الربّ: قم وادخل المدينة. فيقال لك: ماذا ينبغي أن تفعل؟ **وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت، ولا ينظرون أحداً**. فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب».

ويورد سفر (أعمال الرسل) نفس هذه القصة بصورة مختلفة في الإصحاح ٢٢ عندما ألقى بولس خطبته في أهل أورشليم. قال بولس: «أنا رجل يهودي وُلدت في طرسوس قلقيلية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي جمالئيل (جمال الليل: كان أحد علماء الفريسيين المشهورين ويزعم بولس أنه درس لديه) على تحقيق الناموس الأبوي. وكنت غيوراً لله، كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيّداً ومسلّماً إلى السجون رجالاً ونساء. كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة (رئيس الكهنة صادوقي، وبين الصادوقيين والفريسيين عداوة شديدة. والصادوقيون لا يؤمنون باليوم الآخر على عكس الفريسيين) الذين إذْ أخذت أياً منهم رسائل للإخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا، فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرّب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتةً أَبَرَقَ حولي من السماء نور عظيم فسقطتُ على وجهي وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاؤل شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا سيدي؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. **والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذي كلمني**» (أعمال الرسل ٢/١ ـ ١٠).

وفي موضع ثالث من نفس السِفر يقول: إنهم سقطوا جميعاً عندما رأوا نوراً مثل نور الشمس، وأنهم جميعاً سمعوا ما يقوله يسوع: شاول، لماذا تضطهدني؟ صعب عليك أن ترفس مناخس. ثم قال له يسوع: «قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لننتخبك خادماً وشاهداً لما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، فتفتح عيونهم كي يرجعوا من الظلمات إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله؛ حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدّسين» (أعمال الرسل ٢٦/ ١٢ ـ ١٨).

فهذه حادثة واحدة يرويها لوقا (مؤلف أعمال الرسل) عن أستاذه بثلاث

روايات مختلفة. فكيف تختلف هذه الروايات، وهي مباشرة من بولس إلى تلميذه لوقا الحبيب ليس بينهم واسطة؟

«وكان في دمشق تلميذ يقال له: (حنانيا)، فقال له الربُّ في رؤيا: يا حنانيا قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له: (المستقيم) واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هو ذا يصلّي. فأجابه حنانيا: يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل، كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم، وها هنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرب: اذهب؛ لأن هذا لي أنا، مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك بني إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي. ومضى حنانيا نحو البيت ووضع عليه يده وقال: أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق لكي تبصر، وتمتلئ من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد، وتناول طعاماً فتقوّى. وكان شاول مع التلاميذ في دمشق أياماً. وللوقت جعل يكرّز (يدعو) في المجامع بالمسيح: إن هذا هو ابن الله. فبُهِتَ جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا: أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم، وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثوقين إلى رؤساء الكهنة؟ وأما شاول فكان يزداد قوة ويحيّر اليهود الساكنين في دمشق محققاً أن هذا هو المسيح» (أعمال الرسل ٩/ ١٠ ـ ٢٢).

ولا يحدثنا السفر عن القوم والجنود الذين جاؤوا معه ليقبضوا على اليهود المتنصّرين ويعيدهم إلى أورشليم موثقين، ويسكت عنهم سكوتاً مريباً، فكيف لم يقبضوا على شاول ويعيدوه موثقاً إلى رئيس الكهنة؟ والغريب حقاً أن حنانيا هذا المقدس الذي فتح عيون شاول حتى يبصر اصطدم ببولس.

ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (الإصحاح ١١/ ٣٢ ـ ٣٣): إن والي الملك الحارث على دمشق، أراد أن يمسكه فتدلّى بولس من الطاقة (النافذة) في زنبيل السور ونجا.

وفي سفر أعمال الرسل: أن الذين أرادوا القبض عليه هم اليهود، وكانوا يراقبون أبواب دمشق ليلاً ونهاراً، ولكن التلاميذ أخذوا شاول وأنزلوه من سور دمشق بواسطة زنبيل أو سلة، ومن ثم خرج من دمشق ونجا (أعمال الرسل ٩/ ٢٣ ـ ٢٥).

وتختلف الروايات أيضاً في المدة التي بقي فيها شاول في دمشق وسوريا: فمنهم من جعلها فترة قصيرة، ومنهم من قال: إنها سنتان. ويذكر سفر أعمال الرسل أن برنابا أرسله التلاميذ في أورشليم إلى أنطاكيه، فنشر الدعوة وثبّت المؤمنين، «وانضم إلى الربّ جمع غفير». ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول. ولمّا وجده جاء به إلى أنطاكية، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً وظهر أنبياء (أي أناس يتنبؤون) من أورشليم في أنطاكية وحذروا من انتشار المجاعة، وخاصة في فلسطين، وبالذات في اليهودية (الضفة الغربية) فجمعوا أموالهم من المؤمنين لإنقاذ إخوتهم في أورشليم وما حولها (أعمال الرسل ١٠/٢٢ ـ ٣٠).

وفي تلك الفترة قام الملك هيرودوس بقتل يعقوب أخ يوحنا بالسيف(١)، وسجن بطرس ولكن الملاك أنقذ بطرس، وأهلك الملك هيرودوس (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٢) وقام شاول وبرنابا بعد أن عادوا بالأموال إلى أورشليم بالسفر مرة أخرى للدعوة وسافر إلى سلوكيه، ومن هناك سافرا بالبحر إلى قبرس (قبرص) وكان معهما يوحنا خادماً (لاحظ أن اسم يوحنا اسم شائع، وكذلك يعقوب وسمعان، ومن الصعب تماماً معرفة أي يوحنا يقصد الكاتب). وانتقلوا من مكان لآخر وقام شاول (بولس) بتهديد ساحر كذّاب يدعى باريشوع، ودعا عليه فأصابه بالعمى. وعاد شاول وبولس إلى أنطاكية، وألقى بولس خطبته يوم السبت في الجمع (لاحظ أن اجتماع اليهود النصارى يوم السبت لا يوم الأحد، وكان اجتماعهم في المجمع اليهودي، ولم تكن هناك كنيسة منفصلة. وكانت عبادتهم تعتمد على قراءة كتاب الشريعة والأنبياء)، وذكّرهم بولس بما فعله الله مع إسرائيل من الكرامات والمعجزات، ثم أقام لهم يسوع الذي قاموا بقتله. «ولكن الله أقامه من الأموات، وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجيل إلى أورشليم. ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا» وحقق الله ما قاله لداود: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك. فأقام يسوع من نسل داود وأخرجه من بين الأموات، وجعله ابنه الذي لم يرَ فساداً. وبهذا يتبرّر كل من يؤمن بيسوع ابن الله الممجد الذي تألم ومات على الصليب من أجل مغفرة الخطايا!!.

(١) لم يتم قتل يعقوب إلا سنة ٦٢م وبعد أن عاد بولس إلى أورشليم مرتين: المرة الأولى مع برنابا ثم بعد ذلك بأربعة عشر عاماً عندما عاد من روما وغيرها من المدن في اليونان.

فلما قاومهم اليهود توجّه بولس وبرنابا إلى الأمم الوثنية. والربّ قد قال لبولس:

«قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض»، فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجّدون الربّ، وانتشرت كلمة الربّ في الكورة. (أعمال ـ الرسل الإصحاح ١٣).

وفي أيقونية استمرت الدعوة ولكن اليهود وأنصارهم هجموا على بولس وبرنابا فهربا من المدينة، وذهبا إلى لسترة حيث كان رجل مقعد فأقامه بولس يمشي. ولما رأى الجموع ما فعل بولس صاحوا قائلين: إن الآلهة تشبّهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا يدعون بولس وبرنابا باسم الإلٰهين هرمس (إلٰه الفصاحة أطلقوه على بولس) وزفس (زاويش أوزيوس أو جوبتير كبير الآلهة على برنابا) وأرادت الجموع تقديم ذبيحة لهما، فلما بلغ الخبر بولس وبرنابا مزّقا ثيابهما، إظهاراً للاستنكار والاستياء وقالا: «أيها الرجال، لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر، تحت آلام مثلكم. نبشّركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإلٰه الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيهما.. والذي يعطينا من السماء مطراً ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً». وبمشقة صرفا الجمع عن تقريب ذبيحة لهما..»، وكلاهما كان على حق في قوله ذلك. ومن الغريب حقاً أن يقوما هما بعبادة يسوع وهو نبي كريم من البشر.

ثم جاء بعض اليهود من أنطاكية وأيقونية واستمالوا الجموع فرجموا بولس حتى ظنوا أنه قد مات. والتفّ عليه التلاميذ وأخذوه وأخرجوه مع برنابا إلى مدينة دربه فبشرا أهل تلك المدينة وآمن بهم خلق كثير. ثم رجعوا إلى أنطاكية وكرروا الدعوة هناك فآمن عدد غفير (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٤).

وفي أنطاكية كان اليهود المتنصرون يحثّون الوثنيين الذين دخلوا في الدين الجديد أن يختتنوا وأن لا خلاص لهم بدون الختان، وقال بولس وبرنابا: «لا داعي للختان». فاختلفوا اختلافاً شديداً فقرروا الذهاب إلى أورشليم حيث كان الحواريون (تلاميذ يسوع والكنيسة الأم والشيوخ يقيمون. وفي أورشليم اجتمعوا واختلفوا، ولكن بطرس خطب فيهم وأباح للوثنيين أن يبقوا غير مختونين (لماذا يجرّبون الله بأن تجعلوا في أعناق التلاميذ نِيراً لم يَقْوَ آباؤنا ولا نحن على حمله)، ونعمة الخلاص بيسوع تكفي. ثم تكلم يعقوب أخو المسيح ورئيس

الجماعة، وقال: يُكتب للوثنيين الذين آمنوا أن يجتنبوا نجاسة الأصنام والفحشاء والميتة والدم. واختاروا يهوذا الذي يقال له: برسابا، وسيلا، وبعثوهما رسولين إلى أهل أنطاكية بهذه الرسالة (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٥).

واختلف برنابا مع بولس اختلافاً شديداً إذ أشار برنابا أن يأخذا معهما يوحنا الذي يدعى مرقس بينما رفض بولس بشدة أن يأخذا مرقس معهما. فحصلت بينهما مشاجرة وافترق بولس عن برنابا الذي أخذ مرقس معه، وذهب إلى قبرس بالبحر، بينما اختار بولس سيلا وذهب إلى سوريا وقلقيلية (أعمال الرسل ١٥/٣٦ ـ ٤١). وبرنابا هو الذي قَدَّم بولس للرسل (الحواريين) في أورشليم حيث كانوا مرتابين فيه ارتياباً شديداً، وهو الذي دعمه في أنطاكية وغيرها.

ويتحدث لوقا بعد ذلك بلفظ: «فأقلعنا.. فذهبنا» للدلالة على أنه كان مع بولس. وتحدث عن رحلات بولس الرسولية العديدة في سوريا وقلقيلية وآسيا الصغرى ومدينة فيلبي ثم مقدونية.

وقام بولس بإخراج الروح من امرأة كانت تتنبأ، ويكسب سادتها من عَرَافتها وتنبئها، فلما خرجت منها الروح لم تَعُدْ تفعل ذلك. فجمع سادتها أهل المدينة وذهبوا إلى القضاة واشتكوا بولس وسيلا «لأنهما يهوديان يوقعان الاضطراب في مدينتنا»، فثار الجمع وأمر القضاة بنزع ثيابهما، وضربوهما بالعصي وألقوهما في السجن.. وحصلت معجزة في السجن إذ حدث زلزال شديد وتفتّحت الأبواب، فاستيقظ السّجان ورأى الأبواب مفتّحة فظن أن المسجونين قد هربوا، فأراد أن يقتل نفسه بالسيف، فناداه بولس: «لا تمس نفسك بسوء فنحن جميعاً هنا». فآمن السجّان. وفي الصباح أرسل القضاة إلى السجّان وقالوا: «أخلِ سبيل الرجلين»، فقال بولس: «ضربونا بالعصي علانية من غير محاكمة. نحن المواطنين الرومانيين (وكان القانون يمنع ضرب أو سجن المواطن الروماني دون محاكمة)، وهم الآن يخرجوننا سرًّا، كلا، بل يأتون بأنفسهم ويطلقوننا». فنقلوا الكلام إلى القضاة، فخافوا عندما سمعوا أنهما رومانيان. فجاؤوا إليهما واعتذروا. (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٦).

ثم انطلق بولس وسيلا إلى سالونيكي (سالونيقي)، وذهب بولس إلى مجمع اليهود يوم السبت، وكرر ذلك لمدة ثلاثة أسابيع يدعوهم ليؤمنوا بيسوع الذي قام

من بين الأموات وصار هو المسيح ابن الله!! وامتعض اليهود وخاصة عندما تبعه اليونانيون وكرائم النساء. فأثار اليهود الشعب والرعاع ضد بولس وصحبه، متهمينهم بأنهم يخالفون أوامر قيصر، ويقولون: إن هناك ملكاً آخر هو (يسوع) غير قيصر، فخرج بولس وسيلا من المدينة وذهبا إلى برية، ولما أثار اليهود الناس هناك أيضاً ضد بولس، ذهب بولس إلى أثينة بطريق البحر سرًّا حتى لا يلحقه أذى. وفي أثينة رأى بولس الأصنام المنتشرة في ساحة المدينة، وفي كل مكان، فأخذ يخاطب اليهود في المجمع وغيرهم من الفلاسفة الأبيقوريين (أتباع أبيقور الفيلسوف الداعي إلى التمتع باللذات عاش ٣٤٧ ـ ٢٧٠ق.م)، والرواقيين (أتباع الفيلسوف زينون في القرن الرابع قبل الميلاد، يؤمنون بأهمية الأخلاق والإقلال من الشهوات.. وسُمّوا رواقيين لأنهم يتباحثون في الرواق). ورأوا أن بولس يبشّر بآلهة غريبة، فأخذوا بولس إلى مجلس المدينة على تل الأرباغس وسألوه عن دعوته الغريبة. فقال بولس: «يا أهل أثينة، أراكم شديدي التديّن. فإني وأنا سائر أنظر إلى أنصابكم وجدت هيكلاً كُتب عليه: إلى الإله المجهول. فما تعبدونه وأنتم تجهلونه؟ فذلك ما أنا أبشّركم به. إن الله الذي صنع العالم وما فيه، والذي هو ربّ السماء والأرض لا يسكن في هياكل صنعتها الأيدي، ولا تخدمه أيد بشرية، كما لو كان يحتاج إلى شيء. فهو الذي يهب لجميع الخلق الحياة والنفس وكل شيء: فقد صنع جميع الأمم البشرية من أصل واحد ليسكنوا على وجه الأرض كلها، وجعل لسكناهم أزمنة موقوتة، وأمكنة محدودة ليبحثوا عن الله لعلّهم يتحسسونه ويهتدون إليه. مع أنه غير بعيد عن كل واحد منّا ففيه حياتنا وحركتنا وكياننا، كما قال شعراء منكم: فنحن أيضاً سلالته. فيجب علينا، ونحن من سلالة الله، ألا نحسب اللاهوت يشبه الذهب أو الفضة أو الحجر، إذا مثّله الإنسان بصناعته وخياله. فقد أغضى الله عن أيام الجهل، وهو يعلن للناس جميعاً أن يتوبوا جميعاً في كل مكان، لأنه حدّد يوماً يدين فيه العالم دينونة عدل عن يد رجل أقامه لذلك، وقد جعل للناس أجمعين برهاناً على الأمر، إذ أقامه من بين الأموات» (أعمال الرسل ١٧/ ٢٢ ـ ٣٢).

وهذا الخطاب يدل على دهاء بولس وسعة حيلته وثقافته: فهو قد انتبه إلى وجود نصب للإله المجهول، ومن هنا حدّثهم عن الله حديثاً جميلاً صائباً، ونفى عن الله سبحانه وتعالى حاجته للهياكل وهو خالق الأرض والسماء وما بينهما.

وسمّى يسوع الذي قام من الأموات رجلاً. ولم يسمه ابن الله كما في مواضع أخرى كثيرة، فآمن بدعوته بعض الرجال وبعض النساء. وسخر آخرون من قوله: إن الله أقام يسوع من بين الأموات. ولكنه قال: نحن من سلالة الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً). حيث يزعمون أن آدم فيه جزء من ذات الله (تعالى الله عن ذلك) فهو بالتالي ابنه بالمعنى المجازي. وبنو آدم يصيرون بهذا المعنى المجازي أبناء لله إذا كانوا على طريق الحق.

وغادر بولس أثينا إلى كورنتوس (قورنتوس) وأخذ يدعو اليهود في مجامعهم إلى يسوع المسيح ولكنهم كانوا يقاومونه فتركهم وذهب إلى الوثنيين. وكلمه الربّ حسب زعمهم قائلاً له: «لا تخف بل تكلم ولا تسكت فأنا معك». فأقام سنة وستة أشهر يعلّم عندهم كلمة الله.

فثار اليهود وساقوه إلى المحكمة قائلين: «هذا الرجل يحاول إقناع الناس بأن يعبدوا الله عبادة تخالف الشريعة»، فقال القاضي والحاكم غاليون الروماني: «أيها اليهود، لو كانت المسألة مسألة جُرْم أو جناية لاستمعت إليكم، ولكن لما كان الجدل في الألفاظ والأسماء في شريعتكم، فانظروا أنتم في ذلك، لأني لا أريد أن أكون قاضياً في هذه الأمور» (أعمال الرسل ١٨/١٢ ـ ١٥).

ثم ذهب بولس إلى سوريا ومعه بريسكلا (بريسقلا) وأكيلا (أقيلا)، ودخل أفسس ودخل المجمع وخاطب اليهود، ثم ذهب إلى قيصرية، ومنها إلى أنطاكية، وطاف بلاد غلاطية يشدّد عزائم التلاميذ أجمعين.

وقدم أفسس يهودي إسكندري الأصل فصيح اللسان اسمه (أبُلُّس)، ويعلم تعليماً دقيقاً، ويعمّد بمعمودية يوحنا (يحيىٰ ﷺ). ولما وصل بولس إلى أفسس مرة أخرى سألهم: هل نلتم الروح القدس حين آمنتم؟ فقالوا: لا. فقال: أية معمودية اعتمدتم؟ فقالوا: معمودية يوحنّا. فقال بولس: إن يوحنا عمّد معمودية توبة، وأمرهم أن يتعمّدوا باسم الرب يسوع، فأدى ذلك إلى شقاق بين بولس وأبُلُّس الذي يتحدث عن معمودية يحيىٰ، وأن عيسى هو المسيح البشر. (الإصحاح ١٩ من سفر أعمال الرسل).

وأدى نشاط بولس وأبُلُّس إلى أن بارت صناعة التماثيل للآلهة أرطاميس (أرطميس) فاجتمع الصنّاع الصاغة وقرروا مهاجمة بولس الذي يزدري هيكل الآلهة العظمى أرطميس، آلهة مدينة أفسس وراعيتها. فثار الجمهور وأمسكوا

برجل اسمه الإسكندر، يهودي، وكانوا يصيحون: «ما أعظم أرطميس أفسس!». وتحدث رئيس الديوان (والكنيسة) إلى الجمهور الغاضب قائلاً: «يا أهل أفسس، مَن مِنَ الناس لا يعلم أن أفسس هي المدينة الحارسة لهيكل أرطميس العظمى، وصنمها الذي هبط من السماء؟».. وبرّأ الرجلين الذين قبض عليهما من أنصار بولس، لأنهما لم يجدّفا على الآلهة العظيمة أرطميس وصرف الجمهور.

بولس يُحيي ميتاً حسب زعمهم:

وخرج بولس من أفسس إلى مقدونيا وطاف تلك النواحي. وانتقل إلى طراوس وألقى بولس خطبة طويلة في الليل. وكان فتى جالساً على حرف النافذة فنام فسقط ميتاً فجاء إليه بولس ووقع عليه واعتنقه قائلاً: «لا تضطربوا لأن نفسه فيه، فقام الصبي وفرحوا كثيراً» (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٠).

انتقادات بولس وسفره إلى أورشليم:

وبما أن الانتقادات على بولس زادت كثيراً فإن الشيوخ في أورشليم طلبوا بولس ليحضر أمامهم ليحاكموه، وعلى الأقل يناقشوه في دعاواه الكثيرة، وحديثه عن يسوع الإلٰه أو ابن الإلٰه والذي يتجلى له. وكان بولس يعرف أن مجموعة أورشليم فقراء وفي حاجة شديدة إلى المال، فقرر الذهاب إليهم بعد أن يجمع لهم مالاً وفيراً يعطيهم منه ويأخذ لنفسه وأتباعه. وكان يشعر بالقلق بل بالكآبة عند ذهابه إلى أورشليم خوفاً من شيوخ الكنيسة (أي أتباع يسوع التلاميذ الحواريين)، وكان يقول لأتباعه: «ها أنذا اليوم ماضٍ إلى أورشليم أسيرَ الروح، والروح القدس يؤكد لي أن السلاسل والشدائد تنتظرني.. وأنا أعلم أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم»، وحذرهم من دخول ذئاب لاختطافهم وإبعادهم عن عقيدة بولس وبكى وأبكى (الإصحاح ٢٠ من أعمال الرسل).

وفي قيصرية جاء رجل يتنبأ اسمه أغابوس، وقال: إن بولس سيربطه اليهود في أورشليم. فلما سمع تلاميذ بولس هذا الكلام أرادوا أن يمنعوه من الذهاب إليها، ولكن بولس أصرّ على الذهاب لمعرفته بقدراته في الخداع، وبوجود أموال كبيرة معه يعطيها الشيوخ والجماعة ويوضح لهم اهتمامه بهم وبأحوالهم.

ولما وصل إلى أورشليم اجتمع بالشيوخ ورئيسهم يعقوب (أخو المسيح) وأخبرهم بولس بكل ما فعله الله من نشر كلمة الله بين الأمم فلما سمعوا كانوا

يمجّدون الرب. وقالوا له: أنت تعلم أن اليهود غيورون للناموس وقد أُخبروا أنك تعلم اليهود بين الأمم أن يتركوا الناموس، وأن لا يختنوا أولادهم، فأمروه أن يأخذ أربعة رجال عليهم نذر ويتطهر معهم وينفق عليهم، ليحلقوا رؤوسهم، ويقدموا ذبائح النذر إلى الهيكل فيعلم الجميع أن ما قيل عنه ليس بصحيح. أما من جهة الذين آمنوا من الأمم فعليهم أن يحفظوا أنفسهم من الذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا. وفعل بولس ما أشار عليه الشيوخ، ودخل الهيكل وقدّم القربان، فهدأ اليهود الذين في أورشليم، ولكن اليهود الآتين من آسياء الذين سمعوا بولس وتعاليمه ضد الناموس هاجوا، وأمسكوا بولس وأخرجوه خارج الهيكل. وبينما هم يطلبون أن يقتلوه أوصل تلاميذ بولس إلى أمير الكتيبة الروماني أن أورشليم قد اضطربت وأن ثورة ضد القيصر ستقوم، فأسرع أمير الكتيبة مع جنده، فكفَّ الناس عن ضرب بولس.

خطبة بولس ونفاقه:

وقال بولس لأمير الكتيبة: «أنا رجل يهودي من طرسوس، وأستأذنك في أن أكلّم الشعب، فأذن له فخاطبهم بولس بالعبرية وقال: أنا رجل يهودي، وولدت في طرسوس، ولكن رُبيّت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي جمالئيل على تحقيق الناموس الأبوي. وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً نساء، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ»، ثم ذكر قصة ذهابه إلى دمشق لأخذ المتنصّرين وإعادتهم إلى أورشليم مسجونين، وكيف ظهر له يسوع مما ذكرناه سابقاً.

روماني بالمولد:

ولما سمع الشعب ما قاله عن رواية يسوع هاجوا وأخذوه ليضربوه، فلما قدموه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه؟ فإذا سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره فجاء الأمير وسأل بولس: أأنت روماني؟ فقال بولس: نعم فأجاب الأمير: أما أنا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية. فقال بولس: أما أنا فقد وُلدت فيها. وللوقت تنحّى عنه الذين كانوا يريدون أن يضربوه. (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٢).

وهذا الموقف يدل على ذكاء بولس، وهل كان فعلاً بولس رومانياً

بالولادة، أو أنه اشترى الرعوية مثلما اشتراها الأمير بمبلغ كبير من المال حصل عليه بولس من المؤمنين بين الأمم، والذي جمع منه مبالغ كبيرة جداً أعطى بعضاً منها لشيوخ الجماعة في أورشليم؟ هذا أمر يميل إليه كثير من الباحثين.

وتفرَّس بولس في المجمع وقال: «أيها الرجال الأخوة، إني بكل ضمير قد عشت لله إلى هذا اليوم». فأمر حنانيا رئيس الكهنة والواقفين عنده أن يضربوه على فمه، حينئذٍ قال له بولس: «سيضربك الله أيها الحائط المبيض، أفأنت جالس تحكم عليّ حسب الناس، وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس؟». فقال الواقفون: «أتشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس الكهنة، لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً» (أعمال الرسل ٢٣/ ١ ـ ٥).

فانظر إلى هذا الأفّاك الذي كان يقول: إنه عمل زمناً طويلاً مع رئيس الكهنة حنانيا لمضايقة المتنصّرين، وأنه بعثه إلى دمشق للإتيان بمن آمن من اليهود بعيسى ﷺ، ثم ها هو يدّعي أنه لا يعرف رئيس الكهنة!! ثم لمّا شعر بالخطر سرعان ما اعتذر بأنه لم يعرف رئيس الكهنة الذي عمل معه دهراً طويلاً وأنه مكتوب: «رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً».

وبولس رجل مكّار، فلما علم أن الجمع يضم صدوقيين وفريسيين صرخ في الجمع قائلاً: «أيها الرجال الأخوة، أنا فريسي ابن فريسي. على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم». ولمّا قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة. ودافع الفريسيون عن بولس فأطلقوا سراحه (أعمال الرسل ٢٣/ ٦ ـ ٩).

وتآمر بعض اليهود الآتين من آسياء الصغرى لقتل بولس في أورشليم، ولكن ابن أخت بولس الذي أرسله ليتجسَّسَ سمع بالخبر وأسرع يخبر بولس فأرسله بولس للأمير، فأرسل الأمير مئتي عسكري وسبعين فارساً ومئتي رامح في حراسة بولس، وانطلقوا به بعيداً عن أورشليم إلى قيصرية عند الوالي فليكس.

وذهب حنانيا مع الشيوخ إلى والي فيلكس يشتكون بولس، وأنه أثار فتنة بين اليهود، وأنه شرع ينجّس الهيكل، وأردنا أن نحاكمه حسب شريعتنا. فدافع بولس عن نفسه وأنكر التهم الموجهة إليه، وأنه مؤمن بالناموس والأنبياء، ومؤمن باليوم الآخر والقيامة، وأنه قدّم قربانه في الهيكل متطهّراً.

وأبقاه فيلكس دون أن يحكم عليه «وكان يرجو أن يعطيه بولس دراهم

ليطلقه؛ ولذلك كان يستحضره مراراً ويتكلم معه». لأنه علم أن بولس قد جمع أموالاً ضخمة من المؤمنين الهلنستيين في أثناء رحلاته وتجواله. ولكن بولس رفض أن يدفع له أي شيء فبقي في السجن سنتين حتى انتهت ولاية فيلكس. (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٤).

ولمّا جاء الحاكم الجديد فستوس سأل بولس: أتشاء أن تصعد إلى أورشليم لتحاكم هناك؟ فأجاب بولس بكل ذكاء ومكر: أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحاكم. أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت جيداً. . . إن لم يكن شيء مما يشتكي عليّ به هؤلاء فليس أحد يستطيع أن يسلّمني لهم. إلى قيصر أنا رافع دعواي. . . فأجابه فستوس: إلى قيصر رفعت دعواك إلى قيصر تذهب» (أعمال الرسل ٢٥/١ ـ ١٢).

ولمّا جاء الملك أغريباس (ملك في فلسطين تحت القيصر) عرض عليه الوالي قضية بولس، وألقى بولس خطبة طويلة بحضرته، وأعاد الكلام الذي قاله في أورشليم: أنه فريسي، وأنه كان يضطهد المتنصّرين من اليهود. . إلخ، وقصة ذهابه إلى دمشق وظهور يسوع له، وأنه أخبر بما رأى وسمع منادياً بالتوبة «من أجل ذلك أمسكني اليهود في الهيكل وشرعوا في قتلي» وأنه بقي بفضل الله والجنود. وأن يسوع سوف يظهر قريباً. وحاول بولس بكل ذكاء أن يقنع الملك أن يصير مسيحياً، وفشل في ذلك. ولكنه أقنع الملك ومن حوله أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت أو السجن. ولو لم يكن قد رفع دعواه للقيصر لأمكن إطلاق سراحه (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٦).

وهكذا تقرر أن يسافر بولس إلى روما ليحاكم في محكمة القيصر. ويصف لوقا الرحلة ومصاعبها، واغتلام البحر بهم، وتحطم السفينة ولجوءهم إلى جزيرة مالطة، وكيف أحسن إليهم أهلها،وبقوا هناك فترة الشتاء حتى جاءت سفينة متجهة إلى روما من الإسكندرية فأرسلوهم فيها. ووصلوا إلى روما فأحسنوا معاملة بولس وسمحوا له بمقابلة اليهود وغيرهم، ولم يكن اليهود قد سمعوا بمحاكمته وما جرى له في أورشليم. وشرح لهم بولس قصته ودعوته؛ فآمن بعضهم وتَذَمَّرَ الآخرون عليه، وأعلن بولس لهم: «سمعاً تسمعون ولا تفهمون، وتنظرون نظراً ولا تُبصرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً، وأعينهم أغمضوها لئلا يبصروا. فليكن معلوماً أن خلاص الله قد أرسل إلى الأمم».

وهكذا أعلن بولس دعوته إلى الأمم وسمّى نفسه رسول الأمم. وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره له. وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع» (أعمال الرسل - الإصحاح ٢٨). وهكذا ينتهي السفر دون أن يخبرنا عن محاكمة بولس بروما.. ويعتبر الباحثون أن هناك نقصاً في الكتاب، بينما يزعم رجال الكنيسة أن الغرض هو وصول بولس إلى رومة وانفتاح دعوته للأمم..

ويقول مجموعة من الباحثين من رجال الكنيسة من الجزويت في كتابهم (أعمال الرسل)[(١)]: إن كتاب لوقا يوضح مقدرته الكبيرة على توضيح رسالة يسوع بعد أن تحول من نبي إلى بني إسرائيل قبل القيامة، إلى يسوع الممجد ابن الله والمسيح بعد القيامة. وكيفية قيام الجماعة المسيحية الأولى في أورشليم ثم انطلاق بولس بالدعوة بين الأمم حتى أصبح هو رسول الأمم، ويقول هؤلاء: إن لوقا يؤلف الخطب التي نسبها إلى أبطاله بطرس وبولس وغيرهم. وإن الأحداث التي ذكرها لا يمكن التأكد منها تاريخياً. وهذا كتاب إيمان وليس كتاب تاريخ.. وكل المعجزات الكثيرة التي ذكرناها حدثت للرسل وبولس لا حقيقة لها، وهي من اختراع لوقا. ولكنها توضح أهمية التفكير الغرائبي والعجائبي في تلك العصور ويقولون بالنص: «فإذا أردنا أن نكون أمناء لهذه النظرة فلا بد أن نتساءل عمّا حدث في الحقيقة»، فليس المهم أن هذه المعجزات قد حدثت فعلاً، بل إنها تدل على عمل الله الذي يراه الناس ويؤمنون به. فالمهم هو الإيمان سواء حدثت هذه المعجزات أم لم تحدث.

---

(١) مجموعة من الباحثين: أعمال الرسل. ترجمة الأب بولس الفغالي، طبعة ثالثة، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢، إصدار جمعيات الكتاب المقدس في المشرق. وصدر الكتاب بالفرنسية عن الآباء اليسوعيين: ص٣٤ و٣٦.

الباب الخامس

بولس صانع الأسطورة ورسائله

مقدمة

بولس ورسائله

لا شك أن بولس أهم شخصية في المسيحية بعد يسوع المسيح، فهو المؤسس لهذا الدين الجديد من مزيج من تعاليم يسوع الحقة.. وفكرة مخلوق سماوي ينزل إلى الأرض بصورة بشرية ليتعذب ويموت، ثم يبعث من جديد من أجل مغفرة خطايا البشر من أتباعه.. وهي فكرة شائعة في كثير من الأمم الوثنية، وكانت موجودة في طرسوس المدينة التي ولد فيها بولس (ما بين ٥ و١٥ للميلاد)، ونشأ فيها وتعلم ودرس اليونانية وأجادها، كما درس العبرية في بيته، ثم ذهب إلى أورشليم بعد عام ٣٠ للميلاد، وسنه قد تجاوز الخامسة عشر بيقين، وربما كان جاوز الخامسة والعشرين (إذا كان مولده عام خمسة ميلادية).

وسندرس في هذا الفصل حياة بولس وعقائده وكيف أسس هذا الدين الجديد الذي مزج فيه تعاليم يسوع الحقة وبعض تعاليم الكتاب المقدس (العهد القديم كتاب الشريعة والأنبياء) مع الوثنيات السائدة في عصره.

وسيرة بولس لها عدة مصادر أهمها:

١ ـ سِفر أعمال الرسل لمؤلفه لوقا الذي يقول: إنه تلميذ بولس وأنه سافر معه معظم رحلاته.

٢ ـ رسائل بولس: وهي عدة رسائل كتبها إلى أتباعه في مختلف البلدان. ويقول الباحثون: إن بعضها على الأقل كتبها بنفسه، أو أملاها على كاتبه، وفي كثير منها كان يسمح للكاتب أن يصيغها كما يريد بعد أن يعرف منه غرضه. ويشكك الباحثون بما فيهم رجال الكنيسة الغربية في رسالة بولس إلى العبرانيين.. ويتفق الجميع أن هذه الرسالة لم يكتبها بولس. ويقول كثير منهم: إن كاتبها هو أحد تلاميذ بولس، وأنه أرسلها بعد استشهاد بولس. والرسالة تختلف في أسلوبها وفكرها عن رسائل بولس الأخرى. وإن كانت بينها وبين تلك الرسائل عدة عوامل مشتركة.

وهذه الرسائل هي حسبما وردت في العهد الجديد لا بترتيبها الزمني:

رسالته إلى أهل رومة، إلى كورنثوس (الأولى والثانية)، إلى غلاطية، إلى أفسس، إلى فيلبي، إلى قولسي (كولوسي)، تسالونيكي (الأولى والثانية)، إلى تيمثاوس (طيموثاوس) (الأولى والثانية)، إلى تيطس، إلى فيلمون والرسالة إلى العبرانيين.

٣ ـ ما كتبه الأبيونيون (الفقراء إلى الله) من اليهود المتنصّرين عن بولس، والذين تهملهم الكنيسة إهمالاً تاماً، ولكن الباحثين المعاصرين يهتمون بهم اهتماماً بالغاً لأن كتاباتهم تلقي أضواء على جوانب كثيرة غير معروفة عن شخصية بولس وعقائده.

٤ ـ ما كتبه بعض المؤرِّخين الذين جاؤوا في القرن الثاني للميلاد مثل فلافيوس يوسيفوس وأعمال مؤرِّخي الكنيسة، والكتابات الغنوصية، وفيلون الفيلسوف والمؤرِّخ اليهودي الإسكندري.

بولس ورسائله:

يعتبر بولس (شاول) أهم شخصية في تاريخ المسيحية. وهو الذي طور دين يسوع المسيح من دين توحيدي واضح المعالم ضمن إطار أنبياء بني إسرائيل إلى دين معقّد حوَّل فيه يسوع المسيح من بشر، ونبي، ورسول كريم، إلى إله، وابن إله، مما مهَّد لظهور العقائد المسيحية التي نمت نتيجة فكر بولس المتأثر بالثقافة الهيلنستية.

ترجمة بولس:

إن شخصية بولس يكتنفها الغموض رغم أن سِفر أعمال الرسل الذي وضعه تلميذه لوقا (حسب زعمهم) يتحدث كثيراً عن بولس، ونشاطه، ورحلاته، وتفكيره، وما واجهه من مشاكل، وكيف عيّنه يسوع الممجّد ليكون رسوله إلى الأمم عندما ظهر له في طريق دمشق (انظر: الفصل السابق: سِفر أعمال الرسل)، رغم أن بولس لم يرَ يسوع في حياته قط.

والمصدر الثاني الهامّ لفكر بولس ونشاطه هو رسائله العديدة التي جُمعت وأصبحت تشكل جزءاً هاماً من العهد الجديد، رغم الشكوك في بعض رسائله،

وخاصة رسالته إلى العبرانيين التي ينفي كثير من الباحثين أنه كتبها أو أملاها.

ومن المعلوم أن رسائل بولس كُتبت ما بين سنة ٥١م وسنة ٦٥م. ورسائله قد سبقت كتابة الأناجيل الأربعة التي قيل: إنها كتبت في الفترة ما بين سنة ٧٠م وسنة ١٢٥ ميلادية. ومن الواضح أن أفكار بولس أثَّرت كثيراً في سياق الأناجيل، وخاصة إنجيل لوقا تلميذ بولس ورفيقه في كثير من رحلاته، وإنجيل يوحنا اللاهوتي الذي سار على سنن بولس وهديه وفكره.

ولكن هناك مصادر أخرى لفرقة الأبيونيين (الفقراء إلى الله) من اليهود الذين آمنوا بيسوع رسولاً ونبياً، ولم يؤمنوا به كإله أو ابن الإله. وحاربوا تلك الهرطقة والكفر المبين مع فرق أخرى من اليهود المتنصّرين. ولكن الغلبة في النهاية كانت لفكر بولس الذي استقطب الوثنيين الهيلنستيين، والذي أدرج كثيراً من العقائد الوثنية، ومن ضمنها فكرة الإله الذي يضحّي بنفسه من أجل أتباعه وغفران خطاياهم، فيموت من أجلهم، ثم يبعث من جديد بعد مغفرة خطاياهم، مما سنوضحه نقلاً عن كبار الباحثين من المسيحيين المعاصرين.

ولهذا يلجأ الباحثون إلى المصادر الأخرى للتعرّف على زوايا شخصية بولس التي تنمّقها الكنيسة وكتبها.

مولده ونشأته:

ولد بولس (شاول) في طَرَسوس (في تركيا حالياً)[1] وهي مدينة تجارية وثقافية هامة، وتشكّل حلقة الاتصال بين آسيا الصغرى (تركيا حالياً) واليونان من جهة، والشام والمشرق من جهة أخرى. وقد سكنها اليونان السلوقيون[2] (أتباع الإسكندر المقدوني). وحاول الملك أنطاكيوس أبيفان سنة ١٧١ قبل الميلاد أن يجعلها مدينة إغريقية، وانتشرت في رحابها المعابد والمدارس اليونانية. وظهرت

---

(١) وطَرْسوس في سوريا وقد يلتبس الأمر على كثيرين. وقد أفادني الأستاذ محمد علي دولة بالفرق بينهما فطَرَسوس بفتح الراء في تركيا وطَرْسوس بسكون الراء في سوريا.

(٢) بعد وفاة الإسكندر المقدوني تولى قادته الذين كانوا في آسيا الصغرى والشام (سوريا الكبرى) الحكم، وعُرفوا باسم السلوقيين. بينما عرف قادته الذين أسسوا معه مدينة الإسكندرية وحكموا مصر وشمال أفريقيا وامتد حكمهم إلى فلسطين، وعرفوا باسم البطالمة أو البطالسة.

بها جامعة جعلت لها شهرة في العالم اليوناني ـ الروماني. (المدرسة الرواقية).

وكان شاول الذي عرف فيما بعد باسم بولس قد وُلد حسب زعمهم لأبوين يهوديين كانا يعيشان في هذه المدينة. ولا يُعرف متى وُلد على وجه اليقين، ولكن المصادر المسيحية تجعله فيما بين السنة الخامسة والسنة الخامسة عشرة للميلاد[١].

وقد أمضى شاول طفولته ومراهقته في بلدة طرسوس التي كانت تموج بالثقافات المختلفة، والأديان المتعددة، وتعلم العبرية في بيته، كما تعلم اللغة اليونانية وأجادها إجادة تامة.

ودرس بولس في مدارسها. ولا شك أنه تأثر بالفكر الهيلنستي، وخاصة المدرسة الرواقية[٢].

ويدّعي بولس أن والده كان مواطناً رومانياً، رغم أن المواطنة الرومانية لم تكن تعطى لغير الرومان أو اليونان، أو بعض الأشخاص الذين قدّموا خدمات جُلّى للدولة أو الإمبراطور، ولكن في زمن بولس وما قبلها كان يمكن شراؤها بمبلغ كبير من المال.

ولا شك أن بولس قد نشأ في مدينته ودرس ما فيها من ثقافات وأديان، وكانت عبادة الإله أتيس، وأدونيس، وملكارت، وميثرا، موجودة في طرسوس. والغريب أن هذه الآلهة تموت في موعد معين من السنة، ثم يبعثون في موسم آخر، ونلاحظ أن هذه الآلهة تشبه البشر في سلوكها وأعمالها.. وأغلب الآلهة الذين يموتون ثم يبعثون مرتبطون بمواسم الفصول والزراعة. والإله يتعذب أولاً، كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكن يتغلب على الموت،

---

(١) فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩م، ص٦.

(٢) فلسفة يونانية أسسها زينون (٣٣٦ ـ ٢٦٤ق. م) تدعو إلى الأخلاق، والتحلي بالصبر، وعدم الانغماس في الشهوات، على نقيض الفلسفة الأبيقورية، التي ترى أن السعادة هي في اللذة، وليس المقصود فقط اللذات الحسية، وإنما تشمل الحسية والروحية. وإن كانت قد تحولت في مفهوم الناس إلى مفهوم اللذة الحسية الغليظة فصارت سُبّة تدل على الشهوانية. وقد أطلق على فلسفة زينون اسم الفلسفة الرواقية لأنهم كانوا يتباحثون في رواق المدرسة في أثينا.

ويُبعث من جديد ليظهر مجده وقوته. ويقوم الأتباع بتصوير قصة تعذيب الإله. . . ويأكلون من الضحية الحية التي تقدم، ويشربون معها الخمر، فتتحول تلك الضحية الحية في الطقوس إلى لحم إلههم، ويتحول الخمر إلى دم إلههم. . فيتم بذلك اتحاد المعبود بأتباعه وعبيده. . ويطهِّرهم بذلك من الخطيئة.

وسنرى أهمية هذه العقيدة التي استعارها بولس وطبّقها على فهمه لقصة صلب يسوع وموته وقيامته. وكيف تحولت النصرانية الحقة بعد بولس إلى دين دخلته كثير من الطقوس الوثنية وعقائدها.

بولس في أورشليم للدراسة على يد جمالئيل:

ويدّعي بولس أنه ذهب إلى أورشليم لدراسة الدين اليهودي وأنه التحق بمدرسة جمالئيل. وهو أحد أشهر المعلمين الفريسيين في أورشليم، وأنه أخذ يدرس لديه لعدة سنوات الشريعة اليهودية وطقوسها. ويذكر كتاب (المدخل إلى رسائل بولس)[1] أن بولس (شاول) ذهب إلى القدس (أورشليم) بعد السنة ٣٠ ميلادي، ويقول نفس المصدر: إنه ولد ما بين سنة ٥م وسنة ١٥م. فمعنى ذلك أنه لم يذهب إلى القدس إلا وقد تجاوز خمسة عشر عاماً بيقين، وربما خمسة وعشرين عاماً أو أكثر. مع أن بولس يزعم مراراً وتكراراً أنه قضى طفولته في أورشليم.

تناقضات بولس:

ثم إن كتاب (المدخل إلى رسائل القديس بولس) يذكر أنه ذهب إلى دمشق فيما بين العام ٣٤م والعام ٣٦م، مع أننا نعلم أن شاول ذكر مراراً وتكراراً أنه كان يضطهد الذين آمنوا بيسوع ويسلمهم إلى السجّان، وشهد على أسطفانس، ورجمه مع من رجم، وقتله لأنه كان يدعو للإيمان بيسوع. والسؤال هو: كم من السنين قضاها بولس (شاول) كما يزعم لدى جمالئيل (جمال الله). . ودراسة الشريعة (التوراة والعهد القديم) والتلمود تأخذ سنين طوالاً في النظام الديني اليهودي إلى اليوم؟ فكيف استطاع شاول أن ينهي دراسته في فترة قصيرة، سنة أو سنتين، ثم

---

(١) الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، دار المشرق، بيروت، جمعيات الكتاب المقدس، ١٩٨٩م، ص٦.

يتحول إلى مضطهد للمسيحيين ومتتبع لهم في كل مكان حتى طلب من الكاهن الأكبر أن يرسله إلى دمشق لتتبعهم والإتيان بهم مقيدين مسلسلين لِيَلْقَوا جزاءهم العادل عند الكاهن الأكبر؟.

والغريب حقاً أن شاول يزعم أنه فريسي وابن فريسي، وأنه درس الشريعة على يد أحد أكبر علماء الفريسيين وهو جماليل، وفي نفس الوقت يزعم أنه كان أثيراً لدى الكاهن الأكبر حنان الذي كان صدوقياً. والحرب بين الصدوقيين والفريسيين عنيفة جداً. والفريسيون متمسكون بحرفية الكتاب المقدس (الشريعة والأنبياء)، ومغرمون جداً بالطقوس، ومتشددون في المظاهر الدينية الجوفاء التي من أجلها قرّعهم يسوع، وقد نقلنا فيما سبق بعض تقريعات يسوع لهم، وتوبيخه لمسلكهم المتمسك بالمظاهر الدينية، والتي تترك لبّ الدين من الرحمة والمحبة والتواضع والبذل. والفريسيون يكرهون اليونان والرومان، وقام أتباعهم بكثير من الثورات ضد الدولة الرومانية، وخرج منهم القناؤون المتعصبون الإرهابيون، وإن كان شيوخهم، خوفاً من الدولة الرومانية، يعلنون أنهم لا يقرّون الأسلوب الإرهابي في مقاومة هذه الدولة المتجبرة الطاغية.

وعلى العكس من ذلك تماماً كان الصدوقيون، فهم أصحاب أموال وثقافة يونانية واسعة (هيلنستية)، ويرون أن مصلحتهم ومصلحة يهود هي في السير في ركاب الدولة الرومانية، والتعاون معها، والعمل لديها، واكتساب المهارات منها، وتقديم الخدمات لها، وبالتالي الحصول على مغانم هامة لأنفسهم، وأتباعهم، ولليهود ككل. وكانوا يركزون على الثقافة والتجارة، ولم يكونوا يؤمنون بالقيامة واليوم الآخر، فالموت هو نهاية كل حي، ولا حياة بعد ذلك، لا للأرواح ولا للأجساد، ولا لكليهما معاً. وقد جادلهم يسوع من أجل ذلك وجادلوه ووبَّخَهم ووبخوه.

وأدى تعاون الصدوقيين مع السلطة الرومانية إلى أن آلت إليهم أمور اليهود الدينية والعامة ينظمونها، وصار الكاهن الأعظم منهم، وأُعطي الكاهن بعض الصلاحيات للبَتِّ في أمور اليهود، والقضاء بينهم، وأعطي شرطة وسجاناً.

والسؤال المحيِّر حقاً: هو كيف استطاع شاول الذي يقول عن نفسه: إنه فريسي وابن فريسي أن يكسب ثقة حنان رئيس الكهنة الصدوقي، وأن يكون موظفاً لديه، مهمته ملاحقة المسيحيين وتعذيبهم؟.

بولس لا يعرف رئيس الكهنة:

والغريب حقاً أن شاول يزعم أنه كان مقرباً إلى (حنان) رئيس الكهنة، ورغم ذلك نجده يدّعي أنه لم يعرف رئيس الكهنة ولا رآه قبل ذلك. جاء في سِفر أعمال الرسل للوقا تلميذ شاول (بولس) الأثير (الإصحاح ٢٢) أن بولس عندما عاد إلى أورشليم بعد رحلته التبشيرية في آسيا الصغرى واليونان، وهاجمه اليهود وكادوا أن يقتلوه، خطب خطبة طويلة وقال: «أنا رجل يهودي. وُلدت في طرسوس من كليكية، على أني نشأت في هذه المدينة منذ طفولتي (هذا كذب كما أوضحناه)، وتلقيت عند قدمي جمالئيل (وهو أمر مشكوك فيه جداً كما أشرنا إلى ذلك)، وتربيت تربية موافقة كل الموافقة لشريعة الآباء (الفريسيين). وكنت ذا حميّة لله، شأنكم جميعاً في هذا اليوم. واضطهدت تلك الطريقة حتى الموت، فأوثقت الرجال والنساء وألقيتهم في السجون، وبذلك يشهد لي عظيم الكهنة، وجماعة الشيوخ كلها. فمنهم أخذت رسائل إلى الإخوة، فسرت إلى دمشق لأوثق من كان فيها منهم، فأسوقه إلى أورشليم ليعاقب» (أعمال الرسل ٢٢/١ ـ ٥). ثم ذكر قصة ظهور يسوع له التي أوضحناها في الفصل الذي خصصناه لسِفر أعمال الرسل.

وفي نفس الموقف قال بولس بعد أن كادوا أن يضربوه: «وحدق بولس في المجلس والجمع وقال: أيها الرجال الأخوة، بكل ضمير قد عشت لله إلى هذا اليوم»، فأمر حنان رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه. حينئذٍ قال له بولس: «سيضربك الله أيها الحائط المبيّض. فأنت جالس تحكم عليّ حسب الناس، وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس؟ فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة الله؟ **فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة الله، لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً»** (أعمال الرسل ٢٣/١ ـ ٥).

وواضح جداً كذب بولس، فكيف لا يعرف رئيس الكهنة، وهو يدعي أنه عمل معه لعدة سنوات في محاربة المتنصّرين من اليهود. ثم انظر إلى مراوغته وسرعة استدلاله بنصوص الكتاب المقدس (العهد القديم) التي تمنع سب رئيس الكهنة. حتى يمتصّ غضب الواقفين، وهذه إحدى صفات بولس الشخصية الهامة، وهي مراوغته وكذبه ولبوسه لكل حالة لبوسها وحربائيته كما سنوضحه.

تلون شخصية بولس حسب الحاجة والظروف:

وبولس نفسه يقول في رسالته لأهل كورنتوس (الرسالة الأولى ٩/ ٢٠ ـ ٢٢): «فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس (يقصد الفريسيين والناموسيين)، وللذين بلا ناموس (أي الذين لا يهتمون للشريعة وتطبيقها مثل الصدوقيين والسامريين) كأنني بلا ناموس ـ مع أنني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس المسيح ـ لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، **وصرت للكل كل شيء**، لأخلّص على كل حال قوماً».

بولس يهودي فريسي روماني أيضاً:

ومفتاح شخصية بولس **«صرت للكل كل شيء»** فإذا كان مع الفريسيين **فهو** فريسي، ومع الصدوقيين فهو صدوقي، ومع السامري سامري، ومع الروماني روماني. وقد استخدم جنسيته الرومانية التي يزعم أنه وُلد فيها عدة مرات ليتخلص من العقوبات والضرب والسجن، وليكسب الهيلنستيين والرومان إلى عقيدته الجديدة.

ومن ذلك ما جاء في سِفر أعمال الرسل (٢٢/ ٢٥ ـ ٢٩): «ولما سمع الشعب ما قاله عند رؤيته يسوع الذي تجلّى له في طريق دمشق هاجوا، وأخذوه ليُضرَب فلمّا مدُّوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف: **أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضيٍّ عليه؟** (كان القانون الروماني يمنع سجن أو جلد أي مواطن روماني بدون أمر قضائي) فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره فجاء الأمير وسأل بولس: **أأنت روماني؟ فقال بولس: نعم، فأجاب الأمير: أما أنا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية. فقال بولس: أما أنا فقد وُلدت فيها. وللوقت تنحّى عنه الذين كانوا يريدون أن يضربوه**».

ولمّا تآمر اليهود ليقتلوا بولس ويغتالوه نقل ابن أخت بولس، الذي دسّه بولس بين اليهود ليتجسس، الخبر إلى خاله ثم إلى القائد العسكري، فأرسل القائد مئتي عسكري ومئتي رامح وسبعين فارساً لحراسة بولس، وانطلقوا به من أورشليم إلى قيصرية مقر الوالي والحاكم العام فيلكس لينظر في قضيته (أعمال الرسل ٢٣/ ١٦ ـ ٢٤).

ولا شك أن عدد الجنود الذين أرسلوا لحماية بولس مبالغ فيه جداً، ولا حاجة لإرسال مئات الجنود وحملة الرماح، والفرسان، لحماية شخص عادي، وإن كان رومانياً، ويكفي في ذلك بضعة جنود ليختفي اليهود الذين كانوا يخشون الدولة الرومانية ويهابونها. على أيّة حال ما ذكر في (أعمال الرسل) يدلنا على تعلق بولس برعويته الرومانية، وشدة اهتمامه بها.

وقد كرر بولس أمام الحاكم فيلكس قضيته، وشرحها شرحاً وافياً، وكرر أنه روماني بالمولد حتى يحظى بالمعاملة الحسنة طوال فترة محاكمته. وأصرَّ بولس أن يرفع دعواه إلى القيصر نفسه (أي المحكمة العليا في روما)، باعتباره مواطناً رومانياً يحق له طلب ذلك. ورفض أن يحاكم في المحاكم اليهودية، التي يرأسها كبير الكهنة، ويتولى أمرها السنهدرين (شيوخ اليهود). رغم أن اليهود يتحاكمون لديه، وهو يدّعي أنه يهودي. ولمّا حضر الملك أغريبا إلى قيصرية عرض الحاكم قضية بولس عليه، (كان الملك أغريبا ملكاً في قيصرية وما حولها تابعاً للقيصر في روما). واستمع إلى خطبة بولس الطويلة والتي حاول فيها أن يغري الملك بالدخول في المسيحية، وكرر أنه روماني وأنه قد رفع قضيته للقيصر فقال الملك أغريبا: «لو لم يرفع هذا الرجل دعوته إلى قيصر لأمكن إخلاء سبيله» (أعمال الرسل ٢٦/١ ـ ٣٢).

وفي بلاد آسيا الصغرى الهيلنستية، وفي اليونان، وفي روما، كان بولس عند الحاجة يستخدم رعويته الرومانية لإنقاذ نفسه من السجن أو الضرب، أو حتى ليُقنع الجمهور الهيلنستي بأنه مثلهم رعوي روماني، ويتقرب إليهم بذلك حتى يكسبهم إلى دعوته.

من سبط بنيامين:

ورغم ذلك فقد كان بولس في مجلس اليهود يُصرّ على أنه يهودي فريسي من سبط بنيامين فهو يقول: «ألعلّ الله رفض شعبه؟ **حاشا لأني أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين**» (رسالة بولس إلى أهل رومة ١١/١)، وفي رسالة بولس إلى أهل فيلبي (٣/٥) يقول: «**من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين**».

والذين يعرفون التاريخ يعلمون أن سبط بنيامين ويهوذا انفصلا عن الأسباط

العشرة الباقية وكونوا لهم مملكة يهوذا في الجنوب، بعد موت سليمان ﷺ (حوالي ٩٠٠ قبل الميلاد) وأن الأسباط العشرة الباقية كونوا دولة في الشمال عاصمتها شكيم (نابلس). وانتهت دولة الشمال هذه على يد الآشوريين في القرن السابع قبل الميلاد. واختلط البنيامنيون مع سبط يهوذا اختلاطاً تاماً فصاروا يعرفون كلهم بسبط يهوذا منذ ذلك الزمن أي منذ ٧٠٠ سنة قبل عهد بولس. ولكن بولس أو الذي كتب رسائله وسيرته يكذب، ويعرف أنه يكتب لمجموعة من الهلنستيين الذين لا يعرفون تاريخ أورشليم وفلسطين وتاريخ اليهود فيها. والكذب سجيته وديدنه، والخداع والمكر طريقة حياته منذ نشأته.

وبولس مع أصحاب الختان مختون، مع الذين بلا ختان لا أهمية للختان وللقُلْفَة، ومع الذين يمتنعون عن نجاسة الخنزير والدم هو ناموسي مثلهم يهتم بالشريعة وتعاليمها. ومع الوثنيين الجدد الذين دخلوا النصرانية «ليس الذي يدخل الفم هو الذي ينجّس بل الذي يخرج منه». فالدم والخنزير وكل النجاسات التي تشدد فيها الناموس والشريعة يبيحها بولس لهم حتى يكسب مودتهم ورضاهم، فهو مع اليهودي يهودي، ومع الناموسي ناموسي، ومع الفريسي فريسي، ومع الصدوقي صدوقي، ومع الوثني الذي لا يختتن ويأكل من هذه النجاسات، بشرط أن يؤمن بالمسيح الرب الإله وابن الإله ويتعمد عمادة نعمه... فكل الخطايا مغفورة بهذا الإيمان ولا يضرّ أكل النجاسات كلها، ولا داعي لالتزام الشريعة فقد حررنا منها يسوع الممّجد الذي صار لنا لعنة وتحمّل عنّا اللعن. وصار هو لعنة!! (رسالته إلى أهل غلاطية ٣/ ١٣).

وفيما يلي سننقل فصولاً مختصرة مما كتبه رئيس قسم تاريخ الأديان وأستاذ الديانة المسيحية في جامعة باريس الدكتور شارل جينيبر وترجمه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله[1] بعنوان (المسيحية نشأتها وتطورها).

بيئة بولس في طرسوس:

والنظرة إلى الحياة الدينية في الشرق الآسيوي (من بحر إيجه إلى ما بين

---

(١) شارل جينيبر: المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت ص٦٧ ـ ١٢٨ م الفصل الرابع إلى نهاية الفصل السابع، نقلناها باختصار وتصرف.

النهرين) تبين أن عدداً من الآلهة كان يحتل مكان الصدارة خلال العهد الأول لقيام المسيحية وأهمها: أتيس في بلاد الفريجيين، وأدونيس في الشام، وملكارت في فينيقيا (جنوب لبنان)، ثم تموز ومردوك في بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات)، وأوزريس في مصر، والإله الفارسي ميثرا. . وكانت هذه الأديان تتشابه إلى حد كبير في عقائدها وطقوسها بسبب التقارب والاختلاط بين أتباعها.

موت الآلهة ثم بعثها:

والغريب أن هذه الآلهة تموت في موعد معين من السنة ثم يبعثون في موسم آخر، فيشعلون في نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسى العميق، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التي تكاد تصل حد الجنون بعودتهم وبعثهم مرة أخرى.

ونلاحظ أن هذه الآلهة على عظمتها، تشبه البشر في الكثير من سلوكهم وأعمالهم وأقوالهم، ونرى أتيس الراعي، وأدونيس الذي كان ثمرة لعلاقة غير مشروعة بين أخ وأخته يرتفعون تدريجياً من مستوى البشر إلى مصافّ الآلهة المهيمنة على الأرض ومن فيها.

وهذه الآلهة مرتبطة بالشمس وبالمواسم الزراعية فمثيراً كان إلهاً شمسياً ولذا احتفل بمولده في ٢٥ ديسمبر (موعد الانقلاب الشتوي). وهو أيضاً عيد ميلاد المسيح كما يزعمون. وكان أوزوريس إلهاً قمرياً كما يقولون، أما تموز فهو من آلهة الزراعة حيث يموت في شدة القيظ، تحييه أول نسمات الربيع، وهكذا الحال بالنسبة إلى أدونيس. وأغلب الآلهة يموتون ثم يبعثون، فالعلاقة واضحة بين الفصول وبين موت هذه الآلهة أو بينها وبين المواسم الزراعية. وتتمثل الأرض الخصبة بالأم: فعلى سبيل المثال نجد الأم الكبرى سيبيل في أسطورة أتيس، وأفروديت بالنسبة إلى أدونيس؛ لذلك جمع الناس في العبادة بين هاته الأرباب وهاتيك الشخصيات الإلهية النسائية. وتمت الاحتفالات بموت وبعث الإله إما في موسم واحد أو موسمين. ويبتدئون أحياناً بنعي الإله الميت ثم يمجّدون بعثته من جديد (**تماثل موت الآلهة الوثنية ثم بعثها بموت يسوع ثم بعثه**).

ومثل هذه الطقوس الوثنية انتقلت إلى المسيحية في احتفالات عيد الفصح (إيستر) فهم يحتفلون بموت السيد المسيح على الصليب (حسب زعمهم) يوم

الجمعة أو يوم الخميس ليلاً (الجمعة الحزينة) ثم يحتفلون بقيامته في فجر يوم الأحد (عيد القيامة).

وتتماثل قصة موت الإله وبعثته في الديانات الوثنية بما هو موجود في المسيحية التي تشرَّبت منها ذلك. فالإله يتعذّب أولاً كما يتعذب الإنسان ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلب على الموت ويبعث من جديد ليظهر مجده وقوته كإله. ويقوم الأتباع والمؤمنون بهذه العقيدة بتجديد الاحتفال بموت إلههم وبعثته في كل عام في الموعد المحدد. ويصورون قصة تعذيب إلههم مع أنهم يؤمنون بأنه يتمتع في ديار الخلد الإلهية منذ أن بُعث في الماضي السحيق. ويفترض في المؤمن أن يشارك في قصة تعذيب إلهه بمجموعة من الطقوس الدينية تنتهي بأن يتحدّ جسداً وروحاً بهذا الإله الإنسان. وهذا ما نجده لدى المسيحية متمثلاً بالقربان وما يسمى العشاء الرباني حيث يتحول الخبزُ الذي يأكله المحتفلون بعد تقديسه بواسطة القسيس إلى جسد المسيح، والخمرُ التي يقدسها القسّيس إلى دم المسيح. فيأكل المؤمنون في تلك المناسبة جسد ربهم ويشربون دمه معلنين بذلك عن اتحاد المؤمن بالإله، ويتجدد اتحاد الناسوت باللاهوت!!.

وهكذا تتماثل في النهاية طقوس موت الإله ثم بعثه في الأديان الوثنية وفي الدين المسيحي، فأتيس وأوزريس وسيبيل كلها تتحول إلى آلهة بعد أن تعذبت في صورة بشرية ثم ماتت، ولكن قيامها بعد الموت يشكّل لحظة الانتصار على الآلام، وعلى الموت، وعلى الخطايا، وتتكامل الصورة باتحاد المؤمنين بهذا الإله عبر أكل لحمه (الخبز)، وشرب دمه (الخمر)، أو بصورة ذبح ثور خاص ينهمر فيه دم الثور على المؤمنين الذين يتم تعميدهم بدم الثور الإله الذي تَجسّد في الرب في تلك اللحظة ليجعل للمؤمنين به حظّاً في الاتحاد به!!.

وينزل المؤمن إلى الحفرة التي يتساقط إليها دم الثور فيتغطّى جسد المؤمن بدم الثور، وتمثل الحفرة الهاوية أو الموت الذي نزل بالإله، ونزل بالمريد، والثور ها هنا هو أتيس، أما دماؤه فتمثل جوهر حياته الإلهية، ينزف منه، فيتلقّاه المؤمن ويتشرّبه ويمتزج به حتى إذا خرج من الحفرة اعتبر مولوداً جديداً، فيُسقى اللبن كما يُسقى المولود. ويخرج وقد تطهّر من الآثام، كما يخرج الطفل من بطن أمه ملوّثاً بدماء النفاس، ومع ذلك فقد تشرَّب جسمه وروحه وامتزج بذات الإله فأصبحت له السعادة الروحية الإلهية، وعليه بعد ذلك أن يتّحد مع الآلهة سيبيل

كما فعل أتيس، والتقرب إليها بتقديم الأعضاء التناسلية للثور لها. وهذا يرمز إلى الزواج الذي يتم روحياً في حجرة العرس الخاصة بالأم الكبرى!!!.

وتتم الاحتفالات مع هذه الآلهة أتيس، وميثراً الفارسي، وبعل السوري، وأزوريس المصري في طقوس معقدة، ومآدب ضخمة، حيث يتناول المؤمنون الطعام والشراب مع موائد الإلٰه المعبود بحيث يتاح لكافة المؤمنين الامتزاج بدم الإلٰه ولحمه، والاتحاد به لينالوا السعادة الأبدية.

وهذه الطقوس مع بعض التحوير نراها في المسيحية في احتفالات عيد الفصح المجيد (إيستر) المرتبطة بالقربان، والتي أدخلها بولس إلى المسيحية وبذلك أبعد النصرانية الحقة وأدخلها في طقوس وثنية معقدة ومقزّزة.

معرفة بولس للطقوس الوثنية منذ نعومة أظفاره:

لقد عرف بولس هذه الطقوس وشاهدها في مدينته طرسوس وعرفها عن كثب في رحلاته المتعددة، وتأثر بها إلى حد بعيد، ولهذا نقلها بعد تحويرها إلى المسيحية، وجعل محور حياة يسوع هو الموت على الصليب، وعذابه من أجل البشر ليخلصهم، ثم بعثه رباً مجيداً. كما أن طقوس القربان تجعل الخبز الذي يقدمه الكاهن، بعد تقديسه، لحم المسيح ذاته، والخمر الذي يتقدّس في طقوس القربان هو دمه. فيشرب منه الكاهن والمؤمنون، وبذلك يتم اتحاد المؤمنين بجسد المسيح ودمه، ويتخلّص المؤمن من جميع خطاياه، بل أكثر من ذلك يتحول هو بذاته إلى كائن بشري إلٰهي، تماماً كما فعل المسيح حيث كان كائناً بشرياً إلٰهياً في نفس الآن والتوْ.

وفي طرسوس حيث وُلد بولس وعاش حياة طفولته وصباه كانت تتم عبادة بعل طرسوس وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس (كبير الإلٰهة عندهم)، كما كانت تتم عبادة ساندان إلٰه الخصب. . وكان الأهالي يحتفلون به كل عام ويتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع إلى السماء ليتحد بإلٰه السماء الأعظم. . ويكون بذلك منقذاً وشفيعاً للمؤمنين به.

وقد تأثر بولس بكل ذلك وتشرَّبه، ثم نقله بعد ذلك إلى عقيدته الجديدة بعد أن تمّ له الانطلاق إلى آفاق التبشير لدى الوثنيين. ولذا دُعي (الحواري المرسل إلى المشركين). ولهذا فقد لاقى نجاحاً كبيراً لدى هؤلاء الوثنيين، وبصورة أقل

لدى اليهود الذين عاشوا في اليونان والذين كانوا متأثرين إلى حد ما بالحياة اليونانية وفلسفاتها وعباداتها. أما اليهود في فلسطين ومعهم المسيحيون اليهود فقد نظروا إلى نشاطات بولس شزراً، واتهموه اتهامات عدة، ولكنه بذكائه الخارق وسعة معلوماته بالكتاب المقدس (التوراة والأنبياء) كان يخرج من أسئلتهم المحرجة، بقوله: إنه فريسي وأنه مختون.. وإنه يتبع الشريعة. مع أن تعاليمه كانت الانطلاق إلى العالم الوثني وعدم إلزامهم بأحكام الشريعة من الختان والعبادات والامتناع عن الخنزير، فسمح لهم بذلك كله ولاقى في ذلك نجاحاً كبيراً وخاصة أنه ركَّز في جهوده التبشيرية على فكرة الخلاص، وعلى أن يسوع المسيح إنما جاء ليتعذّب ويموت نيابةً عنّا، ثم بُعث وقام ليجلس على كرسي مجده الأبدي مبشراً بعودته، وخلاص كل المؤمنين به، مع إعطائهم الحياة الأبدية السعيدة.. وجعلهم بواسطة طقوس القربان يتحدون بالمسيح مباشرة لحماً ودماً، جسداً وروحاً.

كان بولس يونانياً، أُشرب في بيئة طرسوس بالثقافة اليونانية، وكان مُتقناً للغة اليونانية، كما كان في نفس الوقت مواطناً رومانياً بالمولد، كما يدّعي، وبذلك حصلت له مميزات وحصانات ضد الاضطهاد، كما كان في نفس الوقت يهودياً تلمودياً فريسياً كما قال عن نفسه.. ولم يمنعه ذلك أن يعمل مع رئيس الكهنة الصادوقي، والصادوقيون أعداء ألداء للفريسيين ولكن بولس بذكائه ومرونته الخارقة يستطيع أن يساير كل اتجاه، وأن يمشي مع كل فرقة، يتقرب منها حتى يكسب ثقتها، ثم يدعوها إلى ما يريد، بعد أن يعطيها كثيراً مما تريد.

بولس يحوّل النصرانية إلى دين عالمي:

ولقد استطاع بولس أن يوسِّع من دائرة الدين الذي جاء به يسوع لليهود في فلسطين إلى دين عالمي يوناني، مع احتفاظه ببعض تعاليم يسوع، وفي فترة وجيزة تحول من دين في إطار اليهودية إلى دين عالمي جديد.

ولم يكن بولس وحده هو الذي قام بهذا التغيير، ولكن كان لبولس في ذلك فضل الريادة. وقد كان بولس ذا روح وثّابة، وعشق عنيف للعمل، وقدرة خارقة على تطويع الآراء والمذاهب المختلفة المتباينة، وتطويعها وتحويرها لخدمة أغراضه.

ولقد بدأ بولس حياته باضطهاد المسيحيين والمسيحية، ثم انتهى به الأمر ليكون رسولها وحواريها إلى الأمم.

والحق أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم في القدس، وأن مذهبه لم ينشأ بالاتصال بالحواريين الاثني عشر (المفروض أن واحداً منهم هو يهوذا الإسخريوطي الخائن قد مات منتحراً ولم يبقَ إلا الأحد عشر). لقد صدق الكاتب الألماني هايتمولير في مقاله عن بولس وعلاقته بعيسى عندما قال: «إن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق التجمع المسيحي الأول (في فلسطين)، ولكن الأثر انتقل إليه بواسطة حلقة أخرى من حلقات سلسلة المتوارثات التي يمكن ربطها كما يلي: عيسى، المجتمع المسيحي الأول، المسيحية الهيلنستية، بولس. وادعى بولس أنه يتلقى الوحي مباشرة من يسوع الممجد بدون واسطة».

المجتمعات المسيحية الهيلنستية:

ولم يكن بولس مؤسساً للمجتمع المسيحي الأول في المهجر ففي (سِفر أعمال الرسل ١١/٩) ظهرت جماعة مسيحية بين الجاليات اليهودية بفينيقية، وقبرص، وأنطاكية، قبل أن يدخلها بولس. وكذلك الحال في روما.. وكانت هذه الجماعات اليهودية الإغريقية أقلّ تعصباً من يهود فلسطين، وتتعايش مع مجتمعات وثنية فلسفيّة إغريقية، ولا شك أن عقائدها كانت أقلّ صرامة من يهود فلسطين.

وكان هؤلاء الهيلنستيون يمتازون بتقبلهم للثقافة الإغريقية ونمط حياتها، وعندما اعتنقوا الإيمان بيسوع لم يتخلَّوا عن روحهم المرنة. ولعلّ هذا هو سبب الخلافات التي نشبت في أحضان الجماعة، وخاصة بين مؤمني فلسطين ومؤمني الخارج. وقد غضبت السلطات اليهودية على هؤلاء الهيلنستيين فاضطهدتهم وطردتهم من أورشليم عندما عاد بعضهم إليها بينما بقي الحواريون فيها.

وكان هؤلاء الهيلنستيون الذين طُردوا أو هربوا من القدس أول المبشرين في بلاد الوثنيين ووصلوا إلى أنطاكية (أعمال الرسل ١١/ ٢٠، ١٩) ونشروا دينهم الجديد بين الإغريق حتى شكَّل هؤلاء الغالبية في المؤمنين الجدد.

وقد ساعدت هذه البيئة على تأليه المسيح فيما بعد.

يسوع عند بولس:

ولقد تحول يسوع عند بولس وهؤلاء المؤمنين الجدد إلى التضحية التكفيرية لخلاص البشر، وإن حياته كلها كانت ذات هدف واحد هو أن يُعذّب ويهان، ويُبصق عليه، ويُصلب، ثم يموت هذه الموتة المزرية، ليتحمل بذلك كل خطايا الإنسان. ثم يبعث من جديد ليجلس على يمين الله ثم ينزل بعد ذلك ليحكم على الأحياء والأموات، فمن آمن به كانت له الحياة الأبدية السعيدة، ومن لم يؤمن به ذُهب به إلى لُجَّة الجحيم.

يسوع عند الحواريين:

ولم يكن الحواريون يؤمنون بأن يسوع مات وصُلب من أجل خطايا البشر، ولم يوافقوا قط على نعت عيسى بلفظ ابن الله، مكتفين بتعبير خادم الله وعبد الله، ولا شك أن بولس قد اقتبس كثيراً من عقائده من العقائد الوثنية الموجودة لدى الهيلنستيين والأمم الأخرى المجاورة. ويكفي أن نتصفح رسائل بولس لندرك أن السيد (كيريوس) Kyrios أي يسوع يهيمن على سائر أوجه الحياة، فكل كنيسة كانت تنتظم في جسد، رأسه السيد أي يسوع، أي كانت الكنيسة مجموعة عبادة يحتل السيد (يسوع) منها المركز وقطب الدائرة.

نشأة المجتمعات الهيلنستية المسيحية:

لقد نشأت المجتمعات الهيلنستية الأولى ونمت في البيئة السورية، وفي ربوع هذا المهد الأول وجدت انتشاراً واسعاً للقب كيريوس، ولصور العبادات القائمة عليه. وتحوّل الإيمان بالسيد (كيريوس) إلى تعبّد له. فالمؤمنون الذين يجتمعون باسم (السيد) يحسّون بحضرته وحضوره بينهم، تماماً كما يشعر أتباع الديانات (ذات الأسرار) بالحلول الإلٰهي أثناء الاحتفالات.

ونحن نعرف أن فكرة الإله و(السيد) الإلٰهي الذي يموت ثم يبعث من أجل نجاة أتباعه كانت شائعة في البيئة السورية، وبالتالي لم يكن بولس مُوجِدَ هذه الفكرة بل هو مقتبسها ومهذبها وناشرها في أرجاء العالم المسيحي الجديد.

سر التعميد والقربان:

وتتمثل هذه الأسرار لدى بولس في التعميد والقربان: فالتعميد يرمز إلى

الموت والبعث في المسيح، وتغطيس المؤمن الجديد في الماء يعني موته، وفعل ذلك ثلاث مرات يعني أنه بقي ميّتاً ثلاثة أيام، ثم إخراجه من الماء بعد الثلاث يشير إلى خروج يسوع من قبره وبعثه من الأموات بعد ثلاث. وأما أسرار القربان وأكل الخبز المقدس من يد الكاهن، فيعني أكل جسد يسوع، كما أن شرب الخمر بعد تقدسه على يد الكاهن يعني شرب دم يسوع، وبالتالي يتم الاتحاد بين المؤمنين وربهم يسوع جسداً وروحاً، لحماً ودماً.

سهولة تقبل فكرة الصلب والفداء لدى الوثنيين:

وقد أدرك بولس لذكائه وتجربته مع الوثنيين أن المؤمنين من هؤلاء يتقبلون بسهولة فكرة (المسيح) وفكرة (الفداء)، وأن يسوع قد صُلب من أجل خلاص المؤمنين به من جميع الخطايا. وأنه يجلس الآن على يمين الله، وسيأتي قريباً ليدين الأحياء والأموات، ويعطي المؤمنين الحياة الأبدية السعيدة. كما أدرك بولس أن المؤمنين من يهود فلسطين لا يتقبلون حتى فكرة (المسيح) إلا بصعوبة. ولهذا فإن بولس كان يرى الإنطلاق إلى الآفاق والتبشير بالمسيحية حسب مفهومه لملايين البشر من الوثنيين الذين هم أقدر على فهم هذه العقيدة الجديدة لقربها من معتقداتهم الأصلية الوثنية، بحيث يستبدلون الإله أتيس، أو أدونيس، أو أوزريس، الذي تعذَّب ومات، ثم بُعث من جديد، بيسوع الذي تعذّب ومات، ثم بُعث من أجل خلاص أتباعه من البشر.

وقد رأى بولس بوضوح أن المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول (فضيحة الصليب وميتة يسوع المشينة) إلا بفكرة واضحة تجعل المسيح ابن الله أرسله الأب ليتعذب ويُصلب ويموت تلك الميتة المشينة لينقذ البشر ويخلصهم من الخطايا الأبدية!!.

يسوع الإله الذي أتى ليتعذّب ويفتدينا!!:

وهي صورة مخالفة لما كان يعتقده الحواريون عن يسوع الناصري الذي جعله الله مسيحاً والذي سيأتي قريباً ليوم الدينونة. فيسوع شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، حسبما رأى ذلك بولس. بينما الحواريون يرونه إنساناً بشراً مخلوقاً له مكانته العالية وهو الذي بَشَّرت به أسفار العهد القديم، وبشّر به أبوه داود في المزامير.

وقد نتج من عقيدة بولس الجديدة أنْ تَحوّل يسوع إلى ابن الله بعد أن كان عبد الله أو خادم الله، فاللفظة اليونانية تعني (الخادم أو الطفل) وهكذا اختار بولس كلمة طفل بدلاً من خادم، ثم تحولت هذه بدورها إلى ابن، حيث نجد بولس يقول في رسالته إلى أهل روما (٨/ ٣٢): «إن الله لم يَعْفُ عن ابنه نفسه، وضحّى به من أجلنا جميعاً».

مفهوم ابن الله عند بولس:

وقد أدى مفهوم ابن الله الجديد إلى مشاكل فلسفية وعقدية لا تُحصى عانت منها المسيحية، وتعددت فيها الكنائس والفرق التي تقاتلت مع بعضها قتالاً عنيفاً.

ومن الحق أن نقول: إن بولس كان يرى الابن يسوع أو السيد في مرتبة أقل من الأب (الله)، وأن الأب هو المهيمن، وهو طوع أمر الله حتى الموت. ويقول في رسالته إلى أهل كورينتيا (٨/ ٦): «بالنسبة إلينا، ليس هناك سوى إلٰه واحد، هو الأب، منه كل شيء ونحن فيه، وليس هناك سوى سيّد واحد هو يسوع المصلوب، به كل شيء ونحن به».

وهكذا مهما بلغ أمر (السيد) فإنه لا يتساوى مع الأب، ولكنه يمثل روحه. «فالسيد هو الروح» (رسالة كورينثيا ٣/ ١٧).

وهكذا ارتفع يسوع عند بولس من كائن بشري بحت إلى كائن بشري إلٰهي سبق خلق العالم، وبه تمّ خلقُ العالم، وهو سابق للكون والزمن، تتمثل فيه روح القدس التي تعتبر جوهره الرباني، ولكنه يعمل على تنفيذ خطة الله الكبرى فيتحمّل الألم والصلب والإهانة من أجل بعث الإنسانية وخلاصها.

فضيحة الصلب تتحول إلى السر الأعظم:

وهكذا تحولت الفضيحة الكبرى والميتة المشينة إلى السر الأعظم والهدف والعلة الأولى لمجيء يسوع إلى الأرض وتقديم رسالته. ولم يَرَ بولس في حياة يسوع ورسالته إلا جانب الصلب فقط، فهو لم يأتِ إلا ليتعذّب ويُصلب فداء للبشر وتخليصاً لهم من خطاياهم. وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للوثنيين وخاصة اليونانيين لأن ذلك يجعل هذه العقيدة سائغةً ومقبولة لديهم، فهي لا تفترق كثيراً عن عقائدهم السابقة سوى توحيد الإلٰه، وترفض تعدد الآلهة

الكثيرة التي كانوا يتّجهون إليها. ومن اليسير عليهم تقبُّل فكرة الصلب والعذاب والموت من أجل فداء البشرية من خطاياها. ولهذا كانت عقيدة الصلب هي لُبَّ المسيحية التي بشَّر بها بولس، رغم أنها تختلف اختلافاً جذرياً عمّا جاء به يسوع وآمن به الحواريون. كذلك تقبل الوثنيون والمقبلون على الدين الجديد بكل ترحاب أسرار القربان حيث يتحول يسوع ابن الله إلى خبز وخمر فيأكلون لحم يسوع، ويشربون دمه، ويتّحدون به في وحدة رائعة تحولهم هم الخطاة من البشر إلى أنصاف آلهة، والشيء ذاته يقال عن التعميد، فقد قال لهم بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (٣/٢٧): «أما أنتم الذين تعمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح» وهذا يعني أن المؤمن الجديد قد اتحد بالمسيح بواسطة التعميد.

وهذه كلها مفاهيم قد مارسها الوثني من قبل في عبادة أتيس أو أدونيس أو أوزريس أو عبادة ميثرا، أو غيرها من الآلهة العديدة التي كان يتّحد بها الوثني في طقوس معقدة يقوم بها الكهنة، وفي احتفالات ومهرجانات صاخبة. . وكلها قد اقتبسها بصورة من الصور بولس في دينه الجديد الذي بدأ يبتعد رويداً رويداً عن تعاليم يسوع وما عرفه منه التلاميذ، وما كانوا ينادون به. **وبدون بولس لم يكن من الممكن أبداً أن توجد هذه المسيحية الموجودة اليوم والتي انتشرت بفضل عقائد بولس واقتباساتها العديدة من الأديان الوثنية المحيطة بها، وبالتالي دخول ملايين البشر في هذا الدين الجديد الذي ابتعد تدريجياً عن الدين اليهودي الذي نشأ في رحابه أولاً، وصار على علاقة وثيقة بهذه الأمم الوثنية وأديانها وطقوسها، والتي أقبلت على الدين الجديد وتحملتْ في سبيله التبعات والمشقات والعذاب بل الموت، تماماً كما فعل يسوع حسب روايات بولس لهم.**

انفصال المسيحية عن اليهودية وظهور مفهوم اللوجس:

لقد كان بولس سبّاقاً إلى قبول فكرة انفصال المسيحية عن اليهودية، ذلك الانفصال الذي أظهر سير الأحداث أن ليس منه بد. . ولم يكن الإيمان المسيحي يستطيع أن يتجنب تأثيرات البيئة الهيلنستية متى ما خرج من حدود فلسطين. وكان من المحتم على هذا الإيمان أن يطبق المفاهيم الإغريقية حتى يتم نشره في الأراضي اليونانية. ففي الإنجيل الرابع (يوحنا وهو آخر الأناجيل ظهوراً) يتحول يسوع إلى اللوجس (Logos) أي كلمة الله، وأنه يشارك الله في خلوده. (في البدء

كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس) (يوحنا ١/١ ـ ٥).

وهكذا حذا مؤلف إنجيل يوحنا (المجهول) حذو فيلون Philon الإسكندري عندما أدخل المفاهيم الإغريقية ولفظ لوجوس على التوراة، فأصبحت التوراة هي كلمة الله الأزلية الخالدة التي بواسطتها خلق الأكوان. وقام مؤلف إنجيل يوحنا بتحويل اللوجوس إلى يسوع حيث تجسّدت الكلمة الأبدية الخالدة إلى بشر يهبط إلى الأرض ويتعذب ويصلب ويموت ويبعث من جديد من أجل خلاص البشر وفدائهم وإنقاذهم من الخطيئة الكبرى التي وُلدوا بها (خطيئة آدم).

ولم يقبل اليهود المسيحيون كل هذه التبديلات والإضافات وقاومها الحواريون، والأبيونيون (الفقراء إلى الله)، وغيرهم من فرق اليهود التي آمنت بيسوع رسولاً ونبياً، ومسيحاً يظهر في آخر الزمان. ولكنهم لم يلبثوا أن قُضي عليهم بعد أن انتشرت مسيحية بولس بعد أن بلغت مداها الواسع في القرنين الثاني والثالث والرابع بعد الميلاد. . .

ولا شك أن بولس وجد معارضة قوية من هؤلاء اليهود المسيحيين ومن الحواريين، وقد أشار إلى كثير من ذلك في غموض في رسائله العديدة. واختلف هو وبرنابا بعد أن كان برنابا هو الذي قدمه إلى الحواريين وشجّعهم على قبوله بعد أن كانوا متردّدين في قبوله. ولكن بولس استطاع أن يتجه إلى العالم الإغريقي الوثني الواسع، وأن يكون له الأنصار والأموال الضخمة التي مكّنته من مساعدة العديد من الكنائس بما في ذلك كنيسة القدس ذاتها مما جعهلم يغضّون الطرف، ولو قليلاً، عن استباحته تعاليم الشريعة مع قدرته الهائلة في تطمينهم وادعائه التزامه بالشريعة (الموسوية)، لأن يسوع يقول: (ما جئت لأنقض الناموس).

انفصال كنائس الأمم عن كنيسة أورشليم تدريجياً:

وبعدت الكنيسة خارج فلسطين تدريجياً عن كنيسة أورشليم، ورجحت كفة الكنائس الخارجية، وخاصة بعد أن طال انتظار عودة المسيح إلى الأرض التي كان يبّشر بها الحواريون وكنيسة القدس. . وما أن انتهى الجيل الأول الذي شاهد المسيح والذي كان موعوداً برؤيته مرة ثانية، حتى يئس الناس تدريجياً من هذه

العودة واتجهوا إلى عقيدة الخلاص والفداء التي قدّمها لهم بولس، ومن جاء بعده... وظهرت التأثيرات اليونانية جليّة وواضحة في إنجيل يوحنا.

وتم الانفصال الفعلي بين الكنيسة والمعبد، وأصبح أتباع عيسى يتحدثون عن اليهود، بل وحتى عن العهد القديم نفسه بعبارات فيها الكثير من الرفض بل والتحقير.

وقد رفض هؤلاء الأتباع الاعتراف لليهود بأي إدراك أو فهم للشريعة الموسوية ذاتها. والواقع أن المسيحيين اليونانيين والرومانيين أصبحوا لا يشعرون برابط يربطهم ببني إسرائيل كما أصبحوا يحمّلون الشريعة اليهودية معنى رمزياً بَحْتاً.

تكوين الكنائس الأولى عند الأمم:

وبدأت الجماعات المسيحية التي انفصلت عن المعابد تنظّم صفوفها فاختارت أول الأمر رؤساء زمنيين كُلّفوا بالسهر على مصالح الجماعة واستتباب النظام في رحابها. ومنذ بداية القرن الثاني بدأت تجعل لها رؤساء روحيين عندما بدأت المسيحية تنتشر بصورة منتظمة في أراضي الإمبراطورية الرومانية، ولكنها لم تنتشر كل الانتشار إلا في القرن الثالث، والقرن الرابع، وخاصة بعد أن دخل الإمبراطور قسطنطين في المسيحية، وأصبحت بالتالي الديانة الرسمية لأعظم إمبراطورية في الأرض آنذاك.

ولقد ظهرت المسيحية في أراضي الإمبراطورية منذ القرن الأول للميلاد في ثوب الديانة الشرقية الجامعة بين الروحانيات والشعائر العملية معتمدة على الوعد (بالخلاص) والحياة الأبدية السعيدة عن طريق الالتحام والاتحاد بيسوع ابن الله المخلص الذي أرسله الله الأب ليتعذب ويصلب ثم يموت من أجل خطايا البشر.

مرونة المسيحية وتقبلها للعقائد والطقوس الوثنية والفلسفية والغنوصية:

وكانت المسيحية في قرونها الأولى غاية في المرونة، ومستعدة لتقبل الكثير من العقائد الوثنية التي تعيشها شعوب الإمبراطورية، وخاصة في اليونان وروما، وذلك بعد أن تعدّلها لتوائم عقيدة الكنيسة.

إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة.

وإذا كانت قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان (التأليف الديني الوثني) فذلك لأنها كانت قد تطوّرت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة، والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، وقامت هي بتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذي تفتقر إليه، بحيث استطاعت أن تقف بمفردها أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تُظهر ضعفاً أو نقصاً عنها في أي من المجالات الهامة.

وتمت ظاهرة التشرب للعقائد الوثنية في بطء معتمدة على الاتصال الدائب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني... واستطاعت المسيحية أن تكسب عطفاً نشطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني. وقد أخذ الإيمان المسيحي بعضاً من روح كل طبقة من طبقات المجتمعات الوثنية التي كان بين أظهرها.. وهو يدين لها بظاهرة التدرج الهرمي الذي نجده اليوم بين صفوف أعضاء الكنيسة مبتدئاً من (إيمان العجائز) البسيط الساذج، ومنتهياً بإيمان المفكرين الفلسفي في عملية تصاعدية بطيئة.

واجتمعت على المسيحية تأثيرات هذه العقائد، وأدت إلى دفع الإيمان إلى اتجاهين مختلفين كل الاختلاف:

(أحدهما): ينزع إلى الثقافة اليونانية الوثنية ليستعير منها كل المفاهيم التي من شأنها زيادة المسيحية الأولى عمقاً وجمالاً!!.

(والثاني): يتسامى بالأفكار البسيطة الأولى ويوسع من أبعادها بتركيب هذه الأفكار مع معتقدات أو نظريات مستعارة من البيئة المحيطة. ولكنه لم يتبع منذ البدء أي حدود في اختياراته، فراح يجمع بين موضوعات متعددة ومتباينة أشد التباين: من وثنية أوليمبية، والأروفية، والديانات المختلفة، إلى المذاهب الفلسفية، وكان كل شيء غذاء دسماً له. **ثم إنه لم يكن يهتم بالتوفيق بين ما يستعيره وبين معطيات الإيمان المعروفة، أو بين معطيات التاريخ؛ ولذا أدى إلى اتجاه خاص يبرّر أبشع التركيبات المؤلفة بصورة كاملة من مذاهب شتى متناقضة، ولا تظهر فيها المسيحية إلا كعنصر محدود، قد تغير تغيراً كاملاً عمّا كان عليه في زمن يسوع وزمن تلاميذه من بعده.. وهو ضمن فلسفة معقدة وميتافيزيقية عسيرة الإدراك.**

اندثار الغنوصية المسيحية:

ولم يطمئن المؤمنون السُّذَّج والبسطاء لهذه الصورة المعقدة من المسيحية الغنوصية التي ظهرت في القرن الثاني، ولم يكن بالتالي مُقدّراً لها البقاء، ولذا تحولت بصورة منتظمة إلى طقوس سحرية تلهب خيال العامة وتعزّيهم أكثر مما تغريهم التركيبات الفلسفية الغنوصية الرمزية الصوفية.

وأدى ظهور الغنوصية المسيحية إلى الرد عليها، وإيجاد تنظيم للإيمان مما أدى إلى إيجاد سلطة مركزية تحدد للناس قوانين هذا الإيمان وحدوده، وسلطة تحمي هذا الإيمان من البدع المختلفة التي تهجم عليه وتؤثر فيه.

إدخال الطقوس الوثنية في المسيحية والأسباب لذلك:

وهكذا نجد هناك عوامل متعددة أدت إلى إدخال الطقوس الوثنية في المسيحية وخاصة بعد أن هجر هؤلاء المسيحيون المعابد اليهودية، ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع نمو العقيدة وتعقيداتها، وبدأت بسيطة مثل: التعميد، كسرة الخبز، وضع الأيدي على الرؤوس، الصلاة، الصيام. وهي كلها موجودة في اليهودية، وبدون مدلولات سرية أو غنوصية.. ولكنها ما لبثت أن دخلت في طقوس الأسرار اليونانية والشرقية **وكان لبولس في ذلك الدور الريادي الذي ازداد مع مرور الزمن قوة ورسوخاً.**

ولا مجال للشك في أن الروح الوثنية، فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضتْ نفسها على المسيحية شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها. وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع عندما دعت الضرورة إلى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة. وكانت سلطة رجال الكنيسة تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ فترة طويلة، والتي انتهت إلى التفرد والتصرف في القوة السحرية للطقوس التي أطلق عليها اسم (الأسرار المقدسة).

وإذا تأملنا الكنيسة المسيحية في مقتبل القرن الرابع، فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين... وتنكرت الكنيسة الجديدة لشعب إسرائيل وشاع فيها القول: بأن هذا الشعب قد خرج عن سبل الله وتاه بعيداً عن الحق حقيراً محقّراً، كما وجدت الوسيلة الناجعة للتخلّص من الشعائر العملية

التي تفرضها الشريعة اليهودية، مع الاحتفاظ في نفس الوقت بالعهد القديم كتاباً مقدساً بمفهوم خاص جديد.

كتاب صانع الأسطورة: بولس واختراع المسيحية[١]:

يعتبر كتاب هيام ماكوبي (أستاذ تاريخ الأديان في معهد ليوبايك بلندن) من أهم الكتب الحديثة التي صدرت باللغة الإنجليزية حول بولس ودوره في صنع المسيحية التي سيطر عليها بفكره، وحوّرها من دين سماوي إلى دين خليط من ديانة المسيح ﷺ الحقّة، ومزيج من أفكار وعبادات الأمم السابقة.

وقد هاجم الأبيونيون (الفقراء إلى الله)، والناصريون Nazrenes (نسبة إلى مدينة الناصرة في فلسطين، ونسبة إلى يسوع الناصري) ومجموعة من الفرق اليهودية التي تنصّرت وآمنت بيسوع ﷺ كنبي ورسول من عند الله تعالى، والذي بشّرت به الأسفار السابقة الموجودة في الكتاب المقدس (الشريعة، والأنبياء). هاجمتْ هذه الفرق كلها بولس الذي اتهموه بأنه حرّف دين المسيح، وحوَّله إلى دين وثني، وأباح لأتباعه كل النجاسات وأكل الخنزير والدم. وقد نقل المؤرِّخ اليهودي إيبفانوس عن فرقة الناصريين في القرن الثاني للميلاد أنهم كانوا يقولون عن بولس إنه يوناني، وإنه ذهب إلى أورشليم في شبابه، وتعلّق قلبه بغرام بنت الكاهن (ولعلّه جمالئيل)، ولأجل ذلك اعتنق اليهودية واختتن. ورغم ذلك رفض والدها أن يزوجها إياها، فتحول إلى خدمة رئيس الكهنة الصادوقي، عدو جمالئيل، واضطهد المتنصّرين. ويرمز له بعض هؤلاء الناصريين باسم النبي الكذاب الذي حذّر منه يسوع، وحذّرت منه أسفار العهد القديم وأطلقوا عليه اسم سمعان ماخوص (شخص سامري ادعى الألوهية وأنّ الله تجسّد فيه).

وذكر كتاب (إرث المسيانية The Mesianic Legacy[٢]) أن الناصريين رفضوا رسائل بولس وسمَّوه المرتد عن الشريعة، كما سمّوه النبي الكذاب، واتهموه

---

(١) Hyam Maccoby: The Myth Maker: Paul and the Invention of Christianity. Harper San Francisco, 1986.

وقد قامت بترجمة هذا الكتاب واختصاره سميرة عزمي الزين ونشرته تحت عنوان: بولس وتحريف المسيحية، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م.

(٢) نقلاً عن د. نصر الله أبو طالب: تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ، الناشر المؤلف، ٢٠٠٢م، ص٦٢ وما بعدها.

وتلميذه لوقا، بأنهما يلفّقان الكلام ويكذبان على بطرس، ويقوّلانه كلاماً لم يقله قط. واعتبروا بولس وأتباعه من المرتدّين عن دين المسيح، والذين اخترعوا لأنفسهم ديناً جديداً مليئاً بطقوس اليونان والرومان الوثنية.

وكما أسلفنا فإن الأبيونيين (الفقراء إلى الله) اليهود آمنوا بعيسى ﷺ نبياً ورسولاً، أرسله الله إلى البشر، ليعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وأنه جاء لينقذ بني إسرائيل مما هم فيه من زيف ونفاق وتمسك بمظاهر الدين، وبعد عن جوهره، ولكنه لم يَمِلْ قيد أنملة عن الشريعة، وقال قولته المشهورة: «ما جئتُ لأنقض الناموس بل لأتمم» (إنجيل متّى ٥/ ١٧) ويقول: «الحق أقول لكم: أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل» ـ أي يوم القيامة ـ (متّى ٥/ ١٨).

وهؤلاء يرون بولس أفّاقاً ومرتداً عن دين يسوع الحق، وأنه اخترع هذا الدين الملفَّق من عدد من الوثنيات الموجودة في سوريا وما بين النهرين ولبنان وآسيا الصغرى واليونان والعالم الهيلنستي بأكمله، وحتى لا يكتشف أمره منذ بادئ الأمر أعلن أنه يهودي فريسي، وأنه يؤمن بالشريعة، ولكنه قام فعلياً بنقضها، ثم لمّا تمكّن، وكثر أتباعه، أعلن عدم أهمية الشريعة، وأن المسيح جاء ليخلّص بالنعمة، وأنه مات على الصليب، وتحمّل عنّا الآلام وصار هو لعنة بدلاً عنّا. ثم مات وقام ليجلس على كرسي مجده لينقذنا من الخطيئة الأزلية التي وقع فيها أبو البشر آدم.. ويسوع هو ابن الله الممجَّد الخالد الأبدي، وقد أظهره الأب في صورة بشرية من أجلنا ومحبة لنا، فتعذَّب وتألم ومات ثم قام ليغفر لنا جميع خطايانا.. ولندخل معه في توحُّد عبر التعميد، وعبر الإيمان بالنعمة، وعبر القربان المقدس (الأفخارسيتا)، حتى إننا نأكل لحم يسوع الربّ الممجد حين نأكل الخبز، ونشرب دمه حين نشرب النبيذ من يد الكاهن حيث ندخل في عملية اتحاد بالإله الأقنوم الثاني يسوع الممجد: «أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا، كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (متّى ٢٦/ ٢٦ ـ ٢٨ ومرقس ١٤/ ٢٣ ـ ٢٥).

ويؤمن الأبيونيون بإنجيل مختلف عن الأناجيل الأربعة المعروفة وهو إنجيل العبرانيين، ويعتبر لدى الكنيسة من الأناجيل المنحولة (أبو كريفا) التي سبق أن

أشرنا إليها في المدخل لدراسة العهد الجديد (الباب الأول من هذا الكتاب). وهذا الإنجيل يؤكد على بشرية يسوع وأتباع الناموس.

ويقول كتاب (هيرام كي Hiram Key) لكريستوفر نايت وروبرت لوماس[١] أن جماعة الناصريين هم أتباع يعقوب العادل، الخليفة الأول ليسوع في مجموعة أورشليم وأخوه من أمه. وهم يؤمنون بيسوع المسيح كنبي ورسول كريم ومعلم عظيم. وهو عبد الله، لا ابن الله، ولا هو الله، بل هو خادم الله، يتمجّد بهذه الخدمة وهذه العبودية لله سبحانه وتعالى. وقد كرهوا بولس واعتبروه عدو الحق. وأطلقوا عليه اسم (الكذّاب)، (والذي يكذب)، (ورجل الأحلام)، و(العدو)، (والمرتد عن الشريعة)، (Apostate From the Law).

وهم يرددون في ذلك ما جاء في إنجيل متّى ٧/ ٢٢، ٢٣: «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا سيد يا سيد أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذٍ أصرّح لهم لأني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

ويبدأ كتاب هيام ماكبي (بولس وتحريف المسيحية)[٢] بالقول: «إن المسيحيين يظنون أن عيسى هو الذي أسس ديانتهم، ذلك لأن أحداث حياته هي التي أرست دعائم المسيحية، لكنهم يعتبرون أن بولس هو المفسّر الحقيقي لمهمة يسوع، وأنه هو الذي فسَّر بطريقة خاصة لم نجدها عند يسوع أبداً. وهي كيف أن حياة يسوع وموته ينتميان إلى نظام خلاص كوني يمتدُّ من آدم إلى نهاية الزمان.

كيف نستطيع أن نتصور العلاقة بين يسوع وبولس؟ إن علينا أن لا ننظر إلى ذلك بمنظار الإيمان، بل بنظرة تاريخية تتحقق من صحة الأناجيل وغيرها من الكتب التي يضمُّها العهد الجديد بين دفتيه، إذ لم تكن مهمة مؤلفي الأناجيل سرد الوقائع التاريخية كما هي، بل كانت مهمتهم التبشير بالخلاص بواسطة يسوع الممجَّد.

---

(١) Christopher Knight and Rober Tlomas: Hiram Key 1997.
نقلاً عن نصر الله أبو طالب: تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ، ٢٠٠٢م.

(٢) هيام ماكبي: بولس وتحريف المسيحية، ترجمة سميرة عزمي الزين Hyam Maccoby: The Myth Maker: Paul and the Invention of Christianity. Harper San Francisco, 1986, p3-13 and Preface xi,xii.

«ولسوف نستعين في دراستنا بمصادر أخرى مثل مؤلفات ـ فلافيوس يوسيفوس ـ[١] وأعمال مؤرِّخي الكنيسة والكتابات الغنوصية»[٢].

«علينا أن لا ننسى أن يسوع تجلّى له في طريقه إلى دمشق، وأنه جعله رسوله إلى الأمم (ذكرنا هذه القصة في الفصل الخاص بسفر أعمال الرسل بشيء من التفصيل)، وبالتالي فإن رؤية بولس ليسوع الممجَّد بعد قيامته وفي مملكته السماوية أهم بكثير من رؤية أتباعه الحواريين (التلاميذ الرسل) له أثناء حياته البشرية. ولهذا فقد كان بولس يزعم أنه يتلقى الوحي مباشرة من يسوع الإله الممجَّد السماوي، بينما التلاميذ (شيوخ كنيسة أورشليم) يتلقّون تعاليم يسوع البشري الذي عاش بينهم، وارتكب الخطيئة وكان خطيئة، ولعنة من أجلنا!! **ففي رسالته إلى أهل غلاطية يقول بولس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِّقَ على خشبة ـ أي صُلب ـ (غلاطية ٣/ ١٣) ويقول: «ولكن بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً ونحن مبرّرون الآن، بدمه نخلص به من الغضب. لأنه وإن كنا نحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته»** (رسالة رومية ٥/ ٨ ـ ١٠). **ويقول: «لم أعرف الخطيئة إلا بالناموس فإنني لم أعرف شهوة لو لم يقل الناموس: لا تَشْتَهِ.** ولكن الخطيئة متخذة فرصة، بالوصية أنشأت فيّ كل شهوة. لأن بدون الناموس الخطيئة ميّتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبل. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطيئة فمتُّ أنا» (رومية ٧/ ٧ ـ ٩).

وهو كلام أقرب إلى الهذيان. ولكن يقصد أن الناموس هو الذي حدّد الحلال والحرام وبالتالي أوقعنا في الخطيئة؛ لأن بدون الناموس لا يوجد هناك حلال وحرام. وأن يسوع قد نزل ليفتدينا من هذه الخطيئة، ومن خطيئة الناس،

---

(١) فلافيوس يوسيفوس: مؤرِّخ يهودي هيلنستي من القرن الثاني للميلاد.

(٢) الغنوصية Gnosticism أو العرفانية أي الوصول إلى المعرفة الحقّة بواسطة الاستبطان والتفكر العميق بدون الاستعانة بالمنطق والفكر العقلاني، وتعتمد الروحانية، وهي موجودة لدى الهنود القدماء ولدى فيثاغورس الفيلسوف اليوناني ولدى الجماعة المسيحية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد، وأشهر رجالاتها مرقيون (مركيون). كما أن اليهود تأثروا بها ومنهم فرقة الحسيديم.

وتحول هو بنفسه إلى الشكل البشري ليصير هو بذاته خطيئة ولعنة، ويتحمّل عنّا كل الآلام بسبب محبته لنا، فمات على الصليب، ثم قام وظهر بمجده الكامل وصار على يمين عرش الله الأب، إلهاً وابن إله. فمن آمن به فله الخلاص في النعمة، ومن لم يؤمن فسيرسله يسوع الممجد الربّ يوم الدينونة الذي سيأتي سريعاً إلى جهنم، ليذوق وبال أمره.

لقاء بولس الوهمي بيسوع وتناقضات هذه القصة:

علينا أن لا ننسى أن بولس لم يعرف يسوع وأنهما لم يلتقيا أبداً. ومع ذلك فقد كان بولس يزعم أن ما يقوله عن يسوع الممجَّد ليس افتراءً ولا اجتهاداً شخصياً بل هو وحي أوحى به يسوع الممجَّد مباشرة لبولس. وأنه كان يراه ويتمثل له أمامه تماماً كما تمثل له في طريقه إلى دمشق عندما ظهر له يسوع لأول مرة، واختاره ليحمل رسالته، وليكون رسوله إلى الأمم. «فقال لي الرب: قم وقف على رجليك؛ لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إيّاك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا الإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين» (أعمال الرسل ٢٦/ ١٢ ـ ١٨).

وترد **قصة ظهور يسوع لبولس في طريق دمشق** عندما كان ذاهباً حسب زعمه للقبض على اليهود المتنصّرين بأمر من رئيس الكهنة والإتيان بهم إلى أورشليم ليواجهوا العقوبات المقررة على المرتدين، **تظهر هذه القصة في سِفر أعمال الرسل ثلاث مرات. وفي كل مرة تختلف التفاصيل. والخلاصة أنه رأى النور في السماء وحده. أما الكلام فقد سمعه هو ورفقاؤه.**

وفي الرواية الثانية في (سِفر الرسل ـ الإصحاح ٢٢) يرى الرفقة النور مع بولس، ولكنه وحده الذي يسمع الكلام، وهم لا يسمعون.

وفي الرواية الثالثة (في الإصحاح ٢٦) نجد أن خطاب يسوع لشاول أطول بكثير من الروايتين السابقتين، ويكلمّه الربُّ بالعبريّة، ويخبره أنه جعله رسوله إلى الشعب (الإسرائيلي) وإلى الأمم، وأعطاه السلطات الكاملة ليفتح عيونهم «كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله؛ حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا» وكلهم قد سمعوا الكلام ورأوا النور.

وفي هذه الرواية الأخيرة لا يصاب بولس بالعمى بينما يصاب في الروايتين السابقتين، بحيث إنه لم ير الطريق وأخذه الرفقة بيده، وظل كذلك ثلاثة أيام حتى جاءه حنانيا واعتمد فنزل من عينيه مثل القشور فأبصر.

وفي رسالته لأهل غلاطية الإصحاح الأول يقول: «وأعرّفكم أيها الأخوة: **الإنجيل الذي بشّرتُ به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح... ولكن لما سُرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ورعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم للوقت لم أستشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل (الحواريين) الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية (أرض بادية سورية) ثم رجعت أيضاً إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً. ولكنني لم أرَ غيره من الرسل (الحواريين) إلا يعقوب أخا الرب**».، (غلاطية ١/ ١١ ـ ٢٠).

وهو كلام مناقض لما جاء في سفر أعمال الرسل حيث اجتمع بولس بجميع الرسل والشيوخ ونصحوه بأن يظهر احترامه للشريعة والناموس ويدخل مع الأربعة أصحاب النذر ويقدم معهم القربان للهيكل.

ومن الواضح جداً أنه يقول: إن الحواريين أخذوا من يسوع البشري، أما هو فقد أخذ من يسوع الرب الممجَّد مباشرة. ولذا فهو أرفع من الحواريين، وبالتالي لم يعد يهتم بما يقولونه فيه، لأنه يأخذ مباشرة من الربّ، أما هم فيأخذون من الناموس. وهو لم يأخذ من أحد هؤلاء الرسل (الحواريين) الذين عاشوا مع يسوع ورأوا معجزاته وسمعوا كلامه. . . لأنه وقد وضع لنفسه طريقاً جديداً يتلقّى منه الرسالة مباشرة حسبما يتخيّلها، فيتحدث إليه المسيح الربّ مباشرة. وبهذه الطريقة استطاع أن يكسب كثيراً من الأتباع، وفي نفس الوقت أثار غضب الحواريين وأتباع يسوع الذين في أورشليم، وخاصة يعقوب العادل أخا المسيح والذي كان يتولى شؤون الجماعة في أورشليم.

ولكن لوقا، وهو تلميذ بولس، يخفّف تماماً من هذه الانتقادات، ويزعم أن بطرس وافق بولس على مسلكه. . وعلينا أن لا ننسى أن العهد الجديد الذي نعرفه اليوم متأثر ببولس تأثراً أكبر مما يظهر للعيان، على الرغم من أن الأناجيل الأربعة تُسلط أضواءها على شخصية يسوع فقط. . ومن المهم أن نعرف أن رسائل بولس كُتبت فيما بين سنة ٥٠ و٦٠ للميلاد، بينما لم تكتب الأناجيل

الأربعة التي وصلت إلينا إلا بين سنة ٧٠ و١٢٥ للميلاد. أي أن مؤلفي هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التي كتبت قبلهم وتشرَّبوا أفكاره وتأويلاته لأعمال يسوع. وكانت رسائل بولس تُقرأ في مجامع المسيحيين مع مقاطع من الكتاب المقدس (كتاب الشريعة والأنبياء).. ولم تقرأ الأناجيل في هذه المجامع إلا بعد ذلك بفترة طويلة.

وكانت هناك أناجيل مختلفة عن هذه الأناجيل الأربعة وتقرر بشرية يسوع وأنه ليس إلٰهاً ولا ابن الله، وتعتبر ذلك مروقاً من الدين الحق كما يقرر ذلك إنجيل العبرانيين وغيره. إلا أن هذه الأناجيل استُبعدتْ، ولم يبق إلا الأناجيل الأربعة التي كانت متأثرة ببولس أشد التأثر، وخاصة إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا.

لقد عتّمت الأناجيل الأربعة على شخصية الحواريين، ويظهرون كشخصيات غامضة، بل ومضطربة تماماً، وأحياناً بليدة جداً، وفي تارات أخرى بعيدين عن الإيمان، لقد أخفت هذه الأناجيل أهمية هؤلاء الحواريين لتبرز في النهاية شخصية بولس القوية والمسيطرة، وتظهر عقائده التي رفعت يسوع من رسول الله إلى ابن الله الأبدي الخالد الذي نزل من عليائه ليتعذب ويموت على الصليب من أجل أن يفتدينا، فصار هو لعنة حتى يتحمل عنّا اللعنة. وصار هو الخطيئة حتى يتحمل عنا الخطيئة.

إن شخصية يعقوب العادل أخا المسيح تبدو غريبة في الأناجيل، التي تصفه أنه كان بعيداً عن رسالة أخيه وغريباً عنها وجاهلاً بها. ثم فجأة نراه بعد رفع يسوع رئيساً لجماعة القدس.

ويصل هيام ماكبي إلى تصور عن بولس ورسالته حدده في النقاط التالية:

١ ـ **لم يكن بولس حاخاماً فريسياً كما كان يزعم.** بل هو مغامر من أصل غير واضح. وكان في خدمة الصدوقيين يمارس مهمات أمنية بوليسية لخدمة الراهب الأكبر ولخدمة الإمبراطورية الرومانية.

٢ ـ إن بولس لا يسوع هو مؤسسة المسيحية الموجودة والمعروفة في التاريخ. إن الفكرة الأساسية التي قامت عليها المسيحية البولسية في هذا الدين الجديد الذي أتى به بولس ولم يأت به يسوع هي أن كائناً إلٰهياً مات وتعذّب للتكفير عن خطايا البشر، وهي عقيدة منتشرة لدى العديد من الوثنيات الموجودة في طرسوس المدينة التي نشأ فيها بولس وولد وتعلّم. والخلاص الوحيد هو

الإيمان بهذه التضحية والتوحّد الديني بها عن طريق التعميد، والقربان المقدس (الأفخارسيتا). لقد استقى بولس هذه العقيدة من المصادر الهيلنستية ومن الشعوب الوثنية التي عاش في وسطها دهراً. وافترى هذا الدين الجديد بخلطه لتعاليم يسوع، وحوّله من دين توحيدي محض إلى دين يدّعي التوحيد، وفي نفس الوقت يؤمن بثلاثة آلهة في واحد، مع التركيز على عقيدة الفداء، وأن يسوع هو الحَمَل الذي ذُبح من أجلنا.. نزل من السماء من عرشه ليتحول إلى بشر أو إلى صورة بشرية حتى يتألم ويتعذب ويصلب ويموت ويصير هو لعنة لأنه مكتوب (كل من عُلّق على خشبة ملعون)، ويتحول هو إلى الخطيئة. كل ذلك من أجل أن يتحمل عنّا جميع خطايانا ولعناتنا فيصير هو اللعنة والخطيئة. فهو الحمل الذي ذُبح من أجلنا.. ولكننا نتوحّد به في طقس العماد، ثم في طقس القربان المقدس (الأفخارسيتا) حيث نأكل لحمه ونشرب دمه عندما نأكل الخبز ونشرب النبيذ من يد الكاهن. لقد خلط بولس عبادة أتيس وأدونيس وميثرا وأزوريس.. إلخ، ومزجها بالكتابات اليهودية، وبقدرة فائقة كان يستدل على هذا الخليط العجيب بمقاطع من الكتاب المقدس (الشريعة والأنبياء)، وعبارات الغنوصية التي ظهرت في زمنه وعقائدها.. ولا شك أن يسوع كان سيصدم ويذهل لهذه العقيدة الجديدة التي أنشأها بولس ونسبها إليه وسينكر تماماً فكرة الإله المعذب الذي يفتدي البشر.

٣ ـ لقد كان يسوع وحواريوه من اليهود، ولم يغيّر الناموس ولم يكن رجل حرب وكان وديعاً داعياً للسلام، وللتضحية، وللزهد، وللتسامح، والكرم والمحبة، شديداً على المتنطّعين من الكتَبة والفريسيين الذي يُراؤون ويتظاهرون بالتمسك بالدين، ويتركون جوهره.

٤ ـ لقد أسس يعقوب العادل (أخو المسيح) وبطرس، وكلاهما من الحواريين المجموعة الأولى (يطلق عليها لفظ كنيسة لأن معنى الكنيسة باليونانية الدعاء أو المدعو أو جماعة المدعويين). وكانت كنيسة أورشليم هذه تقف ضد تعاليم بولس عندما علمت بشيء منها ولكن بولس بمكره وخداعه كان يظهر لهم أنه يهودي إسرائيلي بنياميني فريسي متمسك أشد التمسك بالناموس. ولم يكن أتباع كنيسة أورشليم يؤمنون بأن يسوع كائن إلٰهي نزل من السماء في صورة بشر ليتعذب ويتألم على الصليب ثم يموت وهو يصرخ. وكل ذلك من أجل أن يفتدينا. فالتضحية البشرية أمر قد أنكرته كتب الشريعة (التوراة والأنبياء) أشد الإنكار

واستبدلت هذه التضحية بالتضحية الحيوانية منذ أن نزل الخروف من السماء ليضحّي به إبراهيم بدلاً من ابنه. وكانت كنيسة القدس (أورشليم) تؤمن بأن يسوع رسول من عند الله وأنه طبّق الشريعة الحقّة ودعى إلى تطبيقها، ولم يبطل التوراة.. وأعلن نفسه بأنه ضمن سلسلة الرسل من بني إسرائيل. وقد عرفوا يسوع في حياته وسمعوا كلامه، وليس فيه شيء مما يدعيه بولس. لهذا حاوروه أولاً ثم تولّوا عنه ونبذوه (لم تظهر الأناجيل سوى الحوار بصورة مخففة. وأظهر بولس في رسائله عنف الحوار وخاصة في رسالته إلى أهل غلاطية).

٥ ـ هناك مصادر غنية بالمعلومات عن بولس نجدها في كتابات طائفة الأبيونيين (الفقراء إلى الله) الذين آمنوا بيسوع ﷺ رسولاً ونبيّاً ومسيحاً، ولكنهم رفضوا كل ادّعاءات بولس بأنه كائن إلٰهي، ورفضوا عقيدة الفداء والصلب، والخطيئة وكلما جاء به بولس. وكان العداء بينهم وبينه شديداً واعتبروه مرتداً مهرطقاً.

وقد كتب أبيفان كتاباً كبيراً بعنوان (الهرطقات) وفي هذا الكتاب نرى الأبيونيين يضيئون شخصية بولس بطريقة مغايرة لما نجده في العهد الجديد ـ وخاصة في سِفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا ـ ورسائل بولس الجديدة، وشهدوا على أن بولس لم يولد يهودياً بل اعتنق اليهودية وهو شاب في طرسوس، ثم جاء إلى القدس (أورشليم) بالغاً راشداً ودخل في خدمة جمالئيل، أولاً، ولكنه لم يجد بغيته فتحول إلى خدمة عدوه الكاهن الأكبر حنان، حيث أن بين جمالئيل فريسي وحنان صدوقي وبين الفريقين حرب ضروس.

٦ ـ اتهمت الكنيسة التي سارت على مذهب بولس وتأسست فيما بعد، اتهمت الأبيونيين بالهرطقة، لأنهم رفضوا عقيدة الفداء والصلب وموت الإلٰه المعذب من أجل خطيئة البشر حتى صار هو الحمَل، وهو الخروف الذي يُضحّىٰ به، وهو الذي ضحّى من أجلنا. فهو خروف الله الذي تعذب على الصليب، فصار هو نفسه خطيئة ولعنة كما قال عنه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية حتى يتحمل عنّا الخطيئة واللعنة!!.

ولا تزال الكنيسة تعتبر الأبيونيين هراطقة، ولكن قد آن الأوان لندرس بكل إنصاف عقائدهم ونرى أنها تحتوي على كثير مما تحتاجه المسيحية اليوم حتى تعود إلى الطريق القويم.

ولا شك أن بولس لم يكن فريسياً بل كان مغامراً هيلينياً لم يعرف اليهودية إلا في شبابه وقد أسس ديناً جديداً، معتمداً على العقائد الوثنية المنتشرة في وطنه، وفي العالم الوثني آنذاك، وبناه على فكرة الإله الذي يتعذب ويموت ويقوم من جديد، ويتّحد مع أتباعه وعابديه في طقوس معقدة من القربان (الأفخارستيا)، ويخلط ذلك كله بشيء كثير مما جاء به يسوع، ومدعّياً أنه جاء بدين يسوع بناء على وحي من يسوع نفسه الذي ظهر له أول مرة في طريق دمشق وأرسله إلى الأمم. ثم توالى ظهوره له وتوجيهه له ليتم رسالته إلى الأمم (الوثنية) وإلى العالم بأسره، بعد أن نفض يده من الشعب (اليهودي) الغليظ الرقبة. ورافضاً بذلك حتى اليهود المتنصّرين الذين آمنوا بيسوع ﷺ نبيّاً ورسولاً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً لأنهم رفضوا تأليه يسوع بأي شكل من الأشكال.

لقد كان **المؤرِّخ ورجل الدين الفرنسي** رينان (القرن التاسع عشر) يرى أن المسيح إنسان ثوري ومنطقي، بسيط محب للخير والبشر، ثار على السلطة الفريسية اليهودية، **بينما يرى أن بولس قد طمس براءة يسوع وغيّبها في ضباب اللاهوت والتعابير المعقدة والإلٰهيات الصعبة الفهم.**

بولس وتعاليم الشريعة:

إن بولس شخصية محيّرة حقاً ومتناقضة، ولكنه بدون ريب يتمتع بذكاء خارق وقدرَة على التلون، ومعرفة من يحدِّث، فيحاول أن يجتذبه أو يحيّده فيأخذ آراء خصمه، ويدعيها لنفسه، ثم يبدأ تدريجياً في تغييرها بعد أن يظن الخصم أن بولس قد تَماهىٰ معه. بولس فريسي مع الفريسيين، ناموسي مع الناموسيين، ضد الناموس والشريعة عند من لا يرون الناموس، مع الذين يقفون ضد الختان مع أنه مختون، متوجه إلى الأمم يبيح لهم جميع النجاسات بما فيها ما ذُبح على النصب طالما أن قلبك متوجه إلى يسوع الرّب. كما سمح لهم بالدم والخنزير، الشيء الوحيد الذي لم يسمح به هو الزنا واللواط، فقد وقف ضدها في مواقف عديدة.. وما عدا ذلك فقد سمح به، وأباحه، ولم يلتزم بالشريعة التي تحرّم كل ذلك، والتي تجعل أول الوصايا عبادة الله وحده لا شريك له. فقام هو بتحوير ذلك وأصرَّ على أنه موحد، ولكن بعد أن رفع يسوع من مستوى البشر إلى كائن إلٰهي نزل من السماء ليموت ويعذّب من أجلنا. فبالنعمة يحصل لنا الخلاص. ويسوع هو النعمة

ولا نعمة سواه. ومنع أتباعه بشدة من السجود لصنم أو تقريب أضحية لصنم، ولكن بولس يبيح الأكل الذي قُدم للوثن لأنه ليس هناك إله غير الله. فالأكل منه لا يضير إلا إن كان يراك أحد أخوتك الضعفاء فيعثر ويهلك، فلا تأكل مما قدم للوثن. يقول بولس ما نصه: «وأما من جهة ما ذُبح للأوثان. . . فمن جهة أكل ما قُدّم للأوثان نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحداً. لأنه إن وجد ما يسمى إلهاً سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إله واحد، الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به. ولكن ليس العلم في الجميع (أي ليس كل الناس يعلمون)، بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذُبح لوثن. فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجّس. ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله؛ لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص. ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء. . لأنه إن رآك أحد يا من له علم، متكئاً في هيكل وثن أفلا يتقوى ضميره إذ هو ضعيف حتى يأكل ما ذُبح للأوثان، فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف، الذي مات المسيح من أجله، وهكذا إذ تُخطئون إلى الأخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون إلى المسيح. لذلك إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخي» (كورنثوس أولى ١/٨ ـ ١٣).

وخلاصة هذا الكلام المعقّد والأسلوب غير المبين: أن الأكل مما يقدم للأوثان لا يضرُّ من يعرف أن الأوثان ليست آلهة. ولكن إن كان سيشاهدك آخرون ضعفاء في عقيدتهم المسيحية، وبالتالي سيعثرون ويظنون أن الآلهة الوثنية تنفع أو تضر فلا تأكل مما يقدَّم للأوثان، لأن ذلك معثرة لأخيك.

بولس الروماني:

ويتحدث هيام ماكبي عن ذكاء بولس في استخدام رعويته الرومانية ليخلص من المصاعب والمواقف الحرجة (وقد أوردنا بعضها فيما سبق) ومنها عندما كان في رحلته الثانية إلى فيلبي اليونانية غضب عليه الوثنيون، وجروه أمام القضاة الذين أمروا بسجن بولس وزميله سيلا وضربوهما بالسياط، ولكن لما عرف الوالي أنهما رومانيان أطلق سراحهما (سِفر أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٦).

وكان لرومانية بولس صدى سيئاً بين جماعة أورشليم وخاصة لدى يعقوب

العادل زعيم الجماعة وأخو المسيح لأنه كان يكره الرومان وظلمهم وما فعلوه بأخيه يسوع.

ولاء بولس للقيصر والدولة الوثنية:

أما بولس فقد كان يعلن رومانيته حيث الحاجة إليها، ويحث أتباعه على طاعة الأمبراطور، وتقديم فروض الطاعة لممثله، واحترام الدولة ونظامها وقوانينها. يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية (الإصحاح ١٣/١ ـ ٢): **«لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله. والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون يأخذون لأنفسهم دينونة»** ولا شك أن الإمبراطور الروماني ودولته كانوا سعداء جداً بمثل هذا الكلام، فكم من الثورات واجهتها الدولة الرومانية في فلسطين من اليهود، وفي غيرها من الأصقاع. ولكن ها هو فريسي ابن فريسي بنياميني يدعي أن مقاومة القيصر والسلطة هي خروج على الدين، وأن الذي يقاوم القيصر الوثني الذي أمر العباد بأن يعبدوه ويقدموا له القرابين، يعتبر مارقاً ليس من الدين الوثني بل من الدين المسيحي، فأي كلام أفظع وأحقر من هذا الكلام الذي يقوله بولس ويتزلّف به إلى السلطان. **ويواصل بولس كلامه لأتباعه فيقول: «فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل صلاحاً فيكون لك مديح منه لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشر فخف؛ فإنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم لله، منتقم للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب (الخوف من) الغضب (أي غضب السلطان وانتقامه) فقط، بل بسبب الضمير (لأن الله يأمر حسب زعمه بطاعة الإمبراطور والقيصر الذي جعل نفسه إلٰهاً من دون الله وأمر الناس أن يعبدوه ويقدموا له القرابين). فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً. إذ هم خدّام الله مواظبون على ذلك بعينه، فأعطوا الجميع حقوقهم؛ الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام» (رومية ١٣/٣ ـ ٧). ويقول: «ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا» (تيطس ٣/١).**

أي نفاق أشد من هذا النفاق، وأي خضوع لسلطة الإمبراطور المستبد الطاغية الذي أمر رعاياه بتقديم فروض العبادة له، أشد من هذا الخضوع، بل بلغ به النفاق والكذب أن يزعم أن طاعة القيصر ودولته الغاشمة أنها من طاعة الله

وأن مقاومته هي محاربة الله، وأن الله سيعاقب كل من لا يطيع القيصر الوثني الطاغية المستبد يوم الدينوينة. . والقيصر لا يعرف يوم الدينونة ولا يعترف به. . وأن كل من يقاومه يعتبر خارجاً عن دين المسيح، وسيلقى جزاؤه ليس فقط على يد القيصر وجنوده، بل سيلقاه أيضاً يوم الدينونة عذاباً في جهنم. ولا يكتفي بذلك كله ولكن يطلب من أتباعه أن لا يخافوا فقط من انتقام القيصر ودولته وجبروته، وأن يطيعوه فقط رهبة منه ومن سلطانه وجبروته، ولكنه يأمرهم بطاعته من ضميرهم وقلوبهم لأن طاعة الإمبراطور الكافر الذي يقول: أنا ربكم الأعلى حسب ما يدَّعيه بولس ـ هي من طاعة الله ـ، حيث إن الله قد ولّى القيصر وأعطاه الملك، والله لا يعطي الملك عبثاً لأحد. وسلطان القيصر ودولته الوثنية هو من الله، فلا بد إذن من طاعة القيصر الوثني ودولته ونظام حكمه.

ليس ذلك فحسب ولكن عليك أن تدفع الجزية وإن كانت مهينة، والجباية وإن كانت ظالمة. . . بل عليك أن تدفع ذلك بطيبة نفس وبدون تَذَمُّر، وبفرح وإكرام وإعزاز للجُباة والعشّارين الذين اعتبرتهم التوراة والشريعة ويسوع من الخطاة.

فأي إنسان بولس هذا؟ إنه مداهن منافق للسلطة مهما كانت ظالمة، ومهما قتلت وسفكت الدماء. كم من المسيحيين قتلتهم هذه الدولة المتجبرة الطاغية! بل إن يسوع نفسه ما كان ليقتل حسب زعمهم إلا بسبب هذه الدولة المتجبرة ونظامها. . ولم يطلب رئيس الكهنة الصدوقي إعدام يسوع وصلبه إلا لأن الصدوقيين كانوا يدعمون الدولة الرومانية، ويزعمون أن يسوع يدبر لثورة ضد السلطة.

ألا يستحي بولس رسول يسوع حسب زعمه إلى شعبه وإلى الأمم من أن ينحني للقيصر ودولته، ويقبّل أيديهم ونعالهم، وهم يقتلون ويسفكون دماء إخوانه المسيحيين الجدد!! ألم يكفه أنهم حسب زعمه صلبوا يسوع وقتلوه؟ فقام بتمجيدهم ولعق أحذيتهم ثم قاموا بقتل يعقوب العادل أخي المسيح ورئيس الجماعة في أورشليم ثم قتلوا بطرس وعدداً من الحواريين. وفي آخر الأمر قتله نيرون الطاغية أيضاً.

موقف بولس من العبودية:

يقول بولس في رسالته إلى **أهل كولوسي (٣/ ٢٢ ـ ٢٤)**: **«أيها العبيد،**

أطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس، بل ببساطة القلب خائفين الرب. وكل ما فعلتم من القلب كما للربّ ليس للناس. عالمين أنكم ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح».

ويقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس (٦/ ١ ـ ٢): «**جميع الذين هم عبيد تحت نير، فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يُفترى على اسم الله وتعليمه. والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم لأنهم إخوة، بل ليخدموهم أكثر لأن الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون**».

وبولس على العموم يأمر العبيد بالطاعة لسادتهم، ولو كانوا ظلمة، أو فَجَرة، أو كَفَرة فإن لهم مقابل ذلك محبة يسوع لهم. ولا شك أن السادة سَيُسَرّون بمثل هذه التعاليم، لأن الإمبراطورية الرومانية شهدت أعظم ثورة للعبيد في التاريخ، وهي ثورة سبارتوكس التي هزت الإمبراطورية، وهزم قادة الثورة أعظم القواد لفترة، ثم تغلبت جيوش الإمبراطورية المتكاثرة على هؤلاء العبيد، واستطاعت القضاء على ثورتهم بعد جهد جهيد.. لهذا فإن دعوة بولس للعبيد للطاعة، ولتحمل الظلم تَسرُّ السادة جداً.

ولا ريب أن بولس أمرالسادة المؤمنين بحسن معاملة عبيدهم المؤمنين بيسوع ولكنه أمر جميع العبيد بطاعة سادتهم، ولو كانوا قساة، غلاظاً، ظلمة، فجاراً وكفرة فهو أمر يوضح منهج بولس في طاعة السلطان والقيصر والدعاء للحكام الظلمة الكفرة الفجرة الذين أمروا الناس بعبادتهم.. يقول بولس في رسالته الأولى لأهل تيموثاوس (٢/ ١ ـ ٢): «**فأطلبُ أول كل شيء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس: لأجل الملوك، وجميع الذين هم في منصب**». فبولس نفسه إذن ينافق السلطة أينما كانت، ويأمر العبيد بالطاعة مهما كان الظلم الواقع عليهم شديداً. فما أسعد السلطات والسادة ببولس هذا، وكلامه أحلى شيء في آذانهم لأنه يؤيد ملكهم وطغيانهم، ويأمر الأمم بطاعتهم وبذل أموالهم لهم مهما كانوا متجبِّرين ظلمة فسقة كفرة، يأمرون الناس بعبادتهم.

بولس والمرأة:

سيقع المسيحيون في حرج شديد في العصر الحاضر عندما يطّلعون على ما

كتبه رسول الأمم، ونبي المسيحية، ورجلها الأول بولس. فهم يهاجمون الإسلام بزعم أنه ظلم المرأة، والحقُّ أنه لم ينصفها غيرُ الإسلام، لكنهم يكذبون ويفترون. . وسننقل لهم ها هنا مقالة نبيّهم ومؤسس ديانتم عن المرأة فهل يا تُرى يوافقون عليه؟ أم ينكرونه كما أنكروا تعاليم يسوع التي تمنع الزنا والخَنا واللواطة وتعاقب عليها عقوبات شديدة!! وماذا سيقول أنصار المرأة وأنصار حقوق الإنسان عند سماعهم هذا الكلام؟؟.

يقول بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: «لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع. لست آذن للمرأة أن تُعلِّمَ ولا تتسلَّط على الرجل بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبِلَ أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغْوَ لكنّ المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبُتْنَ في الإيمان والمحبة والقداسة» (تيموثاوس ١/١/١١ ـ ١٥).

ويقول بولس في رسالته **إلى أهل كولوسي** (٣/١٨): **«أيتها النساء، اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب».**

وفي رسالته إلى أهل أفسس (٥/٢٢ ـ ٢٤): «أيها النساء، اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء يخضعن لرجالهن في كل شيء».

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس (١١/٣ ـ ٩): **«أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل.** ورأس المسيح هو الله. كل رجل يصلّي أو يتنبأ وله على رأسه شيء يشين رأسه (لهذا يخلعون برانيطهم عند دخول الكنيسة للصلاة). **وأما كل امرأة تصلّي أو تتنبأ ورأسها غير مغطّى فتشين رأسها، لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه؛ إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليُقصّ شعرها. وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص شعرها أو تحلق فلتتغطى. فإن الرجل لا ينبغي أن يغطّي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل».**

فالمرأة خُلقت من أجل الرجل وعليها أن تطيعه كما يطيع المؤمن ربّه دون نقاش ولا مجادلة. . وإذا تكلم عليها أن تسكت ولا ترد عليه. وعليها أن تتعلم من

الرجل ولا يجوز لها مطلقاً أن تعلّمه. بل عليها أن تخضع للرجل كما تخضع الكنيسة ليسوع الممجد. والمرأة عنده، وكما هي في العهد القديم، منبع الخطيئة وهي التي أكلت من الشجرة المحرَّمة، وهي التي أغرتْ آدم بالأكل منها فهي ملعونة ملعونة!!.

لماذا تسكتون عمّا هو في كتابكم المقدس في سِفر التكوين، وبقية الأسفار، وفي كلام الإنجيل، وكلام بولس، وتكيلون الأكاذيب والافتراءات على الإسلام وأهله؟!.

ها هو بولس يأمر المرأة بأن تطيع الرجل طاعة كاملة، وأن لا ترد عليه، وأن تتعلم منه، وأن تحتشم في لبسها، وأن لا تخون زوجها، وأنّ وظيفتها الأولى هي الإنجاب، لأنها بآلام الولادة والحمل والطلق والتربية للأولاد تخلص من خطيئتها الكبرى، فهي رأس الخطايا، ومنبع الإثم، وأحبولة الشيطان.

موقف بولس من الزنا واللواطة:

لا بد أن نشيد بموقف بولس في محاربته للزنا واللواطة بين أتباعه وتحذيرهم منه والتشديد عليهم فيه. ولا بدع في ذلك فكتب العهد القديم (أسفار التوراة والأنبياء وغيرها) والعهد الجديد مليئة بالأحكام ضد الزنا والتحذير منه، والتشديد في محاربته. ففي الوصايا العشر: «لا تزن»، وفي سفر الخروج (٢٠/ ١٣ ـ ١٧) «لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تَشْتَهِ بيت قريبك، لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك».

وفي أسفار التوراة عدد من المحرّمات في موضوع العلاقات الجنسية وأحكامها الشديدة وقد وردت بالتفصيل في سفر اللاويين (الإصحاح ١٨/ ٧ ـ ٢٩، والإصحاح ٢٠/ ١٠ ـ ٢١، والإصحاح ٢١/ ٩، وفي سفر التثنية ٢٢/ ١٣ ـ ٢٩) وفيها النص على عقوبة الرجم للزناة ولمن اضطجع مع بهيمة، ومع رجل، أو حتى مع امرأة طامث أي أثناء حيضها ـ يقطعان كلاهما من شعبهما (أي يعدمان). (أي إعدام من جامع امرأة في الحيض مع المرأة)، وهو حكم شديد القسوة ولا مبرر له، ولا شك أنه من مفتريات الأحبار[1].

---

(١) نقلت هذه الأحكام بالتفصيل في كتابي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٣٥ ـ ٣٧٩، فصل: الزنا والفواحش في التوراة والعهد القديم.

وفي الإنجيل (متّى ٥/ ٢٧ ـ ٣٠) ومثله في الأناجيل الأخرى «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن. أما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم»[1].

وفي رسائل بولس كلام جيد وواضح ضد الزنا والفسوق والفجور والتعرّي وضد اللواطة، وهو موقف يحمد عليه، ولكن الكنيسة والمسيحيين عموماً يناقضون هذه التعاليم الجيدة ويرفضونها ويتبعون شهواتهم، وكل ما يرشدهم ويدعوهم إليه إبليس، ما عدا مجموعات جيدة في الشرق خاصة.. وبعض أفراد في الغرب لا يزالون متمسكين بتعاليم الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) ضد الزنا والشذوذ الجنسي وكل الموبقات.

يقول بولس وهو يتحدث عن الذين لم يعبدوا الله وصاروا جهلاء وعبدوا معه أنداداً وصنعوا لهم أوثاناً بشبه صورة الإنسان والطيور والدواب والزحافات: «لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسامهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا الحقّ بالكذب، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد آمين. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان؛ لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة (أي المساحقة). وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي (أي اللواطة). اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالتهم المحق. وكما لم يستحسنوا أن يبقوا لله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. مملوئين من كل إثم، وزنا، وشرّ، وطمع، وخبث، مشحونين حسداً، وقتلاً، وخصاماً، ومكراً، وسوءاً. نمّامين، مفترين، مبغضين لله، ثالبين، متعظّمين، مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين. بلا فهم ولا عهد ولا حنوّ ولا رضى ولا رحمة. الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه (النجاسات) يستوجبون الموت أنهم لا يفعلونها (أي النجاسات) فقط بل يسرُّون بالذين يعملونها ويدعون إليها». رسالة بولس إلى أهل رومية (الإصحاح ١/ ١٨ ـ ٣٣).

---

(١) انظر: الباب الثالث من هذا الكتاب: التعاليم الحقة في الأناجيل/ تعاليم يسوع عن الزنا وتعاليم الكنيسة اليوم.

فما أجمل ما قاله بولس في هذا الإصحاح. وكل ما فيه حق، فالذين زاغوا وأشركوا بالله وعبدوا المخلوق دون الخالق، أدّى بهم هذا الشرك إلى أن يتسلط عليهم إبليس ويزين لهم كل الموبقات من المساحقة واللواطة والزنا، ومنها إلى عقوق الوالدين، وانتزاع الرحمة، وعدم الوفاء بالعهد، والكذب والنميمة، والغرور والتكبر، وكل الأخلاق الشيطانية المؤدية إلى الحسد والكبر وسفك الدماء. وهؤلاء الذين يفعلون هذه الرجاسات والزنى واللواطة يستحقون الموت. وللأسف فإن بولس نفسه أشرك بالله بجعله يسوع المسيح ربّاً وابناً لله. ووقع فيما حذر منه. ولكن كلامه هنا كله حقّ... وأتباعه في الغرب يناقضون كل ما دعا إليه وخاصة في موضوع الجنس، فهم قد نشروا كل الرجاسات من الزنا، والمساحقة، واللواطة، ودعوا إليها، وفرحوا بمن يدعو إليها، كما ذكر ذلك بولس. فما أبعدهم عن تعاليم الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد. وما ذكره موسى ﷺ في الوصايا العشر، وتفاصيل الأحكام ضد الزناة واللوطية، وما أكّده أنبياء بني إسرائيل إلى آخرهم عيسى ﷺ روح الله وكلمته. وما ردّده بولس في رسائله. ولكن هؤلاء القوم سائرون في غيّهم، متّبعون لشهواتهم، متعبدون لشياطينهم.

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح (٦/ ٧ ـ ١٠) وهو يحثهم على عدم الظلم: «لكن أنتم تظلمون وتسلبون.. أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله. لا تضلّوا، لا تكونوا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقين ولا مأبونين، ولا مضاجعي ذكور، ولا سارقين ولا طماعين ولا سكّيرين ولا شتّامين».

وكل ما قاله حقٌّ وصدق وبر، ولكن نصارى الغرب اليوم يبيحون الزنا واللواطة ومضاجعة الذكور للذكور، والإناث للإناث، ويبيحون هذه الرذائل ويدعون إليها ويدافعون عنها. ويسمحون بها حتى في وسط الكهنوت ورجال ونساء الكنيسة!! وحذّرهم بولس أن يسمع أن بينهم زنا مثلما هو بين الأمم النجسة عُبّاد الأوثان، وكلُّ رجاسة (كورنثوس ٥/ ١).

ويبيح لهم بولس جميع المأكولات المحرّمة في العهد القديم مثل الدم والخنزير حتى ما ذُبح على النصب إن كان الآكل منها لا يعرف له ربّاً غير يسوع ولا إلٰهاً غير الله، ولكنه رغم ذلك يحذّرهم من الزنا، يقول بولس: «**كل الأشياء**

تحلُّ لي لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحلُّ لي لكن لا يتسلط عليّ كل شيء. الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة، والله سيبيد هذا وتلك، ولكن الجسد ليس للزنا بل للربّ والربُّ للجسد. . . ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح (لأن المسيح في العشاء الرباني والقربان يحل فيهم ويتحد بهم) أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول: يكون الاثنان جسداً واحداً؟ وأما من التصق بالرب فهو روح واحد. اهربوا من الزنا، كل خطيئة يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. . فمجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» كورنثوس الأولى (٦/ ٧ ـ ٢٠).

وما قاله بولس عن الزنا والبعد عنه حق، وأما ما قاله من اتحاد وحلول بين الربّ يسوع الممجد وبين أجساد المؤمنين به فباطل. وقد سبق أن ذكرنا هذه العقيدة الباطلة التي رفعت يسوع إلى صف الألوهية، ثم قامت بالاتحاد والحلول في المؤمنين بيسوع بواسطة القربان (العشاء الرباني، الأفخارسيتا) وبواسطة العماد، وبواسطة النعمة، والتي سنزيدها توضيحاً عند الحديث عن التأثيرات الوثنية في المسيحية.

ويتحدث بولس عن الزنا والأخلاق السيئة في رسالته إلى أهل أفسس (٥/ ٣ ـ ٧) فيقول: «وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّى بينكم كما يليق بقديسين. ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون أن كل زان أو نجس أو طمّاع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح واللَّه. لا يُغرّكم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية فلا تكونوا شركاءهم».

وفي رسالته إلى أهل كولوسي (٣/ ٥ ـ ١٠) يقول: «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض. الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع الذي هو عبادة الأوثان والأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية الذين بينهم أنتم سلكتم قبلاً حين كنتم تعيشون فيها. وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكُلّ: الغضبَ، السّخطَ، الخُبْث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم لا تكذبوا بعضكم على بعض».

وهي لا شك وصايا جيدة لأن غضب الله يأتي على أبناء المعصية فعليهم أن يبتعدوا عن المعاصي كلها. ومن أهمها عبادة الأوثان والزنا والكذب والخداع والهوى والشره والفجور والكبر... إلخ.

قدرة بولس على جمع الأموال من الأتباع:

لقد استطاع بولس أن يجمع أموالاً كثيرة من أتباعه والمتنصّرون الجدد، وخاصة من الوثنيين الذين دخلوا في الدين الجديد. وكان أول جمع للأموال في أنطاكية بعد ظهور يسوع لبولس في طريقه إلى دمشق عندما كان هو وبرنابا يكرزان بالدعوة وسمعوا أن مجاعة قد ظهرت في اليهودية (جنوب فلسطين وما حول أورشليم)، وذلك حسب تنبؤات بعض المتنبئين. وذهب شاول وبرنابا بالأموال إلى شيوخ الجماعة في أورشليم، وكانت الجماعة متوجسة جداً من شاول نتيجة لتاريخه في اضطهاد المسيحيين، ولكن برنابا استطاع أن يقنعهم بأن شاول (بولس) قد دخل فعلياً في الدين الجديد. وقدم شاول وبرنابا الأموال إلى شيوخ الجماعة فازدادات ثقتهم، ورضوا عن شاول. أما برنابا فهم يعرفونه ويعرفون إخلاصه ولكن شاول هو الذي كان يشكّل معضلة لهم. (أعمال الرسل ـ الإصحاح العاشر).

وعاد شاول (بولس) مرة أخرى إلى أنطاكية وسلوكية وقبرص وأيقونية... إلخ، وعندما اختلف اليهود المتنصّرين مع بولس حول ختان الداخلين الجدد في المسيحية من الوثنيين غير المختونين قرروا الذهاب إلى أورشليم وعرض هذه القضية على الحواريين (تلاميذ المسيح) وشيوخ كنيسة أورشليم. ونتيجة غضب اليهود المتنصّرين وغضب اليهود على بولس الذي كان يبيح لأتباعه التخلص من أوامر الشريعة والناموس كادوا أن يقتلوه في أورشليم ووقعت له حوادث كثيرة سبق أن ذكرناها (فصل أعمال الرسل). واستطاع بولس بذكائه ومناورته أن يخفف من نقد الحواريين وشيوخ الكنيسة عليه بادّعائه أنه ناموسي فريسي مختون، بالإضافة إلى تقديمه مبلغاً من المال الذي كان جمعه باسم جماعة أورشليم لهم. ولكنه أبقى لنفسه مبلغاً كبيراً منه حتى إن الحاكم الروماني فستوس في قيصرية طمع أن يأخذ مبلغاً من هذا المال الكثير إلا أن بولس رفض أن يدفع له أي شيء (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٤).

ويؤكد هيام ماكبي في كتابه (صانع الأسطورة بولس واختراع المسيحية)(١) أن بولس لم يولد رومانياً كما كان يزعم، وإنما اشترى هذه الرعوية كما اشتراها أمير الجند في أورشليم بمبلغ كبير من المال (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٢). وأن هذه الرعوية لم تكن بسبب مولده من أب يحمل الجنسية الرومانية كما كان بولس يكرر ويزعم، بل إن حصوله على هذه الرعوية كان بمبلغ كبير من المال الذي معه والذي جمعه الأنصار. وبفضل هذه الرعوية الرومانية تخلص من مآزق كثيرة، ومن الضرب والسجن، ووجد الحماية المكثفة له ضد المؤامرات التي كان يحيكها له اليهود واليهود المتنصّرون المتمسكون بالشريعة والناموس.

يقول بولس في رسالته لأهل رومية (١٥/ ٢٥ ـ ٣٠): «ولكن أنا الآن ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين؛ لأن أهل مكدونية (مقدونية) وأخائية (في اليونان) استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم. استحسنوا ذلك، وإنهم لهم مديونون. لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. فمتى أكملت ذلك وختمت لهم هذا الثمر (أي المال) فسأمضي ماراً بكم إلى أسبانيا. وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأحيا في ملء بركة إنجيل المسيح».

ويقول في رسالته إلى أهل كونثوس الأولى (٩/ ١١ ـ ١٤): «إن كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات أفعظيم أن حصدنا منكم الجسديات (أي الماديات والأموال والثروات)؟ إن كان آخرون شركاء في السلطان عليكم ألسنا نحن بالأولى؟ لكننا لم نستمل هذا السلطان، بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقاً لإنجيل المسيح. ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة، من الهيكل يأكلون؟ الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. وهكذا أيضاً أمر الربُّ أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون». وقد كان يعيش حياة رغيدة من الإنجيل، وكذلك فعل البابوات من بعده إلى يومنا هذا، والكنيسة أغنى أغنياء العالم.

وفي رسالته إلى أهل كورنتوس الأولى (الإصحاح ١٦) يكرر قصة جمع

---

(١) Haym Maccoby: The Myth Maker: Paul and the Invention of Christianity.

تم اختصاره وتعريبه من قبل سميرة عزمي الزين، ونشرته باسم: بولس وتحريف المسيحية، إصدار منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١.

الأموال من أجل القديسيين في أورشليم قائلاً: «وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً. في أول كل أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسّر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذٍ. ومتى حضرت فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم. وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً فسيذهبون معي» (١٦/١ ـ ٤).

والذي حدث أن بولس جمع الأموال بنفسه، وزعم أنه سيأخذها إلى القديسيين في أورشليم فأخذها، واستخدمها في أغراضه، وأعطى كنيسة أورشليم منها مبلغاً ليخفف به من النقد عليه.

وفي رسالته إلى أهل كورنثوس (٨/١ ـ ١٥): «ثم نعرفكم أيها الأخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية (مقدونية) إنه في اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم، لأنهم أعطوا حسب الطاقة. أنا أشهد، وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم..».

وطلب منهم (أي أهل كورنثوس) أن لا يكونوا أقل من أهل مكدونية وأن يكونوا أسخياء بالمال من أجل القديسيين في أورشليم!!.

وفي الإصحاح التاسع واصل مدح أهل مقدونية وأهل أخائبة في اليونان لأنهم دفعوا أموالاً كثيرة من أجل الرب يسوع المسيح مع أنه غني... وأخبرهم أنه أرسل إليهم تلميذه قيطس ليجمع هذه الأموال والبركات وليستعدوا بالأموال ويعطوا بكرم وسخاء.

وفي رسالته إلى أهل فيلبي (٤/ ١٠ ـ ٢٠): «ثم إني فرحت بالربّ جداً لأنكم الآن قد أزهر أيضاً اعتناؤكم بي... غير أنكم حسناً فعلتم إذ اشتركتم في ضيقتي (وأرسلتم الأموال) وأنتم تعلمون أنه في بداءة الإنجيل (أي التبشير والدعوة) لما خرجت من مكدونيه لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم. فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إليّ مرة ومرتين لحاجتي. ليس أني أطلب العطية، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم. ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت.. فيملأ إليه كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع، ولله وأبينا المجد إلى دهر الداهرين. آمين».

وها هو هنا يدّعي أنه لم يأخذ من أي كنيسة أخرى ويشكرهم على تكرار إرسالهم الأموال له.

خلافات بولس مع الحواريين وغيرهم:

الخلاف مع برنابا

كان برنابا أحد اليهود اللاويين الهيلنستيين من قبرص الذين رأوا المسيح كما جاء في إنجيل برنابا. وتقول المصادر الأخرى :إنه لم يرَ المسيح وإنما كان إيمانه في عهد الحواريين، واتصل بهم، وتبرع بماله كله، حيث قام ببيع مزرعته وجاء بثمنها كله فصارت عند أقدام الحواريين (تلاميذ يسوع الاثني عشر). وعمل معهم بجد وإخلاص فصارت له مكانة كبيرة لديهم وأرسلوه إلى أنطاكية وما حولها ليدعوا إلى الدين الجديد. وكان اسمه يوسف فلقبوه باسم برنابا أي ابن الفرج.

ويروي سفر أعمال الرسل أن برنابا عاد إلى أورشليم ومعه شاول الذي كان يضطهد المتنصّرين الجدد، وأخبرهم بأنه قد آمن بيسوع، وبظهور يسوع له وهو في طريقه إلى دمشق ليقتاد الذين آمنوا حسب زعمه ويعود بهم مقيدين إلى كبير الكهنة في أورشليم.

لم يصدّق الحواريون أنباء إيمان بولس، وظلّوا متشككين فيه، ولولا برنابا لم يقبلوه (أعمال الرسل ٩/٢٦ ـ ٣٠)، ولكن سفر أعمال الرسل يحدثنا أن خلافاً حاداً نشب بين بولس وبرنابا حين أراد برنابا أن يأخذوا معهم يوحنا الذي يُدعى مرقس بينما رفض بولس بشدة (أعمال الرسل ١٥/٣٦ ـ ٤١).

ويقرر هيام ماكبي في كتابه (بولس صانع الأسطورة) أن ذلك السبب ليس هو السبب الوحيد الذي جعل برنابا ينفصل عن بولس، ولكن السبب الأهم في وجهة نظره ونظر بعض الباحثين أن بولس أبدى استخفافاً بالحواريين، وادّعى أنه يتصل بيسوع الرب الإله الممجد، بينما كان الحواريون يرون ويتصلون بيسوع البشري. كما أن استخفاف بولس بالشريعة والناموس لم يؤد فقط إلى انتقاد اليهود المتنصّرين، بل إلى انتقاد جماعة أورشليم التي يرأسها يعقوب العادل (أخو المسيح) ومعه بطرس وشيوخ الكنيسة.

ولبرنابا رسالة تُذكر في الكتب المنحولة، أي التي لم تتقبلها الكنيسة رسمياً ولا تظهر في كتاب العهد الجديد. وله الإنجيل المشهور باسمه والذي أظهره قيّم (مسؤول) مكتبة الفاتيكان.

وهو إنجيل يختلف تماماً عن الأناجيل الأخرى في تأكيده على بشرية يسوع ﷺ. وفي أنه رسول من عند الله. وينكر قصة الصلب ليسوع فيقول: إن الجند عندما جاؤوا مع يهوذا الإسخريوطي ليأخذوه، حصلت رجة وأغمي على الجند، واختفى يسوع، حيث إن سقف المنزل انشق وأخذته الملائكة أثناء الغيبوبة التي أصابت الجميع. ولما أفاقوا كان الله قد ألقى الشبه على يهوذا الإسخريوطي فأخذه الجنود واشتبه فيه الحواريون وظنوه سيّدهم.. وأخذ يهوذا وهو يولول ويصرخ.. ولما صلب كان يبكي ويصرخ وينادي: «ألوي ألوي لِمَ شبقتني؟» أي إلٰهي إلٰهي، لماذا تركتني؟ إلخ.

ولا ريب أن هذا الإنجيل يختلف اختلافاً جذرياً عن الأناجيل الأربعة ويختلف عن الكتابات المسيحية المعترف بها، لأنها كلها تعتمد قصة الصلب والفداء والقيامة. فإذا تم نفي هذه الثلاث فقد تم نفي المسيحية ذاتها حسبما جاء بها بولس وأتباعه. ويبدأ إنجيل برنابا بمقدمة هامة يذكر سبب كتابته لهذا الإنجيل «بسبب جماعة منهم بولس يقومون بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان، الذي أمر الله به دائماً، ومجوزين أكل كل لحم نجس». وأبدى أسفه الشديد لانضمام بولس إلى هؤلاء.

وقد جاء في كتاب (محاضرات في النصرانية) للشيخ محمد أبو زهرة[١] عن إنجيل برنابا ما يلي:

اتفق المؤرّخون أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل هي نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية، عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا (مقاطعة ألمانية كونت إمبراطورية) وذلك سنة ١٧٠٩م، وانتقلت النسخة مع مكتبة ذلك المستشار إلى البلاط الملكي بفينا سنة ١٧٣٨م. وفي زمن مقارب تم العثور على نسخة أخرى باللغة الإسبانية، ثم ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بواسطة المستشرق سايل. وكانت النسخة الإسبانية مترجمة عن الإيطالية. وقد اكتشف النسخة الإيطالية راهب لاتيني يدعى فرامينو وجدها في المكتبة الهامة للبابا سكتس الخامس، في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. ويقول خبراء الخطوط: إن هذه النسخة قد

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ص٥٩ ـ ٦٧. باختصار يسير.

كتبت بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد. ولعلّها أن تكون هي النسخة التي اختلسها الراهب فرامينو ثم وصلت إلى فينا.

وقد عثر على رسالة قديمة لأريانوس يندد فيها بما كتبه بولس ويستشهد على ذلك بإنجيل يدعى إنجيل برنابا. وهذا دليل على وجود هذا الإنجيل الذي أخفته الكنيسة وحاربته ولم يبقَ منه سوى نسخة واحدة في مكتبة البابا اكتشفها الراهب فرامينو ثم اختلسها، وانتقلت بعد ذلك إلى مكتبة كريمر مستشار ملك بروسيا، ومنه إلى النمسا عندما انتقلت مكتبته إلى البلاط الملكي هناك.

ويقول الدكتور خليل سعادة مترجم الإنجيل إلى العربية (نصراني لبناني، عاش في مصر وترجم إنجيل برنابا من الإيطالية إلى العربية سنة ١٩٠٨م، ونشره الشيخ محمد رشيد رضا في دار المنار بالقاهرة): «يذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢م يعدد فيها أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ومن ضمنها (إنجيل برنابا)».

ويقول الدكتور سعادة: «إنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد لها مثيلاً بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين»، ولم يكن هذا الإنجيل معروفاً لدى المسلمين، ولم يذكره أحد منهم مع كثرة كتبهم في الرد على النصارى، ولو كان موجوداً لديهم لأطنبوا في ذكره لأنه مطابق لعقائد المسلمين في النقاط التالية:

١ ـ أن المسيح بشر رسول وليس إلٰهاً ولا ابن إلٰه.

٢ ـ أن الصلب لم يقع على المسيح عيسى ابن مريم وإنما وقع الشبه على يهوذا الأسخريوطي الذي خانه. (لا يحدد المسلمون من هو الذي وقع عليه الشبه).

٣ ـ أن عيسى ﷺ رفع إلى السماء دون أن يصلب.

٤ ـ أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم ﷺ للفداء هو إسماعيل وليس إسحاق.

٥ ـ أن مسيا (المسيح المنتظر) ليس بيسوع بل هو محمد عليه الصلاة والسلام وقد ذكر محمداً ﷺ باللفظ الصريح المتكرر، وأنه رسول الله، وأن آدم لما طُرد من الجنة رأى مكتوباً فوق بابها بأحرف من نور (لا إلٰه إلا الله محمد

رسول الله). وهناك بشارات كثيرة بمحمد ﷺ واضحة في إنجيل برنابا، «وأنه سيأتي بعدي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية».

لهذا كله فإن المسيحيين يتجاهلون هذا الإنجيل تجاهلاً تاماً، بما فيهم كثير من الباحثين المنصفين الذين أكدوا أن عقيدة التجسيد والتثليث من العقائد الوثنية التي لم يأت بها يسوع المسيح، وإنما أتى به بولس وأتباعه وزادها تعقيداً آباء الكنيسة وخاصة عقيدة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وما تبعها من مجامع.

خلافات بولس مع الحواريين وكنيسة أورشليم:

ذهب شاول لأورشليم بصحبة برنابا بعد أن مكث في أنطاكية وما حولها ودمشق وغيرها من بلاد سوريا ثلاث سنوات بعد أن ظهر له يسوع. «ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ (الحواريين). وكان الجميع يخافونه غير مصدِّقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدّثهم كيف أبصر الربّ في الطريق، وأنه كلّمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع. وكان يخاطب ويباحث اليونانيين (أي اليهود اليونانيين والذين تنصروا) فحاولوا أن يقتلوه. فلما علم الأخوة أحضروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس (مدينته التي ولد فيها ونشأ). (سِفر أعمال الرسل ٩/٢٦ ـ ٣٠).

والسؤال هو: لماذا أراد اليهود اليونانيون (أي الذين ولدوا خارج فلسطين واعتبروا هيلينستيين) أن يقتلوه؟ والسر في ذلك أنهم رأوه في طرسوس وغيرها، وسمعوا منه التجديف ورفع يسوع إلى مرتبة الألوهية، فأنكروا عليه ذلك كما رأوا منه ازوراراً عن الناموس والشريعة. ولكن بولس كان يخدع المشايخ، ويتحدث إليهم أنه فريسي بنياميني مختون، وأنه محافظ على الشريعة، ولم يظهر أمامهم القول: بألوهية يسوع. ولكن هؤلاء اليهود المتنصرين والذين شاهدوا بولس وعرفوا دعوته أنكروا عليه ما كان يقوله في أنطاكيه وغيرها. وكانوا ضده لدرجة أنهم اعتبروه عدواً للنصرانية، وخطراً عليها أشدّ مما كان من قبل عندما كان يعمل لحساب رئيس الكهنة ويضطهد المسيحيين.

ومكث بولس في طرسوس إلى أن خرج برنابا من أورشليم مرة أخرى فقام برنابا بأخذ بولس معه إلى أنطاكية وضمه إليه في مجال الدعوة، «ثم خرج برنابا

إلى طرسوس ليطلب شاول. ولما وجده جاء به إلى أنطاكيه. فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً. ودعى التلاميذ المسيحيين في أنطاكيه أولاً» (أعمال الرسل ١١/ ٢٥ و٢٦).

وكان اليهود يرفضون دعوة بولس ويثيرون عليه الناس كلما تكلم معهم وتحدث عن يسوع المسيح الربّ الذي تجلّى له في طريق دمشق.

ووقع خلاف بين اليهود المتنصرين وبولس حيث كان يسمح للوثنيين الداخلين في الدين الجديد أن يبقوا غُرْلاً غير مختونين.

«وانحدر قوم من اليهودية (الضفة الغربية وما حول أورشليم) يعلمون الإخوة إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا» (أعمال الرسل ١٥/ ١). فذهب الجميع إلى أورشليم وانتهى الأمر بوصية يعقوب العادل أن على الداخلين الجدد في النصرانية «أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم»، وأرسل المشايخ بهذه الرسالة يهوذا الملقب برسابا وسيلا (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٥).

وكثر الكلام حول بولس وعدم اهتمامه بالشريعة، بل وازدرائه لها، رغم أنه ينكر ذلك، فطلبه الشيوخ مرة أخرى في أورشليم وكان بولس يقول لأتباعه: «ها أنذا اليوم ماضٍ إلى أورشليم أسير الروح، والروح القدس يؤكد لي أن السلاسل والشدائد تنتظرني. . وأنا أعلم أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم» (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢٠). وجمع بولس مبلغاً كبيراً من المال وأخذه معه، ليعطي كنيسة أورشليم جزءاً منه لترضية المشايخ. ولما وصل أعطاهم بعض المال الكثير الذي معه، وأنكر أنه ازدرى الشريعة وأكّد لهم أنه ناموسي ملتزم بالشريعة فريسي ابن فريسي إلى آخر أكاذيبه، ولكن الشيوخ طلبوا منه أن يأخذ أربعة رجال عليهم نذر ويتطّهر معهم، وينفق عليهم، وليحلقوا رؤوسهم جميعاً، ويقدموا الذبائح النذر للهيكل حتى يعلم اليهود كلهم أن بولس مهتم بالشريعة. «ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم رآه اليهود الذين قدموا من آسيا (الصغرى) في الهيكل فأهاجوا كل الجمع عليه، وألقوا عليه الأيادي صارخين: أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا، هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع في كل مكان ضد الشعب والناموس وهذا الموضع (أي الهيكل). . ودنّس هذا الموضع المقدس» (أعمال الرسل ـ الإصحاح ٢١). وكادوا يقتلونه لولا تدخل أمير الجيش الروماني فأنقذه منهم. وعندما أراد أمير الجيش

ضربه لأنه أثار فوضى أعلن أنه روماني ابن روماني، فحماه من الغوغاء، وأرسله في خفارة من الجيش إلى الوالي في قيصرية. وحاول بولس بكل دهاء ومكر أن يفرّق بين اليهود المجتمعين ضده، لأنهم كانوا فرقتين: فريسيين وصدوقيين، وأعلن أنه فريسي ابن فريسي مختون من سبط بنيامين.. إلخ، فاختلفوا وقال الفريسيون: لا نرى عليه شيئاً... وتوالت المواقف ضده وفي كل مرة ينجو منها بحيلة. وانتقل بولس إلى قيصريه، ومنها سافر قاصداً رومة بطريق طويل حتى يحاكم أمام القيصر حسب طلبه. وفي رحلاته تلك بدأ يهاجم الشيوخ بما فيهم بطرس كبير الحواريين، والذي وصفه يسوع بأنه الصخرة، وأن ما يحلّه بطرس في الأرض يحلّه الله في السماء، وما يمنعه بطرس في الأرض يمنعه الله في السماء كما يزعمون.

ويقول في رسالته لأهل كورنثوس الثانية (١١/ ٢٢ ـ ٣٣) عن الشيوخ: «أهم عبرانيون؟ فأنا أيضاً، أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضاً، أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضاً، أهم خدام المسيح؟ أقول: كمختل العقل فأنا أفضل، في الإتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضُربت بالعصي مرة رجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة».. واستمر يعدد ما لاقاه في سبيل المسيح حسب زعمه، ويفتخر بذلك على الشيوخ في أورشليم فلا أحد أفضل منه.

ويقول في رسالته لأهل غلاطية: إنه ذهب إلى أورشليم مرتين: في الأولى لم ير إلا بطرس ويعقوب أخا الرب (أي أخا المسيح)، والثانية بعد ١٤ سنة عندما طلبه الشيوخ في أورشليم. وقال: إنه لا يهتم بهؤلاء الشيوخ (طبعاً كذب لأنه كان مهتماً بهم جداً كما تقدم)، وأنه اتفق مع بطرس أن يكون مؤتمناً على إنجيل الختان أما هو بولس فهو لإنجيل الأمم (غلاطية ٢/ ١ ـ ١٠) ثم قال: «ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكيه قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً».. واتهمه بالرياء والنفاق، وهاجم برنابا أيضاً معهم قائلاً: «حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم». وهاجم بطرس هجوماً شديداً متهماً إياه بالنفاق والرياء. وهاجم معه شيوخ أورشليم وبرنابا (غلاطية ٢/ ١١ ـ ٢٠).

هجوم بولس على أهل غلاطية:

وهاجم بولس في رسالته إلى أهل غلاطية، لأن أهل غلاطية كثيراً منهم

تركوه وانضموا إلى شيوخ الكنيسة في أورشليم قائلاً: «أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقَاكم حتى لا تُذعنوا للحق؟ أنتم الذين قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً. أريد أن أتعلم منكم هذا فقط. أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد...». وهاجم الناموس **«لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة؛ لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في الناموس ليعمل به. ولكن أن ليس أحد يتبرّر بالناموس عند الله فظاهر، لأن البارَّ بالإيمان يحيا، ولكن الناموس ليس من الإيمان، بل الإنسان الذي سيفعلها سيحيا. المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّقَ على خشبة»** (غلاطية ٣/ ١ ـ ١٤).

وهكذا تحول الناموس عنده إلى لعنة، وأن كل من يتبع الناموس هو ملعون، وأن يسوع المسيح نفسه صار لعنة من أجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّقَ على خشبة أي صُلب. وبما أن يسوع قد صلب فهو صار ملعوناً من أجلنا!!.

ويتحدث إلى أهل غلاطية يمنُّ عليهم أنه هو الذي دعاهم إلى يسوع المسيح الرب، وكان من الواجب عليهم أن يعطوه أعينهم لا أن يقفوا ضده ويذهبوا مع الشيوخ في أورشليم ويهتموا بالناموس: «لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني. أفقد صرتُ لكم عدواً لأني أصدق لكم. يغارون لكم ليس حسناً، بل يريدون أن يصدوكم لكي تغاروا لهم» (غلاطية ٤/ ١٣ ـ ١٨).

المعارك بين أهل كورنتوس وأهل أفسس بسبب بولس وأبُلُّس:

انقسم المسيحيون في كورنتوس إلى شيع وأحزاب بسبب بولس ودعوته. ففريق منهم مضوا مع بولس وفريق آخر مع أبُلُّس. يقول في رسالته الأولى إليهم (كورنتوس ١/ ١٠ ـ ٢٠): «ولكنني أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعاً قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات، بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد. لأن أُخبرت عنكم يا إخوتي من أهل خُلُوي أن بينكم خصومات. فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول: أنا لبولس، وأنا لأبُلُّس، وأنا لصفا (أي بطرس)، وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس

صُلب لأجلكم؟ أم باسم بولس اعتمدتم؟ أشكر الله أني لم أعمّد أحداً إلا كريسبس وغايس. حتى لا يقول أحد: إني عمّدت باسمي. وعمدت أيضاً بيت إستفانوس. عدا ذلك لست أعلم هل عمدت أحداً آخر؛ لأن المسيح لم يرسلني لأعمد بل لأبشر. لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله».

ومن الواضح أن أبُلُّس الذي قدم من الإسكندرية ووصفه سفر أعمال الرسل بأنه فصيح اللسان، قد استطاع أن يكسب أعداداً من أهل أفسس. وكان أبُلُّس يعلم تعليماً دقيقاً ويعمّد بمعمودية يوحنا. ولما وصل بولس إلى أفسس مرة أخرى سألهم: هل نلتم الروح القدس حين آمنتم؟ فقالوا: لا. فقال: أية معمودية اعتمدتم؟. فقالوا: معمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمّد معمودية توبة، وأمرهم أن يعتمدوا باسم الربّ يسوع، فأدى ذلك إلى انشقاق بين بولس وأبُلُّس وانقسم أهل أفسس أيضاً إلى فريقين: فريق مع بولس، وآخر مع أبُلُّس. (أعمال الرسل ـ الإصحاح ١٩).

ومن الواضح تناقض بولس فهو يزعم أنه لم يعمد إلا كريسبس وغابس وبيت إستفانوس في رسالته الأولى لأهل كورنتوس. وها هنا يزعم أنه أمر أهل أفسس بالاعتماد من جديد على يديه فاعتمدوا. وفي مواضع أخرى يقول: إنه عمّد كثيراً في مختلف مدن آسيا (الصغرى) واليونان، وفي رسالته إلى أهل أفسس يقول: إنه هو الوحيد بين القديسين الذي عرف سرّ المسيح، وأنه هو الوحيد الذي أعطاه المسيح السلطة بأن يُعلن هذا السرّ، رافعاً نفسه فوق جميع الحواريين الذين كانوا مع يسوع في حياته وشاهدوا صلبه (حسب زعمهم) وقيامته. يقول بولس: «أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم، إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم. إنه بإعلان عرفني بالسرّ، فكتبت بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرؤونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسرّ المسيح، الذي في أجيال أُخر لم يُعَرَّف به بنو البشر.. إن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل، الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته. لي أنا أصغر جميع القديسيين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى، وأنير الجميع فيما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح» (أفسس ٣/ ١ ـ ٩).

وفي رسالته إلى أهل فيلبي يطلب منهم أن يطيعوه بلا جدال، في وجوده وأثناء غيابه. يقول: «إذاً يا أحبابي كما أطعتم كل حين، ليس كما في حضوري فقط، بل الآن بالأولى في غيابي، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة.. افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة.. متمسكين بكلمة الحياة لافتخاري في يوم المسيح بأني لم أسع باطلاً ولا تعبتُ باطلاً» (أفسس ٢/ ١٢ ـ ١٧).

وكان كثيراً ما يحذرهم من الذئاب المختطفة التي ستخطفهم عن طريق يسوع الذي دلّهم هو عليه، فسيأتيهم من يتكلم عن المسيح بطريقة مختلفة ويبعدهم عن الطريق الحق الذي جاء به بولس. ويقول لهم: إنه هو بولس قد أكمل نقائص المسيح!! ففي رسالته إلى أهل كولوسي (١/ ٢٢ ـ ٢٨): «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة، التي صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهر لقديسيه».

وفي رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي يتحدث عن الكنائس التي في اليهودية (أورشليم وما حولها) ويهاجم اليهود حتى المتنصّرين منهم لأنهم يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين ولكن قد أدركهم الغضب حتى النهاية (أسالونيكي ٢/ ١٤ ـ ١٧).

ويتحدث في رسائل عديدة عن الارتداد عن الإيمان بسبب الأرواح المُضلَّة وتعاليم الشياطين، وأصحاب الأقوال الكاذبة عن يسوع الذين يمنعون أطعمة قد خلقها الله (إباحة الخنزير والمخنوق والدم وكل النجاسات وما ذُبح على الأنصاب).. وهو في حرب شعواء مع كنيسة أورشليم وشيوخها المنادين بتطبيق الشريعة، والذين قاموا ضد بولس، الذي أعلن بصراحة انطلاقه وتحرره من الناموس، فالناموس لعنة، ويسوع قد صار لعنة من أجلنا حتى يحررنا من لعنة الناموس!!.

وفي رسالته إلى تيطس (الإصحاح الأول) يقول: «فإنه يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين من الختان (أي اليهود المتنصرين المختونين) الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها (أي يجعلونهم يرتدون عن دين بولس)، معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح».

وقال عن الكريتيين: «إنهم دائماً كذّابون، وحوش رديئة، بطون باطلة.. ويطلب منهم أن لا يصغوا إلى خرافات يهودية (أي منطقة يهودية وهي جنوب الضفة الغربية من فلسطين وتدخل فيها أورشليم)؛ لأن هذه هي منطقة الشيوخ والحواريين الذين اشتدوا على بولس عندما علموا حقيقة تعاليمه ورفضه للناموس، ورفعه ليسوع من رسول كريم إلى ربّ وابن الإله. وإعلانه عقيدة الإله الذي نزل وتعذّب في صورة بشر ومات ثم قام.. وهي عقيدة وثنية كما أسلفنا.. فوقف شيوخ الكنيسة والحواريون ضده، ولكن بولس بانطلاقه بين الأمم الوثنية وإباحته لهم كثيراً من عقائدها، وتخلصه من الناموس والختان، وإباحته لهم أَكْلَ المحرمات من الدم والخنزير والمخنوق والمذبوح على النصب والأصنام استطاع بولس أن يكسب إلى صفه الأعداد الكبيرة من الوثنيين، الذين ازداد عددهم بعد وفاة بولس ودخول قسطنطين الإمبراطور في المسيحية في القرن الرابع للميلاد، وبالتالي تم القضاء الكامل على جميع الموحّدين من الفرق اليهودية التي آمنت بيسوع رسولاً ونبيّاً. وتحول الدين الذي جاء به عيسى ﷺ من دين توحيدي خالص إلى دين خليط من الوثنيات وبعض ما جاء به المسيح ﷺ.

الباب السادس

إعجاز القرآن الكريم في توضيح التأثيرات الوثنية في المسيحية

التأثيرات الوثنية في المسيحية

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

موجز التأثيرات الوثنية في اليهودية(١):

يحدثنا القرآن الكريم أن اليهود قد رفعوا مكانة عُزير (عزرا) إلى درجة جعلوه فيها ابن الله، وقد وقع ذلك من فرقة منهم. ثم ظهر فيهم الأنبياء ونهوهم عن ذلك. وتحدثُنا أسفار التوراة والعهد القديم عن انتشار العقائد الوثنية في بني إسرائيل، وعبادتهم للعجل وعشتروت والبعل وملكوم، وكل الرجاسات التي كانت موجودة في الأمم المحيطة بهم. وفي زمن القضاة (١١٥٧ ـ ١٠٢٠ قبل الميلاد) عبدوا الأوثان سبع مرات. وتتكرر في سِفر القضاة عبارة «وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب. وعبدوا البعلين (جمع البعل وهو أحد آلهة الكنعانيين وخاصة في منطقة بعلبك)، وتركوا الربَّ إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر. وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم. وسجدوا لهم وأغاظوا الربّ. وعبدوا البعل وعشتاروت (وهي نجمة الزهرة المعروفة أيضاً باسم فينوس) فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين وباعهم بيد أعدائهم، [سفر القضاء ٢/ ١١ ـ ١٥]. ويرسل لهم الرب من يعيدهم إلى عبادة الله فيعودون، ثم ينكصون على أعقابهم ويتكرر ذلك في سِفر القضاة سبع مرات. والشيء ذاته يقال عنهم في جميع أسفار التوراة والعهد القديم، وقد بلغت بهم الوقاحة والكذب أن اتهموا هارون ﷺ بأنه هو الذي صنع

---

(١) انظر: كتاب المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، وكتاب الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم لكاتب هذه السطور. دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م (ص٧٣ ـ ٧٥) و(٨٦ ـ ١٠١) و(٤٠٩ ـ ٤٢٦).

لهم العجل، وهو الذي أمرهم بعبادته. كما كذبوا على سليمان ﷺ وزعموا أنه سار وراء زوجاته (ألف امرأة ما بين زوجة ومحظية) وعبد معهن البعل وملكوم وكل الرجاسات وبنى لهن المعابد والمرتفعات. وقد جاء في سفر الملوك الأول (١١/ ١ ـ ١٢): «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون. مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيّات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم؛ لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلـٰهه كقلب داود، فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الربّ، ولم يتّبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعه (معبد) لكمّوش رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم. ولمولك رجس بني عمّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كُنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الربُّ على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ وصايا الرب».

وازداد عتوّ اليهود وعبادتهم للأوثان في عهد الملكية. فبعد وفاة سليمان انقسمت المملكة القوية التي أسسها داود، ووسعها سليمان، إلى مملكتين صغيرتين متنافستين: أحدهما في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس)، وتضم عشرة أسباط من بني إسرائيل، وتعرف باسم مملكة إسرائيل، والثانية في الجنوب وعاصمتها أورشليم (القدس)، وتضم سبطي يهوذا وبنيامين. وكانت مملكة الشمال أشد عتواً وفجوراً وعبادة للأوثان، فزالت على يد الملك الآشوري سرجون الثاني سنة ٧٢١ قبل الميلاد. وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى أسقطها نبوخذ نصّر البابلي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد. وكانت كلاهما تعبد الأوثان، إلا أن مملكة يهوذا كانت تعود في أحيان كثيرة إلى عبادة الله الواحد الأحد وتستمع إلى إنذارات الأنبياء وتقريعاتهم، فيتركون عبادة الأوثان، وكل المظالم، ولكنهم سرعان ما يعودون لها، حتى انتهت كلا المملكتين وتشرَّد اليهود في الأرض، ولكن الأنبياء لم ينقطعوا، وكانوا يحذِّرونهم من الأوثان وعبادتها، ومن الاختلاط بالأمم الأخرى والتزاوج معهم، فأدى ذلك إلى انعزال اليهود، وتكون

الجيتوهات، ولكنهم على الأقل بقوا بعيدين عن عبادة الأوثان. وتشدَّد الأنبياء والأحبار في هذه القضية فخلت اليهودية بعد ذلك من العبادة المباشرة للأوثان. ولكنها لم تَخْلُ تماماً من التأثيرات الوثنية الخفية.

موقف النصارى من عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)﴾ [النساء: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)﴾ [المائدة: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٧].

لقد أشرت في الباب الخامس (بولس صانع الأسطورة) إلى كيفية دخول العقائد الوثنية إلى المسيحية بواسطة بولس مؤسس الدين المسيحي، ونقلت فصولاً مختصرة مما كتبه رئيس قسم تاريخ الأديان وأستاذ الديانة المسيحية في جامعة باريس (شارل جينير) في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) وترجمه شيخ الأزهر الإمام الشيخ عبد الحليم محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قصة موت الإلٰه وبعثه:

وقد ولد بولس في مدينة طرسوس (في تركيا اليوم)، وكانت مدينة هيلينستية، وتجارية، وانتشرت في رحابها المعابد الوثنية، والمدارس اليونانية. وكانت فكرة الإلٰه الذي ينزل من السماء ويولد بصورة بشرية ثم يتعذب، ثم يموت، ثم يخلق من جديد فكرة منتشرة، في كل من آسيا الصغرى، وسوريا، وبلاد الرافدين، واليونان، ومصر.

وتتماثل قصة موت الإلٰه وبعثه في الديانات الوثنية بما هو موجود في المسيحية التي تشربت منها ذلك. فالإلٰه يتعذب كما يتعذّب الإنسان، ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلّب على الموت ويبعث من جديد ليُظهر مجده وقوته. ويقوم الأتباع والمؤمنون بهذه العقيدة بتجديد الاحتفال بموت إلٰههم، وبعثه، في كل عام في الموعد المحدد. (عادة ما يرتبط ذلك بموعد الانقلاب الشمسي أو بتغيير الفصول أو بالمواسم الزراعية). ويفترض في المؤمن أن يشارك في قصة التعذيب بمجموعة من الطقوس تنتهي بأن يتحد جسداً وروحاً بهذا الإلٰه الإنسان، وبحيث يحلّ الربُّ فيه بواسطة هذه الطقوس، فأتيس وأدونيس وأوزريس وسيبيل كلها تتحول إلى آلهة بعد أن تعذبت في صورة بشرية ثم ماتت، ولكن قيامها بعد الموت يشَكّل لحظة الانتصار على الآلام وعلى الخطيئة. وتتكامل الصورة باتحاد المؤمنين بهذا الإلٰه عبر أكل لحمه (الخبز)، وشرب دمه (الخمر)، أو بصورة ذبح ثور خاص ينهمر فيه دم الثور على المؤمنين الذين تم تعميدهم بدم الثور الإلٰه الذي تجسّد فيه الرب في تلك اللحظة. وينزل المؤمن إلى الحفرة التي يتساقط إليها دم الثور. . . وتمثل الحفرة الهاوية أو الموت الذي نزل بالإلٰه، ونزل

بالمريد الذي يتلقّى دم الثور (الإله أتيس) ويتشرَّبه ويمتزج به حتى إذا خرج من الحفرة اعتبر مولوداً جديداً، فيُسقى اللبن كما يسقى المولود، ويخرج وقد تطهر من الآثام كما يخرج الطفل ملوثاً بدم النفاس، ومع ذلك فقد تشرَّب جسمه وروحه دم الإله وامتزج به، فأصبحت له السعادة الإلهية. وعليه بعد ذلك أن يتحّد مع الآلهة سيبيل كما فعل أتيس، ويتقرّب إليها بتقديم الأعضاء التناسلية للثور لها، وهو ما يرمز إلى الزواج الذي يتم روحياً في حجرة العرس الخاصة بالأم الكبرى.

وتتم هذه الاحتفالات مع هذه الآلهة أتيس، وميثرا الفارسي، وبعل السوري، وساندان إله الخصب، وأوزوريس المصري في طقوس معقدة، ومآدب ضخمة حيث يتناول المؤمنون الطعام والشراب على موائد الإله المعبود.

طقوس القربان (العشاء الرباني، العشاء المقدس، الأفخارستيا):

وهذه الطقوس مع بعض التحوير نراها في المسيحية في احتفالات عيد الفصح المجيد (إيستر) المرتبطة بالقربان (العشاء الرباني، الأفخارستيا Eucharists)، والتي أدخلها بولس إلى المسيحية، وركز على فكرة الخلاص حيث إن الله أنزل ابنه الوحيد والأثير لديه، والأبدي والخالد، في صورة بشرية ليولد بواسطة الروح القدس من مريم العذراء ثم ليتعذَّب، ويُصلب، ثم يموت فداء للبشر وتكفيراً لهم عن خطيئتهم الأولى (خطيئة آدم الذي أكل من شجرة المعرفة)، وعن كل خطاياهم. ثم يقوم من بعد الموت ليجلس على كرسي مجده الأبدي مبشّراً بعودته القريبة ليدين كل من لم يؤمن به، ويثيب المؤمنين بحياة سعيدة أبدية خالدة. وقد جعلهم بواسطة طقوس القربان يتحدون به لحماً ودماً ونسبوا ذلك إلى يسوع. فقد جاء في إنجيل متّى (٢٦/٢٦ ـ ٢٨): «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ. وقال: خذوا كلوا. هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا». وجاء مثله تماماً في إنجيل مرقس (١٤/ ٢٢ ـ ٢٤). وفي إنجيل يوحنا تأتي تفاصيل أخرى لم ترد في الإنجيلين السابقين، ففيه (٦/ ٣٢ ـ ٦٦): «فقال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم

الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم. فقالوا: يا سيد، أعطِنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع: **أنا خبز الحياة. ومن يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً... لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني... فكان اليهود يتذمَّرون عليه لأنه قال: أنا هو الخبز الذي نزل من السماء،** وقالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه. فكيف يقول هذا: إني نزلت من السماء؟ فأجاب يسوع وقال لهم: لا تتذمّروا فيما بينكم. لا يقدر أحد أن يُقبل إليّ إن لم يجتذبه الأب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير. إنه مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلّمين من الله. فكل من سمع من الأب وتعلَّمَ يُقبل إليّ. ليس أن أحداً رأى الأب إلا الذي من الله. هذا قد رأى الأب. **الحقَّ الحقَّ أقول لكم: من يؤمن بي فله حياة أبدية. أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم».**

فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم يسوع: الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الأب، وأنا حي بالأب، فمن يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المنَّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد». «فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه. فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمَّرون على هذا، فقال لهم: أهذا يعثركم؟ فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً. الروح هو الذي يُحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة، ولكن منكم قوم لا يؤمنون... من هذا الوقت رجع كثير من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه». وهكذا انفصل عنه عدد من أتباعه اليهود.

ولا شك أن فكرة أكل الإلٰه، وشرب دمه، فكرة وثنية لم يقل بها عيسى عليه السلام، بل أتى بها بولس، وتبعه فيها كُتَّاب الأناجيل الذين جاؤوا بعده. وسننقل فيما يلي ما جاء عن القربان المقدس بأقلام الباحثين من النصارى أنفسهم في كتاب بولس وتحريف المسيحية لهيام ماكبي[1].

اتحاد المؤمن مع الإلٰه في الأفخارستيا (القربان المقدس، العشاء الرباني):

يعني القربان المقدس اتحاد المؤمن مع الألوهية، وذلك بأكل جسد المسيح وشرب دمه وهذا يعني تأليه عيسى. ومن المستحيل أن يتفق هذا التأليه مع الرأي القائل: بأن عيسى كان المسيح الذي ينتظره اليهود.

إن القربان المقدس لا يعني الاشتراك في الألوهية وحسب، بل يعني أيضاً معنى (التضحية) بكائن سماوي وهو الإلٰه أو ابن الإلٰه وهو هنا يسوع الناصري، لافتداء الإنسانية. إن المسيحي يشترك في جسد المسيح كما كان اليهود يأكلون لحم الخروف في الفصح. ولقد شبه بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى (٥/٧) المسيح بالخروف حين قال: لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا... وكثيراً ما يرد في الإنجيل أو رسائل بولس الحديث عن يسوع الناصري باسم الخروف.

ومثل هذا المفهوم لموت عيسى لا ينسجم مع التراث النبوي اليهودي؛ لأنه يعيد الاعتبار للتضحية بالبشر التي نددت بها أسفار العهد القديم. وكانت التوراة تعتبر التضحية بالحيوان هي البديل الكامل والإلغاء التام للتضحية بالبشر. وهذا معروف في قصة إبراهيم وابنه الذي أراد أن يضحي به فأبدله الملاك بالخروف.

إن القربان المقدس يعني أن الخلاص هو موت المسيح وسفك دمه، وفي ذلك عودة إلى الوثنيات القديمة ومجانبة تامة لما في العهد القديم من تعاليم. وقد قال المسيح: ما جئت لأنقض الناموس.

وتزعم الأناجيل أن يسوع هو الذي أسس القربان، وقد سبق أن ذكرنا ما

---

(١) كتاب (بولس وتحريف المسيحية) هيام ماكبي، ترجمة سميرة عزمي الزين، ص٤٧ وما بعدها.

جاء في إنجيل متّى ولوقا وإنجيل مرقس (١/ ٢٢ ـ ٢٤): «وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا كلهم. وقال لهم: هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين». وفي إنجيل يوحنا ٦/ ٥٣ ـ ٥٨ أشد من ذلك كما سبق أن ذكرناه قريباً.

وقد أدى هذا الكلام الغريب إلى أن يتراجع كثير من الأتباع فقد جاء في إنجيل يوحنا ٦/ ٦٦: «ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه». وقد جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١/ ٢٣ ـ ٣٠ تفصيل القربان المقدس. وبما أن بولس عاش قبل كُتَّاب الأناجيل وكان لوقا أحد تلاميذه وأتباعه، فإن قصة القربان والعشاء الأخير اخترعها بولس ونقلها عنه كُتَّاب الأناجيل الذين جاؤوا بعده. (كُتبت الأناجيل فيما بين عام ٧٠ و١٢٠ بعد الميلاد، بينما كتبت رسائل بولس فيما بين ٥٠ و٦٠ بعد الميلاد).

وكان بولس يدّعي أنه لا يتكلم إلا بما يخبره به المسيح عن طريق الوحي: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم». ولهذا فقد اهتم الدارسون المسيحيون بمسألة تلقي بولس الوحي من المسيح، وأدى ذلك إلى خلافات عديدة بينهم، فالقول: بأن بولس هو الذي افترى واخترع القربان المقدس يعني أنه هو الذي أسس هذه المسيحية، لا عيسى، أي أن السر الجوهري للمسيحية ـ وهو ما يميزها عن الديانات السماوية ـ لم يأت به عيسى. وإن اشتراك المؤمن في جسد المسيح الديني ـ وذلك بالتهام جسد الإله ـ لم يقل به يسوع. ولو علم بذلك عندما كان حياً لاعتبره مفهوماً مُقرفاً مقززاً، وهو مفهوم موجود لدى كثير من الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة للمسيح.

«إن الدراسة التاريخية للكنيسة المسيحية الأولى، وهي كنيسة القدس التي أسسها يعقوب العادل وبطرس تقول: إنها لم تمارس طقوس القربان المقدس. ولو صحَّ أن يسوع هو الذي أسس القربان لكانت كنيسة القدس أول من طبق هذا القربان لأنهم هم قد حضروا العشاء الأخير.

«وهذا لا يعني أن يسوع لم يوزع الخبز والنبيذ على تلامذته في العشاء الأخير، لقد كان ذلك طبيعياً، وكانت تلك عادة اليهود وخاصة في الأعياد عندما ينهض كبيرهم على المائدة فيحمد الله ثم يكسر الخبز ويعطي قطعة منه لكل مدعو. وفي نهاية المأدبة يحمد الله مرة ثانية ويرفع كأس النبيذ، وتنتقل الكأس

من واحد لآخر، وذلك كله شكراً لله على ما أنعم. ولكن ذلك لا يعني أبداً تحول الخبز إلى جسد والنبيذ إلى دم، وهذا هو افتراء بولس الذي حوَّله إلى طقس وثني.

«وبما أن فكرة شرب الدم مُحرَّمة ومقزِّزة لدى اليهود فإن القول: بأن النبيذ دم يسوع هو في حد ذاته فكرة مقزِّزة ومقرفة للمستمعين اليهود سواء كانوا من أتباع يسوع وأنصاره أم من أعدائه.

«ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن عبارة بولس (عشاء الرب) وهي العبارة التي استعملها للقربان المقدس كانت شائعة جداً في الديانات الوثنية والباطنية. وقد أحرجت عبارة عشاء الرب آباء الكنيسة الأوائل وأزعجتهم مما اضطرهم لاستبدالها بعبارة (القربان المقدس).

«وكان المؤمنون بهذا الطقس من أتباع بولس، ومن جاء بعدهم، يعتقدون أن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح ودمه بطريقة سحرية معجزة في كل مرة يمارسون فيه هذا الطقس الغرائبي. ولهذا قال لهم بولس: «ولكن ليمتحن الإنسان نفسه. هكذا يأكل الخبز ويشرب من الكأس؛ لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميِّز جسد الرب» الرسالة الأولى لأهل كورنثوس (٦/ ٢٨، ٢٩).

«ولقد سبق للمؤرِّخ هانس ليتزمان أن برهن على أن أتباع عيسى في كنيسة القدس الأولى التي أسسها يعقوب العادل وبطرس، وهما اللذان كانا مع المسيح ومن أخص حوارييه لم يقوما قط بممارسة طقوس القربان المقدس. ولم يكن الحواريون يرون أبداً أنهم يأكلون لحم يسوع ولا يشربون دمه عندما كانوا يقتسمون الخبز ويشربون من كأس واحدة، بل كان ذلك أمراً مشتركاً ومشاعاً بينهم منذ عهد آبائهم واستمر في عهد يسوع وبعده دون أن يكون له أي معنى من معاني التجسد.

«إن بولس هو الذي أسس القربان المقدس وأضاف عليه بأنه رأى المسيح (في الرؤيا) في العشاء الأخير يعطي التعليمات والتفصيلات لهذا الطقس السري. ولقد أضيفت رؤيا بولس بعد ذلك إلى الأناجيل فاعتبرتها الأغلبية الساحقة من مؤرِّخي العهد الجديد حقيقة واقعة، أما تلامذة عيسى الذين أسسوا كنيسة القدس فإنهم لم يمارسوا أبداً هذا الطقس المُقَزِّز.

ويتحدث أندريه نايتون[1] عن القربان (الأفخارسيتا) فيقول:

«من بين الآثار الفارسية (موجود في متحف اللوفر بباريس) تمثال لأتباع الإله ميثرا يتناولون فيه الخمر والخبز يرمزون بذلك إلى لحم معبودهم ميثرا ودمه (وهو ما يقوله المسيحيون عن سر القربان Eucharist حيث يتحول الخبز إلى لحم المسيح والنبيذ إلى دمه).

«وقد ورد في إنجيل متّى على لسان المسيح (٢٦/٢٦ ـ ٢٨): «خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا دمي».

وقد تخلى عنه بعض أتباعه عندما قال هذا الكلام استنكاراً له. وجاء في إنجيل يوحنا (٦/٥٣، ٥٨): «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً، كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيه. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالابن فمن يأكلني فهو يحيا بي».

«وتدل رسائل بولس على أن هذا الطقس قد أقيم على أساس مادي حتى يتماشى مع الطقوس الوثنية القديمة.

«لقد كان لكل قبيلة طوطمها الحيواني الذي تعبده. وكان أفراد القبيلة يضحون أحياناً بهذا الإله الحيواني ويلتهمون لحمه (نيئاً) ودمه اعتقاداً منهم بأن ذلك يكسبهم فضائل سماوية، كما تعتقد المسيحية الحالية أن التهام لحم المسيح ودمه المتمثل في الخبز والنبيذ فيما يسمى القربان المقدس Eucharist سيُكسب المؤمنين فضائل غير بشرية خالدة، ويؤكده لهم قول المسيح حسبما جاء في (إنجيل يوحنا ٦/٤٧ ـ ٥١): «الحقّ أقول لكم: من يؤمن بي فله حياة أبدية... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم».

---

(١) أندريه نايتون (الرموز الوثنية للديانة المسيحية). اختصرته وترجمته سميرة عزمي بعنوان: الأصول الوثنية للمسيحية، ص٦١.

«ويقول معظم علماء الأديان: إن أكل اللحم النيئ وشرب الخمر في أسرار قربان ديو نيزوس لم يكن رمزاً روحياً بل مناولة حقيقة. يقول الكاتب أرنوب في كتابه (ضد الوثنيين): إن هؤلاء حين كانوا يتناولون اللحم النيئ إنما يعتقدون أنهم يمتلئون بالفضيلة الإلٰهية.

«ويقول الأب لاجرانج في كتابه عن أورفيوس: «إن أكل اللحم النيئ كان يهدف إلى التوغل في الحياة الإلٰهية، وذلك بالتهام الحيوان الإلٰهي لحماً ودماً».

«ويقول فرانزكومون: إن نبيذ القربان المسيحي هو بديل للنبيذ الذي كان يُقدَّم في أعياد باخوس، وإنه شراب يضمن الخلود في العالم الآخر (وهو أحد رموز طقوس الدفن عند الرومان). ويقول العالم الفرنسي شارل غينيبير في كتابه عن المسيح (ص٣٧٣): إن علماء الآثار المصرية وجدوا نصوصاً على ورق البردي تدل على أن دم الإلٰه أوزيريس كان يتحول إلى الخمر، والعكس صحيح أيضاً.

«وهذه العقائد أيضاً موجودة لدى أتباع الأديان الشرقية القديمة ومنها عبادة الآلهة آثار غاتيس السورية[١]».

القربان المقدس كما يصفه كارل يونج العالم النفسي الشهير[٢]:

لقد وصف القربان المقدس في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١/ ٢٣) وإنجيل يوحنا (١٥/ ١ ـ ٥) العشاء الأخير.

وإننا لا نجد في تاريخ المسيحية إقامة لشعيرة القربان المقدس إلا بعد العام ١٥٠ بعد الميلاد. والواقع أن القداس هو القربان الوثني المقدس بعد أن أضيف إليه كثير من الطقوس المعقدة.

طقوس تمهيدية ← تقدمة القربان ← التكريس ← المناولة ← الختام.

وكلمة القربان موجودة في العهد القديم وفي التوراة لدى اليهود، وهي في

(١) أندريه نايتون: المفاتيح الوثنية للمسيحية، ترجمته باختصار سميرة عزمي الزين بعنوان: الأصول الوثنية للمسيحية، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م، ص٦١ ـ ٦٤.

(٢) كتاب كارل يونج: علم النفس والأديان الغربية والذي نقلت منه سميرة عزمي في كتاب الأصول الوثنية للمسيحية فصل تحولات الرموز في القداس الأصول الوثنية للمسيحية، ص١٢٣ ـ ١٤٧.

الأصل كلمة عبرية، وعندما تمت ترجمة التوراة إلى اليونانية وضاعت التوراة العبرية بقيت كلمة القربان، وظنها كثير من الكتاب أنها يونانية الأصل. (وهي تستخدم أيضاً في اللغة العربية وهو تقريب الضحية لله، أو الذبح لله، وكان القربان المقبول عند اليهود أن تأتي نار من السماء فتأكله وغير المقبول يبقى مكانه. فلهذا دخلت كلمة المحرقة أيضاً في المعاني المرتبطة بالقربان)... وأما عند الأمم الوثنية فكانت الضحية تقدم للأوثان وتشوى لها. وكان دخان الشواء يرضي الآلهة، ولحم الشواء يُرضي الكهنة. وفي مرحلة لاحقة صار الوثنيون يؤمنون بأن هذا الدخان هو الشكل الروحاني للقربان. وفي التوراة وأسفار العهد القديم يُسرُّ (يهوا) [الله] جداً برائحة الشواء المقدَّم له في القربان... ويقوم بإعطاء من يقدم له القربان جميع طلباته ـ وخاصة إذا كانت من كبير اللاويين والكهنة ـ ويعطيهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً ويمنحهم أرض الكنعانيين... إلخ.

والقداس المسيحي يعني أن الخبز المقدّم في القربان يتحول إلى لحم المسيح والنبيذ المقدّم في آخره هو دم المسيح.

ويعتبرون ملكيصادق الملك الكاهن اليبوسي الذي استقبل إبراهيم ﷺ عند قدومه القدس وباركه هو الكاهن الأعلى الذي يتم على يديه تقديم القربان. ولهذا جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين ١٧/٧: «لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصادق». وقال عنه بولس: «إنه بلا أب ولا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو شبه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد». (رسالة بولس إلى العبرانيين ٣/٧). وواضح أن شخصية ملكيصادق صارت عند بولس تمهيداً لشخصية المسيح التي صارت تجسيداً للكلمة.

إن فكرة الرهبنة والقربان المقدم لله يشير إلى تحول جوهر الأشياء وتغيرها، وهذا ما يشكّل العنصر الثالث في القداس. وهو السر الحق المتمثل في أبدية الرهبنة، أو الكاهن الخالد على غرار ما فعله ملكيصادق، وعلى غرار التضحية التي يقدمها لله باستمرار.

إن شعائر القداس تمضي بهذه الأشياء مرحلة مرحلة إلى أن تصل إلى الذروة في التكريس حين يعتقد الكاهن والمصلون أن المسيح نفسه بدأ يتكلم على لسان الكاهن، في تلك اللحظة يعتبر المسيح حاضراً في الزمان والمكان.

الطقوس:

رفع الخبز:

يرفع الكاهن خبز القربان نحو الصليب المعلّق فوق المذبح، ويرسم شارة الصليب على طبق القربان، وبذلك يدخل الخبز في علاقة مع المسيح ومع موته على الصليب حيث يتحول الخبز إلى ذبيحة أو قربان!! وبالتالي يصبح مقدساً.

تحضير كأس القربان:

للخمر عند شاربيها بُعْدٌ روحاني[1] خاصة، وأنها مخصصة للكاهن عند الرومان. ويضاف قليل من الماء إلى الخمرة حيث إن الماء هو الوجه الطبيعي أو المادي، والمزج عند الكنيسة الكاثوليكية يشير إلى الطبيعة المزدوجة للمسيح من الروح والجسد. ويقول مطران قرطاجنة ٢٥٨م في تفسيره لهذه الظاهرة: إن الخمرة تعني المسيح بينما الماء يعني المسيحيين. ولا بد من مباركة الماء قبل مزجه بالخمر لأن المسيحي يؤمن بضرورة تطهير جسده قبل امتزاجه مع المسيح، ولذا لا تمزج الخمرة إلا بماء طهور تمت مباركته من قبل الكاهن لأن المسيح لا يتحد إلا مع المصلين الأطهار!!.

وبعد صلب المسيح جاء واحد من العسكر وطعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء (إنجيل يوحنا ١٩/ ٣٢ ـ ٣٤). ويقول بطريرك القسطنطينية عام ٤٠٧ بعد الميلاد: إن المسيح عندما كان يشرب الخمر إنما كان يشرب (ماء نفسه).

إعلاء الكأس:

يرفع الكاهن كأس الخمرة إلى أعلى لكي تصير الخمر روحانية تماماً. ويدخل روح القدس ويحول الخمر إلى روح ويسكنها. ثم توضع الكأس على يمين الخبز المقدس، ويفسر الكاهن ذلك بأن دم المسيح تدفق من الجانب الأيمن من جسده عندما طعن الجندي الروماني.

التبخير:

ويرسم الكاهن علامة الصليب ثلاث مرات فوق الخبز والنبيذ مستخدماً المبخرة، بعد ذلك يبخّر الكاهن المذبح. وعملية التبخير ترمز عندهم لعملية

---

(١) تسمى الخمور المشروبات الروحية بناء على وهم أنها تنعش الروح. وهو وهم باطل.

التطهير وطرد الشياطين وجميع الأرواح الشريرة، ويرفع البخور الصلاة إلى السماء.

وبذلك يعتقد الكاهن والمصلون أن الهدايا التي قدموها للرب صارت مطهَّرة بعد أن خرجت من طبيعتها الأصلية وتحولت، وهم أيضاً قد تطهّروا بهذه الطقوس وصاروا جاهزين للاتحاد مع المسيح. وتقول الصلاة: «مبارك الذي يجيء باسم الرب. . . تعالَ أيها الرب المسيح، أيها الكاهن الأسمى،تعالى واظهر بين أتباعك». ويعتقد هؤلاء (المجانين): أن المسيح يظهر فعلاً بقوة هذه الطقوس، وهذه هي ذروة القداس.

التكريس:

ويتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه فعلاً، ويتكلم المسيح مباشرة على لسان الكاهن، ويقول يوحنا الدمشقي: «إن للكلام معنى مقدساً مهما كان الراهب أو الإنسان الذي يقوله. إنه حين يلفظ هذا الكلام إنما يجعل المسيح نفسه يتكلم». وأعلن مجمع ترانت (١٥٤٢م ـ ١٥٦٣م) أن المسيح نفسه يكون حاضراً في الخبز والخمر والمطهّرين، وفي القرن السادس عشر تبنّت الكنيسة الكاثوليكية أقوال أسقف مدينة ليون كمويستا، ومفادها «أن المسيح يُذبح على يد الراهب كل مرة». ولهذا يستلُّ الكاهن مِبْضَعاً صغيراً يغزُّه في الخبز إشارة إلى ذبح المسيح وإلى طعن الجندي له بالحربة. ويقول الكاهن: «ها قد ذُبح خروف الله».

ويعتبر التكريس قمة القربان، وتتلى بعد التكريس عدة صلوات ليقبل الربُّ المسيح هدايا عبيده «لنلتقِ جميعاً أمام هذا المذبح وبفعل المناولة نأكل جسد ابنك المقدس ونشرب دمه لنمتلئ بالنعمة السماوية». ثم يرسم الكاهن الخمر بعد أن يضع فوق الكأس شارة الصليب ثلاث مرات قائلاً: «بواسطته، ومعه، وفيه». ثم يرسم شارة الصليب مرة أخرى، ويكسر الخبز ويمزج الخبز بالخمر، ويقول الكاهن: «برغم أن الخبز والخمر اثنان فإنهما فعلياً واحد». ثم يقول: «فليكن هذا المزج والتكريس بين جسد الرب ودمه عوناً لنا».

ويقوم الكاهن بمناولة الحاضرين قطعة قطعة من الخبز المغموس بالخمر أي لحم المسيح ودمه، والذي تعذَّب على الصليب مرة أخرى أمامهم. وبذلك يتم

الامتزاج التام بين المسيح دماً ولحماً وبين جماعة المؤمنين!! وهذا ما يُعبّر عنه القداس بالتناول الحسي لجسد المسيح ودمه. ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بحرفية سر القربان بينما رفضت الكنائس البروتستانتية هذه الخزعبلات واعتبرتها قصة رمزية لا تمارس اليوم، ويكفي أن المسيح قد قدم دمه وجسده للمؤمنين... وما ذكر عن القربان والعشاء المقدس وعقيدة الأفخارستيا Eucharist Dogma إنما هو أمر رمزي بالنسبة للمؤمنين بيسوع. ولهذا فإنهم لا يهتمون كثيراً بممارسة هذا الطقس، وإذا مارسوه لم يعتقدوا أن المسيح يحضر فعلياً في أثناء ممارسة الطقس... ولا يعتقدون أنه يتجسد فعلياً في الخبز والخمر، وإنما هي أمور رمزية تدل على تضحية يسوع الفعلية بنفسه من أجلنا، ومن أجل رفع الخطيئة، وحصول النعمة.

والعجيب حقاً أن الكاثوليك والأرثوذكس والكنائس الشرقية لا تزال تؤمن بحرفية تحول الخبز والنبيذ إلى لحم المسيح ودمه... وأن المسيح نفسه يحضر القداس ويتجسَّد في الكاهن... .وما أن تتم المناولة وأكل المسيح وشرب دمه، حتى يتّحد المؤمنون بربهم اتحاداً جسدياً وروحياً، ونفسياً وبدنياً... وهو أمر لا يكاد يتصوره الإنسان العاقل ويعتبره من أغرب الغرائب التي لا يقولها سوى مختلي العقول.

عقيدة التثليث وعناصرها الوثنية:

بولس رائد عقيدة التثليث:

تزعم المسيحية أنها فريدة حيث وضعت عقيدة التثليث: الله (الآب)، الابن، الروح القدس. وتطورت هذه العقيدة منذ عهد بولس الذي رفع قدر يسوع من إنسان إلى إله وابن إله، ولكنه كان أقل من الأب، وهو يخضع للأب الذي أرسله ويطيعه ويسمع له وينفذ إرادته. ويقول بولس في رسالته لأهل كولوسي: إن يسوع هو سيد الكنيسة ورأسها، وإنه كان دائماً اليد اليمنى لله منذ بدء الخليقة، ولقد سُرَّت ملاءة الله أن تسكن فيه، ولم تنقسم بين عديد من نسله الروحي أو أحبائه المفضلين. يتكلم بولس على لسان يسوع أن الله أرسله بشكل جسد خطاء.

يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي (١/ ١٢ ـ ٢٢): «شاكرين الأب الذي أهَّلَنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة،

ونقلنا ملكوت ابن محبته الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا. الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل: ما في السموات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة. الذي هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء، لأن فيه سر أن يحلّ كل الملء. وأن يصالح الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات... قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت».

ويكرر بولس أن الله أرسل ابنه الأثير لديه في صورة بشرية ليتعذب ويموت على الصليب، ثم يقوم من بعد الموت ليتمجّد... وقد فعل ذلك كله من أجل مغفرة خطايانا منذ آدم إلى يوم الدينونة... وصار يسوع المسيح بذاته لعنة كما صار هو الخطيئة ليتحمل عنا الخطيئة واللعنة. ونحن نتّحد به، ونتوحد فيه بالاعتماد (التعميد)، وبطقوس القربان المقدس، وبالنعمة.

الأب أعظم من الابن في الأناجيل ولدى بولس:

ورغم ذلك فإن الأناجيل الأربعة (ما عدا بعض فقرات في إنجيل يوحنا خاصة) تصوّر يسوع الناصري كما يقول الأب سيداروس اليسوعي في كتابه (تكوين الأناجيل)[(١)] بصورة بشرية عادية، وهو نفسه لا يدعي سوى أنه بشر، رسول من عند الله، وله معجزات شفاء المرضى، وتكثير الطعام وإقامة بعض الأشخاص بعد موتهم، ولكنه لا يعلم متى الساعة؟ ولا يعلم حتى إنه المسيح فضلاً عن أن يكون ابن الله، والأقنوم الثاني في التثليث المسيحي (الله الآب، يسوع الابن، والروح القدس). وكل واحد منهم هو إله منذ الأزل وإلى الأبد. وهو أمر يصعب فهمه ولا يمكن أن يُتصوَّر من الناحية العقلية، ولا وصول إليه إلا بنعمة الإيمان.

ومع هذا فتبرز مقاطع عدة من الأناجيل يسوع المسيح الممجَّد السيد Lord - Kyrios وخاصة إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الصريح الذي قال: إن يسوع هو

(١) تكوين الأناجيل بقلم الأب سيداروس اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥، ٦.

ابن الله الأبدي الأزلي الذي ظهر بصورة بشر يتألم، ويتعذب، ويموت من أجلنا، ويرفع كل الخطايا عنّا. وقد قام بعد صلبه وموته ليجلس على يمين الأب، وليحاكم كل من رفضوه يوم الدينونة، فيرسلهم إلى الجحيم، بينما يرفع كل الذين آمنوا به في النعمة إلى النعيم الأبدي السرمدي.

ويورد يوحنا في بدايته تلك التعبيرات الغنوصية الفلسفية الأفلوطينية عن (اللوجوس) الكلمة. «في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (يوحنا ١/١ ـ ٥). وما عدا ذلك فلا يوجد في الأناجيل ما يشير إلى عقيدة التثليث، بل في معظم الأحوال كان يسوع يتحدث عن نفسه بلفظ ابن الإنسان. ويعتقد كثير من الباحثين المسيحيين أن خاتمة إنجيل متّى أضيفت إليه بعد أن استقرت العقيدة المسيحية في القرن الرابع للميلاد وذلك أن يسوع بعد أن قام، واجتمع بالتلاميذ الأحد عشر كلمهم يسوع، وقال: **«دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتَلْمِذوا جميع الأمم، وعَمِّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين»**. (متّى ٢٨/١٦ ـ ٢٠). ويتحدث الأب سيداروس اليسوعي عن الأناجيل بأنها ليست كتباً تاريخية ولا كتبَ سيرة ليسوع المسيح، بل هي كتب إيمان بشخص يسوع المسيح، وبغية توصيل هذا الإيمان إلى القارئ أو المستمع.

«وليست هذه الأناجيل كتب عقائد تتصف بالتنسيق والتنظيم مستهدفة الإقناع بصحة مضمونها. فمنذ أواخر القرن المسيحي الأول ظهرت كتب دينية للغنوصية (مذهب عرفاني للوصول إلى المعرفة بطريق الإلهام والاستبطان لا بطريق العلم والمنطق أو الحواس الخمس). ومن ضمن هذه الكتب ما أصدره مرقيون Marcion وقد حذف من الأناجيل الأربعة ما يتعارض مع عقيدته، موجهاً كلامه للخاصة، ومبهراً للعامة[1]». وأما الأناجيل الأربعة فهي لا تخلو من

---

(١) الأب سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل، سلسلة دراسات في الكتاب المقدس، دار المشرق بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٨ ـ ٦١.

الاختلافات، وتتسم بالبساطة الكلية خلافاً لبعض الكتب العقائدية... والإنجيليون لم ينقلوا ما قاله يسوع وفعله وحدث له حرفياً بل كتبوا ذلك بدافع إيمانهم في ضوء قيامة يسوع. وهدف الإنجيليين أولاً وأخيراً هو إشراك القارئ أو المستمع في الإيمان بيسوع المسيح».

«واحتفظت الأناجيل بالصورة التي تُظهر أن الأب أعظم من يسوع، وأن يسوع يطيع الأب حتى الموت على الصليب، حيث يتركه الأب، ولم يستجب لدعوته لإنقاذه مع تكرر دعوته له».

«وتكلمت الأناجيل عن الأب الذي يعرف جميع الأزمنة والأوقات وقيام الساعة بينما يسوع لا يعرفها، ويعلن بصراحة أنه لا يعرف متى تقوم. وحتى المعجزات المبهرة فإن يسوع يعلن في الأناجيل أنه يقوم بها بقوة الأب، ويسوع يرفض الألقاب: المسيح والملك، بل حتى لقب (صالح) يرفضه ويقول: ليس ثمة صالح كامل إلا الله».

«وتَظْهَر الملامح البشرية على يسوع حيث يجوع، ويغضب، ويتعب، ويتألم، وينفعل، ويبكي، كما احتفظت الأناجيل بما لقي تعليمه من رفض واستهزاء وتنبُّئه بالاضطهاد، وهربه من الجموع. وتتَّسم صورة الرسل (الحواريين) في الأناجيل في مواقف عديدة بالجبن والطمع وقلة الإيمان وعدم الفهم والبلادة، والروح الوطنية المتعصبة، وقد أظهرتها الأناجيل على حقيقتها البشرية»[١].

وقد تطورت عقيدة التثليث عند النصارى وارتفعت مكانة يسوع الممجّد بحيث أصبح الرب أو السيد أو كاريوس Kyrios، وهو أقل من الأب، ومنه خرج، وهو يطيعه ويسمع أمره ويعبر عنه أحياناً بابنه الحبيب، وأحياناً بعبده (فتاي). ولكن بمضي الزمن ارتفعت مكانة يسوع وازدادت عقيدة التثليث تعقيداً.

عقيدة مؤتمر نيقية: الثلاثة متساوون:

وقد جاء في كتاب سوسنة سليمان، لنوفل بن نعمة الله بن رجس النصراني[٢]:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، ص٩٩ - ١٠٠.

«إن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بيَّنه مجمع نيقية (سنة ٣٢٥م) هي الإيمان بإله واحد: أب واحد ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد: يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، والذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتَجَسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنَّس (أي صار إنساناً)، وصُلب عنّا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث ـ على ما في الكتب ـ وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات. ولا فناء لمُلكِه. والإيمان بالروح القُدس: الربِّ المحيي المبنثق من الأب، الذي هو مع الابن يسجد له، ويمجّد الناطق بالأنبياء».

الدكتور بوست يوضح عقيدة التثليث ومعنى الابن:

ويوضح الدكتور بوست في كتابة تاريخ القدس[1] عقيدة التثليث قائلاً: «طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير».

«والابن لا يعني الولادة البشرية، وإنما تعني علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر. وما ورد في الأناجيل وخاصة إنجيل يوحنا بلفظ ابن الله، أو ابن العلي، لا يقصد بها قطعاً ولادة طبيعية بشرية. ولكنه تعبير يكشف عمق المحبة السرّية بين يسوع المسيح وبين الله، وهي محبة متبادلة ويراد بها إظهار المسيح على أنه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله الكامل لذلك يقول الله فيه: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت وله اسمعوا». وقد تكررت هذه الجملة في الأناجيل، ويراد بها إظهار التشابه والتماثل في الذات وفي الصفات وفي الجوهر. وليس المقصود ما ورد عن المؤمنين في الإنجيل والعهد القديم أنهم أبناء الله، وكما ورد عن داود «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك»، فالمعنى ها هنا مجازي بحت. أما ما ورد عن ابن الله في الأناجيل فالمقصود به غير ذلك،

(١) المصدر السابق.

وليس فقط بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الحقيقي لأنه ورد عن يسوع أنه قال: «من رآني فقد رأى الأب. أنا والأب واحد». والمقصود أن يسوع هو الوارث لكل شيء من أبيه. فمنه كل الأشياء، وجميع الأشياء به، وكل الأشياء له. ويراد بها معان كثيرة يقصر دون إدراكها العقل»[1].

والأقنوم الثاني أي يسوع الممجّد هو صورة أو شكل من أشكال الألوهية التي لها ثلاثة أقانيم وفي حقيقتها واحدة. وقد جاء في عقيدة مؤتمر نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ بعد الميلاد: «إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرّم كل قائل: بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول: إن الابن وُجد من مادة أو جوهر غير الله الأب. وكل من يؤمن أنه خُلِقَ، أو من يقول: إنه قابل للتغيير، ويعتريه ظل دوران»[2]. فيسوع المسيح الممجّد هو إله من إله، لا أول له ولا بداية ولا نهاية. وأنه من جوهر الله، وأنه قديم بقدمه، ولا يعتريه تحول ولا تغيير. ومن لا يقبل هذه العقيدة يعتبر مارقاً من الدين. وبما أن آريوس ومجموعة كبيرة جداً من الأساقفة كانوا يقولون: إن الأب وحده هو الله، والابن (يسوع) مخلوق، مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن. فإن آريوس وجميع من وافقوه اعتُبروا مطرودين، محرومين، مارقين من الدين، وقد حاربتهم الدولة الرومانية بكل جبروتها، بعد أن دخل قسطنطين في الدين المسيحي، بناء على ما جاء في مجمع نيقية، رغم أن الذين وافقوا على هذه العقيدة هم ٣١٨ شخصاً، بينما رفضها غالبية المجتمعين الذين بلغوا ٢٠٤٨ شخصاً من الأساقفة، كما يقول ابن البطريق. وقد فرضت هذه العقيدة بقوة الإمبراطورية الرومانية عندما فرض قسطنطين هذه العقيدة التي توافق هواه من جهة، وتسمح ببقاء ملايين الوثنيين في هدوء، وأن ينضموا بالتدريج إلى هذه العقيدة الجديدة التي لا تخالف عقائدهم في التثليث وإن اختلفت في التفاصيل.

الصلة بين المسيحية والوثنية:

يقول أستاذ تاريخ الأديان وعلم الأديان المقارن في جامعة باريس الأستاذ

---

(١) القس بوطر: الأصول والفروع كما ينقلها الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه: محاضرات في النصرانية، ص١٠٠ ـ ١٠٢.

(٢) محاضرات في النصرانية نقلاً عن كتاب تاريخ الأمة القبطية، ص١٢٦.

الدكتور أندريه نايتون Andre Neyton في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية)[1]:
«ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة، وأواصر متينة، بل إنه يلزمنا ويجب علينا أن نبيّن كيف أن هذه المسيحية تحدَّرت من الوثنية، وصار لهما نسب واحد وأصل مشترك. وهذا أمر منطقي وطبيعي جداً لدى مؤرِّخ الأديان.

ونحن لا نبالغ إذا قلنا: إن ما يعرف بالأسرار الدينية في المسيحية مستوحى من الأديان الوثنية القديمة».

«إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حقَّ الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي... وإذا صحَّ أن لليهودية تأثيراً على المسيحية، وكانت أساساً جوهرياً للنظرة المسيحية فإن علينا أن ننبه إلى أن اليهودية نفسها أصيبت بالتأثيرات الوثنية من بابل وفارس، وخضعت لنفوذهما عندما كان اليهود في المنفى، غير أن هناك تأثيراً خاصاً مباشراً أصاب المسيحية، وهو جوهر موضوعنا».

وهذا بالضبط ما أوضحه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]. فهؤلاء اليهود الذين كانوا في زمن عزير (عزرا) كانوا يعيشون في بابل والدولة الفارسية، وقد أراد الإمبراطور الفارسي قورش أن يعيدهم إلى القدس، ويبنيها لهم مرة أخرى، وكان أكبر من تزعَّم العودة من اليهود عزرا وزربابل. وقام عزرا بإخراج التوراة التي فُقِدتْ وكتبها لهم، فرفع يهود فارس وبابل مكانته إلى أن جعلوه ابن الله متأثرين بذلك بمن سبقهم من الوثنيين، وخاصة أهل بابل وفارس. ولكن تأليه عزير لم يستمر إذ كان مقصوراً على فرقة من بني إسرائيل، ثم إن الأنبياء نفوا ذلك عنه، وأعادوا بني إسرائيل إلى التوحيد الحق، كما سبق أن أوضحنا.

أما في النصرانية فإن عملية تأليه يسوع استمرت ونمت وأينعت. بدأها بولس وأتباعه كُتَّاب الأناجيل الأربعة، ثم زادت على مدى الأيام واستقرت في

---

(١) ترجمته باختصار سميرة عزمي الزين وأصدرته بعنوان الأصول الوثنية للمسيحية، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٩ ـ ٢٠.

مؤتمر نيقية ٣٢٥م، وصارت عقيدة أساسية من عقائد النصارى، وبالتالي تمَّ طرد وحرمان كل من عارض هذه العقيدة من أمثال آريوس، رغم أن عدد الأساقفة الذين تبعوه كان أكثر من ضعف الأساقفة الذين أصدروا عقيدة نيقية وهم ٣١٨ شخصاً فقط بينما يتبع آريوس أكثر من سبعمئة من الأساقفة، ولكن القوة الغاشمة، قوة الإمبراطور قسطنطين هي التي فرضت هذه العقيدة.

ابن البطريق يشرح تكون مؤتمر نيقية واختلاف عقائد النصارى:

يقول ابن البطريق[١]: «إن قسطنطين هو الذي اختار أن يعقد أولئك الأساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلساً خاصاً بهم، وحضر هو المجلس وأعطاهم شارة الملك والسلطان»... ويقول الرواة: إن آريوس لما اجتمع بهم، وألقى بدعته ونحلته إليهم، انضم إلى آرائه أكثر من سبعمئة أسقف من جملة المجتمعين، وعددهم ٢٠٤٨ الذين اختلفوا شيعاً وأحزاباً، وكان أكثرهم أنصاراً لآريوس، فكان المفروض أن يكون مذهب آريوس هو الراجح بالأغلبية، ولكن لما انحاز الإمبراطور قسطنطين لرأي الأقلية ٣١٨، فإنهم أصبحوا الجهة الرسمية الوحيدة المقبولة، وتم بالتالي طرد وحرمان من خالفهم، وتحريق الكتب التي تخالف رأيهم.

ويقول ابن البطريق[٢]: «بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة الأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية[٣] ثمانية وأربعون وألفان، من الأساقفة (٢٠٤٨)، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول: إن المسيح

---

(١) نقلاً عن الشيخ محمد أبي زهرة: محاضرات في النصرانية، ص١٢٤ ـ ١٢٨.

(٢) سعيد بن البطريق المتوفى سنة ٩٤٠ بعد الميلاد كان بطرك الإسكندرية ووضع كتاب (نظم الجوهر) باللغة العربية في تاريخ الكنيسة ومن تولوا الكراسي البابوية بروما والقسطنطينية وغيرها إلى زمنه، ووصف الفرق النصرانية، وكان كتابه مرجعاً للقاضي أبي البقاء صالح بن حسين الجعفري الهاشمي في كتابه (تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل)، والإمام القرافي في (أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية)، وابن تيمية في (الجواب الصحيح لمن حرّف دين المسيح)، وابن القيّم في (هداية الحيارى). ونقلنا كلام ابن البطريق أعلاه من كتاب الشيخ محمد أبو زهرة (محاضرات في النصرانية)، ص١٢٤.

(٣) نيقية: مدينة آسيا الصغرى (تركيا اليوم)، كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وتدعى اليوم أزنيق.

وأمه إلهان من دون الله، وهم البربرانية، ويسمّون المريميين[1]، ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، وهي مقالة سابليوس وشيعته. ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مرَّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب. لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها، وهي مقالة البيسان وأشياعه. ومنهم من كان يقول إن المسيح إنسان خُلق من اللاهوت كواحد منا في جوهرة، وإن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصطفي ليكون مخلَّصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلٰهية، وحلّت فيه بالمحبّة والمشيئة، ولذلك سُمّي ابن الله، ويقولون: الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وأشياعه، وهم البوليقانيون».

«ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون اللعين وأصحابه، وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس، ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً». (وهم الذين أصدروا قرار مجمع نيقيه عام ٣٢٥ بعد الميلاد، وأيدهم الإمبراطور قسطنطين وصارت عقيدتهم هي عقيدة النصارى الذين أتوا بعدهم، بعد أن قضوا على آريوس وجميع المعارضين. **ولا شك أن عقيدة التثليث وعقيدة الفداء وعقيدة القربان وتحول المسيح جسداً ودماً إلى خبز ونبيذ يأكله ويشربه المؤمنون هي من العقائد الوثنية الصريحة.**

أندريه نايتون يوضح دور الوثنية الشرقية واليونانية في المسيحية:

يقول أندريه نايتون في كتابه (**المفاتيح الوثنية للمسيحية**): «**لقد كان للوثنية الفارسية واليونانية هيمنة على المسيحية، وكذلك كان للوثنية في عموم الشرق. ودراسة المسيحية تثبت أن الآلهة الوثنية لم تمت بعد.** ولا شك أن العلامة

(١) طائفة المريميين يؤلوهون مريم مع ابنها. وهي طائفة من النصارى قد اندثرت، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦].

البلجيكي (فرانز كومون) قد عنى ذلك حين عنون كتابه الشهير حول تاريخ المسيحية بعنوان (لا جديد تحت الشمس). «**يجب علينا أن نتذكر أن معظم الذين آمنوا بالمسيحية لم يكونوا يهوداً بل كانوا عبدة أوثان... ومما لا شك فيه أن هذه المسيحية وضعت المؤمنين بها على دروب الوثنية القديمة، ولعلّ أهم هذه الدروب الوثنية يتمثل بالاهتمام بالخلاص من طريق مخلص أو وسيط. أما الذين لَفّقوا عقيدة الخلاص فليسوا أولئك الكتاب أو واضعي النظريات الدينية والآراء المجردة المعقدة، بل هم سواد الناس من الوثنيين الذين دخلوا في المسيحية. إن الخيال الشعبي هو الذي أقام هذا الصرح، أما العلم الديني فقد جارى وداهن وغيّر أركان الدين وعقائده (ليوافق هوى الجماهير التي تنصّرت)**».

وهنا أيضاً نستشهد بما قاله (ألفرد لوازي) مؤرِّخ المسيحية: «إن الأديان تعيش في أعماق الناس، وإن حياتهم الخاصة الصاخبة هي التي تعطي هذه الأديان شكلها».

ويقول أندريه نايتون عن عقيدة التثليث: إنها لا تذكر إلا نادراً في الأناجيل، ففي ختام إنجيل متّى أمر المسيح الحواريين أن يعمّدوا باسم الأب والابن والروح القدس، ويعتقد كثير من الباحثين أن هذه الجملة الختامية أضيفت إلى إنجيل متّى في فترة لاحقة، وربما بعد مجمع نيقية (٣٢٥ ميلادية). **أما أكثر النصوص التي تشير إلى التثليث فهي في رسائل بولس، كما نجد في نهاية رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس. ولكن هذه العقيدة لم تظهر بصورة جلية سوى في مجمع نيقية. لقد تم إعلان ذلك للرد على الموحدين المسيحيين الأريانيين**[١].

ويقول أندريه نايتون في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية) كما تنقله سميرة عزمي[٢]: «**إن الكنيسة ابتلعت بعض العناصر الوثنية، ولكنها أَضْفَتْ عليها طابعها**

(١) أتباع آريوس. كان قسيساً بالإسكندرية من أصل ليبي (٢٥٦م ـ ٣٣٦م) كان ينادي بعقيدة التوحيد، وأن الله واحد فرد صمد غير مولود ولا والد. لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، وبأن المسيح خلقه الله تعالى وكرَّمه وفضَّله على البشر. وكان يسوع المسيح ينكر أنه إله أو ابن إله، وفي حياته كلها عَبَد الله ودعا إليه، ومعجزاته العظيمة كلها كانت من الله. ينسب إليه كتاب (ثاليا) ورسالة إلى أوزيبوس وأخرى إلى أسقف الإسكندرية، حاربه بطرك الإسكندرية ومجمع نيقية وأعلن كفره وطرده ولعنه وحرمانه. ورغم ذلك تبعته كنائس كثيرة مثل أنطاكية والقسطنطينية وبابل وأسيوط.

(٢) الأصول الوثنية للمسيحية، ص٢٤ ـ ٣٣.

الخاص، وذلك لاستقطاب ما يمكن استقطابه من عبدة الأصنام، وهذا ما أدى إلى دخول عناصر وثنية جديدة على المسيحية. غير أن هذه السياسة كانت خطيرة جداً... وكانت وراء ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي في آخر المطاف».

«وأخيراً نجد هذه الوثنية في الفن كتزيين المقابر بالطواويس والدلافين وشتى أنواع الطيور والأسماك. وقد كانت هذه جميعاً رموزاً وثنية كمثل رموز أورفيوس أو كرمة دينيزوس (إله الخمر) التي تزين القبور. إننا نجد على الأضرحة الحجرية صورة المسيح الذي يظهر بصورة معبود... كما نجد في عصر النهضة رسوماً لمايكل أنجلو الفنان الإيطالي الشهير وخاصة ما رسمه على سقف كنيسة السيستين (كنيسة ملحقة بكنيسة سانت بيتر في الفاتيكان ويدخلها ملايين السياح سنوياً لأنها تحفة فنية من رسوم كبار الفنانين مثل مايكل أنجلو وروفائيل. . .) كالعرافات الوثنيات اللواتي جئن يتنبأن بظهور المسيح. وفي كاتردائية (إكس أن بروفانس) نجد صنم المسيح منحوتاً ومحاطاً برموز وثنية كالقمر والشمس وهو واقف بينهما». ويقول:

«لماذا لا نعود إلى النصوص الوثنية القديمة ونصوص المسيحيين الأوائل مثل القديس جوستينين الذي يعترف بوجود أفكار جوهرية متشابهة بين المسيحية والوثنية. إن بعض المؤلفين المسيحيين لم يجدوا حرجاً في القول: بأن الشيطان كان قد اخترع الوثنية على غرار المسيحية التي جاءت بعدها اختراعاً احتياطياً». (وذلك ليردوا على من أوضح لهم التشابه الوثيق بين المسيحية والوثنية). واعترف القديس جوستينين بتشابه طقوس القربان المقدس في المسيحية والأديان الوثنية، كما أن كليمان الإسكندري قارن بين الأسرار المسيحية والأسرار الوثنية. وكذلك فعل فيرميكوس ماتيرنوس. ونجد أن الوثنيين يتهمون المسيحيين بأنهم يقلدون شعائرهم ويحاكونها، فقد وقتوا موت المسيح وصعوده إلى السماء في الفترة الزمنية التي يحتفلون فيهما بموت الإله (أتيس).

لوكليرك يقرّ بوجود العناصر الوثنية في المسيحية:

ويعترف كثير من الكتّاب الكاثوليك بوجود تأثيرات وثنية على الأصول والأسرار المسيحية. **ويقول هـ. لوكليرك: «طبعاً استعار المؤمنون المسيحيون من هنا وهناك بعض التفاصيل الوثنية أنّى وجدوها» ويقول الأب دولاهاي:** «إن الطبيعة

البشرية التي تتصرف وفقاً لمشاعرها الدينية كافية لتفسير تشابه الشعائر المسيحية وشعائر عبادة ميثرا الفارسية».

تشويه صورة المسيح بقصة تجسد الإلٰه فيه:

ويتحدث أستاذ تاريخ الأديان أندريه نايتون في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية) عن التجسيد (أي تَجَسُّد الإلٰه في عيسى) فيقول:

وأهم تشويه حصل لصورة المسيح تجلّى في قضية التجسيد، الذي يعتبر السر الذي تتميز به المسيحية، وهذا السر غريب جداً عن التفكير اليهودي». (ليس صحيحاً فاليهود. وفرقة منهم قالوا: عزير ابن الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]).

وفي الأناجيل روايات متناقضة جداً حول تجسد المسيح: فإنجيل مرقص (Mark)يتجاهل موضوع تجسيد المسيح نهائياً، بينما لا يذكر القديس بولس كلمة واحدة عن كيفية تحول الإنسان إلى إلٰه. أما إنجيل يوحنا فإنه يكتفي بالقول، ولا يقدم أية تفاصيل بأن الكلمة صارت جسداً. أما الأناجيل مثل متّى ولوقا فإنها تقول: بأن الإلٰه صار جسداً في المسيح، غير أنها تقدم معلومات خاصة بنسب المسيح فتقول: إنه ابن يوسف (النجار) من نسل داود (وتختلف في عدد آبائه إلى داود) ويصف لوقا في إنجيله كيف بُهتت مريم أم المسيح وأبوه يوسف النجار حين سمعاه يقول في المعبد: إنه ابن الله. (كان المسيح في ذلك الوقت مراهقاً في الثانية عشرة من عمره)، حسب زعمهم.

إن فكرة حياة كائن إلٰهي على الأرض أمر طبيعي جداً في التفكير الوثني. بل إن الوثني كان يرى أن هذا التجسيد أفضل طريقة لاختراق العالم الإلٰهي الغرائبي والتعرف على الألوهية عن كثب. إن نزول الإلٰه على الأرض على شكل إنسان أفضل طريقة للحوار المباشر المرئي بين الآلهة والبشر. بهذا يقول القديس جوستينين في كتابه (الدفاع عن المسيحية): إننا حين نقول: إن الكلمة تجسدت في المسيح من غير اجتماع جسدي، إنما نعني أمراً أكثر غرابة من تلك القصص التي تروي ولادة أبناء زيوس (زيوس هو كبير الآلهة عند اليونان وهو مقابل جوبيتير كبير الآلهة عند الرومان)».

«إن الوثنيات كانت دائماً حافلة بقصص من هذا النوع: ملك أو زعيم من أصل إلٰهي. إننا نجد في الصين مثلاً أن معظم السلالة الحاكمة كانت من أصل إلٰهي، كالإمبراطور الأول تشيو، وهيونس ابن إله السماء من امرأة فانية. وهذا على غرار معظم كبار فلاسفة الصين مثل لاورتسو. كذلك كان معظم الملوك السومريين والحثيين من أصل إلٰهي. وفي مصر كان الفراعنة أولاد إله الشمس آمون رع الذي اتحد مع الملكة واتخذ شكل ملك حاكم، كما تدل على ذلك اللوحات في معبد دير البحري. حتى بعض الحكماء كانوا أولاد آلهة مثل ابن بتاح. أما الإغريق فيقدمون لنا أمثلة صارت على كل الألسنة». وفي اليابان لا يزال إمبراطور اليابان يعتبر ابن الإلٰه الشمس عبر سلسلة من (الآباء منذ أكثر من ألفي عام).

يقول القديس جيروم: إن المسيح ولد في المكان الذي ولد فيه أدونيس[١]، وإن بيت لحم كانت في تلك الأيام تُظللها غابة مقدسة تسمى غابة أدونيس حيث كان الناس يبكون أدونيس عشيق الآلهة فينوس (عشتار = الزهرة)، بل أن المسيح وُلد في المغارة التي ولد فيها أدونيس. واختيار هذه المغارة بالذات دليل على تحويل المعابد وأماكن العبادة الوثنية إلى شعائر وعبادات مسيحية.

ويقول أندريه نايتون[٢] عن مفهوم (ابن الله) ما يلي:

لم يذكر المسيح في الأناجيل عن نفسه أنه ابن الله إلا مرة واحدة جاء في إنجيل يوحنا ١٠/٣٦ (لأني قلت: إني ابن الله) قالها لليهود الذين يريدون رجمه وما عدا ذلك فإنه كان يكرر قوله: (ابن الإنسان) عن نفسه.

وقد جاء في (المزمار الثاني/٧) أن الله قال لداود: (أنت ابني أنا اليوم ولدتك) وفُهمت هناك على أنها مجازية. وفي (رؤيا يوحنا ٢١/٧): (من يغلب

---

(١) أدونيس في الأساطير اليونانية، شاب جميل أحبته أفروديت، كلما مات من ضربه وعل متوحش توسلت حبيبته إلى الآلهة أن يبعث لها ستة أشهر كل عام فهو يبعث في الربيع (احتفالات الإيستر أو الفصح عند النصارى) ويبقى فترة الربيع والصيف ثم يموت في الخريف والشتاء. ويتكرر ذلك كل عام. والأسطورة ذاتها موجودة في جنوب لبنان وفلسطين وسوريا وتركيا (آسيا الصغرى) غير أن أفروديت تصبح عشتروت أو عشتار أو فينوس أو الزهرة عند الأمم المختلفة.

(٢) الأصول الوثنية للمسيحية ترجمة سميرة عزمي الزين، ص٣٨ ـ ٣٩.

يرث كل شيء، وأكون له إلٰهاً وهو يكون لي ابناً). [وهو تصور روماني عن عبادة القوة وتمجيدها حتى إن الرب يعتبر أن من يغلب يكون له ابناً بصرف النظر عمَّن يكون وما هي مبادؤه وأخلاقه]. وفي إنجيل متّى ٩/٥ يقول المسيح: «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدْعَون»، وفي إنجيل لوقا ٢٠/٣٦: «وهم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة»، وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/ ١٤: «إن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله».

وفي جميع ما ذُكر فإن ابن الله أو أبناء الله مجازية.

إن عبارة ابن الله كانت سبباً في هزيمة الديانة المسيحية بين اليهود الذين اعتبروا الكلمة كفراً وتجديفاً، بينما كانت سبباً في انتشارها بين الوثنيين وعبدة الأصنام الذين كانوا يعايشون هذه الفكرة منذ فترات سحيقة، وخاصة بين وثنيي البلدان الهيلينة.

إننا لا نستطيع نحن مؤرِّخي الأديان إلا أن نعترف بالأصل الوثني لعبارة ابن الله، كما أن هذه العبارة كان لها تأثير كبير في استقطاب الكثير من الوثنيين ودخولهم في الديانة المسيحية.

التثليث عند قدماء المصريين:

كان المصريون قبل أي شعب آخر معنيين بمسألة الأقانيم، فنحن نجد الإلٰه بتاح مثلاً له ثمانية مظاهر أو أقانيم، وكان للإلٰه توت سبعة أقانيم برئاسة رع... ولكنها عند المؤمنين بها إلٰه واحد في صور وأقانيم عديدة.

وفي مصر كان الشعب يعبد الآلهة المثلثة المكونة من أب وأم وابن. كما يقول المؤرِّخ الديني والأثري ماسبيرو: «إن أحد الأبوين لم يكن سوى انعكاس للآخر، مجرد نسخة منه ذات جنس آخر». وهذا ما جعل العائلة الدينية المقدسة مجرد ثلاثة مظاهر في معبود واحد. هكذا نجد الإلٰه آمون هو الأب للإلٰه خونس ومنه تنزلت زوجته (موت) في طيبة أقنوماً ثانياً. وفي دندرة في صعيد مصر كانت الأم حاثور أم حورس هي الإلٰه، ومنها يتحدر الأقنوم الثاني آحي زوجها، ثم ابنها الأقنوم الثالث.

أما أشهر آلهة عُبدت في مصر فهي أسرة أوزيريس (الأب)، إيزيس (الأم)، وحورس (الابن).

وهناك الإلٰه الخالق (بتاح) وكلمته (توت) وروحه القدس (حورس)[1]. وهذا التثليث المصري قديم جداً وهو الذي عبَّد الطريق للهرمسية السكندرية المؤلفة من العقل الأكبر أولاً ثم الكلمة الخلاقة ثم الروح القدس. وكان الأفلاطونيون قد طوروا هذه التنظيرات الخاصة بالتثليث. وربما كان هذا ما دفع القديس سيريل المقدسي إلى أن يكتب في القرن الرابع (الميلادي) أن الفلاسفة اليونان كانوا يؤمنون بالتثليث المقدس، وأنهم كانوا يقولون: إن الطبائع الثلاث متحدة وبدون واسطة.

أفلوطين (وفاته ٢٧٠ ميلادية) وتأثيره في المسيحية:

وأهم فلسفة أثرت في المسيحية هي فلسفة أفلوطين وهو هيلنستي (يوناني من أهل الإسكندرية، وكانت وفاته سنة ٢٧٠ بعد الميلاد). درس على يد أمنيوس (المتوفى سنة ٢٤٢م) واعتقد أمنيوس المسيحية في صدر حياته ثم ارتد عنها إلى وثنية اليونان. وتشرب أفلوطين فلسفات اليونان من فيثاغورية وأفلاطونية كما درس المسيحية، ولكن لم يَكتفِ بذلك بل ذهب إلى فارس والهند، ودرس تعاليم بوذا وديانته، ودرس الهندوكية وعبادة كريشنا، ولما عاد إلى الإسكندرية مزج كل هذه المبادئ والأديان في فلسفته، وكان يعتقد أن الكون قد صدر عن خالق أزلي دائم لا تُدركه الأبصار، ولا تَحدُّه الأفكار، ولا تصل إلى معرفته الأفهام. وأن الله الخالق هو مُنشئ الأشياء، ومصدر كل شيء وإليه معاده ولا يتصف بوصف في أوصاف الحوادث. فليس هو بجوهر ولا عَرَض، وليس فكراً كفكرنا، ولا إرادة كإرادتنا، ولا وصف له، إلا أنه واجب الوجود، يتصف بكل كمال يليق به، يفيض على كل الأشياء بنعمة الوجود ولا يحتاج هو إلى موجود. وأول شيء صدر عنه هو العقل الكلي (Logos)، ولهذا العقل الكلي قدرة على الخلق، ولكن ليس كمن تولّد عنه

---

(١) لا شك أن هذه العقيدة التثليثية هي التي يسرت على المصريين قبول المسيحية والتعصب لها لأنها جزء من دينهم القومي، فكان من السهل عليهم الدخول فيها. ولهذا نجد أن أسقف الإسكندرية هو الداعي دائماً إلى التثليث وهو رافع رايتها. وهو الذي رأس مجمع نيقية الداعي إلى عقيدة التثليث وطرد آريوس وأتباعه.

(أي ليس كالإلٰه الخالق). ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، والتي يتم بواسطتها خلق الأشياء. وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء[1][2].

وكانت المشكلة لدى الفكر اليوناني التوحيدي (سقراط، أفلاطون، أرسطو) هو كيف تصدر الأشياء المادية والمتناهية عن الله غير المادي وغير المتناهي؟ وكيف يصدر المتغير والمحدود والزائل من الله الذي لا يحول، ولا يزول، ولا تحده أرض ولا سماء، والذي لا أول له ولا آخر؟ وإذا كان الله واحداً وحدة مطلقة كيف يمكن أن يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل في ذاته أي انقسام أو كثرة؟.

واتجه الفكر اليوناني إلى أن العالم المتغير والأشياء المتكاثرة لا يمكن أن تصدر عن الله إلا بوسائط أزلية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقي. وكان أفلاطون هو أول من أدرك هذا الحل ولكن بصورة فيها كثير من الغموض. والغرض منها الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير. وأول هذين الوسيطين هو العقل الكلي الذي تولد من الذات الإلٰهية. ومن هذا العقل الكلي تولدت الروح الخلّاقة التي بواسطتها خُلِقتْ كل الأشياء.

ومن اليسير جداً أن تتزاوج هذه النظرة التي وسَّعها أفلوطين الإسكندري وبنى عليها فلسفته مع المسيحية التثليثية، فالله الآب هو مصدر الكمال، ومصدر الخلق، وهو الأزلي والأبدي، الأول والآخر، الألف والياء. وعنه انفصل منه كما تخرج شعلة من شعلة، أو شعاع من شعاع، أو نور من نور ـ الأقنوم الثاني وهو الابن. كما خرج من الآب أيضاً الروح القدس التي بواسطتها يتم الخلق،

---

(١) نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص٣٥ ـ ٣٧.

(٢) يقول القديس سيريل المقدسي في القرن الرابع للميلاد كما ينقله عنه العالم النفسي كارل يونج في كتابه علم النفس والديانة الغربية (ترجمته باختصار سميرة عزمي الدين بعنوان الأصول الوثنية للمسيحية وجمعت فيه أربعة كتب) يقول: **إن الفلاسفة اليونان كانوا يؤمنون بالتثليث المقدس، وأنهم كانوا يقولون: إن الطبائع الثلاث (الأب والابن والروح القدس) متحدة بدون واسطة. وقد لاحظ كثيرون اتفاق عقيدة التثليث المسيحية بعقائد المصريين القدماء، كما لاحظوا اتفاقها مع فلسفة أفلوطين بالذات. وكما أوضحنا فإن أفلوطين يمثل الفكر اليوناني والأساطير والعقائد المصرية وله اطلاع واسع بعقائد الهند وفارس التي يتمثل فيها الإله بأقانيم ثلاثة، إضافة إلى ما عند اليونان من تثليث.**

فالخلق للأكوان يتم بواسطة الابن، والتنفيذ العملي للخلق للروح القدس.

وفي هذه الأفلاطونية أن الأقانيم الثلاثة ليست متساوية، فالله هو الأصل، وهو الخالق وهو الأزلي والأبدي. والعقل الكلّي، وإن كان أزلياً أبدياً، إلا أنه يأتي بعد الله، وهو صادر عنه فهو أقل رتبة منه. والروح الكوني (وهو ما أطلق عليه المسيحيون الروح القدس) منبثق من العقل الكلي، وبالتالي أقل منه درجة.

وهذا في الواقع ما كان في المسيحية على عهد بولس ومن تبعه، ولكنها تطورت بعد ذلك في مجمع نيقية فيما يسمى الأمانات، والأمانة الأولى حيث إن الأقانيم الثلاثة متساوية تماماً. فالأب يتولد منه الابن نتيجة كماله، لا يمكن أن يصدر عنه إلا كامل فالابن كامل مثل الآب، وكذلك الروح القدس.

عقيدة الأمانة الأولى:

ونص هذه العقيدة أو الأمانة الأولى: «نؤمن بالله الواحد الآب ضابط الكل، مالك كل شيء، صانع ما يُرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلها، وليس بمخلوق أو مصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم، وخُلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتَجَسَّد من روح القدس وصار إنساناً، ووُلد من مريم البتول (العذراء). وتألم وصلب أيام بيلاطس النبطي، ودفن وقام في اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحقّ الذي يخرج من أبيه روح محبته، ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية (المؤمنون بالكنيسة الجامعة)، وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين».

تطور العقيدة في المجامع المسيحية:

هذه هي عقيدة مجمع نيقية ٣٢٥م، ومجمع خلقيدونية ٤٥١م، وما سبقه من مجامع مثل مجمع القسطنطينية الأولى ٣٨١م، ومجمع أفسس ٤٣١م. إذ كانت هناك خلافات حادة، ففي المجمع الأول ـ وهو مجمع نيقية ـ تمّ استبعاد آريوس وأتباعه الذين كانوا موحّدين منكرين لجعل يسوع الأقنوم الثاني (إله وابن إله،

وإلٰه حق من إلٰه حق). وبقيت معضلة الروح القدس التي تمَّ الاتفاق عليها، وجعلها أقنوماً ثالثاً مساوياً للأب ومساوياً للابن، وذلك في مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م). وقد كان بطرك الإسكندرية ثيموتاوس هو الداعي لجعل روح القدس مساوياً للآب ومساوياً للابن، حيث قال كما ينقله عنه ابن البطريق: «ليس روح القدس مخلوقاً، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن». ولعنوا الأسقف مقدونيوس وأشياعه البطاركة الذين يقولون: بأن روح القدس مخلوق، تماماً كما لعنوا قبل ذلك آريوس الذي قال: إن يسوع المسيح مخلوق.

ومن الواضح جداً أن عقيدة التثليث التي تَعَصَّبت لها أسقفية الإسكندرية وبطركها لا تختلف في شيء عن التثليث المصري القديم وخاصة عقيدة الإلٰه الخالق بتاح، وكلمته توت وروحه القدس حورس.

فلسفة أفلوطين والتثليث المصري والمسيحية:

والتقت فلسفة أفلوطين بهذا التثليث المصري فأنتجت ما عرف باسم عقيدة التثليث المسيحية التي بدأت على يد بولس الذي جعل الأب أعلى من الابن، وأهمل موقع الروح القدس، ولم يرفعه إلى مستوى الأب والابن. ثم تطورت العقيدة بدخول ملايين الوثنيين، واتفقت تماماً مع عقيدة المصرين في التثليث، وله صوره العديدة، ومن أهمها: أسرة أوزيريس (يمثل الأب) وإيزيس (تمثل الأم أو مريم) وحورس (يمثل الابن أو يسوع المسيح). وأوضح منها بكثير تثليث بتاح (الأب) وكلمته توت (يمثل يسوع أو الأقنوم الثاني)، و(روحه القدس) حورس.

تثليث الهنود:

وقد تعرف أفلوطين في رحلته إلى الهند وفارس إلى العديد من صور التثليث، **ومنها عقيدة سافستري الهندوكية القديمة التي جاء في تلك العقيدة: نؤمن بسافستري (أي الشمس) إلٰهاً واحداً ضابطاً لكل ما في السماء والأرض وخالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد (أكنى) أي النار. نور من نور، مولود، غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، تَجَسَّد من (فايو). أي الروح، في بطن مايا العذراء. ونؤمن بفايو الروح المحيي المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب.**

والابن يسجد له ويمجّد»[1]. وهو كما ترى مطابق للمسيحية تماماً.

وعند الهنود أيضاً ثالوث آخر بل أنواع من الثواليث كما عند الأمم الوثنية الأخرى، ومنها **ثالوث (براهما) الإله الخالق، و(فشنو) الإله الحافظ المدبر، و(سيفا) الإله المهلك، والثلاثة صور وأقانيم لحقيقة واحدة ورب واحد وإله واحد هو (بارميشوار) أي الإله الأكبر أو الإله الأم. وهناك المثلث (أغني) إله النار، ثم مثلّث الثالوث الفارسي الذي يتألف من إله الشمس ميثرا، والمحاط بكوتيس وكوتوباتيس حاملي المشاعل.**

كارل يونج يوضح جذور المسيحية من الوثنية:

ويقول كارل يونج العالم النفسي في كتابه (علم النفس والأديان الغربية[2]):

إن جذور المسيحية والتثليث تعود إلى الأديان الوثنية القديمة في بابل ومصر وفارس والهند واليونان.

الآلهة المثلثة في بابل وفارس:

في بابل الآلهة البابلية المثلثة: أنو، بل، أيا: فالأب أيا وهو رمز للمعرفة، وبل الابن الذي يمثل النشاط العملي...

وهناك ثلاثة آلهة بابلية أخرى هي: سن (القمر)، وأداء (العاصفة)، والأب أنو. وفي حكم نبوخذ نصر صار (أداد) رب السماء والأرض. وفي أيام حمورابي حدث تطور في تصور هذه الآلهة حيث صار مردوك (مردوخ) هو الابن بدلاً من (بل) وكان (أيا) الأب عامراً بالمحبة لابنه ويعطيه قوته ويجعله هو المسيطر على الأكوان، وفي تطور آخر صار مردوخ إله الشمس وصار هو الخالق للأكوان والمصرِّف لها، وتحول (مردوخ) إلى مرتبة الأب، بينما تحول (أيا) إلى الوسيط بين مردوخ والبشر ويظهر (تيامات) إلهاً مخلصاً للبشرية، وهو الذي يوقظ الموتى

---

(١) مالغيرو: التثليث النصراني، باريس، ١٨٩٥م، ترجمة نخلة شفوات، ١٩١٣م، ونقله د. محمود عبد الفتاح قدح في تحقيقه لكتاب (تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل) لأبي البقاء الجعفري الهاشمي المتوفى سنة ٦٦٨م في الهامش، ص٥٠٢، الهامش رقم ٤.

(٢) علم النفس والأديان الغربية C.G.Jung: Psychology and Western Religion ترجمة سميرة عزمي الزين ضمن كتابها (الأصول الوثنية للمسيحية) المعهد الدول للدراسات الإنسانية، ص٧٧ وما بعدها.

ويعيدهم إلى الحياة. وتظهر صورة الآلهة المثلثة بصورة مختلفة نسبياً وهي: الشمش (الشمس)، وسن (القمر)، وعشتار (وهي نجمة الزهرة = فينوس).

وكان لدى الفرس الآلهة المثلثة ميثرا (الشمس)، وكوتيس وكوتوباتيس المحيطون بها.

الآلهة المثلثة لدى مصر:

كما كان لدى اليونان الأورفية ديانة ديونيزس[1] وأسرارها، والفيثاغورية[2].

ولدى مصر التثليث المصري الذي انتقل إلى المسيحية: جاء في كتاب (العقائد الدينية عند ملوك مصر) للعالم الألماني جاكوبسون ما يلي[3]:

الأب والابن مجتمعان في شخص الملك بواسطة كع موتف.

وكع: هو القوة الخلّاقة وبواسطتها يتحد الأب بالابن على شكل وحدة مؤلفة من الله والملك كع. أي هناك وحدة مثلثة يكون فيها الأب هو الله، والملك هو الابن، وكع هو حلقة الوصل بينهما. (العقيدة المسيحية الأب الله ـ الابن المسيح، وحلقة الوصل بينهما الروح القدس).

إن الروح القدس عند المسيحيين يوازي كع عند المصريين، وبه يتحد

---

(١) الأورفية (Orphism): نحلة باطنية انتشرت في اليونان القديمة تعتمد على تناسخ الأرواح والتطهر، ولها طقوس سرّية وغنوصية بحيث يتحد المتعبدون بالإله. وتنسب إلى أورفيوس وهو بطل من تراقيا وموسيقي بارع وكانت قدرته على استخدام الموسيقى والناي تسحر الحيوانات حتى المتوحشة والنباتات فتتبعه. وعندما ماتت زوجته استطاع أن يقنع بلوتو قيم جحيم الموتى أن يطلق زوجته ولكنه فقدها. وأرفيوس دعا إلى التثليث في الآلهة والرقم ثلاثة يرمز إلى الماضي والحاضر والمستقبل، وتأثر بفيثاغورس.

(٢) فيثاغورس (٥٨٢ ـ ٥٠٧ قبل الميلاد) فيلسوف ورياضي يوناني... يرى أن جوهر الأشياء هو العدل (وخاصة الرقم٣) وأن العلاقات يمكن التعبير عنها بالعدد، وكل شيء جوهره عدد أو علاقة هندسية رياضية. وكل ما في الكون والموسيقى جوهرها أعداد. له نظريات هندسية لا تزال تدرّس إلى اليوم. يؤمن بتناسخ الأرواح. وتطورت الفيثاغورية في الإسكندرية ودخلتها الغنوصية العرفانية الشرقية. وتأثر بفيثاغورس أفلاطون ومن بعده أفلوطين الذي أثر في المسيحية.

(٣) كارل يونج: علم النفس والأديان الغربية، ترجمته واختصرته سميرة عزمي الزين في كتاب الأصول الوثنية للمسيحية، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م، ص٨٣.

الأب بالابن، وذلك من خلال أم بشرية غير أن هذه الأم كما عند المسيحيين تبقى خارج إطار التثليث. وفي بعض الكتب القبطية القديمة مثل كتاب Pistis) (Sofia الذي اكتشف في نجع حمادي عام ١٩٤٥م والذي يعود للقرن الثالث الميلادي كان الأقباط يسمّون روح القدس (كع). وفي النصوص المصرية القديمة وصف لولادة الابن الإلٰهي، ويجعلونه حورس الإلٰه. ويقول الأب: «إنك ابن جسدي الذي أنجبت، وضعت روحي فيه» ويمارس ملكاً مباركاً في هذه الأرض. ويرث الشمس والقمر عن أبيه. إن عينيه هما الشمس والقمر وهما عينا حورس.

أهمية تأثير الوثنية المصرية في المسيحية:

وجاء في كتاب (علم النفس والأديان الغربية) لكارل يون العالم النفسي الشهير[1]: «لا صحة لما يقوله اللاهوتيون المسيحيون المعاصرون حين يزعمون أن مصر القديمة لم يكن لها أثر على قيام الأفكار والعقائد المسيحية. وإنني لأرى الأمر على نقيض ما يقولونه، فمن المستحيل أن تكون الأفكار البابلية هي الأفكار الوحيدة التي دخلت فلسطين، لا سيما وأن فلسطين خضعت للسيادة المصرية فترة طويلة، وكانت لها علاقة وثيقة مع جارتها القوية مصر. إنني لا أفهم كيف أن البروتستانت اللاهوتيين يعملون المستحيل لإقناعنا بأن الأفكار المسيحية هبطت من السماء ولم تتأثر بشيء قبلها». ويقول كارل يونج: «إن التثليث ليس فكرة مسيحية وإنما جاء من الوثنيات القديمة، وما يهمنا هنا أن أفكار التثليث كانت تنبع من لا وعي الناس (الوثنيين الذين دخلوا في المسيحية). إن آباء الكنيسة لم يشعروا بالراحة إلى أن أعادوا بناء عمارة التثليث على غرار نموذجها المصري الأصيل. وهذا ما تم نقله أيضاً لمريم العذراء عندما أعلن مجمع أفسوس عام ٤٣١م أن مريم العذراء ولدت الإلٰه، وقد تم إعلان ذلك في المكان الذي كان يشهد ترانيم المجد للمعبودة المتعددة الأثداء (دانا). وهنا لا بد من ذكر الأساطير التي شاعت بعد المسيح والتي كانت تقول: إن مريم لجأت مع الحواري يوحنا إلى أفسوس حيث ماتت هناك. وكانت مدينة أفسوس تعبد ديانا ضمن آلهتها العديدة... وانتشرت عبادة مريم في بعض المناطق مثل تراقيا وسيثيا وشمال

---

(١) المصدر السابق.

الجزيرة العربية... وهاجم إيبيفانوس في كتابه (نقض مبادئ الفكر الثمانية) عبادة مريم قائلاً: «أكرموا مريم ودعوها لشأنها ولا تعبدوا إلا الآب والابن والروح القدس. أما مريم فلا تدعوا أحداً يعبدها»[1] ويقول كارل يونج في كتابه الممتع كما تنقله عنه سميرة عزمي الزين (باختصار)[2]:

والتطوير المسيحي للتثليث نسخ ـ من غير وعي ـ المثال المصري القديم لفكرة الأب والابن (رع ـ موتف) والتي كانت سائدة في اللاهوت المصري... ونجد أن تصورات الله كانت منتظمة في مفاهيم تثليثية وآلهة مثلثة، بل إن كثيراً من الممارسات السحرية والشعائر كانت تعتمد على أساس ثلاثي».

«إن لهذا المثال الأصيل قوة كبيرة أينما وجدناه فهو ينبع من لا وعي الإنسان، أما حين نجد آثاره واعية فإنها تتميز بطابع مقدس... وكان هذا المفهوم قد شهد كل أنواع الجدل والسفسطة والمناورة والدسائس والصراعات الممكنة. وكان ذلك وصمة عار في عقيدة التثليث التي قامت أصلاً على الآثار القوية للمثال الأصيل المستمد من الوثنيات القديمة. وعلى الرغم من أن الأباطرة استخدموا هذه العقيدة استخداماً سياسياً أدى إلى خلافات وانشقاقات كثيرة، فإن هذا الفصل العجيب من تاريخ الإنسانية لا يمكن تفسيره بالصراعات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وحدها. إن التفسير الوحيد يكمن في الرسالة المسيحية التي أثارت ثورة نفسية في الإنسان الغربي، فقد أعلنت هذه الرسالة في أناجيلها، وفي رسائل بولس بخاصة، عن ظهور الله ـ الإنسان في هذا العالم الممل، ومعه بالطبع كل الخوارق التي يستأهلها ابن الله!! ومن المؤكد أن هذه العقيدة أثارت آثاراً نفسية خطيرة دامت قروناً طويلة...».

والقول: بأن هذه العقائد مستوحاة من الروح القدس هي دليل على أنها ليست نتيجة معرفة واعية، بل إنها تصدر من مناطق خارج الوعي وخارج العقل.

---

(١) كارل يونج كما تنقله عنه سميرة عزمي الزين في كتابها (الأصول الوثنية للمسيحية ص٩٣، ٩٤). وهذا يؤكد أن بعض المسيحيين عبدوا مريم مع المسيح في فترة تاريخية، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وعرفت هذه الفرقة بالمريميين، ثم اندثرت هذه الفرقة. وإن كانت بعض مجموعات الكاثوليك تكاد تعبد مريم وتؤلهها.

(٢) المصدر السابق، ص١١١ ـ ١١٧.

وعلم النفس يستعمل مفهوم اللاوعي الجماعي والفردي. ويبدو أن آباء الكنيسة يجهلون أنهم بتثليثهم إنما يبعثون رمزاً وثنياً يعود إلى آلاف السنين (صدق الله العظيم حيث يقول: يضاهئون قول الذين كفروا من قبل)».

التثليث المسيحي متحدر من الوثنيات القديمة:

«وهكذا فإن تاريخ التثليث يظهر وكأنه بلورة تدريجية للمثال الأصيل المتحدر من الوثنيات القديمة، وصاغ بذلك التصورات التجسيدية للأب والابن وللحياة وذلك وفق المثال الأصيل، وعبر صورة خارقة هي صورة الثلاثة الأكثر قداسة في واحد... ويبدو الثالوث بصفاته الباطنية مثل حلقة مغلقة أو مثل دراما إلٰهية يمثل فيها الإنسان في أحسن الأحوال دوراً سلبياً... ولا بد لنا من القول: إنه يصعب علينا أن نفهم ما يعنيه التثليث لنا، سواء على المستوى العملي أو المستوى الأخلاقي أو الرمزي. إن اللاهوتيين أنفسهم يشعرون بأن المناقشات حول هذه القضية تظهر وكأنها نوع من أنواع الشعوذة الفارغة وغير المجدية. بل إن كثيراً من اللاهوتيين لا يرتاحون إلى فكرة تأليه يسوع المسيح ويعتقدون أن حشر الروح القدس إحراج لا معنى له. وكان الباحث الألماني د. ف. ستراوس يقول: الحقيقة أن كل من يعلن إيمانه بهذه العقيدة إنما يعلن تخليه عن كل قوانين التفكير البشري».

«ولا شك في أن الإنسان الوحيد القادر على مثل هذا القول هو الإنسان الذي نزع القداسة عن هذه الأفكار، واستعاد نشاطه الذهني.

وتحويل المسيح إلى إنسان وبشر، ونزع الألوهية عنه يضرب أعماقه في العقائد المسيحية الأولى التي ناهضت التأليه (الكنيسة الأولى في القدس والتي رأسها يعقوب العادل أخو المسيح من أمه، وبطرس، ثم جماعات اليهود الذين تنصَّروا مثل الأبيونيين، ثم بعد ذلك جماعة آريوس الذين نفوا عن المسيح الألوهية وطردهم مجمع نيقية كما أوضحنا من قبل).

وإن مناهضة التأليه وعقيدة التثلث في عصرنا الحاضر تطلق تصوراً للألوهية أقرب إلى اليهودية أو الإسلام منه إلى المسيحية التاريخية.

ولا شك أن كل من يحاول التعرض لمسألة التثليث من وجهة نظر فكرية أو عقلانية سيضطر إلى الجدل والخصام والتعرض لغوغائية آباء الكنيسة

الفارغة المعنى»[1].

وكانت الكنيسة تصر على رفض العقل والمنطق... وتطلب الإذعان للإيمان والإقلاع عن الفهم (دع عقلك واتبعني). والإيمان هنا ـ كما دلت التجربة ـ يفوز، لكنه يخلي مكانه للنقد الذي غالباً ما ينشر مناخاً تنويرياً عقلياً....

«إنهم يعتقدون أنهم يعالجون حقائق عقلية ويتناسون أن هذه المسألة كانت دائماً ظاهرة نفسية لا عقلانية... وإنه لمما يؤسف له حقاً أن نرى بولس يمنع المسيح من الحديث عن نفسه ولا يسمح له بالتفوه بكلمة واحدة. كأن المسيح الحق في تلك الفترة محجوباً بغشاوة كثيفة وراء سحابة من المفاهيم الميتافيزيقية».

«وواضح أن اللاهوت المسيحي قد حجب عنا المسيح الحق وجعله مجرد شكل عقائدي لا يحتاج معه إلى أساس تاريخي. وهكذا سرعان ما تم ابتلاع المسيح من قبل الأنظمة الدينية المجاورة كما تمتْ صياغته من جديد وفقاً لأساطيرهم».

وتطورت الفيثاغورية إلى فلسفة أفلوطين التي أفضْنا في ذكرها. كما أفضنا في ذكر الآلهة المثلثة عند قدماء المصريين، وأن هذا يفسر انتشار المسيحية التثليثية في مصر، وأن أسقف الإسكندرية كان دائماً الداعي الأول إلى عقيدة التثليث. كما أن الهنود أيضاً لديهم أنواع من الآلهة المثلثة فالشمس (سافستري) يعتبر الأقنوم الأول، وخالق السموات والأرض، وابنه الوحيد أكنى أي النار مساو لأبيه، وفايو الروح. وقد ولد أكني في بطن العذراء مايا بواسطة الروح فايو. وهو ما ينطبق تماماً على المسيحية حتى في التفاصيل.

التثليث عند الهنود:

وهناك **ثالوث آخر** مكون من براهما الإله الخالق، وفشنو الإله الحافظ

---

(١) هذا الكلام قاله كارل يونج في بداية القرن العشرين، وقبل نهاية القرن ظهرت مجموعات من اللاهوتيين الغربيين ينادون بإعادة التفكير في موضوع تأليه المسيح وتجسده، ومنهم علماء اللاهوت البريطانيون الذين أصدروا كتاباً بعنوان (أسطورة تجسّد الإله) تحرير جون هيك أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهام، وسنتعرض لبعض ما قالوه في فصل تالٍ.

المدبر، وسيفا الإله المهلك. وهو ما ظهر عند مرقيون الغنوصي الذي اتُّهِمَ بالهَرْطَقَة والذي قال عنه ابن البطريق: «إنه قال: بالتثليث (صالح وطالح وعدل بينهما) وهي مقالة مرقيون اللعين وأصحابه». فالصالح هو براهما، والطالح (أي المهلك) فهو سيفا، وبينهما العدل الحافظ فشنو. وهي عقيدة هندوكية حولها مرقيون إلى عقيدة مسيحية.

التثليث عند الأوروبيين:

وفي الهند أيضاً تثليث آخر استقته من فارس وهو ميترا ـ فارونا ـ أرياماان **وفي فارس** أهوار مزده وأناهيتا وميترا. وفي شريعة مانو الهندية (وحدة الكامل) الذي يتكون من زوجته ونفسه وابنه، **وعند الرومان جوبيتير وجونون ومينرفا،** وعند اليونان زيوس وهيرا وديونيزوس، **واهتم فيثاغورس اهتماماً بالغاً بالرقم ثلاثة...** وكل شيء في هذا الكون له بداية ووسط ونهاية وهي ثلاثة. **وفي الأروفية اليونانية فإن الرقم ثلاثة يرمز إلى الماضي والحاضر والمستقبل،** وكان أورفيوس يطلق على الإله جوبيتير اسم البداية والوسط والنهاية.

ونقل أرسطو عن فيثاغورس أن العالم كله محكوم بالعدد ثلاثة. وهكذا فإننا نستخدم هذا الرقم في عبادة الآلهة لأن الله خلق الأشياء أولاً، وأمسك بها ثانياً ثم جعلها كاملة ثالثاً.

ونجد التثليث حتى عند الكلت والآيرلنديين الذين يعبدون ثلاثة آلهة أشقاء منهما اثنان ظلان للإله الأكبر... وهي ثلاثة أقانيم جسدية لإله واحد.

وكان القديس سيريل المقدسي في القرن الرابع بعد الميلاد يقول: إن الفلاسفة اليونان يؤمنون بالتثليث المقدس. وإنهم كانوا يقولون: إن الطبائع الثلاث (الآب والابن والروح القدس) متحدة بدون واسطة.

ويعتقد القديس أوغسطين أن التثليث قد ترك آثاره على كل ما في هذا الكون.

ويرى كثير من الباحثين المسيحيين أن أورفيوس وأفلاطون وزرادشت وهرمس هم دعاة للتثليث المسيحي قبل زمنه وأوانه. وكذلك كان فيثاغورس وأفلوطين (الأول قبل المسيح بمئات السنين).

وكان أتباع **أفلوطين** في عصر النهضة متأثرين كثيراً بالأقانيم الثلاثة الواردة

في فلسفة أفلوطين، وكانوا يعتبرونها أثراً من آثار التثليث، ولكن جيميستوس ليثو في كتابه (موكب الروح القدس) (أحد مفكري عصر النهضة) فرّق بين رأي الكنيسة في التثليث وبين اللاهوت الهليني. وكان ليثو يقول: بأن لاهوت زرادشت وأفلاطون يقوم على أساس التثليث.

أما الكاردينال بيساريون الذي كان في روما في عهد البابا بولس الثاني فقد كان يسعى لمزيد من التقارب المسيحي الوثني، ويقيم شعائر غريبة مرتبطة بالوثنية وكتب كتاباً بعنوان (نحو دين شامل وثني مسيحي عنوانه التحالف الكاثوليكي) وذلك في مجمع بازل. وكان بليثو يؤكد على العقائد المشتركة بين الطرفين المسيحي والوثني. وقد وقف الكاردينال بيساريون إلى جانب مرقس الأفسوسي في مجمع فلورنسا الذي كان يقول: «لا تحرقوا ما بناه أجدادكم الوثنيون». وكان يدعو إلى بعث العقائد القديمة، وظهر الراهب كوزانوس في فلورنسا أيضاً وكان يدعو إلى دين واحد وشعائر مختلفة حتى يضم جميع الوثنيين. وكان يعلن أنه يؤمن بتعدد أشكال الألوهية (الذي قالت: به الوثنية من قبل) ويعتبر أن ذلك التعدد كان تمهيداً للمسيحية.

وأقرّ كثير من علماء المسيحية في عصر النهضة بما جاء في كتب القديس أوغسطين وبروكلوس من أن التثليث المقدس كان معروفاً لدى الوثنيين. وانطلاقاً من هذه القناعة تمَّ الكشف عن عدد هائل من الآلهة المثلثة بالمئات في الكتب الوثنية القديمة، وكان الكاتب الألماني هـ. أوزينيز قد ذكر أكثر من ١٢٠ إلٰهاً مثلثاً في الأديان اليونانية فقط.

وكان بعض كتّاب المسيحية يعتقدون أن كثرة الآلهة المثلثة في الديانات الوثنية القديمة وانتشارها دليل أن هناك لاهوتاً تثليثياً بين الوثنيين ووجدوا أن فينوس (الزهرة، عشتاروت) تتوّحد في ثلاث آلهات يعرفن باسم آلهات الحسن كما أن الإلٰه ساتورن (زحل) يتوحد في جوبيتير وبلوتو. وأن الآلهة ديانا لها ثلاثة وجوه واسمها الثاني Trivio أي التثليث باللغة اللاتينية. وقد لقبها الكاتب والشاعر الروماني اللاتيني أوفيد بالآلهة التثليثية. وعلى قبر البابا سيستوس الرابع تطل ثلاثة رؤوس من خلال أشعة الشمس كأنها ظل لأنوار التثليث المسيحي. وجمع الكاتب الإيطالي في عصر النهضة كمية هائلة من الوثائق حول هرمس ذي الرؤوس الثلاثة، وكانت رسومه تتزايد في عصر النهضة.

وكانت العرافات التثليثيات يتنبأن بالتثليث في ثلاثة وجوه هي المقدس والمخلص وشبه الأب. وهو قريب جداً مما تقوله الكنيسة المسيحية في عقائدها حول التثليث.

والتثليث الكلداني القديم: اهرامازاد، ميترا، أهريمان (الأخير يمثل إلٰه الظلمات). ووضع العلامة الألماني كوزاد سيلتس حفرية من الخشب عام ١٥٠٧م هدفها التقريب بين التثليث عند الوثنيين والمسيحية، فوضع بدلاً من الأب وهو يبارك المسيح صورة لجوبيتير وهو يحوم فوق ابنه الجميل أبوللو بينما يحوم الفرس المجنح بيجا سوس ممثلاً للروح القدس. وأما مريم العذراء فقد وضع مكانها العذراء منيرفا، ووضع مكان يوحنا المعمدان الذي بشر بمجيء المسيح صورة هرمس.

التثلث ليس فكرة مسيحية:

ويقول كارل يونج في كتابه (سيكولوجية الأديان الغربية)[١] بعد أن استعرض موقف الأديان الوثنية السابقة على المسيحية من التثليث: «وإذن فإن التثليث ليس فكرة مسيحية أساساً، وإنما هي فكرة جاءت من الأديان الوثنية القديمة. إن آباء الكنيسة لم يشعروا بالراحة إلى أن أعادوا بناء عمارة التثليث على غرار نموذجها المصري الأصيل. وهذا ما تم نقله أيضاً لمريم العذراء عندما أعلن مجمع أفسوس في عام ٤٣١م أن مريم العذراء وَلدت الإلٰه. وقد تم إعلان ذلك في المكان الذي كان يشهد ترانيم المجد للمعبودة المتعددة الأثداء (ديانا) [وهي أيضاً آلهة الصيد] وقد شاعت أسطورة أن مريم لجأت مع الحواري يوحنا إلى أفسوس حيث عاشت هناك. وأفسوس كانت تعبد ديانا... وقد أدى ذلك إلى ظهور عبادة مريم العذراء لدى الكولليديين كما انتشرت عبادة مريم في بعض المناطق مثل تراقيا وسيثيا Sycthia وكان معظم أتباع هذه النحلة من النساء... وكانت هناك معابد لمريم خاصة، كما كان لها كاهنات يحتفلن في أيام معلومة ويقدمن اللحم المشوي لمريم، ومن ثَمَّ يأكُلْنَه معها. وهي احتفالات تشبه القربان المقدس حيث يقدم فيها اللحم والخبز والنبيذ.

---

(١) (من كتاب الأصول الوثنية للمسيحية ص٩٣ ـ ٩٥).

مريم خارج الأقانيم الثلاثة:

ولكن مريم لم تدخل في الأقانيم الثلاثة كما أن إيبيفانوس دعي إلى طَرْدِ مريم من ملكوت التثليث، وحَصْرِه في الأب والابن والروح والقدس. وهو نفس الموقف الذي اتخذته الأناجيل واتخذته من قبل مصر القديمة. وفي الإنجيل قال عيسى لأمه: «ما لي ولك يا امرأة» (إنجيل يوحنا ٢/ ٤). وقال لها ولأبيه يوسف: «لماذا كنتما تطلباني، ألم تعلما أنه ينبغي أن يكون لي فيما لأبي؟» (لوقا ٢/ ٩٤) وتوضح الوثنيات القديمة أن الابن ينزل من عالم النور إلى عالم الظلمة، عالم الإنسان والشر. ووظيفة الابن الإله المتجسد أن يقدم نفسه ضحية من أجل أن يخلص العالم من الأذى. وهذا التصور موجود لدى الفرس: فجيومارت هو ابن إله النور، ويسقط في الظلمات، ويجب أن يخرج منها كي ينقذ العالم. مثل هذا الإله كان النموذج الأصلي للمخلص الذي تَبَنَّته المسيحية فيما بعد.

ويقول شارل جنيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها)[1]:

ولنتأمل قليلاً في أمر المسيحية في القرون الوسطى... كانت ديناً عالمياً ويتخذ الحرب وسيلة لها، ديناً متعصباً بل شديد التعصب، لا يقبل أنصاف الحلول ويخشاه اليهود بصورة خاصة. وكانت الكنيسة ملتقى العديد من العقائد التي لا يستسيغها المنطق والعقل وذات طقوس معقدة متشعبة حملت قدراً وافراً من رموز السرية والفعالية». وتداخلت طوائف لا تحصى من العبادات الخاصة التي اتجهت إلى عبادة مريم العذراء والقديسين المحليين المتخصصين الذين لا يكاد المرء يلم بقوائم أسمائهم لكثرتها. وقد فرض الإكليروس نفسه، وهيمن على عقائد الناس وحياتهم العامة والخاصة معتمداً على جيوش كاملة من الرهبان في سلسلة متدرجة من النظام الهرمي الذي يقف على قمته البابا، يساعده عدد من الكرادلة مع مجموعة كبيرة من المطارنة (الأساقفة). ولا تكاد توجد أي رابطة بين الدين البسيط الذي نادى به ذلك النبي المتواضع يسوع الناصري ذو الخلق الرفيع، وبين هذا الدين المعقد الشديد التعقيد الذي يجلس على قمة رأسه الهرمي البابا والكرادلة والأساقفة.

---

(١) شارل جينيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، بيروت، ص١٨٩.

«والحقيقة الثابتة التي لا جدال فيها هي أن الكنيسة لم تتمكن من الانتصار خلال القرن الرابع إلا بفضل انهزام الإيمان الأول الذي جاء به يسوع ونشره الحواريون الاثنا عشر».

كارل يونج: المسيحية لا عقلانية وهراء وأساسها التثليث المصري:

ويقول **كارل يونج** في كتابه **(علم النفس والأديان الغربية)**[1]: **«إن الرموز المسيحية تشنط في شطحاتها مما يحيل لا عقلانيتها إلى هُراء وتخريف. إن الإيمان المسيحي ليس مَشاعاً لكل الناس (لصعوبة الاقتناع به)، غير أن كل الناس يملكون موهبة التفكير. إن الذين يؤمنون ولا يفكرون يعرِّضون أنفسهم لأخطر أعدائهم، أعني الشك. أما الذين يفكرون فيرحبون بالشك لأنه أداتهم لمعرفة أفضل. وعلى المسيحيين أن يكونوا أكثر تسامحاً مما هم عليه تجاه التفكير».**

ويقول كارل يونج في كتابه (علم النفس والأديان الغربية) كما تنقله سميرة عزمي الدين في كتابها (الأصول الوثنية للمسيحية) عن الروح القدس ما يلي:

«إذا ظهر الأب في الابن وتنفسا معاً، وإذا ترك الابن وراءه الروح القدس للإنسان، فإن هذا يعني أن الروح القدس يتنفس في الإنسان أيضاً. وهكذا يصير الإنسان (المؤمن بالمسيح) متضمناً في بنية التثليث الذي يشترك فيه الأب والابن والروح القدس في نفس واحد. هذا يعني أن كلمة المسيح الواردة في إنجيل يوحنا (١٠/ ٣٤) «إنكم آلهة»...، وهو ما يعني تحول الجميع إلى آلهة... والشيء ذاته يقال عن القربان المقدس حيث يتحول آكل الخبز إلى آكل لحم المسيح، وشارب النبيذ إلى شارب دم المسيح، فيعيش فيه المسيح ويعيش هو في المسيح، ويتحول المؤمن بهذا الكلام أيضاً مقدساً؛ لأنه أخذ المقدس في جسده وفكره.

ويتحدث يونج أن النظرية المصرية القديمة في اتحاد الآب الابن (رع - موتف) أكثر اتساقاً من النظرية المسيحية التي أدخلت روح القدس في التثليث وحولت الجميع إلى أطراف في قضية الألوهية والتثليث. يقول يونج: «وهذه الحقيقة النفسية تفسد الكمال المجرد لصيغة الأقانيم الثلاثة، وتجعلها غير مفهومة

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية: ترجمة واختصار سميرة عزمي الزين، ص٧٧.

البنية على الإطلاق، فقد تم حشر عنصر غريب جداً عن التفكير البشري وذلك بطريقة شاذة ومفاجئة، فإذا كان الروح القدس يعمل في وقت واحد كروح الحياة وتنفسها، وروح المحبة، وهو في نفس الوقت الأقنوم الثالث الذي يتوج عملية التثلث، فإنه اختراع فكري حُشر حشراً مع الصورة الطبيعية لدى الوثنيات القديمة للآب والابن. وإنه لأمر ذو دلالة أن المسيحية الغنوصية حاولت أن توارب هذه الصعوبة بأن أولت الروح القدس تأويلاً خاصاً حين اعتبرته الأم (وهو أمر مرفوض لدى الكنيسة).

والروح القدس كما رسمته المسيحية التاريخية ونصوص الكنيسة هو بالضرورة متناقض وشاذ. هذا الأقنوم الثالث من الجانب النفسي يبدو متنافراً، فهو خارج العلامة المنطقية بين الأب والابن، ثم إنه لا يمكن فهمه إلا كفكرة اخترعها البشر... وإذن فإن المرء يحس هنا بأنه أمام بناء عقلي اصطناعي... **وفي التحليل الأخير يبدو الثالوث المسيحي كله شكلاً تجسيدياً اتخذ صورته بالتدريج بواسطة جهد عقلاني وروحاني شاق برغم وجود المثال الأصيل المستمد من الوثنيات القديمة وخاصة المثال المصري (رع ـ موتف)».**

أخناتون عابد الشمس وليس أول الموحدين:

ونجد كثيراً من الباحثين والكتاب وخاصة من مصر العزيزة يصرّون على أن أول من جاء بالتوحيد هو أخناتون (أمنحوتب الرابع)... وأخناتون عبد الشمس ورفض الآلهة الأخرى، وأنشد أناشيد في تمجيدها. وقد اشتط بعض الباحثين فقارنوا نشيد أخناتون بالمزمور ١٠٤ من مزامير داود. وقد أوضحت ما بينهما من فروق في كتابي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم)[1]، ويتحدث أخناتون عن ربه (الشمس) فيقول لها (له): «وعندما تغرب في الأفق تصبح الأرض سوداء كما لو حلَّ بها الموت. ينام في حجره وقد لفّوا رؤوسهم فلا ترى عين عيناً أخرى... وعندما تضيء النهار تطرد الظلمة، فالأرضان (الدلتا والصعيد) في عين كل يوم. ويستيقظ الناس ويقفون على الأقدام لأنك أنت الذي أنقذتهم. ما أعظم أعمالك! إنها خافية على الناس، يرفعون أذرعهم ابتهالاً عند ظهورك،

(١) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، لمحمد علي البار، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م ص٤٠٣ ـ ٤٠٧.

والناس جميعاً يؤدون أعمالهم. إنك أنت الذي يمدهم بكل ما يحتاجون، ويحصل كل شخص على طعامه عندما تبزغ في الأفق الشرقي تملأ كل الأرض بجمالك».

«يا أتون الحي يا بدء الحياة، إنك بعيد متعال، ولكنك تشرق على وجوه الناس. إنك تمنح الحياة للجنين في بطن أمه وتعني به طفلاً، وتفتح فمه وتعلمه الكلام وتدبر له ما يحتاج في حياته. يا واحد يا أحد ولا شبيه لك. لقد خَلقتَ الأرض حسبما تهوى وخلقتَ ما عليها من إنسان وحيوان، ودَبّرتَ لكل مخلوق حاجاته. وقدّرتَ له أيامه المعدودة... وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك والصيف ليذوقوا حرارتك... ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية! إنك في قلبي وليس هناك من يعرفك غير ابنك الذي وُلد من صُلبك ملك مصر العليا والسفلى، الذي يحيا في الحق، سيد الأرضين أخناتون».

فهذا أخناتون أول الموحدين في العالم حسب زعمهم ـ يدعي أنه ابن الله (الإله الشمس آتون) خالق السموات والأرضين. وخالق كل شيء ورازق كل مخلوق ومدبر كل أمر. ففكرة ابن الله موجودة منذ قديم الزمن. واستعارها بولس وجعلوا يسوع ابن الله بدلاً من أخناتون أو غيره من الآلهة البشرية.

الأعياد المسيحية أعياد وثنية

ويتحدث أندريه نايتون عن الأعياد المسيحية ومصادرها الوثنية فيقول[1]:

«ودارس تاريخ الأديان الوثنية والمسيحية لا بد أن يلاحظ أن الأعياد المسيحية قد وقتت بذكاء من قبل الكنيسة، وصار يحتفل بها في أيام الأعياد الوثنية نفسها. كان آباء الكنيسة يعرفون أن هذه الأعياد شعبية جداً، وأن اقتلاعها قد يضر بالكنيسة... وتزول دهشتنا حين نشاهد أعياد الكرنفال الكثيرة هنا وهناك والتي حلّت محل أعياد زحل القديمة».

عيد الميلاد وعبادة الشمس:

لم يعلن تاريخ ميلاد المسيح إلا عام ١٣٠ بعد الميلاد على لسان البابا تيليسفور. وبرغم ذلك فقد تعرض هذا التاريخ إلى تقلبات عدة إلى أن تم الاتفاق أن يوم ٦ كانون الثاني (يناير) هو أثبت التواريخ وأقربها إلى الصحة. لكن الكنيسة كانت تعرف أن الاحتفال الروماني الوثني بالعيد الشمسي الكبير في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) والموافق لميلاد الإلٰه الوثني (ميترا) إلٰه الشمس القهار، وأن الشعوب التي دخلت في المسيحية لن تترك الاحتفال بهذا العيد، لهذا قررت الكنيسة الغربية تحويل عيد الميلاد من ٦ يناير إلى ٢٥ ديسمبر (لا تزال الكنيسة القبطية وكنائس الشرق والكنائس الأرثوذكسية تحتفل بعيد الميلاد في ٦ يناير).

وهكذا تحول عيد الشمس الوثني إلى عيد الميلاد. وقد وصف العهد الجديد في إنجيل لوقا (١/ ٧٨ ـ ٧٩) المسيح بأنه الشمس المشرقة (بأحشاء رحمة إلٰهنا التي افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء للجالسين). ولا تزال أعياد الميلاد إلى اليوم تحمل بعض الآثار الوثنية فأهالي البروفانس في جنوب فرنسا على سبيل المثال يضعون أمام مهد الطفل المحتفل به صحوناً يملأونها بالقمح أو العدس وذلك قبل عيد الميلاد بثلاثة أسابيع. وهذا هو تقليد في عيد أدونيس حيث يضع

(١) (كتاب الأصول الوثنية للمسيحية، ص٥١ ـ ٥٨).

عباده حبوب القمح أمام صنمه ويروونها بسرعة حتى تزدهر وذلك بنفس الطريقة التي يفعلها سكان جنوب فرنسا.

ويتم في عيد الميلاد إشعال الحطب وهو رمز لتستعيد الشمس نشاطها الناري وتستكمل مسيرتها السماوية. وعيد الغطاس والتعميد هو ذكرى العيد الوثني للماء الذي كان يحتفل به في ٦ يناير عند عبادة دونيزوس وعبادة إيزيس وأوزريس فخصصت عيد الغطاس لذلك.

عيد أحد الشعانين وموكب أبوللو:

وكانت عبادة زحل عند الرومان تتم في ٦ يناير... وأما عيد أحد الشعانين فهو يرمز إلى دخول المسيح القدس واستقبال الجماهير له بسعفِ النخل... وفي الأعياد الوثنية في موكب أبوللو ـ مثلاً ـ يسير الأطفال بأغصان الزيتون والفواكه والأعشاب والحلوى، ولا يزال الأطفال في المناطق المتوسطية يحملون الفواكه المطبوخة والحلوى ليباركهم الرب في عيد الشعانين... وهو عيد وثني نباتي. وأحد الشعانين هو مقدمة لعيد الفصح الذي يحتفل به في ٢٥ مارس (آذار)... والكنيسة تحتفل بموت المسيح وبعثه بطريقة مشابهة لاحتفالات الوثنيين بموت الإلٰه أدونيس وبعثه.

عيد الفصح عيد وثني قديم:

ويصف العلامة الفرنسي غيميه في كتابه (هوامش على رحلتي إلى اليونان) أنه شاهد في مدينة باتراس اليونانية عام ١٩٠٠م احتفالاً بذكرى موت المسيح ذكَّره تماماً بما هو مسجَّل عن الاحتفالات القديمة بموت الإلٰه أدونيس في بيبلوس الفينيقية (في لبنان) عندما كانوا يضعون نعشاً منحوتاً من الخشب محاطاً بالورد عليه صورة أدونيس. ويسير الموكب في اليونان وغيرها في العصور المسيحية في طريق يمثل طرق الصلب وتتوقف أمام عدد من المحطات التي تمثل بمجموعة من أصنام المسيح ورسوله وهو ما كان يفعله الفينيقيون للاحتفال بإلٰههم أدونيس. والشيء ذاته كان يعمله المصريون.

واستعمال البيض الملوَّن في عيد الفصح هو أيضاً عيد وثني قديم عند مجموعة من الأمم الوثنية، وهو يرمز إلى الحياة الجديدة وبعثها... وهو موجود في مصر إلى اليوم باسم عيد شم النسيم، وهو عيد فرعوني، ويتم فيه أكل البيض

وتلوينه والنباتات والفسيخ (سمك مملح) وذلك كله دلالة عندهم على تجدد الحياة في الربيع.

والاحتفالات المريمية هي نفس احتفالات الوثنيين بسيبيل وإيزيس. وقد نقل الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر أعياد أتيس وسيبيل من شهر آذار (مارس) إلى شهر أيار (مايو) واختارت الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد نفس التوقيت في شهر مايو للاحتفال بأعياد مريم، والاحتفال بصعود مريم إلى السماء في ١٥ آب (أغسطس) إنما يمثل عيد آلهة القمر أرثميس عند اليونان والرومان الذي كان يتم في هذا التاريخ.

وقرر البابا جريجوري الرابع الاحتفال بعيد جميع الموتى سنة ٨٣٥م في الأول من نوفمبر ليوافق أعياد الكلت (في إيرلندة وشمال أوروبا).

وفي رسالة وجهها البابا جريجوري الكبير سنة ٦٠٠م إلى المبشر ميليتوس نصحه فيها بعدم تدمير المعابد الوثنية، وأنه لا بد من مداهنة الوثنيين والسير بهم خطوة خطوة نحو دين المسيح. ويقول القديس أوغسطين في رسالته التاسعة والعشرين: إن الكنيسة الكاثوليكية قررت الاحتفالات بأعياد الشهداء، وتقديم الطعام لهم، على طريقة الاحتفالات الوثنية الكبيرة.

الباب السابع

أسطورة تجسُّد الإله

أسطورة تجسُّد الإله

مختصر لكتاب أسطورة تجسد الإله (في المسيح)(١).

مجموعة من علماء اللاهوت وأساتذته في الجامعات البريطانية.

تحرير جون هيك.

تعريب د. نبيل صبحي ـ دار القلم ـ الكويت ١٩٨٥م.

.The Myth of god Incarnate

.Editor John Hick SCM, Press, London, ١٩٧٧

المؤلفون:

١ ـ دون كيوبت (Don Cupitt): محاضر علم اللاهوت وعميد كلية عمانوئيل، جامعة كامبروج.

٢ ـ مايكل جولدر (Michael Goulder): أستاذ خاص لهيئة التدريس في علم اللاهوت في جامعة برمنجهام.

٣ ـ جون هيك (John Hick): أستاذ علم اللاهوت في جامعة برمنجهام.

٤ ـ ليزلي هولدن (Leslie Holden): محاضر في (دراسات العهد الجديد) في كلية الملك (كنجز كويج)، جامعة لندن.

٥ ـ دينس نينهام (Dennis Nineham): ناظر كلية كيبل في جامعة أوكسفورد.

٦ ـ موريس وايلز (Maurice Wiles) الأستاذ الملكي (Regius Professor) لعلم اللاهوت وقانون كنيسة المسيح، جامعة أكسفورد.

٧ ـ فرانسيس يونج (Frances Young) محاضرة في دراسات العهد الجديد في جامعة برمنجهام.

---

(١) اختصرت الكتاب من الأصل الإنجليزي، واستعنت بالترجمة العربية، ووضعت تعليقاتي مباشرة، ولم ألتزم دائماً حرفية النص لشدة غموضه على القارئ العادي، ولضرورة الاختصار.

توطئة

زيادة عدد علماء النصارى المنكرين لعقيدة التثليث والتجسيد:

من الملفت للنظر أن عدداً كبيراً ومتزايداً من علماء النصارى سواء كانوا من الإكليروس واللاهوتيين أم من العلمانيين (بمعنى أنهم خارج الكهنوت لا بمعنى أنهم ضد الدين) ينضم إلى محاربة عقيدة تجسُّد الإله في المسيح يسوع، وإلى اعتبار أن التثليث عقيدة وثنية أدخلت بالتدريج إلى المسيحية الحقة التي جاء بها يسوع، وآمن بها الحواريون ومجموعات اليهود المتنصرين من أمثال الأبيونيين (الفقراء إلى الله)، ثم من بعدهم آريوس وشيعته بما أدى في النهاية إلى اضطهادهم وإبادتهم. وذلك كله من بعد أن دخل الإمبراطور الوثني قسطنطين في المسيحية، ووقع التحالف بينه وبين مجموعة من البطاركة على رأسهم بطريرك الإسكندرية (أثناسيوس) وبقية الثلاثمائة وثمانية عشرة أسقفاً الذين وافقوا على قرارات مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وما تبعه من مجامع مثل مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م. يقول البروفسور جون هيك (John Hick) في كتاب (أسطورة تجسُّد الإله (The Myth of God Incarnate)[١] الذي وضعه سبعة من كبار علماء اللاهوت في بريطانيا: «والمؤلفون مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً رئيساً مطلوب الآن في الربع الأخير من القرن العشرين. وتبرز الحاجة لذلك من حجم المعلومات عن الأصول المسيحية، **والتي تضم اعترافاً بأن المسيح كان إنساناً اختاره الله لدور خاص في الإرادة الإلٰهية، وأن الاعتقاد الذي ظهر بعد قرون من رفع يسوع بأن الله قد تجسَّد فيه ـ وأنه الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس (الله الآب ـ الابن يسوع المسيح ـ وروح القدس) ليس إلا أسلوباً أسطورياً أو شاعرياً للتعبير عن أهمية يسوع بالنسبة**

---

(١) أسطورة تجسّد الإله (في السيد المسيح) (The myth of God Incarnate) تحرير جون هيك، إصدار (SCM Press, London) ١٩٧٧م، تعريب د. نبيل صبحي، الكويت عام ١٩٨٥م، ص٢٣ وما بعدها (عندي نسخة من الأصل الإنجليزي ونسخة من ترجمته) اشترك في الكتاب سبعة من أساتذة علم اللاهوت في أربع جامعات بريطانية عريقة.

لنا. وهذا الاعتراف مطلوب منا لمصلحة الحقيقة أولاً، ولعلاقتنا بأبناء الديانات الأخرى الكبرى ثانياً (المقصود اليهودية والإسلام)».

«والتعديلات التي غيّرت بها المسيحية نفسها في الماضي لتصبح قابلة للاعتقاد كانت تسبب أحياناً عطَباً أدى إلى رفض كثير من الناس في العصور الحديثة للمسيحية ذاتها، ولذا لا بد من إيجاد تغييرات في الكهنوت اللاهوتي المسيحي ستساعد أولادنا وأولاد أولادنا على جعل الصحبة المسيحية ممكنة. والمسيحية لا تستطيع البقاء إلا في كونها منفتحة باستمرار على الحقيقة، ولهذا وضعنا كتابنا هذا متفقين مع عدد متزايد من علماء اللاهوت المسيحي، ومن العامة الذين لم يعودوا يقبلون فكرة تجسّد الإله في يسوع المسيح».

وهذا كلام مهم يجب على علماء الإسلام أن يهتموا به اهتماماً بالغاً، إذ أن ذلك يشكل فرصة طيبة لإعادة المسيحية الحقة إلى وضعها الطبيعي، وإلى أن يُزال عنها ما ران عليها وتكاثف من السجَف عبر العقائد الباطلة، ابتداء من انحرافات بولس، وسيراً عبر المجامع الكنسية ابتداء من مجمع نيقية ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية عام ٣٨٢م، إلى المجامع المتأخرة مثل مجمع لا تران عام ١٢١٥م، ومجمع ترنت (١٥٤٢م ـ ١٥٦٣م). وهذه ظاهرة هامة جداً حيث نرى العديد من علماء النصرانية من اللاهوتيين وخارجهم يؤكدون على أن هذه العقائد من الفداء والتجسد والتثليث كلها باطلة، ودخلت مع الوثنيين، وسكت عنها رجال الكنيسة لأغراض عدة.

ومما قاله **الأب سيداروس اليسوعي في كتابه (تكوين الأناجيل)**(١) عن يسوع الناصري: «يسوع الناصري عاش في الناصرة، وبدأ يعلم ويدعو وهو في سن الثلاثين، وتُظهره الأناجيل بصورة بشرية. وهو نفسه لا يدعي سوى أنه بشر، رسول من عند الله، وله معجزات: شفاء المرضى، وتكثير الطعام، وإقامة بعض الأشخاص بعد موتهم. **ولكنه لا يعلم أنه المسيح** (هكذا يقول الكاتب وإن كنا نعتقد أنه يعلم ذلك كما جاء في بعض نصوص الإنجيل ذاتها، وكما جاء في القرآن الكريم)، **فضلاً عن أن يكون ابن الله، والأقنوم الثاني في التثليث المسيحي (الله الأب، يسوع الابن، والروح القدس). وكلّ واحد منهم إله منذ الأزل إلى**

---

(١) سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل دراسات في الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م، ص٥ و٦.

الأبد، ومع ذلك فهو إله واحد. وهو أمر يصعب فهمه وشرحه للآخرين ولا سبيل إلى إدراكه بالعقل والفكر. وطريقه الوحيد هو الإيمان والتسليم».

وقد سبق أن نقلنا فصولاً مما كتبه عدد كبير من المسيحيين من علماء اللاهوت من داخل الكهنوت وخارجه، ومن علماء تاريخ الأديان، مثل شارل جينيبر في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) الذي ترجمه الإمام الشيخ عبد الحليم محمود، وكتاب (الأصول الوثنية للمسيحية) وهو اختصار وترجمة لخمسة كتب:

أولها: لأندريه نايتون أستاذ علم الأديان المقارن في كتابه (المفاتيح الوثنية للمسيحية).

وثانيها: إدجار وند: (الطقوس السرّية الوثنية في العصور الوسطى).

وثالثها: كارل يونج العالم النفسي الشهير في كتابه (علم النفس والأديان الغربية).

ورابعها: بيير كريبون (الأناجيل المنحولة) (الخفية) إنجيل مريم المجدلية ومعراج مريم.

وخامسها: جيمس روبنسون: (مكتبة نجع حمادي)، أي الكتب المسيحية الدينية المكتشفة في صعيد مصر في نجع حمادي.

كما نقلنا نقولات ضافية عن هيام ماكبي في كتابه (بولس واختراع المسيحية) (صانع الأسطورة)، ونقلنا عن عدد كبير من المؤلفين، وشرّاح الكتاب المقدس، ودوائر المعارف البريطانية، والأمريكية، والغالبية الساحقة من هؤلاء العلماء والكتّاب يقررون ما يلي:

١ ـ إن كتابات العهد الجديد (الأناجيل والرسائل والرؤى) كتبها أفراد لم يروا المسيح، ولم يشاهدوا معجزاته، ولا سمعوا كلامه، وكثير منهم مجهول تماماً. ووضعوا معتقداتهم الخاصة وتأثروا بالبيئات المحيطة بهم.

٢ ـ لا تعتبر هذه الكتب وحياً من الله ولا لها العصمة الإلٰهية، وقد كتبها رجال مختلفون وبُدِّلت هذه الكتب مئات بل آلاف المرات، وأضيف إليها وحذف منها (والقائمة لا تزال مفتوحة). **وبالتالي فإن الجدل الطويل الذي كان يحرص عليه العلماء المسلمون في إثبات أن التوراة والإنجيل، وهما من عند الله، قد حُرِّفا وبُدِّلا، أصبح لاغياً ولا حاجة له؛ لأن رجال الدين المسيحي (واليهودي) يؤمنون**

إيماناً قطعياً بأن هذه الكتب لم يأت بها موسى أو عيسى أو داود أو أي من الأنبياء والمرسلين. وإنما كتبت هذه الكتب والأسفار بأيدي كتّاب مجهولين لا أحد يعرف عددهم الحقيقي، ولكنهم بالمئات، وقد بدلوا وغيروا ما كتبوه باستمرار، حسب الحاجة وما يعتقلونه أنه الصواب.

تعديلات في المسيحية:

ويقول جون هيك في توطئته لكتاب (أسطورة تجسُّد الإله)[1]: «في القرن التاسع عشر قامت المسيحية في الغرب بتعديلين رئيسيين في مواجهة التوسعات الهامة للمعرفة الإنسانية:

١ ـ قَبلت أن الإنسان جزء من الطبيعة ضمن تطور أشكال الحياة (أي قبلت نظرية دارون).

٢ ـ قبلت أن الأناجيل كُتبت بأقلام أشخاص عدة في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفى على كلماتها عصمة الأمر الإلٰهي».

«ولم يأتِ هذان التعديلان دون صدام مع أشواك الحقائق التي سببت جروحاً لم تندمل تماماً حتى الآن. ومع ذلك تستمر المعرفة الإنسانية في نموها بتسارع متزايد. والضغط على المسيحية هو أقوى من أي وقت مضى لتعدِّل نفسها لوضع يمكن الاعتقاد به، ويقتنع به المفكرون الأمناء الذين تجذبهم بشدة الصورة الإنسانية للمسيح والضوء الذي تلقيه تعاليمه على معنى الحياة».

ويؤكد المؤلفون: على أهمية الاعتراف بأن المسيح كان بشراً، وظل بشراً، ومات بشراً، وأنه إنسان اختاره الله ليؤدي رسالة هامة جداً، وأنه لم يكن أبداً جزءاً من الذات الإلٰهية ولا تجسَّد الإله فيه، وأن هذه الأسطورة ينبغي أن يُعتَرف بأنها لا حقيقة لها. وأن ما كان يعتبر لُبَّ المسيحية، ولا إيمان بدونها أمر غير صحيح. ولا بد من الاعتراف بأنها أسطورة تعطي صورة شاعرية عن تقدير المؤمنين في عصر كانت فيه الآلهة تتجسد... وكان الحاكم يعتبر نفسه إلٰهاً أو ابن الإله. ولم يكن غريباً في ذلك العصر المليء بالخرافات والأساطير أن يدَّعي أحد أنه الإله أو أن الإله تجسَّد فيه، كما أن عقائد التثليث والآلهة المثلثة كانت منتشرة جداً في كل تلك الأصقاع، وفي مختلف الشعوب المحيطة بفلسطين، وفي العالم الهلينستي وخارجه.

---

(١) أسطورة تجسد الإله، ص٢٣.

ولذا فلا يستغرب أن يتقمَّص رجال الكنيسة ابتداء من بولس ومن جاء بعده عقيدة التثليث، وعقيدة تجسُّد الإله. وعلى المسيحيين اليوم أن يعترفوا بأن ذلك كله أسطورة من الأساطير، ولا يمكن الدفاع عنها بأي حال من الأحوال.

وينتهي إلى القول: «إن أملنا هو تحرير الحديث عن الله، وعن يسوع، من الخلط والتشويش، محررين بذلك الناس لخدمة الله في الطريق المسيحي بكمال أكثر».

ويستخدم دون كوبيت عميد كلية عمانويل بجامعة كمبردج حجج يوحنا الدمشقي (٦٧٥م ـ ٧٤٩م) عندما قالوا له: إن الإيقونات (تماثيل صغيرة تستخدم للعبادة في البيوت وهي تمثل يسوع ومريم) ليست في الكتب المقدسة. وردَّ يوحنا قائلاً: «لن تجدوا أيضاً في الكتب المقدسة التثليث وثنائية طبيعة المسيح». واعترف يوحنا الدمشقي أن الإيقونات، والتثليث والتجسد، كلها بِدَع أُدخلت على دين يسوع المسيح لتقوية الإيمان حسب زعمه ولا بدَّ في نظره من التمسك بها، ويزعم يوحنا الدمشقي أنه إذا ضاعت هذه البدع فإن الإنجيل كله يصبح مهدداً بالضياع. وهو أمر غير صحيح».

ويقول كوبيت: «إن كلام يوحنا الدمشقي يكشف صورة غريبة من المسيحية وهي التقلُّب، وعدم الثبات، والسرعة التي تُضفَى فيها القداسة الدينية على البدع لدرجة أن كل من يشك فيها، يجد نفسه معتبراً من الهراطقة».

والواقع كما يقول كوبيت: «**إن عقيدة التجسيد والتثليث دخيلة على روح المسيحية، وتنتمي إلى فترة من تاريخ الكنيسة انتهى وقتها في عصرنا الحاضر**».

«إن مقالاتنا في هذا الكتاب ليست شيئاً جديداً في بلد محافظ مثل بريطانيا. **والنظرة التي شُكِّلت عن المسيح في القرنين الرابع والخامس الميلاديين تنهار، ولا تنهار فقط في أذهان الناقدين العقلانيين، ولكنها تنهار في أذهان زعماء الكنيسة اليوم، ولقد أدَّت عقيدة تجسُّد الإله في يسوع المسيح إلى الإضرار بالإيمان بالله، وبإدراك علاقة الإنسان بالله**».

«**ولا شك أن عقيدةً تجعل الله متجسداً كلياً في المسيح تؤدي إلى عبادة يسوع المسيح على أنه الله، وتجعل له طقوساً تعبُّدية خاصة. وهذا أمر وثني يجب التخلص منه، وهو يذكِّرنا بعبادة الإمبراطور... وفي نهاية القرن الرابع الميلادي لم يكن هناك فرق بين المسيح والإمبراطور. وأعلن علماء اللاهوت آنذاك أن تبجيل**

أيقونات المسيح مساوٍ تماماً لتبجيل شعارات الإمبراطور. وأصبح المسيح أساساً للإمبراطورية المسيحية، وللسلطتين السياسية والكهنوتية في هذا العالم، وأصبحت المسيحية أو جُعلت مستبدة استبداداً مطلقاً».

«ولا شك أن فكرة التجسُّد، وهي أن الله اتخذ بصورة دائمة طبيعة بشرية، ويمكن وصفه بأنه إلٰه في شكل إنسان، تُضفي الشرعية على العقائد الوثنية التي تحدَّثت عن الإلٰه الإنسان».

وينتهي إلى القول: «إن التجسد الإلٰهي في المسيح ما هو إلا وثنية، تؤدي إلى عبادة الإنسان للإنسان وهو ما جاء يسوع المسيح ليُحاربه».

والأبحاث في هذا الكتاب ممتعة وعميقة، ولا شك أنها تفتح الباب للتقارب بين المسيحية والإسلام، وعلى علماء المسلمين دراسة هذه الأفكار ودعمها لتتمكن الجماهير المسيحية المُضلَّلة والتي لا تزال تؤمن بالثالوث، والتجسُّد الإلٰهي في يسوع المسيح، لتتخلَّص من هذه الأساطير الوثنية التي دخلت إلى الدعوة الحقَّة التي جاء بها يسوع المسيح، روح الله، وكلمته، التي ألقاها إلى مريم العذراء الصدِّيقة.

وهذا لا يعني أننا نتفق مع كل حرف أو كلمة في هذا الكتاب، فهناك ما يحتاج إلى مراجعة أو مراجعات، ولكن النقطة الهامة جداً أنَّ هذا الكتاب وأمثاله تفتح الطريق للعودة إلى الإيمان الحق بالله تعالى رباً وإلٰهاً واحداً فرداً صمداً، وأن يسوع المسيح عبد الله ورسوله، نصح الأمة وأدَّى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده كما أمره ربه.

لا بدَّ من بذل جهود ضخمة للتواصل مع قادة فكر هؤلاء الغربيين، وكثير منهم قادة لعلم اللَّاهوت ومن رجال الكهنوت، وفتح أبواب الحوار الهادئ يُثري القضية ويدعم الإيمان الصحيح الذي تحتاجه البشرية اليوم، وتتوق إليه، بَدَل مهاوي الكفر والإلحاد والشك والزيغ والضلال وهاوية العلمانية والإلحاد.

الفصل الأول

المسيحية بدون تجسّد

✍ موريس وايلز

يقول **البروفسور موريس وايلز** في الفصل الأول من كتابه **(أسطورة تجسد الإله)** وهو بعنوان **(مسيحية بدون تجسّد)**[1].

هل يمكن تغيير العقائد المسيحية حول التجسّد؟ نعم، يمكن ذلك:

توصف المسيحية بأنها إيمان تجسُّدي، ويمكن فهم الجملة هذه بمعنى ضيق أو فضفاض: فالمعنى الفضفاض يشخّص المسيحية كدين يتصل الإنسان فيه بالله عن طريق العالم المادي بدل الهروب منه، أما المعنى الضيّق فيجعل المسيحية مرتكزة على عقيدة تجسّد الله في يسوع الناصري والتي حددت في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م. والذي جعل يسوع إلٰهاً كاملاً، الشخص الثاني من الأقانيم الثلاثة المتساوية وهي الأب (الله) ـ الابن (يسوع المسيح) ـ وروح القدس.

والسؤال الذي سأطرحه في هذا الفصل: هل الإيمان التجسيدي بالمعنى الضيّق الذي قبلته الكنائس المسيحية منذ مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م، وحتى العصور الحديثة، ضروري لبقاء المسيحية؟ وهل من الممكن وجود مسيحية بدون تجسّد بهذا المعنى (أي بالتخلي عن العقيدة الخلقيدونية)؟

وقبل أن أجيب على هذه الأسئلة سأطرح ثلاثة أسئلة أخرى:

١ ـ هل هذا السؤال مناسب في محله؟

---

(١) موريس وايلز: مسيحية بدون تجسّد، الفصل الأول من كتاب أسطورة تجسّد الإله (The Myth of God Incarnate ed John Hick, SCM Press , London, 1977, Maurice Wiles: Christianity Incarnation, pl - 10) تعريب نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م. البروفسور موريس وايلز رئيس قسم وأستاذ مادة الألوهية وقانون الألوهية الكنسي في جامعة أوكسفورد.

تعتبر عقيدة خلقيدونية أساسية لدرجة أن كثيرين يعتقدون أن التخلي عن هذه العقيدة هو تَخَلٍّ كامل عن المسيحية، فقد أصبح في ذهن هؤلاء أن المسيحية وتجسُّد الإله في يسوع مترادفان لا يمكن فصلهما، وأن المسيحية بدون عقيدة التجسّد ليست مسيحية على الإطلاق.

ولكن المسيحية غيّرت كثيراً من عقائدها الأساسية:

فعقيدة القربان المقدس Eucharists التي يتحول فيها الخبز والخمر على يد الكاهن بعد تقديمهما في طقوس القربان إلى لحم المسيح ودمه حقيقة كانت عقيدة أساسية لا يمكن التنازل عنها منذ القرن الثالث للميلاد إلى عهد الإصلاح الديني (مارتن لوثر وكالفن القرن السادس عشر). وكان المسيحيون يرون استحالة انفصام المسيحية عن عقيدة القربان المقدس... والمسيحية بدون عقيدة قربان مقدس ليست مسيحية، ومع ذلك فقد قَبِلَت المسيحية البروتستانتية بكل يسر وسهولة فك الارتباط بين عقيدة القربان المقدس والمسيحية... وأصبح البروتستانت في جميع أرجاء العالم لا يؤمنون بحقيقة القربان المقدس، بل يرونها عقيدة أسطورية لا يمكن قبولها إلا على سبيل المجاز، وبمعنى فضفاض جداً.

وكانت المسيحية تعتقد في عصمة الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) ولكن ما إن جاء عصر النهضة والتنوير حتى اتضحت بجلاء أخطاء الكتاب المقدس في مجال العلوم والطبيعة، ثم اتضحت أيضاً بجلاء المصادر العديدة للمخطوطات الدينية التي كتبها أعداد كبيرة جداً من البشر، في عهود مختلفة تصل إلى أكثر من ألف عام بالنسبة للعهد القديم، وإلى مئات السنين بالنسبة للعهد الجديد. ولم يكن من الممكن إلى العصر الحديث قبول فكرة أن الكتاب المقدس ليس معصوماً من الأخطاء، وأنه كتبه بشر، نقلوا معارف عصرهم وأساطيره إلى تلك الكتب. وهي رغم ذلك ذات سلطة دينية ولكنها غير معصومة، ولم يعد أحد في الدوائر الدينية ذاتها يُصرُّ على عصمة هذه الكتب الدينية. ومع ذلك بقيت المسيحية ولم تَنْهَرْ رغم انهيار عقيدة عصمة هذه الكتب وأنها وحي مباشر من الله.

والمثل الثالث هو الصلة بين عقيدة التجسّد وولادة السيدة مريم العذراء: ففي أوائل القرن العشرين عندما بدأت الشكوك تتردد عن الحقيقة الحرفية لحمل السيدة مريم العذراء بالسيد المسيح، كانت تفسر هذه الشكوك بأنها هجوم مباشر

على الاعتقاد بالتجسّد، فلقد كانت ولادة العذراء تعتبر بحزم الطريقة التي حدثت بها غاية التجسد، فإما أن يبقى الاعتقادان أو يسقطا معاً. . . ورغم ذلك فقد قبلت كنيسة إنجلترا في تقريرها العقيدي عام ١٩٣٨م باختلاف وجهات النظر في ولادة السيدة مريم العذراء بين أعضاء اللجنة، ومع ذلك فإنهم يقبلون حقيقة تجسّد الإله في المسيح.

ومما تقدم يتضح أنه يمكن أنْ تغيّر الكنيسة مواقفها العقيدية بحيث تتخلص يوماً ما عن عقيدة تجسّد الإله في يسوع المسيح دون أن تفقد مسيحيتها، تماماً كما فعلت حينما تخلّتْ عن عقيدة القربان المقدس بمعناها الحرفي، وكما آمنت بعدم عصمة الكتاب المقدس، وأنه يحوي العديد من الأخطاء البشرية في العديد من المجالات، وكما قبلت الآراء المختلفة في قصة ولادة مريم.

٢ ـ هل هذا السؤال ضروري؟

أي السؤال عن قضية تَجَسُّد الإله في يسوع المسيح.

والواقع أن التجسد (أي تجسد الله في يسوع المسيح) غير موجود في الأناجيل وغير مذكور بصورة مباشرة في الأسفار المقدسة. وكُتَّاب الأناجيل لم يكونوا فقط ناقلين لتعاليم يسوع المسيح، بل كانوا مفسِّرين، ووضعوا خصوصية يسوع بطرق مختلفة: فقد تحدثوا عنه كنبي الحشر والنشر، وابن الإنسان (والمسيح)... والبعض منهم يتصوره تجسيماً للحكمة الإلهية التي تتحدث عنها أدبيات العهد القديم، كتب التوراة، أو كلمة الله Logos. وكل الأناجيل، وحتى الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا)، وهو أشدها اقتراباً لم تصل إلى نقطة التأكيدات التي طبعت العقيدة المتأخرة للتجسد والتي اعتمدتها الكنيسة فيما بعد في مجامعها المتالية.

(عقيدة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية في القرن الرابع، ومجمع خلقيدونية في القرن الخامس سنة ٤٥١م).

البيئة التي ظهرت فيها عقيدة التجسّد:

ولا بد أن نضع في أذهاننا أن البيئة التي ظهرت فيها هذه العملية (عملية نمو عقيدة التجسّد) كانت تؤمن بالتدخل الإلهي فوق الطبيعي، وكانت جميع الأمم التي نشأت فيها المسيحية تؤمن بفكرة تجسُّد الإله في شخص ما (بوذا، آلهة

اليونان، أباطرة الرومان)... وقد فُهِمَ ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان يسوع (أنا كنت قبل إبراهيم) (أنا وأبي واحد) بمعنى حرفي ضيق، مما أدى إلى الاعتقاد بألوهية يسوع. ولكن يمكن تفسير هذه الأقوال بمعنى واسع غير حرفي لتجعل ذلك بعيداً كل البعد عن عقيدة التجسد.

فشل الكنيسة في جعل المسيح إنساناً كاملاً وإلٰهاً كاملاً في نفس الوقت:

وقد فشلت الكنيسة في تاريخها الطويل في تقديم عرض منطقي للمسيح كإنسان كامل، وفي نفس الوقت إلٰه كامل. لم تنجح أبداً في عرض صورة متماسكة مقنعة، وكانت بشرية المسيح هي التي تأذت في الغالب بهذا الأسلوب، فالصورة التي عرضت لا يمكن اعتبارها صورةً إنسانية واضحة.

وشهدت المسيحية جدلاً واسعاً وانقساماً شديداً حول طبيعة المسيح؟ هل له طبيعةٌ واحدة؟ إلٰهية أم بشرية؟ أم هل له طبيعتان بشرية وإلٰهية في نفس الآن والوقت؟ وأدى ذلك إلى مشاكل عديدة للمسيحية وانقسامها أحزاباً وشيعاً متحاربة متقاتلة يكفر بعضُها بعضاً. وكيف يمكن أن نقبل أن يسوع يقع في أخطاء، بل وفي خطايا باعتبار بشريته، وفي نفس الوقت يتمتع بالطبيعة الإلٰهية الذي خَلَقَ الأكوان بيده!!.

فهل نحن متأكدون من أن فكرة التجسد أي الإنسان الكامل الذي هو في نفس الوقت إلٰه كامل هي فكرة مفهومة ويمكن أن يقبلها العقل والمنطق؟.

والغريب حقاً أنهم يقولون: إنه ليس ليسوع معرفة خاصة متميزة، وليس له باب خاص يلج منه لمعرفة أكثر مما هو متاح لنا نحن البشر، ويُلحّون على أن يسوع لم يكن يعلم أنه ابن الله والإلٰه متجسد فيه، «ومع ذلك فهم يؤكدون بنفس القوة أنه بالتحديد ابن الله المتجسّد فيه. وهكذا كتب (جون بيكر) أن يسوع لم يرَ نفسه أكثر من أي بشر آخر، ولم يرَ نفسه كمنقذ للعالم ولا ككائن إلٰهي موجود من الأزل في الجنان».

ويعترف بأن يسوع أخطأ في البرنامج الذي وضعه الله لأتباعه، وينتقل ليناقش في أن الخطأ في تفاصيل المستقبل هو صورة لحالة البشر التي لا يمكن التغلب عليها إلا بإعطاء يسوع قوى أرفع من مستوى البشر. وهذا ربما كان يُرضي الأحلام القديمة التعبة للوثنية، ولكنه يستبعد كلياً كل تجسد حقيقي للإلٰه في المسيح.

وأكثر المشاكل التي حيّرت المناظرات حول المسيح عبر التاريخ المسيحي تغيب؛ لأن المضمون الاختباري الذي كان يفهم أنه مشترك في التجسيد تغير لدرجة لا يمكن التعرف عليه تقريباً. وهذا الموقف الجديد يستدعي حقاً طرح التساؤل فيما إذا لم تتغير فكرة التجسد إلى درجة أنها ليست الفكرة التي كان يعبر عنها قبلاً، رغم الاحتفاظ بنفس الكلمة. ولهذا ينبغي إعادة النظر جذرياً بتفسير كلمة تجسّد، أو طرح فكرة أخرى غير التجسد قد تستطيع أن تعبر عن المغزى الإلٰهي ليسوع المسيح.

والسؤال: هل البديل هو في العودة إلى عقيدة التوحيد القديمة التي رفضها الجسم الكنسي في الماضي(١) لأنها في نظره تخلو من الديناميكية التي تطبع الإيمان الحي! أو يمكن النظر إلى اقتراح مسيحية بدون تجسُّد كحل إيجابي بناء. وأعتقد أن المسيحية ليست بالضرورة مرتبطة بالتجسد، ولن تزول المسيحية إذا أسقطنا عنها عقيدة تجسد الإلٰه في يسوع المسيح.

وسيبقى يسوع بدون تجسد كمثال لحياة الإنسان... والمسيح يشكل أنواعاً متعددة من المثاليات الشخصية، فقد أعلن عن يسوع كنموذج للنساك والفلاحين، وكجنتلمان وكنموذج للثّوار، وفي نفس الوقت صُوِّرَ كنموذج للمسالمين الوادعين، كما أنه صُور كمثال حتى للإقطاعيين والجنود مع بعد حياته التي نقلت إلينا عن هذه المجموعة من البشر. وفي الغرب اللاتيني صُور (بندكت، وفرنسيس، وبرونو، وأغناطيوس لويولا) على أنها أمثلة حيّة للمسيح، كما أن كل واحد منهم يختلف عن الآخر اختلافاً جذرياً وشاسعاً.

وبقيت أهمية يسوع الأولى عند المسيحيين في القناعة بأنه هو الذي تجتمع بالله من خلاله، ويقولون: كيف يمكن أن يتسنَّى ليسوع أن يكون منقذ العالم بمعزل عن العقيدة الكاملة للتجسد؟.

---

(١) لقد رفضت المجامع الكنسية ابتداء من مجمع نيقية ٣٢٥م، ثم القسطنطينية ٣٨٥م، ثم خلقيدونية ٤٥١م عقيدة التوحيد التي كانت سائدة لدى المسيحيين الأوائل، والتي بقيت لدى اليهود المسيحيين، الأناجيل المخالفة التي لا تعترف إلا ببشرية يسوع، خارجة عن الدين المسيحي، وأتباعها هراطقة كفرة، اضطهدتهم وقتلتهم وشردتهم.

عبادة المسيح ووثنية الطابع:

وإذا تركنا عقيدة التجسد التي سارت عليها المسيحية لقرابة ألفي عام ألا يعني ذلك أن عبادة المسيح التي كانت التقليد الرسمي عبر كلّ التاريخ المسيحي هي وثنية الطابع[1]. ولكن ينبغي علينا أن نعي الحقيقة وهي أنه ليس يسوع نفسه هو الذي أنقذ، ولا المسيح نفسه هو الذي يُتَوَجَّهُ إليه بالعباده ولكنه الله ذاته. وغياب عقيدة التجسد لا يُحطم دور المسيح كوسيط دلّنا على الله، لأن الله يأتي إلينا دائماً من خلال البشر (الأنبياء والرسل)، حيث نتمكن من لقائه والاستجابة له. فمن خلال شخصية وزعامة موسى تعرَّف بنو إسرائيل على قوة (يهوه) المنقذة. ومن خلال تجربة النبي هوشع وخدماته النبوية استطاعوا الوصول إلى الأعماق التي لا تنضب من حب الله[2]. لذلك يمكن القول: بأن الله منحَنا نفسه في حُبِّه من خلال يسوع الذي كان أتم تعبير عن ذلك، ويمكن للبشر الاستجابة التامَّة له؛ لأن يسوع لم يكن فقط معلِّماً، بل إن حياة يسوع، وخدمته، وموته، وابتعاثه وصورته ذاتها، يمكن أن تبقى بؤرة شخصية لترينا قدرة الله في هذا العالم.

وفي النهاية أقول: إن التخلص عن عقيدة التجسد لن يؤدي إلى التخلي عن كل الادعاءات الدينية الأخرى التي تلازمها عادة. سيكون هناك فرق طبعاً، لكن حقيقة حُبِّ الله الذي وهب نفسه فيه لنا، ودور يسوع في نقل هذه الرؤية للعالم سيبقيان.

---

(١) لقد كانت عبادة المسيح وعقيدة التجسّد والتثليث والإله الذي يتعذب ويموت ويصلب ثم يقوم مرة أخرى ليصل إلى مجده السماوي هي عقيدة وثنية كما أوضحناها في الفصول السابقة بأقوال علماء الدين المسيحي وعلماء تاريخ الأديان الموثقة بعشرات الأدلة.

(٢) هذا الكلام مهم جداً حيث يتفق تماماً مع النظرة الإسلامية، فعيسى ﷺ رسول قد خلت من قبله الرسل. ومعجزاته كلها بإذن الله وقدرته. والمسيح يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥١، ٥٢].

الفصل الثاني

(ألقاب يسوع المسيح)

✍ فرانسيس يونغ

وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب الهام (أسطورة تجسُّد الإله) تتحدث فرانسيس يونغ المحاضِرة في (دراسات العهد الجديد) في جامعة برمنجهام[1] عن ألقاب يسوع المختلفة في الأناجيل والرسائل (العهد الجديد): مثل ابن الله، الكلمة، السيد (الرّب، Lord, Kyrios، المسيح فتقول: إنها كانت موجودة قبل ظهور المسيح، ويمكن الاطلاع عليها في وثائق دينية غير مسيحية، وبتفسيرات غير مسيحية؛ ولهذه الألقاب أصول يونانية وثنيّة كما أن لها أصولاً يهودية. ومن الواضح أن يسوع لم يَدَّعِ هذه الألقاب لنفسه ما عدا لقب (ابن الإنسان). ولا تُوفِّر الأناجيل أية معلومات مباشرة عن ألوهية يسوع، ولكن المسيحيين الذين استعملوا هذه الألقاب الوثنية اليونانية، أو الألقاب اليهودية أَضْفَوا عليها معاني جديدة، وحَمَّلُوها مضامين أخرى غير التي كانت لها، وظهر امتزاج جديد لأفكار كانت من قبل متميزة: فابن الإنسان استخدمه دانيال، وأبناء الله، وابن الله يظهر بكثرة في أسفار العهد القديم. فإسرائيل هي (ابن الله البكر) وكذلك داود يقول عنه الرب: (أنت ابني، أنا اليوم ولدتك). ولكن هذه الاستخدامات لا تعني سوى المحبة والتقريب، وهي على المعنى المجازي. كما يتكرر في أسفار العهد القديم كلمة ابن الله أو أبناء الله على مجموعة من الأنبياء المختارين من بني إسرائيل، أو على مجموعات صالحة منهم. بل إن لفظ أبناء الله يظهر عدة مرات في العهد الجديد بمعنى أحباب الله وأوليائه، ولا توجد أي شبهة في ذلك.

(١) Francis Young: A Cloud of Witnesses. In: The Myth of God Incarnate ed. John Hick) (SCM Press London, 1977, p13 - 47. أسطورة تجسّد الإله في السيد المسيح، تعريب د. نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م.

[وقد ورد في القرآن الكريم قول اليهود والنصارى عن أنفسهم: إنهم أبناء الله وأحباؤه. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

لقب ابن الإنسان هو الذي استخدمه يسوع:

ومن بين كل الألقاب التي ظهرت في العهد الجديد (الأناجيل) فقط لقب (ابن الإنسان) هو الذي يظهر بانتظام في استعمال يسوع... وينقل إنجيل مرقص (٨/ ٣٨) انطباعاً بأن يسوع يحاول أن يُبقي هويته كمسيح سراً لا يفشيه إلا في دائرة الخُلَّص من أصحابه (الحواريين الاثني عشر). ويبقى سبب هذه (السرية) في إنجيل مرقص مشكلة بدون حل، بخاصة عندما يظهر أن الموضوع قد أُقحم بصورة مصطنعة. وهذا يزيد في الانطباع أن يسوعاً ربّما فضَّل أن يبقى لُغزاً في سبيل توجيه سامعيه بعيداً عن الحماس الزائف لذاته، وإلى نتائج مجيء مملكة الله على حياتهم الحالية... ونستطيع التخمين أن يسوعَ اعتبر الادعاءات الشخصية إغراءات شيطانية... ووعظُ يسوع في الأناجيل يذكِّرُ بوعظ الأنبياء الذين تكلَّموا أيضاً عن السيد الإلٰه.

الألقاب الأخرى ليسوع مصطنعة:

ولا شك أن المجموع العام للألقاب التي أُطلقت على المسيح في الأناجيل مشتقٌّ من الخلفية الثقافية للبيئة المحيطة، وأن المسيحيين الأوائل استعملوا هذه الألقاب للتعبير عن استجابتهم الإيمانية ليسوع الناصري... ورأى فيه بعضهم حاخاماً ورآه الآخرون نبيّاً، كما أن بعضهم اعتبروه متحمّساً متعصّباً، والبعض الآخر اعتبره شافياً وصاحب معجزات، والبعض دعاه السيد (الرب) Lord، والبعض سمّاه المسيح، وآخرون أطلقوا عليه لقب ابن الله. وفي إطار الكنيسة الباكرة استجاب له أفراد ومجموعات بطريقتهم الذاتية على أنه الشخص الذي حقَّق حاجاتهم وآمالهم... وكان يسوع بالنسبة للكثيرين تجسيداً لوعود الله التي أثمرت، واعتبر بعضهم أن وعود الله في العهد القديم (التوراة) قد أُنجزت وتحققت في شخصية يسوع المسيح. وكان شعورهم أنهم وجدوا في يسوع ما كانوا يبحثون عنه، فبدأت بذلك دراستهم الشخصية للمسيح، واشتُقَّت له ألقاب وصيغ من شعورهم بالتجربة بالخلاص الذي وعدهم الله به من خلال يسوع.

ودراسة شخصية يسوع في العهد الجديد موجودة في مجموعة من أنواع مختلفة من الكتابات، نابعة من مناطق مختلفة وعوالم فكرية متباينة. وكل نوع من هذه الكتابات يعكس صعوبات معينة وأزمات إيمان مثلما يعكس طرقاً معينة من التفاعل مع يسوع بصفته تحقيقاً لآمال الإنسان في الخلاص.

دراسة الأناجيل لا تدل على عقيدة التجسّد:

وترى الكاتبة الفاضلة: أن دراسة الأناجيل دراسة متأنية لا تدل على عقيدة التجسُّد رغم احتوائها على عناصر منها، ولكنها تَظهر في رسائل بولس العديدة التي رفع فيها يسوع إلى مرتبة ابن الله، وأعطاه لقب (Kyrios) أي السيد، ولقب (Lord) أي الرب أو المالك.

وقد اعترفوا بيسوع كسيد في عمادتهم وعبادتهم، وقابلوا ما بين سيدهم والسيد القيصر أو الإسكندر، أو الآلهة الكثيرة التي كانت تُعبد آنذاك. والسيد يسوع المسيح ارتقى إلى مركز الساعد الأيمن لله وأن يسوع جُعل هو بنفسه خطيئة ليكفِّر عن المؤمنين خطاياهم. وفي رسالته للكورنثيين الثانية ٥/ ١٢ قال عنه: «القد جعل خطيئة»، وقال عنه في رسالته إلى أهل غلاطية: «لقد أصبح لعنة». «ليتحمل عنا اللعنة».

بداية عناصر التجسد عند بولس وتطورها في مؤتمر نيقية:

ويمكن تفسير ما قاله بولس أنه بواسطة تبنّي يسوع يتم تبّني جميع البشر فيه وبواسطته. وبولس لا يجعل يسوع مساوياً لله، بل هو أقل درجة منه، ويسوع هو النموذج المثالي لابن الله الذي من خلاله أصبحنا كلنا أبناء الله. «كان الله في المسيح ليتصالح مع العالم».

ويسوع وحده عند بولس هو الصورة الحقيقية لله، مثلما خلق الإنسان ليكون كذلك، وبيسوع وحده يجد البشر حقيقة أنفسهم، ويتعلّمون الطاعة الحقيقية لله. ولا شك أن خطة بولس وعقيدته عن المسيح فيها بعض عناصر التجسيد، ولكن فكرة التجسد وعقيدة التثليث التي أقرتها المجامع الكنسية لم توجد في رسائل بولس، بل في أذهان قراء هذه الرسائل التي فسَّروها على هذا النحو، ودخلوا في معارك طاحنة مع الموحدين من أمثال آريوس، والفرق اليهودية المتنصّرة مثل الأبيونيين الذين آمنوا بالمسيح رسولاً ونبيّاً من الله، له المكانة العظيمة والمعجزات الباهرة، ولكنه لم يكن قط إلهاً ولا ابن إله. ولم يدّعِ هو ذلك بل أنكره إنكاراً شديداً.

وأدَّتْ عقيدة مجمع نيقية ٣٢٥م، ومجمع خلقيدونية ٤٥١م إلى تناقضات داخلية حادة، ودخلت العقائد الوثنية مع الفلسفة الأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية (أتباع زينون)، وأدت إلى ظهور طائفة الغنوصيين Gnostics، والافتراضات الفلسفية المعقدة التي تحاول دون جدوى الوصول لمعضلة تجسد الإله والتثليث.

لذا وَجَدَ اللاهوت المسيحي نفسه مجبراً على مواجهة هذه المشكلات والتناقضات المتأصلة ولكن بحلول يقدمونها عبر شخصية المسيح. فبالنسبة للفيلسوف المسيحي (الكلمة) Logos لعبت دور الوسيط الوحيد الذي في نفس الوقت هو واحد، ومتعدد، يتقاسم بطريقة ما طبيعة الشكلين (الواحد والمتعدد)، ويشكل سراً يصل بينها. ووَجَدَ الروح القدس مكاناً له في هذا السر، مشكِّلاً بذلك الثالوث بطريقة لا تختلف عما قال به أتباع الأفلاطونية الجديدة...

أريوس يبرز التناقض:

وكانت الوساطة النهاية قدوم الكلمة (Logos) في إطار هذا العالم حتى تنقذ البشر من تغيّراتهم وعذابهم وشرِّهم وعدم كينونتهم... وأدت المناظرات إلى الانتباه إلى عدم منطقية هذه الخطة ككل. وكانت حجج آريوس هي التي أبرزت هذا التناقض، وكان لا بد من وصول دراسة شخصية المسيح إلى الطريق المسدود.

وفي الوقت الذي اعتمدت فيه الفلسفة الأفلاطونية المبنية على التباين بين الإله المتسامي والعالم المخلوق، تحاشت الأفلاطونية وضع خط فاصل بين الإلهي والمخلوق في نظامها الهرمي للوجود. كان هناك تتابع في التسلسل من الإله الخالق إلى المخلوقات ولكن آريوس طرح السؤال: أين سيكون الحد الفاصل؟ ومنذ طرح هذا السؤال انهار منطق الخطة الكلية وتعرقلتْ كل المناقشات اللاهوتية اللاحقة.

ولقد عرَّف آريوس الله بتعبير Agentos أي المصدر النهائي لكل شيء وهو لا مصدر له. وبمنطقية كافية أُجبر آريوس على التأكيد أن الكلمة (Logos) أي المسيح يشتق وجوده من الله وليس هو الله وحطّم آريوس الهرمية، ودمَّر فكرة الوسيط في دراسة شخصية المسيح بفصله الوسيط عن الله... ولكنه أيضاً قَبِلَ أن

يسوع كان أول المخلوقات، ومن خلاله خلق الله العالم وتجلّى، وفي التجسد جاء بمعرفة الله للبشر وانتصر على الخطيئة والشر.

والحق أن آريوس استطاع أن يقدم عرضاً واقعياً لنصوص الإنجيل التي تفترض، في موضوع الغواية، أنه كان ليسوع نفس تجربتنا الأخلاقية، لأن الكلمة أي المسيح كان مخلوقاً قابلاً للتقلب وإمكانية الخطيئة واردة... وحقيقةً أنه لم يخطئ كان لها معنى عميقٌ في إطار الإنقاذ والخلاص لأنها عَنتْ أن البشر باتباع طريقته قادرون على عدم الوقوع في الخطيئة.

وكان **آثانا سيوس (بطريرك الإسكندرية** وأهم وأكبر المعارضين لآريوس) يقول: «**إن الكلمة أصبحت إنساناً حتى نستطيع نحن أن نصبح آلهة!!**».

وإذا كان الأمر كذلك فإن المسيح هو الله نفسه، وإلا لما استطاع أن يهب الألوهية للبشر!!؟

وتفسير أثانا سيوس لنصوص العهد الجديد التي تقول: إن ليسوع نفس تجربتنا الأخلاقية في الغواية، وإنه كان جاهلاً، وضعيفاً، وصاحب خطيئة، يؤدي إلى إشكالات عديدة مما اضطره إلى الميل نحو الدوستية (الرمزية) Docetism التي تقول: إن عذاب وبشرية يسوع كانت ظاهرية وليست حقيقية. وانصبّ الجدل اللاحق على المشكلة التي لا حل لها حتى الآن، وهي كيف يمكن للكلمة (Logos) غير القادرة على التغيير والتألم أن تتجسَّد أصلاً؟!.

إشكاليات جديدة حول طبيعة المسيح:

ولقد ورث أهل أنطاكية التقليد القديم الذي يقول: إن يسوع هو إنسان وُهبَ الكلمة بصورة فريدة. والكلمة لا تستطيع التورط حقاً في شؤون العالم، لذا ألحَّ أهل أنطاكية على اختلاف الطبيعتين في يسوع (الناسوتية أي البشرية والإلٰهية). وكل طبيعة لها خصائصها الذاتية الأصيلة لدرجة أنهم لم يستطيعوا إعطاء تفسير مُرْضٍ عن اتحاد الطبيعتين.

ووقف أهل الإسكندرية موقفاً مختلفاً ليخرجوا من هذا الإشكال، فأكدوا على الطبيعة الواحدة للكلمة التي أصبحت جسداً، وعرَّضوا للشبهة التمييز بين الإلٰهي والبشري كما هما محددان الآن. ويتلخص الإبهام في جملة «إنه تعذَّب بدون عذاب» (Aphtos epathen)، وهي توحي أنه بينما تعذَّب الجسد أي يسوع

الإنسان على الصليب، تعذبت بطريقة ما الكلمة تعاطفاً معه لأنه جسدها أو إنسانها رغم أنها بطبيعتها لا يمكن أن تتعذب. والمشكلة غير قابلة للحل، وتبلورت المشكلة التي لا حل لها، أي علاقة الله بالعالم، وفي مشكلة مماثلة لا حلَّ لها أيضاً عن صلة الإله الأب والرجولة في المسيح.

إن مسيرة المشادّات والاختلافات العقدية، أخذت شكلها، ليس فقط من الصفة الملازمة للمجادلات المستعملة بل من الشخصيات والسياسيات. ويكفي أن نذكر أن هجوم سيريل على نسطوريوس (الذي يقول: بالطبيعة الواحدة للمسيح) كان متعلقاً بالصراع السياسي بين مراكز السلطة الكهنوتية في الإسكندرية وبين القسطنطينية... ومن المهم أن سيريل تلاعب بصيغة الاجتماع حتى أزال نسطوريوس من الطريق. ويجب ألا تدرس أبداً سيرة التطورات العقيدية في المسيحية بعيداً عن الإطار التاريخي للمناظرات التي جرت، والتي أدت إلى التعصب الشديد، وتكفير بعضهم بعضاً، وطردهم ونفيهم لمجموعات من زعماء الكنيسة المستقيمين المخلصين. وهذه قصة إنسانية شديدة الكرب والغم.

الدوستية وتحول قسطنطين إلى مظهر للكلمة والإله:

لقد قاد هذا التطور الشديد التعصب إلى الطرق المسدودة بسبب التناقض وعدم المنطقية إلى الدوسيتية Docetism. ويوفر لنا البطريرك (أوزيبوس) في مدينة قيصرية مثلاً مفيداً: لقد رأى العناية الإلهية تعمل عندما جعل قسطنطين الإمبراطور مظهراً جديداً للكلمة يأتي بملكوت الله على هذه الأرض. ومن وجهة نظر تاريخية يبدو أوزيبوس بأنه متملق خسيس يخدم العظمة الإمبراطورية، ونظرته إلى عمل العناية الإلهية لا يقنع أحداً. لقد استطاع أوزيبوس بمداهنته للإمبراطور قسطنطين وجعله إياه ممثلاً للمسيح الإله، ورفع درجته إلى درجة الألوهية، استطاع أن يتسنَّم أعلى المناصب، وأن يمكّن لهذا الدين الجديد في الإمبراطورية الرومانية.

والالتواءات اللفظية والرياضية التي لجأ إليها أصحاب اللاهوت الثالوثي (ثلاثة كائنات إلهية) لا تعني ثلاثة آلهة، لأن المادة الإلهية التي يتقاسمونها كانت مبدئياً غير قابلة للتقسم والتمييز، ومع ذلك في الوقت الذي تُسهِّل الإدلاء بمثل هذه البيانات، تمنع (الكنيسة) قيام تقييم ذي معنى لظهور الوحي الإلهي في يسوع. وهذا هو أحد أهم العوامل التي سببت نمو اللاهوت الثالوثي من بدئه. فلقد كان

من المستحيل الوصول إلى أجوبة للأسئلة التي صاغوها في إطار الافتراضات المُسبَّقة. وليس عجيباً أن يدفع آباء الكنيسة أنفسهم إلى الاعتراف بأن الطبيعة النهائية للإلٰهي وعلاقته مع العالم هي سرٌّ غامض لا يمكن تفسيره بتعابير الفلسفة الإنسانية. ولهذا لا يُعتبر لاهوتهم والفلسفة التي بُني عليها أشياء فوق حدود الزمان والمساءلة.

التصنيفات الأسطورية في العصور القديمة، والإشكالية في العصر الحديث:

من الحقائق البارزة أن يشعر المسيحيون الأوائل أنهم مضطرون عند مواجهتهم ليسوع الناصري أو لقصته أن يستجيبوا باستعمال أكثر فأكثر للتصنيفات الأسطورية وفوق الطبيعية لتصور طبيعته وأصله.

إن رواية التجسُّد ليست مُرْضية تماماً. ويجب أن نكون منصفين بالنسبة لإيماننا ذاته ولهويتنا كأعضاء في الكنيسة وشعورنا الذاتي بالخلاص عن طريق المسيح. ولا بد من وجود نوع من أنواع الدراسة عن شخص المسيح فيما يتعلق بالتعايش مع الشرور والآلام والخطايا عبر تأملنا في قصة الإلٰه المصلوب.

عاش مسيحيو الكنيسة الأوائل في عالم كانت الأسباب فوق الطبيعية مقبولة فيه بدون سؤال. والزوار الإلٰهيون أو الروحيون لم يكونوا غير متوقعين، إلا أن هذه الافتراضات أصبحت غريبة بالنسبة لنا، ولا يصدقّها أغلب الناس. واتجه غالبية الناس في الغرب إلى الاعتقاد بأنه لا مكان لله كمسبب للأشياء في حياتنا الصناعية والعالمية والخاصة، لأن الإحصاء الاجتماعي، والنماذج الطبيعية للأسباب، والنتائج المفترضة في علم الاجتماع، وعلم النفس، والطب، وعلوم الجينات. هي التي تفسر لنا حياتنا كلها، وقد أخلَت القوى السماوية مكانها للقوى الأرضية.

وحقيقة الاعتقاد بالقدرة والعناية الإلٰهية كثيراً ما يُشكُّ فيها في عصرنا هذا إلى حد أن الإيمان والصلاة يبدوان بدون معنى ولا قيمة لهما. والمناخ الحاضر في الغرب بعيد عن الموقف المسيحي الكلي.

ومع ذلك فكثير منا لا زالوا مسيحيين مؤمنين... وعندما نواجه صعوبات أو أزمات نتوجه إلى الصلاة، وفي لحظات السرور نشكر الله بصورة فطرية... ونعترف بخطايانا ونقبل العفو باسم يسوع المسيح، ونصارع الشَّر والآلام بقوة

(السيد)، ونقدّم الوساطة والشفاعة للمريض، ونصلّي في مواقف الخصومات السياسية والحرب. ولا يمكن اعتبار أيٍّ من هذه النشاطات منطقية حيث تبدو غير متماسكة، وغير متناسبة مع افتراضاتنا الأساسية عن العالم الذي نعيش فيه.

كيف نستمر في العيش إذن على هذه الوتيرة؟ هل نحن مصابون كلنا بفصام الشخصية (الشيزوفرينا)؟ . . . ما نفعله هو غريزي، وعندما نعرضه هكذا يبدو غير منطقي. ولكن حتى العلم نفسه له متعارضاته الظاهرة وغير المنطقية، فعندما يفسر عالم الفيزياء تجاربه بحساب أن الإلكترون مثل كرة المضرب وإن كانت صغيرة جداً يصل إلى نتائج مختلفة عن تجاربه التي يحسب فيها أن الإلكترون موجات. ومع ذلك يضطر إلى استخدام كلا الطريقتين لأن كل واحدة منهما توصله إلى حقائق هامة. . . ولا يمكن التوصل إلى ما نظنه الحقيقة إلا بالجمع بينهما، واستخدام كل واحدة منهما بطريقة خاصة، لأن كل نظرية بذاتها غير قادرة وحدها أن تعطينا الحقيقة (حسب فهمنا لها)، فنستعين بنظرتين مختلفتين تماماً للوصول إلى نظرة كلية.

والشيء ذاته يمكن أن يقال عندما ننتقل من المستوى التافه إلى المستوى المفجع في حياتنا على حد تعبير (كستلر)، ونقبل أن الأسلوب المجازي من الكلام يقول شيئاً عميقاً عن الحالة الإنسانية التي لا يستطيع المنطق المجرد أن يصل إليها. وبالتالي كمسيحيين مؤمنين نحن نعمل إذن بالنموذج العلمي الذي يجد تفسيرات للعوارض والسلوك والأحداث على أساس العوامل الطبيعية. وفي نفس الوقت نؤمن ونعمل بالنماذج الأسطورية والرمزية لأن هذه القضايا غير قابلة للتعريف بتعابير لغة البشر. وليس هناك نموذج أسطوري واحد، بل مجموعة من النماذج الأسطورية، ومن الصعب جداً صياغة مقاييس ومواصفات محددة لها لأن كل لغة عن الله هي من باب التشبيه. إنها التعبير عن المجهول، والذي لا يمكن التعبير عنه بصيغ العلوم. ولنأخذ أبسط الأمثلة: ليس الله (أبانا) بالحرف، وليس شخصاً بالمعنى الحرفي. ومن المستحيل إدراك السمو والحلول وكلية الوجود لشخص مثل الأشخاص الذين نعرفهم. ينبغي أن ندرك الأبوة والبنوة بالمعنى الرمزي فقط.

الخلاص والفداء هما لُبّ الرسالة المسيحية، وبالنسبة لي تجربة الألم والخطيئة والتفسخ والانحراف كأجزاء من بنية العالم كلها، تجعل الإيمان بالله مستحيلاً دون الأسطورة الدينية التي تتمحور حول المذبح أو الصليب (هذا من أخطاء الكاتبة). . . وبدون البعد الديني تكون الحياة بدون معنى، ولا فائدة من

احتمال قسوتها. ومع ذلك فبدون الصليب يكون من المستحيل الإيمان بالله (هذا قطعاً غير صحيح)، فالإيمان يستدعي عقيدة الفداء، والفداء يعني أن الله واجه بطريقة ما الشر والخطايا بالتمرد، وأن على الصليب دخل الله عن طريق المسيح العذاب والشر والخطيئة في هذا العالم، دخل الظلام وحوَّله إلى ضياء وإلى انتصار متوهِّج، وأن الله نفسه حَمَّل نفسه مسؤولية وجود الشر في خلقه، وأنه تحمل ألمه وذنبه فلا بد من نتائجهما على نفسه... وقول مثل هذه الأشياء (الخرافية) يستدعي استعمال لغة شعرية أو أسطورية ولا يستدعي استنتاجاً لاهوتياً مبنياً على جدل منطقي (لأنه قطعياً لا يثبت أمام المنطق والعقل).

وعلى كل حال مهما كان وضع اللغة (أي وضعاً شعرياً أو أسطورياً أو رمزياً) إذا كان لمثل هذا الإيمان أية أرضية فإنه من المطلوب الاستنتاج أن يسوعاً على الصليب كان (الله). وبكلمة أخرى يبدو أن هذا يجبرني على العودة إلى نوع من التجسد الحرفي الذي سبق أن رفضناه. والسؤال هل تتوقف أسطورتي عن كونها حقيقة إذا وجدت أنه من المستحيل فكرياً إقامة المعادلة الأنتولوجية (الأنتولوجي علم حقيقة المخلوقات أو علم الوجود)؛ يسوع يساوي الله.

يسوع يساوي الله معادلة فاشلة:

ويبدو ظاهرياً أن معادلة يسوع يساوي الله ليست فقط فاشلة في تمثيل ما تدعيه التقاليد المسيحية بل شاذة بشكل واضح. واختصار (كلية الله) إلى تجسد بشري أمر لا يمكن تصوره حقاً، وهذه حقيقةٌ كانت عقيدة التثليث، وهي تحول لغة الأسطورة إلى علم ومنطق وجدل وهو أمر مرفوض.

فعلى سبيل المثال عقيدة القربان المقدس التي تجعل الخبز لحمَ المسيح، والخمرَ دمَ المسيح حقيقة أثناء القربان لا يمكن قبولها منذ الإصلاح الديني وتعتبر مرفوضة. ولكنها تُقبل على أساس رمزي أسطوري فقط.

والأسلوب الأسطوري الميثولوجي يجعلنا نفهم حقيقة الله الذي يتألم من أجلنا نحن البشر لأنه يحبنا. وهو يقاسمني حزني، وألمي، وصراعي مع الإغراء والغَواية والشر والخطيئة، وقد فعل ذلك كله بصلب يسوع على الصليب، وتحمل الآلام والخطيئة. (وهذا كله باطل وقبض الريح). والأساطير الدينية موجودة حتى في قصة خلق آدم كما جاءت في التوراة. ومع هذا فقصة آدم تبقى ذات مغزى

عميق مع الاعتراف بأن قصة وجود آدم ليست إلا أسطورة، وكذلك الكلام عن القصص الديني الخلّاق الموجود في أسفار العهد القديم والتوراة... كلها تأتي قيمتها كأسطورة دينية تشعّ بالمعاني الأخلاقية!!.

وفي اعتقادي أن يسوع هو بشر حقيقي في الإطار الإنساني ولكني (أرى الله في يسوع) (وكان الله في المسيح مصالحة بينه وبين العالم). دون ضرورة لتفسيرها في إطار تجسد حرفي. أنا أجد الخلاص في المسيح لأن فيه ظهر الله لي كإله يتألم. ويسوع هو الرؤية السامية التي فتحت عيوني على الله في الحاضر، مع أن يسوع في ذهني لا يزال بشراً عاش في وضع تاريخي معين، وسيبقى دائماً البؤرة الفريدة لإدراك الله والاستجابة له دون حاجة للإيمان بتجسُّد حرفي للإله... وعقيدتنا بالكلمة والروح جعلنا من المستطاع الإيمان بإله مُتسامٍ وفي نفس الوقت متجسد (بشكل رمزي وأسطوري) مهما بدا ذلك متناقضاً ومخالفاً لكل منطق وعقل.

وعندما لا تكون عقيدة الإله الواحد نوعاً فَجّاً من الأشكال البشرية يمكن لعقيدة الوحدانية الخالصة أن تُصبح معتقداً راكداً وبعيداً وغير ملائم للحياة الدينية؟!!.

ولاهوت التثليث يستعصي على التعبير والفهم: ولكن الدين يتحطم بدون غموض بل وبدون تناقض. الإيمان والخلاص يعتمدان على التأثير المتبادل للهيبة والاعتياد. والعقيدة المسيحية عن الله كأب وكأخ وكحاكم وعام وملك وخادم، الذي نصلي له، والذي نصلي معه، والذي يصلي في داخلنا هي التي تجعلنا نعيش في الله... ولاهوت التثليث هو الطريقة التقليدية في التعبير عن غموض الله، وعدم تمام محاولاتنا البشرية في التعبير عن كينونته سواء بالتخيّل والصيغ المقارنة أو بتعريفات فلسفية عويصة، وخسارته أي اللاهوت التثليثي هي إفقار حقيقي. نحن نعبد إلهاً غامضاً وليس إلهاً بشرياً واضح الشكل والملامح.

يمكن للمسيح أن يكون كل الأشياء لكل الناس؛ لأن كل فرد أو مجتمع أو محيط ثقافي يرى فيه تجسيداً لخلاصه. فيصبح البؤرة الفريدة لإدراكهم واستجابتهم لله.

وفي النهاية نرى الأمور تضطرب تماماً لدى الكاتبة الفاضلة، فهي من جهة تعتبر تجسُّد الإله في المسيح أسطورة، والمسيح ليس إلا بشراً عظيماً، ولكنه في النهاية بشر وليس بإله. ولكن الأسطورة بالنسبة لها تعتبر هامة حتى يبقى لها الإيمان الذي لا علاقة له بالعقل والمنطق والعلم الحديث.

الفصل الثالث

يسوع الإنسان العالمي

✍ مايكل جولد

الشك في وجود يسوع تاريخياً:

ويتحدث مايكل جولدر في الفصل الثالث من الكتاب[1] عن (يسوع الإنسان العالمي) فيقول: **يبدو أن كثيرين يعتقدون أن يسوع شخصية خيالية أسطورية لم توجد في التاريخ نتيجة لما يروى من متناقضات عن سيرتها.** ويروي الكاتب النكتة التالية في هذا الصدد: قال الكرادلة للبابا: إن بقايا جثمان يسوع اكتُشفت في فلسطين وأجمع علماء الآثار أنها بقايا يسوع، فقال البابا: ماذا نفعل الآن؟ فقال الكرادلة: بقي لنا أمل واحد، هناك عالم لاهوت بروتستانتي في أميركا يدعى تلليش، ربما تريد الاتصال به هاتفياً. فاتصل البابا بتلليش ونقل له الخبر. وبعد صمت طويل قال تلليش: هل تعني حقاً أن يسوع كان شخصية حقيقية؟.

«وتدل النكتة على وجود الشك في الوجود التاريخي ليسوع حتى عند بعض رجال الدين المسيحي. **وفي أعين الفلاسفة والمفكرين في الغرب فقدت الديانة المسيحية سُمعتها لأنها لم تَعُدْ تُثبت أي شيء. اعتقد آباؤنا بأشياء كثيرة موجودة في الكتاب المقدس، ونحن (أقصد أكثرنا) لا نؤمن بوجود جهنم ولا بوجود الشيطان ولا بالوحي ومن باب أولى بعقيدة تجسُّد الإلٰه في يسوع، وفكرة فداء المسيح للبشر وصلبه وقيامته»**.

يقول الفيلسوف والمفكر: يظهر أن إيمانكم أصبح شيئاً مطّاطاً. هل تستطيعون البقاء والاستمرار دون معتقد (قيام المسيح) أو فقدان الإثبات التاريخي لوجود يسوع. ألستم حقاً لا دينيين إنسانيين ولكن تنقصكم الأمانة لتعلنوا ذلك؟».

(١) تعريب (The Myth of God Incarnate ed. John Hicks, SCM, Pren ondon, 166, p48 - 63). د. نبيل صبحي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٥م.

ورغم انهيار عقيدة حرفية الكتاب المقدس وأجزاء أخرى من (الطريق) (المقصود العقائد المسيحية) يبدو هناك ممر ثابت. ولكن صديقي الفيلسوف قال لي: دربك مسدود ولن تصل فيه إلى أي مكان. شارِكْني في يأس ثابت ونبيل. ودربي سيجعلك تهتم بالحقيقة وبالأخوة الإنسانية. أما أنا وزملائي الذين شاركوا في هذا الكتاب فنرى أننا لسنا مجبرين على اختيار بين هاوية الإلحاد وجمود الأرثوذكسية المسيحية. هناك طريق إلى الأمام الطريق الواسع الذي سلكه آباؤنا إلا أنه درب على كل حال».

الاعتقاد بالديانة المسيحية ورؤية يسوع لنفسه أنه ابن الإنسان.

الاعتقاد بالديانة المسيحية هو الاعتقاد بشيء حول يسوع المُسمَّى المسيح، شاملاً بذلك الاعتقاد بوجود شخص يسوع المسيح في التاريخ. والتاريخ هو مسألة احتمالات ولا يستطيع أي ناقد مثقف في الأجواء الحاضرة أن يؤكد كثيراً من الاحتمالات التاريخية دون أن يتعرض لخطر التناقض.

وتتفق الأناجيل والمصادر المسيحية على الآتي:

١ ـ كانت مهمة يسوع مؤسسة على الدعوة العامة لليهود في منطقة الجليل من فلسطين وموضوعها هو أن حكم الله الموعود الذي ذكره الأنبياء قبله قد ابتدأ.

٢ ـ اعتقاد يسوع أن ملكوت الله قد بدأ.

٣ ـ دعم يسوع دعواه بشفائه لعدد كبير من الناس، وظهور المعجزات على يديه.

٤ ـ كان يسوع يعتبر نفسه الوسيط لبدء ملكوت الله، وذلك حين يُبصر الأعمى ويسمع الأصم.

٥ ـ الأرجح أن يسوع اعتبر نفسه كمسيح داوودي (نسبة إلى داود عليه السلام وهو الذي بشّر بمجيء المسيح في المزامير). وهذا أظهر ما يكون في كل الأناجيل. وكان يسوع يرى نفسه زعيماً اختاره الله لحكم مملكته المبتدئة.

٦ ـ من الأرجح أيضاً أن يسوعاً رأى نفسه، مثل دانيال (ابن الإنسان). ودانيال تنبأ بالإطاحة بالإمبراطوريات الوثنية... و(ابن الإنسان) هي صورة كانت أكثر مناسبة ليسوع من صورة المسيح الملك الذي يحكم العالم، وله سيف من ذهب، وتاج من جواهر.

ولكن سرعان ما ظهر أن مملكة الله لم تبدأ بظهور يسوع ودعوته في الجليل لأن الظلم كان متفشياً بكافة أشكاله. وإعلان أن مملكة الله قد بدأت أمر غير متماسك مع وجود مملكة الوثنيين دون اهتزاز، ووجود كل هذا الظلم. والجواب أن مملكة الله لن تقوم بسهولة ولا بد أن يتعرض ابن الإنسان للمِحَن فترة أو فترتين ونصف (كما جاء في دانيال). وهذه الفترة تدل على مدة زمنية غير محددة. هل هي بالأيام أو الأسابيع أو السنين؟ وعندها فقط يسمو يسوع للحضرة الإلٰهية ويعطى الملكوت.

كان ابن الإنسان يتوقع أن يتعذب وأن يموت وأن يقوم بعد ثلاثة أيام ليُرفع إلى السماء ويُعطى مملكته ليعود حاكماً كليّ القدرة.

والواقع أن هذا الكلام معقد جداً، ووجدت الكنائس الإغريقية نفسها عاجزة عن التبشير بهذا الأسلوب كما هو الأمر في عصرنا الحاضر، فهو بحاجة إلى محاضرة لاهوتية طويلة ليمكن فهمه (بل ولا يمكن فهمه بأي حال من الأحوال).

٧ ـ من المحتمل أن يسوع فسَّر تعبير المسيح بمعنى صلة شخصية فريدة من البنوّة لله... وفي العهد القديم قال الله عن داود: «سأكون له أباً ويكون لي ابناً. أنت ابني. أنا اليوم أنجبتك (ولدتك) لذا فإن تعبير ABBA (أبا) الآرامي والعبري يستعمل على نطاق واسع باعتبار أن الله (الآب) هو أب معنوي لجميع مخلوقاته. ولذا فإن ليسوع بُنُوَّةً خاصة بهذا المعنى وكذلك أتباعه (وهو معنى مجازي للأبوة والبنوة، ويفترض صلة المحبة واعتماد الابن على الأب).

٨ ـ وقد فسَّر يسوع مملكة الله على أنها حكم المحبة، ولم يحترم كثيراً قوانين الشريعة الصارمة فشفى المرضى يوم السبت. وقال: إن السبت هو للإنسان وليس الإنسان للسبت. وقلب قوانين الطعام وأكل مع غير النظيفين والخطاة، ورحَّب بهم في مجتمعه مما اعتبره المتدينون فضيحة، ونحن نحتاج لمثل هذه الفضيحة ليكون رفض يسوع طيلة حياته لهذه الشريعة الصارمة شيئاً مفهوماً ومعقولاً.

٩ ـ إن الحب هو صورة طبيعية ليسوع كما صوّرته الأناجيل، وكما صوّرته السجلات الدينية، ومن الصعب بل من المستحيل تصور يسوع قاسياً أو (مسيحاً قانونياً) (أي على المفهوم اليهودي الذي يملك ويحكم بالسيف).

١٠ ـ لم يَدْعُ يسوع فقط إلى محبة كاملة غير أنانية، بل طبَّقها على نفسه، وأسَّس مجتمعاً على هذا الشعار.

١١ ـ لقد رأى يسوع أن موته آتٍ، وفسّر ذلك بأنه الوسيلة لصلة جديدة بين الله وشعبه. وكان عليه أن يتعرض للصلب والعذاب، ثم يموت، ثم يقوم، وذلك كله في مدة ثلاثة أيام ونصف كما تنبأ دانيال.

ورغم أن التنبؤات بآلام يسوع وصلبه وقيامته قد صاحبها كثير من المبالغات والتطوير والتوشية، ولكن من المحتمل جداً أن بعض هذه التنبؤات كانت الأساس لمثل هذه التقاليد الواسعة الانتشار.

١٢ ـ مات يسوع على الصليب، وبعد يومين من ذلك رآه الحواريون، وهذا ما أقنعهم أنه ما زال حياً، وأنه قام من موته ورُفع ممجَّداً لحضرة الله بالقدرة. ويسوع هو رجل القدَر في تلك المرحلة، وحياته، وصلبه، وموته، وقيامته، غيَّرت مجرى التاريخ الديني، بل والسياسي والاجتماعي، الفكري والروحي.

وإيمان المسيحيين أن يسوعاً هو المسيح إنما يعني أنه هو رجل القدر، ولم يكن فقط واحداً من رجال القدر مثل محمد وبوذا... إلخ. والمشكلة الحقيقية هي في قصة الصلب والفداء وتَعَسُّر فهمها أو قبولها بالعقل والمنطق.

لقد أنقذَنا بدخولنا (مجمع المحبة) الذي أسسه يسوع. وإنقاذنا يأتي من انخراطنا في جسم يسوع وهو الكنيسة، حيث تتنفس روحه فينا، ونعيش عيشة المحبة التي عاشها. نحن لا ننقذ من جهنم (حقيقية أو رمزية) بسبب نقص المحبة فينا كما كان يظن أجدادنا، بل ننقذ من نقص المحبة ذاتها فالمحبة هي الخلاص.

عقيدة الفداء والكفارة والتجسُّد إفلاس كامل وتخمينات فارغة ونفايات:

وواأسفاه على الذين يحملون عبء الدفاع عن العقائد التقليدية في الفداء والكفارة!! فالإفلاس الكامل أفضل من التخمينات الفارغة التي لا نهاية لها، والتي تتراوح ما بين غير المفهوم (وغير الديني)... والنفايات إذا أضيفت إلى نفايات لن تؤدي إلا إلى نفايات. وموت يسوع ما هو حقاً إلا تتويج لحياته. لقد عرف غاندي أنه لن يستطيع تحرير الهند إلا إذا جازف بحياته، ومارتن لوثر كنج لم يستطع أن يعيد الحقوق المدنية للأميركيين السود إلا بالمجازفة بحياته. ويسوع جازف

بحياته، وأنقذنا في مجتمع المحبة. والكنيسة التي أسسها يسوع بحياة المحبة انتهت بقسوة على الصليب، ولهذا المعنى يمكننا أن نقول: لقد شفينا بجروحه... وأوجد يسوع مملكة الله في مجتمع المحبة الدائم، وهو على الصليب ولم يكن هناك ثمن كاف يوازي الخطيئة إلا هذا الثمن الفادح وهو صلب يسوع. ولسنا في حاجة لنظرية الكفارة والفداء لتفسير ما هو مفسَّر أصلاً.

لو عاش يسوع داعياً للمحبة ثم مات موتاً طبيعياً فمن المحتمل جداً أن مجتمعه الذي أسسه ما كان ليستمر أكثر من أسبوعين بعد وفاته. ولكن موته على الصليب وكل عذاباته أدت إلى انتشار المسيحية. وقد أكد هذا المعنى بطرس بقوله: لا فائدة من سماع ما هو حسن والموافقة عليه إذا لم نستطع تنفيذه على الواقع. هكذا تجسّد الحب لدى يسوع في التضحية بحياته من أجل إنقاذنا من الخطيئة، ولإعطائنا الحياة الأبدية التي نسعى إليها.

بعد أن كان المصنف بارعاً في هدم عقيدة التجسيد عاد مرة أخرى إلى التمسك بعقيدة الصلب والفداء وإعطائنا الحياة الأبدية.

الفصل الرابع

أصلان للأسطورة المسيحية

✍ مايكل جولد

وفي الفصل الرابع من الكتاب (أسطورة تجسّد الإلٰه) يواصل مايكل جولدر حديثه عن هذه الأسطورة فيقول تحت عنوان (أصلان للأسطورة المسيحية).

ما هي مصادر يوحنا عن الكلمة (اللوجس)؟:

كنتُ مؤمناً بالعقيدة الخلقيدونية: يسوع هو الإلٰه الابن من نفس مادة الأب... جاء من السماء... وكنت أعتمد ما جاء في إنجيل يوحنا: (تحولت الكلمة إلى لحم وعاشت بيننا) وفي رسائل بولس العديدة (الكولوسية والفيليبية) هناك تلميحات لهذه العقيدة، وكذلك في العبرانيات، فمن أين جاء يوحنا بهذا الاعتقاد؟ قطعاً ليس من يسوع لأنه لم يقل بذلك، ولعلّ يوحنا استنبط ذلك عن طريق الإلهام، ولكنّ كثيرين يعتقدون أنه أخذ ذلك من الأفكار الفارسية القديمة، كما أن العهد القديم أشار للوجود المسبق للحكمة والتي أصبحت عند اليونان الكلمة (اللوجوس). كما أن الغنوصيين (فرقة من المسيحيين الأوائل أكّدوا على مذهب العرفان بطريق القلب والحدس) اعتقدوا أن الله ظهر في المسيح وأنه لم يُصلب ولم يتعذَّب. ولكن يوحنا عرف فجأة وهو يصلي الحقيقة حول المسيح والتي زاغت منه قبلاً. كان (كلمة الله وأصبحت الكلمة جسداً). والدراسة التاريخية هي العدو الذي لا يرحم لنظرية الإلهام هذه... وعندما نزيل الضباب يزول الغموض. ولهذه العقيدة في رأيي أصلان:

١ ـ الأسطورة الجليلية (نسبة إلى الجليل في فلسطين).

٢ ـ الأسطورة السامرية في فلسفة طائفة الغنوصيين (العرفانيين) وهي التي سأركز عليها هنا. يقول هيجبيسيس في ملاحظاته عام ١٦٠م:

«بعدما استشهد (جيمس) يعقوب العادل، عُيِّن سيمون (شمعون هو سمعان

بطرس) بطريركاً لكنيسة القدس التي كانوا يسمونها العذراء، لأنه لم يصبها الفساد حتى ذلك الوقت بالتعاليم الباطلة. إلا أن نيبوقيس بسبب عدم تعيينه بطريركاً، بدأ يفسدها مع الطوائف السبع من اليهود (المتنصرين) الذين كان هو نفسه منتمياً إليهم».

من هم السامريون؟ وما هي عقائدهم؟:

ويقول لوقا عن سمعان وجوستان وأوريجون وميناندر: إنهم كلهم سامريون. بل كل الطوائف غير الأرثوذكسية في ذلك الوقت كانت سامرية الأصل كما يقول هيجيسيبس.

(والسامرة هي الضفة الغربية من فلسطين اليوم، وعاصمتها شكيم المعروفة اليوم باسم نابلس). والسامريون طائفة يهودية تؤمن فقط بالأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم أي التوراة، وقد يضيفون سفر يشوع كذلك. ولكنهم لا يؤمنون بالأسفار الأخرى الكثيرة. ومعبدهم على جبل جرزيم وبيت إيل (بيت الله)، ويرفضون كلياً العبادة في الهيكل في القدس، وبالتالي يرفضون الفرق اليهودية الأخرى مثل الفريسيين والصادوقيين... وفي اعتقاد السامريين أن المشاكل بدأت لما نقل النبي (إليّا وهو عندنا إلياس) المعبد المقدس من جبل جرزيم إلى شيلوح (أورشليم).

وتوراة السامريين محدودة بالأسفار الخمسة (البنتاتوك Pentateuch)، ويرون أن الوحي انقطع بعد موسى... وأن الله انسحب من التاريخ بعد موسى وتلميذِه يوشع بن نون، وهم منتظرون للمسيح. فلما ظهر يسوع وجاء إليهم ورأوا المعجزات على يديه آمن كثير منهم به، وكان (يوحنا) يتعاطف معهم إلى حد كبير. وفي إنجيل (يوحنا ٨/ ٤٨)، يقول اليهود ليسوع: «ألسنا على حق حين نقول: إنك سامري ومعك شيطان؟». (أي يصنع لك المعجزات). ويتعاطف يسوع مع المرأة السامرية التي آمنت به وشفى لها مريضها. وتنشر هذه بالتالي بين قومها الإيمان بيسوع.

ولم يكن السامريون يؤمنون باليوم الآخر لأن أسفار التوراة (الموجودة إلى اليوم وهي محرفة) ليس فيها ذكر لليوم الآخر. ومن عقائدهم أن الوحي المدوَّن في التوراة هو المصدر الوحيد للتعرف على الله وعلى شريعته. ولا بد لديهم من التفكر «كل من له علم بالله فليفكر». «والذين يعرفون عنك شيئاً من خلال

أعمالك يعرفون أنك ربهم». «رب علّمني واجعلني حكيماً، وزودني بالمعرفة ووجهني». ومصدر المعرفة بالتدبر والتفكر، والإلهام هبة من الله، و«لا يمكن للإنسان أن يرى الله إلا عن طريق الحكمة». ولهذا يتجهون إلى البحث عن المعرفة، ليس بواسطة الكتب فقط وإنما أساساً بالتدبر والتفكر، وهي المبدأ الغنوصي Gnostics أي العرفان بطريق التفكر والإلهام، لا عن طريق الكتب والمعرفة بالتجارب...

وكتب مركاح (وهو أحد مراجعهم الهامة) ما يلي: «نشر موسى الكتب المقدسة (التوراة) عندما أمره الله بذلك، فقد تجمع (المجد) والملائكة والإله الأزلي، كلهم عندما كتب بيده، ووقف الآخرون لتكبير الوصايا والأمر بما يجب عمله. ظهر الرب الإلٰهي وأسس العهد، وظهر (المجد) وضخّم ما هو خير. وجاء الملائكة لتكبير كل ما يمت للمجد بصلة، واجتمعوا كلهم من أجل آدم. والرب السماوي خلقه ونفخ فيه نفخة الحياة، وأكمله المجد بروح كبيرة، وكلاهما كان لابساً تاجاً من النور». ويوضح المقطع السابق الازدواجية في استعمال التعبير الإلٰه الأزلي الخالص (Pristine God)، وقد خلق الإلٰه الأزلي آدم، ولكن المجد أكمله بروح كبيرة. وفي سِفر التكوين بل في التوراة الأسفار الخمسة هناك اسمان للإلٰه: يهوه (يا هو) وهو متجسد يمشي ويظهر لآدم وللأنبياء... إلخ، (ألوهيم) أشدُّ شفافية. ومن هنا ظهرت الازدواجية وظهر (المجد) مكمّلاً لعمل الإلٰه...

موسى عند السامريين وتجسّد الإلٰه في سمعان ماخوس السامري:

ويتضخم موسى ﷺ في عقائد السامريين تماماً كما تضخّمت التوراة كلمة الله الأبدية التي بواسطتها تم خلق الأكوان.

ورغم ذلك فقد ظهر من السامرة من يدَّعي أنه مثل موسى، فقد ظهر في بداية القرن الأول الميلادي دوسيثيوس وادعى أنه مثل موسى. واعتبر سمعان ماجوس (ماخوس) من مواليد قرية جتو (Gitto) في السامرة أنه قدرة الله التي تُدعى كبيرة (كما قال عنه لوقا في سِفر أعمال الرُسل).

وتحولت القدرة الكبيرة عند سمعان ماجوس إلى أن الله تجسّد فيه. وسمعان لم يكن فقط شبيهاً بالمسيح بل ادَّعى أنه أكثر من ذلك بكثير، وكتب جوستان السامري ما يلي:

«قام سمعان ماجوس بأعمال خارقة من السحر في عهد القيصر كلوديوس (الثلاثين الأولى من القرن الميلادي الأول) في أماكن عدة وفي روما ذاتها. كان يعتبر إلٰهاً لدى أتباعه، وصِيغَ له تمثال كتب عليه (سمعان الإلٰه الصحيح Simoni Deo Saneto. . . وكل السامريين وحتى بعض الناس من الشعوب الأخرى عبدوه واعترفوا به. أما المرأة التي رافقته في ذلك الوقت واسمها هيلينا، كانت عاهرة قبلاً، ولكنهم اعتبروها أول فكرة Ennoia ولَّدها».

ولم يكن سمعان على أية حال التجسد الوحيد للإلٰه فقد اعتقدوا بأن هيلينا هي أيضاً تجسد لأول فكرة عند الإلٰه. وسمّى سمعان نفسه القائم (Qaem) وهو لقب غامض يمثل ادعاءً بالألوهية.

ووصف كليمانت أتباع سمعان بأنهم (الذين يريدون تكييف أسلوب حياتهم بأسلوب يناسب القائم الذي يعبدونه). وقال القائم: إنني لن أذوب وأنحلَّ؛ فجسمي متكوّن من إلٰهيات حتى يدوم أبداً. وقد أخذ سمعان لقب القائم مما ورد في كتبهم السامرية، أن المجد والملائكة قاموا (Qamu) عندما خلق الله آدم، والازدواجية بين الله وبين المجد واضحة في عقائد السامرة، وبالتالي فإن عقيدة التجسّد مقبولة عند السامريين وخاصة أولئك الذين دخلوا في المسيحية في عهودها الباكرة. وبما أن السامريين لا يؤمنون بالبعث والنشور لأنهما غير مذكورين في أسفار التوراة الخمسة، فإن فلسفة الحشر والنشر عند السامريين هي الزمن الأخير المليء بالسرور بظهور الإلٰه وتجسده. وفي سِفر التثنية (٣٢/ ٣٥) «الثأر لي والمكافاة». وهي تفهم بأنها تأتي في الدنيا.

وكان السامرة ينتظرون النبي الذي يشبه موسى، وكان مجيئه موعوداً به، وقد أسلفنا أن دوسيثيوس ادّعى أنه النبي الذي يشبه موسى في أوائل القرن الأول للميلاد، وقالوا: إن سمعان ودوسيثيوس لن يموتا.

وكان الصليب، كما قال بولس، العقبة الكؤود في طريق الإيمان. وتعبير خريستوس (Christos) أي المسيح، يعني الملك الموعود به في العهد القديم وهو من نسل داود، ووظيفة الملوك أن يحكموا، وعند مجيء المسيح (الموعود) فإنه سيقود إسرائيل إلى النصر على جميع أعدائها، ويؤسس الإمبراطورية اليهودية التي تحكم العالم. ولذا فإن فكرة مسيح مصلوب متناقضة مع صفات المسيح في العهد القديم ويصعب إقناع الناس بها. وكنائس بطرس وبولس برروا التناقض بالاستعانة

بسفر دانيال (من العهد القديم) حيث جاء فيه أن على ابن الإنسان أن يتعذب، ويشكو من آلام الحشر لمرة ولمرتين ونصف، ثم يُرفع إلى مكان الساعد الأيمن لله، ويُعطىٰ ملكاً عالمياً. وتعذَّب يسوع حقاً، وبقي ثلاثة أيام في القبر قبل بعثه، ليصبح الساعد الأيمن لله. ويبقى سنوات قليلة بعد ذلك، على الأكثر، ليصل إلى الحضرة ويحاكم البشرية.

لقد أنقذنا المسيح من لعنة القانون (الشريعة)، وأصبح يسوع بنفسه لعنة بالنسبة لنا، وكان موته تضحية وإلغاء للقيد الذي وقف ضدَّنا. كان واسطة العفو عن خطايانا كلها، وهو تضحيتنا في عيد الفصح... لقد أصبح هو خطيئة بالنسبة لنا... وقيامه كان تزكية لنا.

[ويستغرب المسلم مثل هذه التعبيرات الفَجَّة الوقحة عن عيسى ﷺ حيث يقال: إنه هو الخطيئة وهو اللعنة... ولا يمكن أن نفهم مثل هذه التعبيرات الوقحة عن نبي الله المكرم عيسى ﷺ. بينما هم يعتبرونه ربهم الذي أنقذهم من الخطيئة فصار هو بنفسه الخطيئة، وأنقذهم من اللعنة فصار هو بذاته لعنة (ألا لعنة الله على الظالمين)].

يسوع يتحول إلى إلٰه سامري:

وبما أن السامريين لم يكونوا يعترفون بغير الأسفار الخمسة الأولى (التوراة)، وبالتالي فلم يعترفوا بداود، ولا بالمسيح الذي بشّر به داود في المزامير، وفي سِفر الملوك، وهم أيضاً لم يسمعوا بدانيال ولا بتعبيراته عن ابن الإنسان. كانوا يؤمنون بإعادة الطقوس والعبادة في جبل جرزيم، ولم يكونوا يستسيغون فكرة الصلب والفداء والتضحية... وهم أصلاً يفكرون في أقنوم ثانٍ للإلٰه الرأس (الله ـ المجد السماوي) وقد تجسّد كإنسان لذلك كان على الدعوة المسيحية أن تدَّعي الأقنوم الثاني والتجسد في يسوع أو تفشل بالنسبة للسامريين... ويسوع ينبغي أن لا يقل عن سمعان ماجوس الذي تجسدت فيه القدرة الإلٰهية، أو الأقنوم الثاني وهو المجد السماوي. وهكذا تحول يسوع إلى إلٰه سامري أصبح إنساناً، بدلاً من أن يكون ابن داود المسيح.

لذا فدراسة المسيح من وجهة نظر سامرية تضيف التفسيرات التالية عن يسوع المسيح:

١ ـ التأكيد على الحكمة والمعرفة كثمرة أولية لاعتناق المسيحية، بدلاً من التأكيد على الإيمان والحب.

٢ ـ أسطورة الوجود السابق للمسيح في الإله الرأس، وفي تَجَسُّد هذا الإله.

٣ ـ الدعوة للمجد، بدل الدعوة لابن الإنسان، واتخاذ موسى النموذج بدلاً من داود.

٤ ـ التقليل من موضوع صلب وقيام المسيح، فيسوع يجب أن يأخذ طريقه إلى الأب.

٥ ـ فلسفة حشر ونشر حاضرة، ومنجّزة، بدلاً عن فلسفة حشر ونشر في المستقبل.

٦ ـ وكل هذه التأكيدات لعبت دوراً هاماً في العقائد المسيحية الأولى... وتجذّر بعدها أسطورة تجسّد الإله في يسوع. وقد اختلف بولس كما جاء في رسالة كورنثيا، مع هؤلاء القوم في نظرتهم إلى الصليب والقيامة. واتفق معهم في أسطورة تجسُّد الإله في يسوع واستمرت هذه الخلافات حادة وعميقة لقرنين من الزمن. **ولكن بولس يتميز بقدرته الفائقة على سرقة ثياب معارضيه عندما يستحمون، وبالتالي يأخذ قسطاً كبيراً من أقوال معارضيه ويحولها لصالحه**. يقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثيا الأولى ٣/١: «لم يرسلني المسيح لأعظ بحكمة بلاغية فصيحة... سأدمر حكمة الحكماء، وأحبط فهم الفاهمين. أين الرجل الحكيم؟ ألم يجعل الله حكمة العالم حمقاً وغباء؟ لم آتِ لأذيع عليكم شهادة الله بكلمات راقية وحكمة... لم تصلنا روح هذا العالم لكن روح الله؛ لنستطيع أن نفهم منن الله ونحن نبلغها بكلمات لم نتعلمها من الحكمة الإنسانية، بل علمتنا إياها روح القدس...!!.

ويقول بولس: «**المعرفة تسبب كثيراً من الضرر**. لو كان عندي قدرات كثيرة على التنبؤ وأفهم كل الأسرار، وكل المعارف، ولكن لا أمتلك المحبّة فأنا لا شيء» (رسالة كورنثيا الثانية ٨/١، ٧/١٠، ١٣/٢).

ويقول بولس: «ولكن الشكر لله الذي نشر شذى معرفتنا له ـ أي للمسيح ـ من خلالنا في كل مكان، لقد توهج الله في قلوبنا لنعطي نور المعرفة لمجد الله في وجه المسيح بالطهر، والمعرفة، والاحتمال، واللطف، وروح القدس». وقال

لأتباعه: «الآن تمتازون في كل شيء: في الإيمان، وفي التلفظ، وفي المعرفة». ويقول: «نحطم الجدل وكل عائق متفاخر في طريق معرفة الله» (رسالة كورنثيا الأولى ٢/ ١٤، ٤/ ٦، ٦/ ٨، ٧/ ١٠، ٥/ ١١).

ولا شك أن بولس وضع خطاً فاصلاً بين معرفة المسيح ومعرفة كل الأسرار التي يدعيها الآخرون. وفي حبه الذي لا يرتوي للإبهام، يمكنه تمجيد الجنون. وقد قبل بولس في النهاية صفتي السامريين الحكمة والمعرفة، واستخدمهما بمهارة ليؤكد ما يريده هو لا ما يريدون هم. **وبولس في الرسالة إلى أهل تسالونيكي الأولى يرتكز على المسيح يسوع ابن الله، ولكن ليس هناك ذكر لوجوده المسبَّق، وهناك تأكيد شديد على قدومه.** كان يسوع رجلاً على الأرض، وقد بُعث الآن واستلم السلطة وسيأتي مرة أخرى. **وليس غريباً ألا يذكر بولس موضوع وجود يسوع السابق؛ لأنه يخاطب اليهود المتنصرون وهم لا يؤمنون بذلك. لذا ركز الحديث على المسيح المنتظر ابن داود الذي أعطى العهد في الملكوت الدائم.** وهو يرى أن يسوع هو المسيح الذي جاء من ذرية داود جسدياً. **وهذا ما يوافق عليه اليهود المتنصرين.**

والإنسان هو بذرة أبيه حسب التفكير اليهودي، فالأم هي الناقلة فقط حيث تنمو فيها البذرة ويسوع في جسده من ذرية داود ومن الجنس اليهودي. وهذا يُرضي اليهود المتنصّرين؛ ولذا فإن بولس يدغدغ عواطفهم بهذا الأسلوب، ويبتعد تماماً عما ينفرون منه، وهو الحديث عن يسوع ابن الله الموجود في الأزل وإلى الأبد. ولهذا كان بولس يراوغ في هذه المسألة ويتحدث إلى كل قوم بما يناسبهم وما يمكن أن يقبلوه. فيسوع هو ابن داود من ناحية الأب، أما الابن الإلٰهي فقد أعلن ذلك بالقدرة في يوم عيد الفصح الذي صُلِبَ فيه يسوع، والسؤال المحرج هو: كيف يكون ليسوع أبوتان؟ ويزوغ بولس عن الإجابة بطريقته المعتادة، ويركز مع اليهود المتنصّرين على أن يسوع من ذرية داود ومن ذرية إبراهيم، ويسوع هو بذرة إبراهيم وداود الموعودة. ولكن بولس عندما يخاطب الوثنيين الذين تنصّروا فإن يسوع يتحول إلى إلٰه أسهم في الخلق، ففي رسالته إلى أهل كورنثيا الأولى ٨/ ٦ يقول: «هناك سيد واحد، يسوع المسيح في كل الأشياء، ومن خلاله نعيش». «كان الإنسان الأول من تراب (أي آدم)، وكان الإنسان الثاني (أي يسوع) من السماء». «أنتم تعلمون إلٰهنا يسوع المسيح، فمع أنه كان غنياً إلا أنه أصبح فقيراً

من أجلكم حتى تصبحوا أنتم أغنياء من فقره». «والله أرسل ابنه في شكل الجسد الخاطئ» (الرسالة الرومانية ٨/ ٢). فإذا كان يسوع قد أرسل فذلك يعني أنه كان موجوداً قبل ذلك.

وهكذا نجد رسائل بولس تختلف اختلافاً جذرياً بالنسبة ليسوع فهو ابن داود وابن إبراهيم، وهو المسيح، وتتحقق فيه وعود إبراهيم وداود والأنبياء عندما يتحدث إلى اليهود المتنصرين... وهو ابن الله الأزلي الأبدي الذي أرسله الله لينقذنا في صورة بشر، وليكون هو الخطيئة، وهو اللعنة ليحملها عنا، ويفتدينا على الصليب عندما يتحدث إلى الوثنيين الذين يؤمنون أصلاً بتجسُّد الآلهة، وظهورهم بصورة بشرية. فبولس يحدث كل قوم حسب عقائدهم، ويجتذبهم إليه ويتحبب إليهم بإظهار أنه يؤمن بعقائدهم ويحوِّرها قليلاً حتى يجتذبهم إليه.

بولس يكسب المتنصرين من السامرة بقبوله التجسّد:

ولقد تملك بولس فكرة التجسّد في سياق جدله مع الدعاة السامريين الذين تَنَصَّروا حتى يَكسبهم إلى صفه. ولكن هذه التقلبات من بولس أدت إلى أن يختصم مع بعض أصحابه، ومنهم أبولّوس الذي جاء من الإسكندرية واختصم مع بولس، وقسم أهل كورنثيا إلى مجموعتين: إحداهما معه، والأخرى مع بولس. ولكن بولس قادر دائماً على اللعب على الحبال، وحاول أن يجتذب أبولوس مرة أخرى إلى صفه، ولكنه سخر مراراً من أتباع أبولوس وسمّاهم الحواريين المزيفين.

واكتفى السامريون بأسطورة هبوط الكلمة ابن الله وتجسُّدها في يسوع، ولكنها أقلعت إلى السماء مرة أخرى، وعادت إلى الأب. أما بولس فقد قبل هذه الأسطورة ولكنه أصر على بقاء ابن الله حتى الصلب، والقيامة، والعودة مرة أخرى ليحكم العالم، ويدين الشر في الحشر والنشر، والمتوقع قريباً جداً.

يوحنا الإنجيلي يعتمد الأسطورة ويتقمص عقيدة السامريين الثنائية:

وقام يوحنا صاحب الإنجيل الرابع باعتماد هذه الأسطورة وتوسيعها إلى مداها حيث يقول: «في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله».

ويوحنا على علاقة وطيدة بالسامريين وتقمّص عقيدتهم في الثنائية: الله

السماوي والمجد والكلمة عند يوحنا صارت لحماً وجسداً مليئاً بالرحمة والحقيقة. ونحن نشهد بمجده، المجد للابن الوحيد للآب. لم يرَ أحد الله، والابن هو الذي عرَّف به وأعلن عنه. هكذا أعطى يوحنا موضوع التجسّد والحلول قيمة كبرى، وجَعَلَه الحقيقة المنزلة التي بقيت أساس الدين المسيحي لألفَي عام الماضية. . . وعملية تأليه يسوع يقع عبؤها على يوحنا الذي لا يقول عنه: إنه بشر عادي بل كلمة الله الذي تجسد. . . وفي إنجيل يوحنا عجائب يسوع هي إشارات تُظهر مجده. وعندما جاء الجنود لاعتقاله تراجعوا أمام قدرة كلمة الله، ووقعوا أرضاً.

ويسوع في الظاهر فقط هو الذي وُلد ومات على الصليب وتعذب، وأما الواقع فقد كان الصليب انتصاره ومجده. ويقول بولس: أنا قررت ألا أتعلم أي شيء معكم إلا يسوع المسيح وصلبه. لم يفهم أحد من حكام ذلك الزمان لأنهم لو فهموا لما صلبوا سيد المجد.

السامريون يقللون من شأن الصليب:

والصليب الذي ألحَّ بولس عليه وجعله النقطة الرئيسة في علم اللاهوت عنده كان إحراجاً للسامريين الذين قللوا من شأن الصليب، وركّزوا على الحكمة التي جاء بها يسوع المسيح. بينما يقرر بولس أن يسوع ما جاء أصلاً إلا ليموت على الصليب، ويكون هو الخطيئة وهو اللعنة، التي بواسطته تتخلص البشرية من أخطائها ولعناتها. فقد تحمل يسوع عنهم الخطيئة وتحمل عنهم اللعنة. وكان هو ذاته الخطيئة واللعنة (ألا لعنة الله على الظالمين). وقدَّم بولس يسوع كأنه آلهة الموت الإغريقية الشديدة (هيلاستريون (Hilasterion)، وكان الصليب ساعة تمجيد يسوع وذهابه إلى الأب. رغم أنه تعذّب ومات على الصليب من أجلنا، ومن ثم يركز بولس على عودة يسوع الوشيكة.

وأما السامريون الذين آمنوا بيسوع فكانوا لا يركزون على الصليب بل اعتقدوا أن البعث والنشر قد وقعا فعلاً، وذلك بموت يسوع وقيامه وصعوده إلى الآب وبالتالي لا داعي لتوقع عودته (لا قريباً ولا بعيداً). ويسوع هو الأقنوم الثاني للإله، وتجسُّدُ الإله فيه هو المهم. . . في حياة يسوع كانوا يؤكدون على: «الحكمة والمعرفة من خلال يسوع»، «تجسُّد الإله في يسوع» ويسوع كان الله

الذي أصبح إنساناً، وتمجيد يسوع وإزالة الصفة البشرية عن حياته الدنيوية، والتخفيف من موضوع الصليب، وجعل قيامة يسوع هي النشر الذي وقع فعلاً، فلا داعيَ لانتظاره من جديد.

ونحن اليوم مدعوون لدراسة جديدة للمسيحية، وإزالة أسطورة تَجَسُّدِ الإلٰه في يسوع، التي سيطرت على المسيحية لقرابة ألفَي عام، والتي بدأها سمعان ماجوس ورفاقه السامريون.

الفصل الخامس

أصلان أم أصول كحزمة معقدة

✍ فرنسيس يونج

أصول وثنية متعددة للتجسّد:

تعتقد يونج أن أسطورة تجسُّد الإلٰه في يسوع ليست نابعة من أصلين فقط كما قال ميكائل جولدر في الفصل السابق بل لها أصول كثيرة.

ولا شك أن الوثنيات القديمة كلها قد جاءت بعقيدة تجسُّد الإلٰه في صورة إنسان، وقد قام أحد هؤلاء الوثنيين ويُدعى سلوس في القرن الثاني الميلادي بالاستخفاف بفكرة أن يسوعاً هو ابن الله وأنه ولد بأعجوبة من مريم العذراء، وذكر العديد من الآلهة البشر الذين ولدوا بهذه الطريقة.

وعندما ردَّ أورجن سنة ٢٤٨م على سلوس لم يَجِدْ أي رد مقنع سوء أن دعوة يسوع لاقت نجاحاً مُطرداً، بينما دعوة هذه الآلهة المزعومة من البشر وآخرها سمعان ماجوس ودوسيثيوس لم تلاقِ كبير نجاح. (وإذا كانت هذه العقيدة من صنع البشر فسيُطاح بها، أما إذا كانت من الله فستبقى وتستمر في النجاح).

الأنبياء الكذبة الذين ادعوا الألوهية في فلسطين:

وقد أشار سلوس إلى عدة أنبياء كذبة في فلسطين ذاتها كانوا يقولون: (أنا الله) أو (أنا ابن الله) أو (أنا الروح الإلٰهية). وأهم جدل يثيره سلوس أن يسوع لم يكن زائراً إلٰهياً مناسباً، لم يكن ما يتوقعه المرء من إلٰه متجسد أن يكون. وكان باستطاعة الكائن الإلٰهي الرؤية المسبقة لما خطط له من موت فظيع ومهانة واحتقار، وكان يمكنه كإلٰه أن يتحاشى ذلك كله، بل ومن السهولة بمكان أن يتغلب على كل أعدائه ومناوئيه. وكان سلوس مصمّماً على تأكيده بأنه لا إلٰه ولا ابن إلٰه نزل بالمعنى الذي قصده المسيحيون، وقد سخر من عقائدهم تلك، وأشار

إلى عقائد الوثنيين، وهو منهم، بأن أبولو نزل بصورة بشرية ولكن فعل الأعاجيب، وكان إلٰهاً حقاً، وكذلك إسكليبوس (إلٰه الطب) نزل بصورة بشرية وشفى ولا يزال يشفي الأمراض ويعمل الخير ويتنبأ بالمستقبل، ولكنه لم يُهَنْ، ولم يُصْلَبْ، ولم يُبْصَقْ في وجهه، ويُحتقَر، بل كان ولا يزال إلٰهاً ممجَّداً محترماً.

قصص الولادة من عذراء:

وأما قصة ولادة العذراء فهناك العديد من القصص المماثل لدى اليونان وغيرهم من الأمم. حتى إن الإغريق يقولون: إن أم أفلاطون (أمنيكسيون) حملت به من الإلٰه أبولو، وهناك العديد من القصص المماثلة.

وعبادة الإسكندر (المقدوني) كانت منتشرة، وتقول الأساطير الوثنية: إن فيلبس امتنع من غشيان زوجته، وإنها حملت به من كبير الآلهة زيوس. وهي قصة مشابهة تماماً لقصة ولادة يسوع من مريم حيث إن زوجها يوسف النجار لم يمسها إلا بعد أن ولدت يسوع.

قصة بروثيوس وقصة برجونيوس المشعوذان:

وبروثيوس ادعى أنه ضحّى بنفسه في النار في دورة الألعاب الأولمبية عام ١٦٥ ميلادية. وكانت الدعاية المسبَّقة تقول: إن بروثيوس على وشك الذهاب من محيط البشر إلى الآلهة محمولاً على أجنحة من نار. وقد اخترع بروثيوس أساطير وحكايات وادعى أنه كلام إلٰهي موحى به إليه.

وظهر مقطع من الشعر منسوب إلى صاحبة النبوة سيبل Sibyl، والتي كانت أيضاً تعتبر من الآلهة. ويقول المقطع: عندما يضرم بروثيوس النار في فناء زيوس (كبير الآلهة) ويقفز عبر اللهيب إلى جبل الأولمب الضخم (مسكن الآلهة في اليونان) فيجب على الناس أن يتشرَّفوا بالذي مشى بالأرواح الكبيرة في الليل إلى خارج العالم، وتوج مع هركلس وهيفيستوس (إلٰهين بشريين) عند الآلهة. وتقول القصة: إنه عندما مسَّ بروثيوس النار ورمى بجسمه فيها، حدثت هزّة أرضية، رافقها انشقاق الأرض. ثم طار عقاب من ألسنة اللهب، وذهب إلى السماء قائلاً بلغة بشرية وصوت عالٍ: «لقد انتهيت من الأرض وأنا متوجّه الآن إلى الأولمب».

ويسخر لوسيان الذي أورد هذه القصة من أسطورية هذه الحكاية، وأن الناس رغم ذلك صدَّقوها. ويقول: إن بروثيوس هرب من بلدته لأنه اتُّهِمَ بقتل والده، وبجرائم أخرى كثيرة. ويذكر لوسيان أيضاً قصة بريجوينوس الذي التحق بالمسيحيين في فلسطين، وادعى النبوة، وصار زعيماً ورئيساً لكنيسة كبيرة، وكانوا يبّجلونه كإلٰه بعد الإلٰه الآخر (يسوع) الذي لا يزالون يعبدونه، الرجل الذي صُلب في فلسطين.

ويروي لوسيان أن بريجوينوس هذا أُوقِفَ من أجل مذهبه وأُدخل السجن، وأصبح محجة للناس، وجمع من ذلك ثروة ضخمة تمتع بها بعد خروجه من السجن. ويقول لوسيان معلّقاً على المسيحيين المغفَّلين: «إذا جاءهم محتال أو مشعوذ فبإمكانه جمع ثروة ضخمة بمجموعة من الحكايات والأساطير التي يحكيها عن حياته».

البشر الذين صاروا آلهة والأساطير التي تصدقها العامة:

ويجمع لوسيان قصصاً كثيرة عن البشر الذين صاروا آلهة من أمثال هيريكليوس (هرقل)، وإسكليبوس (الطبيب)، وديونيسوس، وأبولو، وأنبيدوكليس، والإسكندر. ويذكر قصة إسكندر أبو تيكوس الذي استحصل على أفعى مدجّنة، وعلّق بها رأساً بشرياً مزيّفاً، ثم رتّب ولادة أفعى صغيرة من بيضة (نعامة)، وتبع هذه الولادة العجيبة في الظاهر نمواً عجيباً. وبعد أيام قلائل جلس إسكندر نفسه على أريكة وكان يرتدي زيًّا يناسبُ الآلهة، واضعاً في حضنه الأفعى الضخمة المدجَّنة، ومعها الرأس البشري المزيف، وادَّعى أنه التجسد الجديد لأسكليبوس. وجاء بخزعبلات مختلفة، ونبوات ووصفات للشفاء. وادعى أن الآب (الله) أرسله لمساعدة الناس الطيبين. وستعود روحه إلى الله عن طريق لاعق الصواعق (Thunder bolt) الذي يخصُّ الله. ونجح إسكندر أبيوتيكوس في جعل الناس يعبدونه، ويعبدون الأفعى الضخمة التي أسماها جلايكون. وادعى إسكندر أن أسكليبوس تجسَّد فيه.

ثم يروي لوسيان مجموعة كبيرة من القصص الأسطوري الذي يصدّقه الناس البسطاء في كل زمان ومكان، ويركز على القصص اليوناني الذي يعرفه معرفة وثيقة. وهي قصص كلها تدَّعي تجسُّد الإلٰه بشكل من الأشكال في بشر. ولا فرق

بين ما يدَّعيه المسيحيون، من تجسُّد الإله في يسوع، وبين هذه القصص اليونانية المنتشرة، إلا أن إله المسيحيين المتجسّد في يسوع أُهين وعُذِّب، وضُرِب، وجُلِد، وبصِق في وجهه، ولُعِنَ ومات على الصليب شرَّ موتة. وكانت حياته ومماته خِزْياً ولعنة، بينما حكايات اليونان من البشر الذين تألَّهوا كانت أكثر ألَقاً ونهايتها أكثر سعادة. والإنسان الإلهي وصنّاع المعجزات كثيرون في التاريخ اليوناني، والمدّعون كثيرون جداً، والذين ادّعوا أنهم آلهة، أو أبناء آلهة، لا يكادون يحصرون، ويرى لوسيان أن قصة حياة الفيلسوف أبولونيرس الذي تجسَّد فيه الإله أكثر قبولاً ومناسبة من قصة يسوع الناصري الذي كان صلبه وموته فضيحة.

وقصة الولادة العجائبية ليسوع من مريم ليست جديدة بل هناك عشرات القصص المماثلة والسابقة لقصة مولد يسوع، فأفلاطون وُلد بنفس الطريقة. وكذلك ولادة الإسكندر المقدوني، وهيراقليدس، وفيثاغورس، وأنبيذوقليس، قبل عصر سقراط. وكل هؤلاء فلاسفة معروفون، وقصص ولادتهم العجائبية منتشرة لدى اليونان... ولم تكن ولادة هؤلاء فقط عجائبية، وإنما حياتهم أيضاً. وقد تمثلت فيهم الآلهة، وكانوا بشراً آلهة، يمشون على الأرض، ثم رفعوا إلى السماء مع آبائهم السماويين.

وليست هذه القصص منتشرة لدى اليونان وحدهم، فالآلهة البشر أكثر من أن يُعَدُّوا لدى المصريين. وكل ملوكهم الفراعنة الكبار كانوا بشراً آلهة.

[ونجد القرآن الكريم يوضح لنا ادعاءات فرعون في عهد موسى حيث يقول: [ما علمت لكم إلٰهاً غيري]. ويهدد موسى ويقول له: (لئن اتخذت إلٰهاً غيري لأجعلنّكَ من المسجونين) ويقول لقومه: (أنا ربكم الأعلى)].

وليس ذلك قاصراً على اليونان والمصريين القدماء بل إن البابليين والآشوريين والأمم الأخرى القديمة قد عرفت ذلك. (فالنمرود في قصة إبراهيم ﷺ ادّعى أنه هو الله. ولما حاجّه إبراهيم ﷺ قال: أنا أحيي وأميت. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

تجسّد الإلٰه في بشر معيّن لدى كل الأمم السابقة:

وبوذا أيضاً تجسَّد الإلٰه فيه وادَّعى أتباعه أنه هو الله. وهكذا لا تجد أمة من الأمم إلا ولديها قصة تجسُّد الإلٰه في أحد البشر، ولها قصص عجائبية عن مولده، وحياته، ومعجزاته، وعودته إلى أبيه في السماء.

قصة تجسُّد الإلٰه في يسوع تمثل ثقافة عامة في ذلك العصر الأسطوري:

وليس غريباً إذن أن نجد قصة تجسّد الإلٰه في يسوع، وخاصة أن فلسطين ذاتها شهدت العديد من أمثال هذه الحكايات، وإسقاط ذلك على يسوع من بعض أتباعه الذين تأثروا بهذه الحكايات ليس غريباً، فالعصر كله عصر عجائبي، ويؤمن إيماناً قوياً بهذه الأساطير، ولا يعتبر أي غرابة فيها.

ولكن إنكار هؤلاء الوثنيين لتجسد يسوع يأتي من أن حياته وموته كانت فضيحة ولعنة، لم يكن يشبه في أي شيء قصص الآلهة البشريين المشهورين بالذكاء والقوة والجمال، وأن موتتهم لم تكن قط بالمهانة، والذلة التي صحبت موت يسوع...

وهذه النقطة بالذات هي التي اعتمدها بولس وأتباعه، ورجال الكنيسة من بعده: جاء يسوع ليكون هو الخطيئة، وهو اللعنة حتى يتحمل عنّا جميع خطايانا، وجميع ما كُنَّا فيه من لعنة؛ ليخرجنا من ظلمات الخطيئة إلى نور المعرفة والمحبة. هو كان محبَّة متجسدة، ومات على الصليب من أجلنا. وهذا هو لبُّ المسيحية التي جاء بها بولس ورجال الكنيسة الذين تبعوه لمدة ألفَي عام.

وتلخّصُ فرنسيس يونج الوضع الأسطوري وقصص تّجسّد الإلٰه في بشر) التي كانت سائدة في فلسطين والإمبراطورية الرومانية في العهد الذي ظهر فيه يسوع، ممتدة إلى العصور السابقة، ومتجاوزة ذلك إلى الأمم الأخرى. **وتشير إلى الخلفية العامة والأرضية التي بنيت عليه أسطورة تجسد الإلٰه في يسوع كالتالي:**

١ ـ **الميثولوجيا التقليدية**، وبخاصة ما تعلق منها بالخالدين من البشر الآلهة مثل هركلس (هرقل)، وديونيسس وأسكليبوس، والذين عاشوا كبشر استثنائيين، ثم توصلوا إلى الخلود وعدم الفناء بتحولهم إلى آلهة، أو بتجسد الآلهة فيهم.

٢ ـ **عبادة الحكام** في روما منتشرة جداً، وهي قد ورثتها من الإغريق، ومصر القديمة، وسوريا والعراق.

البيئة الوثنية هي الأصل لعقيدة تجسّد الإله في المسيح:

وهذه المواد مقرونة مع الشواهد السابقة تحاول الوصول إلى جذور المعتقد المسيحي عن تجسّد الإله في يسوع في وسط المحيط الأسطوري (الميثولوجي)، والديني الهلليني الإغريقي. وهناك وجهة نظر قوية تقول: **إن المسيحيين الجدد من الناطقين باليونانية من الأمم الوثنية هم الذين حوّلوا يسوع المسيح اليهودي من فلسطين إلى كائن إلهي متجسّد. ويقولون ما دام لا يمكن تصور مثل هذا التطور في إطار العقيدة اليهودية الموحّدة لله، فالبيئة الوثنية التلفيقيّة هي وحدها الأصل لعقيدة التجسّد لدى المسيحيين.**

عبادة الأباطرة وتأليههم وألقابهم:

وفي كتاب (ضوء من المشرق القديم) لأدولف دايسمان مجموعة من النقوش والمدونات على ورق البردي، تُظهر أن الألقاب التي أضفاها المسيحيون الأوائل على يسوع تتوازى بصورة حميمة مع ما استُعمل في عبادة الأباطرة. وفي نقش عن يوليوس قيصر عام ٤٨ قبل الميلاد يظهر فيه يوليوس قيصر على أنه من نسل الآلهة آريس وأفروديت، ويطلق عليه لقب منقذ لجميع البشر. وفي لوحة رخامية من مدينة برجاموم في اليونان مكتوب: (الإمبراطور قيصر ابن الله، والإله أغسطوس المشرف على الأرض والبحر). وتظهر الألقاب التالية لقيصر: إله Theos، وابن الله Theo Hyios، والمنقذ Soter، والظاهر المتجلي Epiphanes. ويوصف الإمبراطور أغسطوس بتعبير إله وربّ Theo, Kyrios. وفي حجر في منطقة (برين) دُوِّنَ عليه: «ألا إن ولادة الإله الإمبراطور أوغسطوس كان للعالم بداية الإنجيل بسببه». وحتى تعبير عودة المسيح Paroussia فقد استخدم لعودة الإمبراطور أو الملك. ومنذ عهد الإسكندر العظيم (المقدوني) كان الأباطرة والملوك في اليونان وروما يحظون بالتعظيمات الإلهية. ويعتبرون آلهة متجسدين، وكانوا مرتبطين بزيوس (كبير الآلهة)، وأبولو (ابن زيوس وأجمل الآلهة)، واعتبر أغسطوس هو نفسه الإله مركيوري (عطارد)[1] متجسداً بشكل بشري. واللغة الإلهية التي استعملت للحكام توازي بصورة حميمة الألقاب التي أضيفت إلى يسوع في الأناجيل.

---

(١) مركيوري: إله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان، النجم عطارد (أقرب المجموعة الشمسية إلى الشمس، وهو أيضاً رسول الآلهة).

ولا شك أن المجتمعات اليونانية التي دخلت في المسيحية تبنَّت فكرة الإنسان الإلٰهي في يسوع لأن ذلك شائع في ثقافتها، وأديانها، وفكرها، وأدبها، وشعرها، وحياتها السياسية، والفكرية، والروحية، والدينية.

الإنسان الإلٰهي:

وخاصية الإنسان الإلٰهي شرحها بيلر في كتابه (Theios Aner) وكيف أن مجموعة من البشر الممتازين كانوا ينتمون إلى طبقة البشر الآلهة (Theios) عند اليونان والرومان والأمم القديمة. بل إن لفظ Theios استخدمه المسيحيون فيما بعد ليَصِفوا به القديسيين. وتعبير (Theios Aner) كان له دلالات عدة ولم يكن تعبيراً ثابتاً عن البشر الآلهة، بل تحول عند رجال الكنيسة إلى الرجال الإلٰهيين، أو الذين يُطلق عليهم لفظ متألهين، أو مستغرقين في الله وعبادته.

وقصص الولادة الخارقة والاختفاء العجيب عند الموت، وإنقاذ الناس وشفاء المرضى، والتأليه، والتجليات من الأعالي، كلها تتكرر على مدى القرون لدى شخصيات عديدة كان لها وجود فعلي تاريخي، ولكن أضفى عليها من يُقَدِّسونها كل حالات الألوهية والعبادة والعجائبية. وربما لم يكن لقب ابن الله متداولاً كثيراً، ولكن ابن زيوس (كبير الآلهة عند اليونان)، وابن هيليوس، كانا معروفين بصورة واسعة.

وأسطورة هركوليس (هرقل) المثل الأعلى للرجولة الذي صرع الشرَّ وأسَّس سلاماً عالمياً منتصراً على الموت باقتحامه لهايديس (جهنم الوسطى وموقع آلهة الموت)، وإنجازه الخلود، وبسبب فضائله، جعلته إلٰهاً بشرياً درامياً. الشيء ذاته وإن كان بصورة أخرى يمكن أن يقال عن أسكليبوس: (الطبيب والذي أصبح إلٰه الطب والشفاء)، وحياته الأسطورية وعمله الدؤوب لشفاء المرضى وإسعاد البشر. وكذلك قصص ديونيسوس... وكل هؤلاء كانوا من بعض الوجوه يشبهون قصة يسوع الذي تجسَّد الله فيه.

ويقول بلوتارك: إن الآلهة العديدين جاؤوا أصلاً من بشر تألَّهوا كما أوضحت ذلك أساطير الخالدين، وبالذات الحكام والأباطرة والفلاسفة. وإلٰه مدينة روما (رومولوس)، وُلد من عذراء، وتجسّد الإلٰه فيه، وكانت له حياة حافلة، ثم اختفى جسده، ثم ظهر بعد الموت لتكليف أتباعه، وتقديم الصلوات

له. . . وهي قصة تُشبه إلى حد كبير قصة يسوع عند المسيحيين (ما عدا قصة الصلب والإهانة والتحقير).

ولا شك أن العصر الذي ظهر فيه يسوع هو عصر عجائبي، وأسطوري، والناس تعيش تلك الأساطير وتتنفسها، وتعتبرها جزءاً من حياتها، ولا ترى في ذلك شيئاً فريداً. لهذا فإن عقيدة التجسُّد في يسوع ليست غريبة على تلك العقلية. ولكن الذي رفضه هؤلاء الوثنيون هو أن يكون يسوع إلٰهاً متجسداً، ومع ذلك يُصلبُ، ويهانُ، ويُبصقُ في وجهه، ويحمل صليبه على ظهره، ويُعذَّبُ ويصبح هو لعنة، وهو الخطيئة كما قال بولس. . . وتصبح فضيحة الصلب ذاتها هي لب الدين المسيحي المتمثل في التضحية بجسده لكي يفدي العالم بحبِّه، ويتحمل عنهم الخطيئة، واللعنة، بتحوله هو نفسه إلى فضيحة وخطيئة ولعنة. (لعنة الله على الكاذبين).

الفصل السادس

عقيدة التجربة

بقلم لسلي هولدن

التنوع في تصور يسوع:

«ليس هناك دراسة واحدة لشخصية المسيح في كتب العهد الجديد (الأناجيل) بل هناك عدة دراسات... إن لكلٍّ كاتب تصوره الخاص ويمكنك أن تقرر أن واحداً منهم (بولس)، قد غيَّر وجهة نظره في إطار ما كتبه وكشف لنا فيه فكره... ويتفق كتاب الأناجيل كلهم، ما عدا يوحنا، في رؤية المسيح على أنه المفتاح الذي يفتح كل الأبواب عندما يكون الأمر متعلقاً بالله، وأنه الدليل الذي يكشف كل الأسرار.

وأول واجب بعد الإقرار بالتنوع هو تقرير كيف يمكن تقييم هذا التنوع؟ ففي وقت ما، كان من العادي أن نأخذ ألقاب يسوع كأساس للتحليل. يتحرى الواحد خلفيات هذه الألقاب في أصولها اليهودية واليونانية ويصل لمعناها. وينتقل من إنجيل لآخر فاحصاً استعمالاتها، ومُسْقِطاً المعنى في فكر كل كاتب من كتاب الأناجيل، واحداً بعد الآخر.

نبدأ بالتعرف على صورة يسوع التي رآها كل واحد من كتبة الأناجيل... ولكلٍّ رواية في هذه الأناجيل هيكلها الخاص، وتركيبها الخاص، ورسالتها الخاصة بها، ولذا فيختلف كل كاتب من كتاب الأناجيل عن زملائه في رؤيته ليسوع...

كتابات بولس وتصوره ليسوع:

لنأخذ **كتابات بولس**: لنبدأ مثلاً باستعماله لكلمة السيد (الربّ) The Lord: إنه يستعملها مرات ومرات في هذه الأطر النحوية، وإلى هنا نحن على أرض آمنة لنتقدم إلى أطر المعاني فنجد أن الأرض أقل أمناً وثباتاً، ويربطها بألقاب أخرى

حيث يلعب الخيال دوراً ضرورياً يساعدنا على تحديد نموذج وبُنيةٍ لهذا التصور.

يسوع أنتج نماذج متنوعة من الكلمات، وليس مفاجئاً عدم دقتها، وعدم توافقها، وعدم تماسكها. والواقع هناك ميل لتنظيم وترتيب اللغة على حساب الإبداع إلى حد ما.

هناك مرحلتان من الإبداع اللاهوتي: (الأولى) تجريبية مليئة بالعواطف والإبداع، والاندفاع. (والثانية) إيمانية وصفية فاترة مطوّلة.

وكلا المرحلتين متداخلتان، فانتماء بولس في غالبه للمرحلة الأولى، مع أن به عناصر قوية من الثانية. وكل إنسان مفكر يميز بين مستويين عند بولس هما مستوى الحقيقة ومستوى الخيال، وكلاهما متداخلان... هناك عنصر تقريبي لهذه التعابير بالنسبة للمسيح، كابن الله، والسيد Lord، وابن الإنسان والمسيح(١).

(نلاحظ في اللغة العربية أن استعمال لفظ (رب) يعني المالك: رب الدار: مالك الدار، رب الإبل: مالك الإبل، رب البيت: مالك البيت) إذاً اعتُرِفَ أن البيان عن يَسوع كابن الله أو السيد المالك (الرب) هو للتشبيه والمقارنة، فالإنسان الذي يعتمد كلياً على أنها حقيقة ووصف لا يمكن إلا أن يعتبر مخطئاً... وهو أمام الطريق المسدود ليس له جهة يرجع إليها. وهكذا الذي يعتقد أن نهاية العالم وشيكة الوقوع فقط على أساس حادثة متنبأ بها، ثم يكشف مرور الزمن خطأها، على هذا الإنسان أن يتخلّى عن اعتقاده هذا، وربما أن يتخلّى أيضاً عن تعلقه بالسلطة التي دعمت هذا التنبؤ.

يسوع خادم لله:

والاعتقاد من خلال الطريقة التجريبية يقدم لنا آمالاً أخرى، فوصفه المفترض غير مُرْضٍ، كذلك تعبيره اللفظي في أغلب الأحيان، لأنه معرّض لعدم الدقة وعدم التماسك إلا أنه على اتصال وثيق بمنابع الدين: إنه يقودنا إلى حيث تجاوب الإنسان مع الله في أعمق صورة... إنها تجربة دينية تتعلق بالله. وقد أثار يسوع أو أنتج قناعات جديدة هامة ليس فقط فيما يخصه، بل فيما يخص الله، وربطت به الألقاب، لأنه هو العنصر الملموس الجديد الذي توسعت وتحولت من

---

(١) أسطورة تجسّد الإله. The Myth of God Incarnate edited by John Hick, SCM,) London, P126 - 132). تعريب د. نبيل صبحي، دار القلم، الكويت ١٩٨٥م.

خلاله التجربة الإلٰهية. . . **وكمجدد عقيدي كان يسوع، بصورة محددة، خادماً لله (أو عبداً لله)Servant of God**.

بيانات منحرفة عن الله:

فألقاب يسوع لم تكن إذن في المرحلة التجريبية يافطات تعلّق على شخصيته، لكنها بيانات منحرفة عن الله، كل بيان منها تكلَّم عن طريقة جلَّتْ مجدداً الله، والعلاقة به محمولة على مستوى جديد. . . إذا اعتبرنا يسوع نبياً فهذا يعني توقعات جديدة، جلية آثارها، وهي إلٰهية الإيحاء والتوجيه، وإذا اعتبرناه هو (الحكمة أو الكلمة Logos) فهي تعني في بعض النصوص رؤية متحولة للنظام الجديد، وضعه وإمكاناته. . . وإذا نظرنا إليه على أنه هو المصلوب يؤدي ذلك بطرق ملتوية لتصور الكتب المقدسة إلى معنى جديد عميق المدى في التجربة البشرية ضمن الإطار الإلٰهي. ويتفق المسيحيون على مركزية يسوع في كل ما يتعلق بصلة الإنسان بالله وفهمه له، وكل ما يتفرع عنه بعد ذلك. ويتفقون أيضاً بالتمسك بتدخل الله الحميم العميق بالعالم والجنس البشري الذي هو خالقه.

المعتقد النيقي لا يصلح في العصر الحديث:

ولكن هل مركزية يسوع بالنسبة لفهم الإنسان مماثل ومساوٍ لبيانات مهمة عن دراسة شخص المسيح في المعتقد النيقي (نسبة إلى مؤتمر نيقية ٣٢٥م)؟ أو التعريف الخلقيدوني (نسبة إلى مؤتمر خلقيدونية ٤٥١م)؟ وهل اهتمام الله العميق بالعالم ترجمة مسموح بها لما جاء في بيان خلقيدونية: «إن الكلمة أصبحت لحماً»؟ كثيرون يصرّون على أن الإجابة هي لا. . .

إن الكلمات القديمة لا تصلح للعصر (الحديث) ولا يمكن الاعتقاد بها. وإذا كان للدعوة المسيحية أن تجد طريقها في هذه العوالم المتنوعة من الحوار والنقاش التي تواجهها فعليها أن تسعى أكثر للوضوح والفهم... وفي سبيل هذه الغاية يجب إيجاد تعابير بسيطة وواضحة للتجربة المبكرة مع الله من خلال يسوع قد تُسهم ببذر البذور في العقول المسيحية التي تبحث الآن عن طريقة تستجيب له بكلماتها.

الفصل السابع

مسيح البلاد المسيحية

✍ بقلم دون كوبيت[1]

عقيدة التثليث والأيقونات ليست في الكتب المقدسة:

ردّ عالم اللاهوت المشرقي يوحنا الدمشقي (٦٧٥م ـ ٧٤٩م) على المنتقدين لعبادة الأيقونات القائلين: إن الأيقونات ليست في الكتب المقدسة، فاعترف بتلك الحقيقة، وقال: «**إنكم لن تجدوا (التثليث)، أو (وحدة جوهر الأب والابن) أو (ثنائية الطبيعة في المسيح) في الكتب المقدسة، ولكننا نعلم أن هذه المعتقدات صحيحة... وهي كلها بدع مستحدثة جاء بها الآباء، وإذا ضاعت هذه التقاليد يصبح الأنجيل كله مهدداً**».

لم يكن يوحنا الدمشقي هو الوحيد الذي استعمل مثل هذا الجدل، فقد استخدمه أيضاً تيودور ألستويت (٧٥٩م ـ ٨٢٦م) وكثيرون غيرهما. **وهذا يكشف صورة غريبة من المسيحية: التقلب وعدم الثبات والسرعة في إضفاء القداسة الدينية على البدع لدرجة أن من يشك فيها يجد نفسه معتبراً من أصحاب البدع الخطرين ومن الهراطقة.**

والمثل المسلّي في أيامنا هذه هو التأكيد الذي تظهره الكنيسة في مدح العائلة والدفاع عنها بحيث أن المبدأ الأول في السلوك المسيحي هو احترام العائلة، وإنجاز واجبات كل فرد فيها نحوها. ومع ذلك لا تزال الأناجيل هي القانون الكنسي... والظاهر من الأناجيل هو أن يسوعاً انتقد العائلة بشدة لأسباب دينية قوية (بل أنكر أمه وأخوته وقال عن أتباعه: إنهم أمه وأخوته). فبالنسبة له كان نداء (المملكة) بعيداً عن الأدوار العائلية وليس فيها. والمثالية التي تُضفى على العائلة هي اختراع ثقافي عصري أثبتت الكنيسة شرعيته، **ولا**

(١) هذا الفصل مهم جداً وينفي التثليث والتجسيد نفياً قاطعاً، ص١٣٣ ـ ١٤٧.

يوجد الآن بطريرك عصري واحد يحلم بتأييد يسوع علناً في نظرته للعائلة.

عقيدة التجسد لا تنتمي لروح المسيحية وانهيار العقيدة الخلقيدونية:

وكذلك فإن عقيدة التجسد لا تنتمي لروح المسيحية بل تمتُّ لفترةٍ ما من تاريخ الكنيسة قد انتهى أمرها... وتلك هي الحقيقة...

لقد مرت فترات معينة في القرن التاسع عشر بدأ فيها الانهيار الداخلي للعقيدة الخلقيدونية القديمة في نظرتها للمسيح، والتي سادت مدة ألف وخمسمائة عام.

وكان تشارلز جور (١٨٥٣م ـ ١٩٣٢م) رجل كنيسة كبير يمثل رأي البورجوازية الإنجليزية، وكان مع ذلك كاثوليكياً واشتراكياً، وكان متأثراً بكتاب السيرجون سيلي عن حياة المسيح Ecce Homo الذي عرض يسوع بصورة إنسانية كمصلح أخلاقي واجتماعي رغم حياته البوهيمية. وركز جور على أهمية حياة يسوع الإنسانية الكاملة، وأن هذا الجانب هو الذي ينبغي التركيز عليه والاهتمام به.

ويبدو الخلاف بين لدّون صاحب كتاب (أُلوهية سيدنا ومنقذنا يسوع) ١٨٦٥م، وجور، حيث يرى لدّون أن يسوع هو كلي المعرفة، بينما يرى جور أن يسوع محدود المعرفة، وذلك أمر طبيعي حيث يركز جور على إنسانية يسوع بينما يركز أستاذه على ألوهيته.

الفن المسيحي والصور:

والغريب حقاً أن **الفن المسيحي قبل عهد قسطنطين (القرن الرابع الميلادي) كان ضد الصور**، ولاقى الفن المسيحي معارضة شديدة حتى في عهد قسطنطين. فقد كتبت أخت الإمبراطور قسطنطين إلى البطريرك أُوزيبوس تطلب صورة للمسيح، ولم يكن هناك أسقف أكثر خضوعاً للملوك من أوزيبوس، ومع ذلك فقد رفض طلبها بحدَّة مفسِّراً لها الأسس التوراتية والتقاليد في كراهية الكنيسة لعبادة الأصنام، والفن المسيحي كما يقول لا يوجد ولا يمكن أن يوجد. وقد هاجم سيريل بطريرك القدس عام ٣٤٣م تصوير عملية الصلب، وذلك في موعظته يوم عيد الفصح، وفي عام ٣٨٠م غضب البطريرك أبيفانيوس غضباً شديداً لرؤيته صورة للمسيح، ولأحد القديسين معلقة في كنيسة القدس، فمزَّقها ورماها أرضاً،

ثم كتب بعد ذلك انتقاداً عنيفاً للصور والأيقونات التي اعتبرها كالأصنام.

إلا أن احتجاجات رجال الكنيسة الكبار هؤلاء ذهبت أدراج الرياح، وبرز الفن المسيحي كجزء من عملية مركبة أصبحت من خلالها المسيحية وثنية بصورة واسعة جداً في إيمانها وعبادتها وتنظيمها وتعاليمها الاجتماعية.

ظهور الأيقونات وتألية يسوع:

والفترة التي وضعت فيها أطر العقيدة المسيحية الكلاسيكية عن المسيح، وتم فيها تأليه يسوع كانت هي أيضاً الفترة التي نمت فيها بأسلوب واسع العملية الوثنية في تصوير ونحت الأيقونات عن المسيح. وهذان التطوران جاءا نتيجة للتأثر العميق بالحاجات والضغوط السياسية (وتحول قسطنطين الوثني إلى المسيحية، وتم بعد ذلك تحول المسيحية إلى الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية بحيث تقمصت العقائد والأعياد الوثنية الرومانية وأدخلتها في صلب الدين المسيحي).

عبادة الإمبراطور الروماني وجعله وكيل يسوع على الأرض:

وقد أظهر بينز في مقالة له عن البطريرك أوزيبوس (أشهر البطارقة في عهد قسطنطين) والإمبراطورية المسيحية[1] كيف تبع أوزيبوس في سياسته اللاهوتية الفلسفة اليونانية الهلينية في الملك. وكما أن الله هو للكون كذلك الإمبراطور للدولة فالكلمة الإلٰهية تستوطن الإمبراطور، معلمة إياه محاكاة الفضائل، ليصبح الراعي الصالح لشعبه، لينقذهم من الخطيئة ويقودهم في طريق الخلاص إلى مملكة السماء. فالملك كان نوعاً من الإلٰه المتجسد ويمثل الصلة بين الأرض والسماء.

وليجعل هذا المخطط مسيحياً أعلن أن المسيح هو الإمبراطور العالمي للكون، وجعل الإمبراطور وكيله على الأرض ونائبه، وبالتالي أضفى الشرعية الإلٰهية على حكمه، واتخذ أزويبوس الخطوة الأولى في هذا الاتجاه وتبعه الآخرون بعد ذلك.

---

(١) (Byzantine Studies By editor N.H.Baynes. Athlone, Press 1955, Chapter IX).

تبادل المصالح بين الإمبراطور والكنيسة:

وفي النظام الجديد حصل رؤساء الكنيسة الكبار على الكرامة، والامتيازات، والشعارات، التي حافظوا عليها بعناد حتى اليوم. واستعارت العبادات الكنسية طقوس البلاط الملكي... يقول ثيودور كلاوسر[(1)]: «لقد حولوا الطريقة التي كان يعرض بها يسوع المسيح. لقد بدأوا النظر إليه كحاكم كلي القدرة الذي يحكم جميع الخلائق... ويصورونه حاكماً جالساً على عرش مزيّن بالجواهر والطنافس الوردية وتحيط به الهالة الملكية، وتُقَبَّل يداه ورجلاه، ولم يبق من آثار يسوع إلا وجهه السامي الأسمر الملتحي المتطلع إلى الدنيا بحزن... وللأسف أصبحت مريم الأم والإمبراطورة، وحُوِّل الحواريون إلى مجلس الشيوخ (Senators)، والملائكة شكلوا أفراد البلاط السماوي، أما القديسون فقدَ مُثِّلوا كضيوف يطلبون لقاء الإمبراطور حاملين معهم هداياهم».

وقد انتشر هذا الأمر بحيث يمكن مشاهدته في أي قداس كهنوتي على مستوى عالٍ، أو في أي حفلة تتويج. ولقد أنكرت المسيحية في بدئها طقوس عبادة الإمبراطور، ولكنها بعد دخول قسطنطين في المسيحية تصالحت مع النظام الإمبراطوري... ووافقت تدريجياً على طقوس عبادة الإمبراطور، الممثل والوكيل ليسوع إمبراطور الكون!! وقد وجد الأباطرة أن تعريف الدوجما (العقيدة) في المسيح أصبح مناسباً لهم، ففرضوا هذا التعريف وطبّقوه بكل سلطات الإمبراطورية الضخمة. وقد امتد هذا النظام السياسي العقيدي منذ القرن الرابع - الخامس الميلادي حتى الحرب العالمية الأولى.

عقيدة التجسُّد وآثارها الضارة بالإيمان بالله:

وقد أدت هذه الطريقة في المعتقد المسيحي في التجسّد إلى آثار ضارة بالنسبة للإيمان بالله، وبالنسبة لإدراك علاقة الإنسان بالله... وأضعفت عقيدة التجسيد تقدير الناس لأسلوب يسوع في الدعوة والقيم المتميزة التي كان يدعو إليها... وبدلاً من ذلك نمت دراسة أيقونية للمسيح واعتبرت الرموز استعارات وتحولت إلى حقائق!! والنظرة العالمية التي عبرت عن الاختيار الحر استبدلت

---

(١) (Tklauser: A Short history of the Western Liturgy. Oxford University, Press 1969, p32 - 37).

بنظرة تؤكد للعالم الاستمرارية والسلطة الهرمية، ووجوب الطاعة دون تفكير ولا مناقشة.

وأفكار المسيحيين الأوائل عن يسوع تختلف عن ملكية وإمبراطورية الأمميين (اليونان والرومان) بل هي نقيضها الأخلاقي، إلا أن هذا الاختلاف ضاع في الإمبراطورية المسيحية. وتوج المسيح بصورة إمبراطور وملك العالم ويأتي بعده مباشرة الإمبراطور الروماني المسيحي.

وفي التصوير الأيقوني المسيحي الذي استمر من أواخر القرن الرابع إلى آخر العهد البيزنطي لم يكن هناك تمييز بين المسيح والإمبراطور، وأعلن علماء اللاهوت أنفسهم أن تبجيل وتقديس أيقونات المسيح يعادل تماماً تبجيل وتقديس شعائر وأمارات الإمبراطور... وأصبح المسيح الظاهر المطلق في التاريخ أساساً للإمبراطورية المسيحية وللسلطتين السياسية والكهنوتية في هذا العالم. لقد استدعي يسوع لنفس الأشياء التي قال عنها: إنها زائلة، ونتيجة لذلك فقد التمييز والتناقض اللاهوتي مثل الذي كان في حوار يسوع وبيلاطس (يوحنا ١٨/ ٣٣، ١٩/ ١٦) (ومتّى ٢٠/ ٢٠ ـ ٨٠) (ولوقا ٢٢/ ٢٤ ـ ٢٧) ـ وجُعلت المسيحية نظاماً استبدادياً مطلقاً، وضاعت تعاليم يسوع، ولم يسمح لها بعد ذلك أبداً بالتأثير على دراسة شخصية يسوع. ولعلّ حب عمل الخير هو الخاصية الوحيدة التي استبقوها ليسوع والتي اشترك معه فيها الملك اليوناني.

واقتنع كثير من المسيحيين البروتستانت مثل بولتمان أن قلب الإنجيل هو في مذهب لوثر أكثر مما هو في تقاليد وتعاليم يسوع ذاتها. وإذا أُخذت تعاليم وآثار يسوع مأخذ الجِد يجب ترك العقيدة الخلقيدونية، وكل العقائد والمذاهب اللاحقة التي اشتقت منها.

والنقطة ها هنا تتعلق بالسؤال القديم عن معصومية الكتب المقدسة عن الخطأ والزلل، فالأصوليون يعتبرون أن هذه الكتب هي كلام الله، ويصرفون أوقاتاً كثيرة في دراستها إلا أنهم يفشلون كلياً في فهمها.

الأناجيل مجهودات بشرية مليئة بالتناقض والأخطاء:

وأما المجموعة الأحدث والتي ظهرت منذ القرن التاسع عشر الميلادي فلا ترى في الأناجيل إلا مجهودات بشرية مليئة بالتناقضات والأخطاء، ولكنها تعبر عن

قيمة دينية أكبر وأعمق. ومتى أزيلت صفة المطلق أو المعصومية عن الكتب المقدسة (الأناجيل) فإنها تكون ذات قيمة دينية أكبر بما لا يقدر عن تلك الموجودة لدى الأصوليين الذين يرون العصمة المطلقة للكتب المقدسة وأنها كلام الله المباشر. وكذلك فإن يسوع البشري والإنسان يمكنه أن يكشف لنا عن الله بأساليب أكثر تركيباً مما يستطيعه مسيح العقيدة الخلقيدونية. وأعتقد أن النتيجة تكون أوضح استيعاباً للحقيقة عن الله وعن يسوع وعن القيم المسيحية المتميّزة التي طال حجبها.

عقيدة التجسد تؤدي إلى عبادة يسوع وهي أمر وثني:

وتؤدي عقيدة التجسُّد إلى اعتبار يسوع إلٰهاً معبوداً، فإذا كان الله متجسداً في المسيح فإنه يمكن عبادة يسوع عبادة مباشرة على أنه الإلٰه دون مخاطرة بخطأ أو تجديف... هذا ما حدث بالفعل، فالصلاة المباشرة للمسيح في الطقوس التعبدية كأمر متميز عن الصلاة لله ظهرت عند الأرثوذكس المعارضين لفكرة الآريانية في القرن الرابع (آريوس مسيحي شرقي أصرَّ على أن المسيح بشر وليس إلٰهاً ولا ابن الله، وإنما هو رسول ونبي أوحى الله إليه. وقد رُفضت عقيدته في القرن الرابع واضطهد أتباعه واعتبروا من الهراطقة)، وتحولت إلى عبادة ولاهوت يتمحوران حول المسيح، وتلى ذلك دخول الوثنية في المسيحية وصارت العقيدة المعترف بها لدى جميع الكنائس «أن سيدنا يسوع هو الله وهو المنقذ» ولا شيء غير ذلك.

العقيدة الخلقيدونية تؤدي إلى الإلحاد في العصور الحديثة:

وقد أدت هذه العقيدة الخلقيدونية إلى ظهور الإلحاد في العصور الحديثة، وربما كانت هذه العقيدة الخلقيدونية للمسيح الأصل الأكبر والأول لعدم الاعتقاد المعاصر؛ لأنها هي التي بدأت عملية نقل التركيز في العبادة والطاعة من الله إلى الإنسان... وهذا أدى إلى عبادة الإلٰه المتجسِّد في المسيح الإنسان، وأخيراً إلى الإنسانية بصورة عامة. ويبدو أنها حللت شرعاً عبادة الإنسان للإنسان. كذلك أدت هذه العقيدة الخلقيدونية إلى ظهور لقب (أم الله) الذي هو مبدئياً تجديف وكفر إلا أن اللقب استُعمل منذ مئات السنين، وأسهم الأرثوذكسيون والأصوليون المسيحيون بنشاط في ترويج استعماله منجذبين بما يُحدثه هذا اللقب من إثارة.

وإذا كان الأمر في التجسّد هو أن الله اتخذ بصورة دائمة طبيعة بشرية، ويمكن وصفه شرعياً أنه إله في شكل إنسان، يمكن إذن إدراك كُنْه الألوهية بهيئة تركيب بشري، وتعود فكرة الوثنيين عن الإله أنه شخص فوق مستوى البشر... وهذا ما يتطابق مع الصور التقليدية عن الآب والابن.

تصوير الإله بصورة بشرية في الفنون:

وتم تصوير الإله بصورة بشرية في الفنون، واستخدمت الأيقونات والتصوير في ذلك، وقد ظهر التثليث في أعمال فنية عديدة منذ فترة طويلة، حيث يظهر الإله الآب بشكل بشري مع الابن الذي يختلف عنه تماماً. وقد راجت صورة الإله الآب بشكله البشري بعد عام ١١٠٠م.

ونادراً ما يدرك المرء هول البشاعة اللاهوتية في الصور، وإذا كان للألوهية نفسها شكل بشري مسبق قبل التجسد (في يسوع)، يجب إذن فهم التجسد بالطريقة الوثنية. ويظهر الاتهام واضحاً مرة أخرى في الممارسة الدارجة باستعمال بشرين لتصوير المسيح واحد يمثل طبيعته البشرية والآخر يمثل طبيعته الإلهية. وفي لوحة فنية قديمة في فارصوفيا ثلاثة رجال وامرأة وحمامة. الله الأب وابنه الخالد في فئة أُبُوَّة، والعذراء مريم وولدها الابن المتجسد في طبيعة بشرية، والحمامة معششة في تاجها (ممثلة للروح القدس). كل هؤلاء في مجموعة واحدة.

وظهر الله في الفن الغربي كرجل عجوز، وهذا كله نتيجة للعقيدة الخلقيدونية التي اعتمدتها جميع الكنائس المسيحية الموجودة. وقد أَنْسَنَتْ عقيدة التجسّد والمسيح ابن الله الألوهية إلى درجة لا تُطاق... وفي لوحة (الله) لمايكل أنجلو الموجودة في كنيسة السيستين في الفاتيكان يظهر الله بصورة رجل ضخم كَثّ اللحية مفتول الشارب، قوي العضلات، ويخلق آدم مثله، على صورته تماماً إلا أنه أصغر حجماً... والشيء ذاته يقال عن أيقونة التثليث من القرون الوسطى، ولا شك بوجود أناس يرفضون مثل هذه الوثنية لأنها تعني انهياراً في الدين الحق وفساداً في الإيمان بالله.

أستخلص من كل ما تقدم: أنه كان لعقيدة التجسّد بعض الآثار الضارة على فهم رسالة يسوع وعلى فهم علاقته بالله، بل حتى على الإيمان بالله. فتأكيد يسوع على السمو الإلهي، وعلى فصل الأمور الإلهية عن الأمور البشرية حَلَّ محله نظرة

عالمية أكدت الاستمرارية والسلطة والطاعة الواجبة. لقد أضعفت تقدير عمله الإنساني، ومالت لخلق عبادة المسيح الإلٰهي، وهذه بدورها جعلت الألوهية نفسها تغيب في خلفية الصورة. وعندما أعيد تأكيد الإلٰه الأب تصوره الناس كرجل عجوز.

ويبدو مسيح الكنيسة الشرقية (اليونانية) مشابهاً تماماً للملك اليوناني الهليني، أما مسيح الكنيسة الغربية فيبدو كواحد مات ليمهر صَكّ سلطة العائلة البابوية البطريركية كنموذج لتنظيم الكنيسة والدولة. لم يَعُد (المسيح) يسوعاً، ولم يكشف عن الإلٰه الواحد الحق كما فعل يسوع.

واكتشاف أن (المسيح) الكهنوتي، لم يوجد في أية قراءة ناقدة لسجلات يسوع أدى إلى الشك في الصحة التاريخية للأناجيل... وواجبنا تحويل المسيحية من الإيمان الدوجماتي الجازم لفترة الإمبراطورية المسيحية إلى الإيمان النقدي الذي يجب أن يخلفه، وإن كان ذلك صعباً علينا، ولكنه هو الذي سيقرِّبنا من يسوع وسيمكننا من استعادة الحقائق التي فقد أكثرها.

إن عقيدة المسيح يجب أن تكون بحيث تُقوّي وتُطهّر لا أن تُعيق وتَحدَّ من فهم البشر للسمو الإلٰهي؛ لأن السمو الإلٰهي هو الوحيد الذي يحاكم ويقدم ويعيد كما فعل يسوع في تعاليمه وفي شخصه ناقلاً قدرة السمو الإلٰهي إلى الحواريين... ومقياس التدين الصحيح بمفهومه الحقيقي يتطلب ألا تكون دراسة شخص المسيح نوعاً من مذهب عبادة الإنسان للإنسان، ويجب أن تكون مركزة ومتمحورة على الله وحوله وليس على المسيح وحوله.

الفصل الثامن

الأسطورة في علم اللاهوت

✍ موريس وايلز

تعريف الأسطورة والميثولوجيا:

إن لفظ الأسطورة يستعمل في مواضيع واسعة، وتلعب دوراً هاماً في أعمال علماء الأنثروبولوجيا (علم دراسات الإنسان) وعلماء الاجتماع، ولدى العديد من علماء النفس والنقاد والأدباء والمؤرّخين. وتختلف طرق استعمالها اختلافاً كبيراً، ولكن هناك تقليد قديم في استعمالها داخل إطار علم اللاهوت الذي دخلت إليه في القرن التاسع عشر. **وتعرف الميثولوجيا بأنها علم يبحث في الأساطير أو التقاليد والقصص الخرافية الشعبية المتنوعة الشائعة بين الناس ويعتقد بها العامة...**

الأسطورة والخرافات في الأناجيل:

هناك فرق بين التأصيل الواعي وغير الواعي للأساطير، ففي الطبعة الأولى من كتاب شتراوس (حياة يسوع) (١٨٤٠م ـ ١٨٤٢م) **اعتبر شتراوس أساطير العهد الجديد (الأناجيل) ذات أصل متدرج وغير مخطط في حياة المجتمعات المسيحية الأولى... هذه الروايات مثل باقي الخرافات فُصِّلت على درجات وعلى مراحل، واكتسبت تدريجياً شكلاً ما، ومع الزمن نالت شكلها الثابت في أناجيلنا المكتوبة.**

وفي الطبعة الجديدة من كتابه (حياة يسوع) ١٨٦٤م أكد على مفهوم الأسطورة في كتابة الأناجيل، ولكنه أضاف عناصر أخرى وهي التلفيقات المتعمدة الواعية التي أضافها كُتّاب الأناجيل إلى حياة يسوع... وأخذ يناقش في إدخال هذه التلفيقات المتعمدة في مفهوم الأسطورة، إذ إن تعريف الأسطورة أنها غير متعمدة وشعبية وتتطور عبر أجيال... وأكد شتراوس على أن مؤلف هذه التلفيقات لم يشكلها حسب خيالاته الذاتية فقط ولكن باشتراك وثيق مع الغالبية من قومه وإلا

لما قُبلت من تلك الطائفة أو المجموعة. وكل رواية لا أساس تاريخي لها تعتبرها طائفة دينية في تاريخها المقدس، وكتعبير مطلق عن مشاعرها وأفكارها الأساسية هي أسطورة.

وإذ أشارت الميثولوجيا الإغريقية معنى أضيق لكلمة أسطورة تستبعد منها التلفيق الواعي بحيث تفرق بين هذا المعنى، والمعنى الأوسع لها، فعلم اللاهوت النقدي يرغب أن يضم كل روايات الأناجيل التي يولّونها معنى مثالياً تحت بند الأسطورة بمعناها العام الواسع.

وأحد أسباب جاذبية الأسلوب الأسطوري في الأناجيل هو أنه وفّر مخرجاً للذين لم يستطيعوا أن يقبلوا المعجزات على أنها رواية صحيحة حرفياً. ولكنهم في نفس الوقت غير مسرورين للاختيار بين معجزات غير صحيحة أو كذب مؤلفي الأناجيل.

تأثير الأسطورة على علم اللاهوت المسيحي وتماثلها مع الأديان الوثنية:

ويرد شتراوس(١) على الذين يقولون: إن عصر يسوع كان عصر الأساطير بأن «استعمال تعبير أسطورة في مثاليات تستثمر العقيدة الدينية بحيث ترفع إلى مستوى التأليه إنساناً يتميز فقط بسمو أخلاقي أمر مكروه لدى عباقرة الزمان والمكان».

وتوثر الأسطورة في علم اللاهوت المسيحي ليس فقط بالنسبة لروايات خاصة بالمعجزات بل بالنسبة للبنية الكاملة للاعتقاد بعمل الله وتجسد الله.

إن الفكرة عن الأسطورة في دراسة الأساطير الوثنية كما ظهرت في كتابات الذين سبقوا شتراوس والتي حملتهم إلى مناطق التاريخ المبكر للعهد القديم، احتاجت إلى جرأة أكثر مما كان عند أشجع هؤلاء المغامرين ليوسع تطبيقها على فترة كتابة الأناجيل.

وتسمية الشيء أسطورة عند الأستاذ ميل يختلف في ظاهره فقط عن تسميته خداعاً أو غشاً وكلمة Mythus حسب رأي (ميل) (W.H.Mill) (observations) (ملاحظات على كتاب شتراوس) هي أخف وقعاً من كلمة وهم أو احتيال.

---

(١) (Strauss: New Life for Jesus criticaly Examined 1865, vol: p213 - 214, Cited by H. Harris: David Fredrich Strauss and his Thedogy. Cambridge University, Press 1973, P230).

فالصدمة أخف إذا قيل: إن المسيحية تقف على قدم المساواة في حقائقها الفكرية مع قصص الوثنيين الخرافية، بدلاً من القول: إن المسيحية مؤسسة على ضلالات مثل ضلالات الوثنيين[١]. وقد تحولت الأسطورة عند بادن باول Baden Powel[٢] (أحد مؤلفي كتاب أطروحات ومراجعات) إلى شيء إيجابي، لأن الأسطورة في رأيه تحوي حقائق أكثر مما يحمل التاريخ... والأسطورة في تعريفه: «عقيدة يعبر عنها بأسلوب روائي درامي، والغاية هي تقوية الإيمان بالأخلاق»؟!.

أساطير العهد القديم:

والعهد القديم (التوراة) هو مجموعة أدبية تحتوي قدراً كبيراً من الأسطورية، ومن الأساسي فهم الأسطورة من أجل تفسيرها... أما العهد الجديد (الأناجيل) فليس بهذا الوضوح المستقيم... ولكن علينا عدم الخلط بين الأسطورة والقصص الخرافية، فالأسطورة هي طريقة صورية في التعبير عن الحقائق التي لا يمكن أن يعبر عنها بسهولة وبقوة بأية طريقة أخرى[٣].

وفي أغلب الحالات يميل المعلِّقون اليوم لإعطاء معنى القصة في إطار أفكار كُتَّاب الأناجيل، ويتركون جانباً موضوع دقة المصدر ومكانته، فهذه أسئلة ليس عندنا دليل للإجابة عليها بأي درجة من الثقة.

أربع أساطير مسيحية أساسية:

ويمكن أن يتحدث المرء عن أربع أساطير مسيحية أساسية أو عن أسطورة واحدة في أربعة أزمنة رئيسية وهي خلق يسوع وسقوط يسوع، التجسّد في المسيح، والكفارة والقيام من الأموات والدينونة الأخيرة.

الإجماع المعاصر على أسطورية قصة خلق وسقوط وقيامة يسوع:

والإجماع المعاصر يرى أن قصة خلق يسوع وسقوط يسوع وقيامة يسوع هي

---

(١) من العجب أن يصل الأمر أن يرفعوا المسيحية وعقائدها إلى مستوى الأسطورة لأن ذلك أخف وقعاً من قولهم: إنها مبنية على تلفيقات وضلالات متعمدة صنعها ولفقها بولس وكبار رجال الكنيسة من بعده.

(٢) Baden Powell: The order of Nature, 1889, P275, 340, 341.

(٣) G.B. Caird, St Luke, Penguin Books, 1963, P79.

أساطير، وأما قضية تجسُّد الإله في المسيح والكفارة التي قدمها فهي في منزلة مختلفة، فحكايات التجسد والكفارة متعلقة بحادثة تاريخية خاصة، وأساسهما في شيء وقع فعلاً في سياق التاريخ الإنساني كما يعتقد المسيحيون. ولكنهما من جهة خارج التاريخ، ومن جهة أخرى ليستا صحيحتين بالنسبة للتاريخ. طبعاً لقد قيلت سواء في الأناجيل أو في وعظ المسيحيين الأولين بلغة لها صفة مجازية أو أسطورية.

التجسد أسطورة مزعجة:

«فكرة التجسد في ابن الله تعتبر أسطورة تحوي عنصراً مزعجاً غريباً جداً، إنها لا تقول: فقط بأن الله ظهر في شكل إنساني، بل إنه أصبح تماماً من بني البشر، عاش كشخص تاريخي، حتى تعذّب ومات كإنسان!! وفكرة التجسّد تصل موضوع الأسطورة وطبيعة الألوهية نفسها بحادثة تاريخية، بشخص تاريخي.

ويقول إميل برونر في كتابه (الوسيط[1]) تحت عنوان مثولوجيا المسيحية: «الأسطورة المسيحية ليست بياناً فكرياً معنوياً لفلسفة الدين، كما أنها ليست ميثولوجيا أسطورية بمعنى أساطير الوثنيين. إنها تنتسب لصنف مغاير تماماً». ويتحدث عن التجسيد كحادثة خارج التاريخ، بل فوق التاريخ، وتنتسب إلى نفس الأبعاد التي تخص الخلق والسقوط والقيام... إنها عبور لتلك الحدود التي تفصل كل التاريخ عن الله. تلك الحادثة التي تقع بين الزمن والخلود.

ويرى جون نوكس[2] مثل برونر أن استعمال تعبير أسطورة بالنسبة للتجسيد مناسب تماماً في الفصول الثلاثة في الدراما المسيحية (الخلق ويدخل فيه السقوط، والتجسد، والكفارة، والقيام والدينونة) كلها أساطير يعتمد بعضها على بعض... وكلّ فصول الدراما المسيحية تتعلق بالأحداث رغم أن واحداً فقط من هذه الفصول يتصل بأحداث تملك وثائقها إلا أن ذلك لا يفصل هذا الفصل من الدراما عن الفصلين الآخرين.

---

(١) Emil Brunner: The Mediator, Lutterworth, 1934, P337 - 396.

(٢) Jon Nox: Myth and Truth, Carey Kingsgate, Press 1964 P56 -58. The Humanity and Divinity of christ, Cambridge University, Press, 1967.

ويقول ألسدير ماكنتاير(١): «الأسطورة هي إما حية أو ميتة، لا حقيقة أو زائفة. لا يمكنك أن تدحض أسطورة؛ فعندما تتعامل معها على أساس أنها قابلة للدحض لا تعتبرها أسطورة بل فرضية أو تاريخاً».

والأساطير مثل الشعر يمكن تفسيرها على مستويات مختلفة متنوعة، ولا يمكن أن تعامل كفرضيات علمية خاطئة أو صائبة.

إن أسطورة قيام الميت والدينونة الأخيرة تثير صعوبات أكبر ليس فقط للسبب الواضح في عدم قدرتنا على التأكد من صحة أو خطأ معتقدات في هذا المجال، بل أيضاً بسبب التنوع الكبير في الاعتقاد الذي نشعر حقاً أنه يتمشى مع الإقرار بهذه الأسطورة.

وهناك ميل في أكثر المناقشات اللاهوتية للأسطورة، إلى التفكر بالأساطير عن حقائق لا يحدّها الزمن، عن الله وعلاقته بالعالم، ونتيجة لذلك بل ومع ذلك يظن العديد من الناس الذين لا يُضمرون مبدئياً أي موقف معادٍ لتصنيف الأسطورة، أن استعمال تعبير الأسطورة في وصف التجسد غير مناسب إلى حد كبير... وبما أن المسيحية لا تهتم فقط بإعلان الحقيقة عن الله بل بالوجود التاريخي لمجتمع معين، فمن المناسب تماماً أن يكون لها أساطير من هذا النوع.

الإيمان المسيحي مبنيٌّ على عدد من الأساطير:

ولكن إذا نظرنا إلى التجسّد على أنه أسطورة فإن ذلك يضعف التماسك المسيحي، ولا يوجد تلك الفروق بين المسيحي وغير المسيحي. ولكن إذا اعتبر عامل جمع المسيحيين في إطار واحد هو استخدام نفس الأساطير (الخلق، السقوط، القيام والدينونة) ولذا فإن جعل التجسد أيضاً أسطورة لن يحطم الإيمان المسيحي والحياة المسيحية المبنية أصلاً على عدد من الأساطير(٢).

---

(١) Alsadir MacIntyre: «Myth» in: P Edwards (ed): Encyclopedia of Philosophy. Macmillan, 1967, vol 5, P435).

(٢) للأسف فإن النصرانية أصبحت ديناً مبنياً على مجموعة من الأساطير التي ابتدعها بولس وتكثفت وزادت عبر المجامع الكنسية منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. إلى مجمع ترنت (١٩٤٢م - ١٩٦٣م). وبقي مع ذلك فيها أشياء من تعاليم عيسى الحقيقية التي تنادي بمحبة الله وعبادته وحده كما تنادي بمحبة خلقه والإحسان إليهم.

وهناك اعتراض ثانٍ ضد استعمال فكرة الأسطورة، فالفهم الشعبي للأسطورة اليوم هو أنها شيء وهمي، ليس فقط بمعنى أنها غير صحيحة، بل على أنها أيضاً نوع من السراب الذي يقود الناس إلى الضياع. ولكن أرى أنه عندما يتعلم اللاهوتيون الاعتراف بالطبيعة المختلفة للأساطير المسيحية ويستفيدون من مدارك المجالات الحياتية الأخرى فإن استخدام لفظ الأسطورة يكون أداة قيمة للتحليل اللاهوتي. وينبغي أن يكون الاعتراف بالأسطورة أوسع مما هي حقاً، بحيث يكون للأسطورة نوع من التلازم الأنتولوجي (علم حقيقة المخلوقات Ontology) ودرجة من التناسب التاريخي.

الفصل التاسع

يسوع والديانات العالمية

✍ جون هيك

رغم أن جون هيك عَنْوَن هذا الفصل باسم (يسوع والديانات العالمية) إلا أنه لم يناقش سوى البوذية، وذكر بصورة مبتسرة جداً الهندوكية، ولكنه ركز الحديث قليلاً عن غاندي الذي اعتبره كما قال ستانلي جونز: «علمني عن روح المسيح ربما أكثر من أي إنسان آخر في الشرق والغرب». ولم يناقش الكاتب الفاضل موقف الإسلام من قضية يسوع المسيح ولو بفقرة واحدة، وكذلك ابتعد عن موقف اليهودية من يسوع المسيح. فالعنوان ينبغي أن يكون يسوع والبوذية وبشيء من التجوز يمكن إدخال الهندوكية على اعتبار أن غاندي هندوكي.

ويبدأ الكاتب الفاضل الحديث عن الأناجيل بقوله: «أظهرت الدراسات المنهجية للأناجيل مدى التفتت والإبهام في البيانات المتوفرة لدينا (عن يسوع المسيح)... ويظهر اتساع وتنوع الخيال في تصورنا عن يسوع».

الملايين تعبد يسوع مثلما عبدت الآلهة البشرية:

«إن الملايين كانت تعبد يسوع، مثلما عبدت الملايين مجموعة من الآلهة البشرية على مدى أحقاب من السنين. ولكن تميّزت صورة يسوع المسيح بالعديد من الصور الحقيقية والمتخيلة فقد صُوِّرَ يسوع بأنه داعية سلام، ومثال للرقة والرحمة التي لا ينضب معينها (وهذا حق)، ولكنه صُوِّر أيضاً كمتحمس ومتعصب، وكعالم نفس إلٰهي يسبر ويشفي أغوار نفوس الأفراد. وتصَوَّره آخرون بصورة النبي الداعي إلى الاستقامة الاجتماعية، الراغب في العدالة للفقراء والمضطهدين، كما تصوره آخرون فوق مستوى الكائن الطبيعي، الكلي المعرفة والقدرة.

كان يسوع إنساناً حقيقياً عاش فعلاً في فلسطين، ولكن صورته في مختلف

العصور وعند مختلف الكنائس هي من التنوع الواسع بحيث تعكس مختلف الأمزجة والمثاليات والحاجات الروحية لمجموعات المؤمنين المختلفة.

مجمع نيقية حوّل يسوع إلى الإلٰه الملك اليوناني والروماني:

إن قرار مجمع نيقية ٣٢٥م الذي جعل يسوع إلٰهاً متجسداً في صورة بشرية ليس إلا صورة مماثلة لما كان موجوداً في العالم الروماني اليوناني عن الإلٰه الملك، أو الآلهة البشرية التي كانت تعبد في الإمبراطورية الرومانية الواسعة الأرجاء.

الأمم الأخرى لديها آلهة بشرية وقصة بوذا الذي تمَّ تأليهه:

ونجد لدى الأمم الأخرى صورة أخرى لمعلم بشري ألَّهه أتباعه. فهناك غوتاما (بوذا) مؤسس البوذية الذي عاش في شمال شرق الهند ٥٦٣ ـ ٤٨٣ قبل المسيح، وقد ولد في عائلة أمراء وتخلى عن أمواله ليبحث عن الحقيقة الروحية، وسافر إلى أماكن بعيدة، وأسس ديناً جديداً أثَّر على مئات الملايين من البشر، ولا يزال يؤثر فيهم. لم يدَّعِ بوذا الألوهية بل كان كائناً بشرياً وصل إلى مرحلة السعادة (النرفانا) حيث اتحد مع الحقيقة الخالدة في الكون. وتحوَّل بوذا عند أتباعه من بشر إلى إلٰه في عقيدة الماهيانا المميزة في الأجسام (الأقانيم) الثلاثة لبوذا وهي: (تريكايا) الأرضي أو المتجسد، (يزما نكايا) المعلم والهادي إلى الطريق، و(غوتاما) الذي لا يزال يعيش فترة تأثره الروحي. وهناك بوذا (السامبهو غاكايا) السماوي، الكائن الإلٰهي الذي تُوَجَّه إليه الصلوات. ومجموعات بوذا الأرضية هي تجسيدات لمجموعات بوذا السماوية!! والسماوية تتحد بالحقيقة المطلقة في الكون. (لأن الله عندهم هو الحقيقة المطلقة في الكون بحيث يشمل الخالق والمخلوق وكل ما هو موجود).

تماثل تطور البوذية والمسيحية:

ويرى الكاتب أن البوذية نَمَتْ وتعقدت مثلما نمت وتعقدت المسيحية، كلاهما ابتدأ من إنسان يدعو إلى الخير والبر وكان هو مثالاً للخير والبر، وتحول بعد ذلك في تعقيدات وتنظيرات فلسفية ودينية إلى إلٰه له عدة أقانيم وأشكال. فغوتاما الإنسان أصبح التفكير فيه على أساس أنه التجسيد لبوذا الإلٰهي المتسامي

الذي وجد منذ الأزل. وكذلك يسوع الإنسان صار التفكير فيه على أنه التجسيد (للكلمة اللوجوس) أو الابن الإلٰهي وهو الابن الخالد في الله الأب.

كان (غوتاما) الدراما أي الحقيقة التي أصبحت جسداً، وكان يسوع هو الكلمة التي أصبحت جسداً. وعندما تُرجم الإنجيل إلى البورمية كانت لفظة الدراما موازية للفظة الكلمة أو اللوجوس Logos وفي إنجيل يوحنا: في البدء كان (دراما) (بدلاً من الكلمة).

وتتماثل العقيدتان البوذية والمسيحية تماثلاً غريباً حيث إن غوتاما الإنسان رُفع فأصبح كائناً خالداً كونياً، عاش قبل ٢٥٠٠ عام ثم تحول إلى كائن سماوي إلٰهي، تماماً كما نرى في قصة يسوع. وقد رُفع غوتاما إلى درجة بوذا الإلٰه الكوني لحاجة البشرية إلى منقذ بشري إلٰهي بواسطة الدراما أو الكلمة، وهي تماثل تماماً الأقانيم (الأب - الابن - الروح القدس).

وعلّق الباحث ب. ستيتر على هذا التشابه الغريب قائلاً: إن وضع الماهايانا بالنسبة للبوذية الأولية لا يختلف عن وضع إنجيل يوحنا حيث جعل يسوع هو الكلمة التي تجسدت.

ورغم ذلك فهناك اختلاف في قصة يسوع وقصة غوتاما، فغوتاما لم يُصْلَب ولم يُهَن ولم يعذّب، ولم يمت ولم يقم من قبره بعد ثلاثة أيام.

قيام يسوع بعد الموت ليس دليلاً على ألوهيته:

ويتحدث المسيحيون عن قيام يسوع كدليل على عنصره الإلٰهي. ولكن دراسة العصر الذي عاش فيه يسوع توضح أن القيام بعد الموت كان أمراً كثير الحدوث. فقد جاء في العهد القديم أن مجموعات من بني إسرائيل قامت بعد الموت، وأن إليا أقام أفراداً بعد الموت وكذلك فعل تلميذه أليشع. ويسوع نفسه أحيا لعازار من بعد موته، كما أقام عدداً آخر من بعد الموت. بل إن بطرس وبولس أقاما أفراداً بعد الموت. فإذا كانت هذه القدرة موجودة لدى بطرس ولدى بولس وهما لم يدعيا الألوهية ولا ادعاها أحد لهما فإن القيام بعد الموت ليس دليلاً في ذاته على الألوهية. بل ورد في الأناجيل أنه عندما صُلب يسوع فُتحت قبور كثيرة وقام القديسون فرآهم الناس (إنجيل متّى ٢٧/ ٥٢، ٥٣). وتكررت حوادث قيام الموتى على يد الحواريين وعلى يد رجال الكنيسة من بعدهم؛ لذا فادعاء أن يسوعاً قام بعد الموت لا يجعله إلٰهاً أو يضفي عليه الصفة الإلٰهية.

قيام المسيح جسدياً أمر مشكوك فيه:

ومن وجهة نظرنا اليوم ليس من السهل قبول حكايات قيام المسيح جسدياً، وحكاية ذلك القيام كما هي مسجلة في الأناجيل وأعمال الرسل ورسائل بولس متناقضة في كثير من التفاصيل... وإذا افترضنا جدلاً أن يسوع قام فعلاً من بين الأموات فليس ذلك دليلاً بأي حال من الأحوال على عنصره الإلٰهي.

عقيدة نيقية بعيدة كلّ البعد عما جاء به يسوع:

هذه العقيدة (الدوجما) في العقائد المسيحية ـ وهي أن يسوع هو الإلٰه الابن المتجسد، الأقنوم الثاني في الثالوث، والذي عاش حياة بشرية (ابن الله الأوحد الذي كان منذ الأزل، نور الأنوار إلٰه حق من إلٰه حق. غير مصنوع ولا مخلوق. من جوهر الآب): كما جاء في عقيدة مجمع نيقية ـ هي عقيدة بعيدة كل البعد عما جاء به يسوع، فيسوع لم ير نفسه قط إلٰهاً أو ابن الإلٰه ولم يدعُ إلى ذلك، بل كان دائماً يعتبر نفسه بشراً رسولاً يدعو إلى الأب. وهو الطريق إلى معرفة الله. كان يسوع رجلاً من رجال الله يعيش في حضور الله الذي لا يمكن رؤيته، وكان ينادي الله بكلمة أبا ABBA أي الوالد (مثلما يرأف الوالد بجميع أولاده كذلك الله يرأف بجميع مخلوقاته) كانت روحه منفتحة على الله، وكانت حياته استجابة مستمرة للحب بكل رحمته ومتطلباته... وكان هو خاضعاً خضوعاً كلياً لله ولإرادته ولأوامره، ولهذا استطاعت يداه وكلماته أن تشفي المرضى وتسمع الصم وتجعل العمي يبصرون، بل وتحيي الموتى، ليس بقدرته الذاتية، بل بقدرة الله وبإيمانه العميق بالله.

لقد استطاع يسوع أن ينقل من آمنوا به إلى حضرة الله أي أنهم يشعرون بوجود الله في كل حياتهم. لقد كان يسوع مخلصاً في طاعته لله أكثر بكثير من جميع أتباعه وحوارييه، من جميع من كانوا في عصره. لقد كان الدين بالنسبة للفريسيين والصادوقيين سُلَّماً لمآربهم الشخصية، وللحصول على الامتيازات، بينما كان يسوع يعيش بكل شفافية في الله، واهباً نفسه له، وباذلاً كل كيانه له. ولا شك أن يسوع كان واعياً بموقعه الفريد بين معاصريه، وعبّر عن هذا الوعي بقبوله للقب المسيح، ولكنه بشر دُعي ليكون خادماً لله ورسولاً منه وداعياً إليه.

كيف وصل المسيحيون إلى عبادة كائن بشري محطمين بذلك تعاليم يسوع؟:

ولكن كيف وصل النصارى إلى عبادة كائن بشري محطمين بذلك تعاليم يسوع التي نقلتها الأناجيل وكتاب أعمال الرسل (٢/ ٢٢) الذي أعلن فيه يسوع أنه إنسان أرسله الله تعالى مؤيَّداً بالمعجزات. ولكن في فترة بسيطة جاء في الأناجيل نفسها ما يناقض ذلك، ففي بداية إنجيل مرقس الإصحاح الأول: بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله. فهل هذه زيادة أضيفت فيما بعد إلى الإنجيل؟ لأن يسوع لم يقل سوى أنه ابن الإنسان ورسول من عند الله. وفي إنجيل يوحنا تلك البداية الفلسفية الغامضة والمتناقضة حيث تتحول الكلمة إلى الله: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يوحنا ١/ ١ ـ ٣).

لماذا وكيف حصل التأليه؟ لقد كان المؤمنون الأوائل رغم إعجابهم الشديد بيسوع يرونه كسيد وكرسول وكمسيح، ولم يكن أبداً يتصور أنه إلٰه يمشي على الأرض. وكان بولس أول من رفع مكانة يسوع ولكنه جعله مطيعاً وخاضعاً لله الآب. ثم جاء يوحنا واستعمل لفظ (اللوجوس Logos) الكلمة ورغم ذلك لم يتحول يسوع إلى إلٰه أو ابن إلٰه أقنوماً ثانياً (إلٰه حق من إلٰه حق) إلا في عقيدة مجمع نيقية عام ٣٢٥م بموافقة ٣١٨م أسقفاً [بينما كان الحضور أكثر من ألفين، وبمعارضة شديدة من آريوس وأتباعه الذين زادوا عن سبعمئة. ولكن رأي الأقلية هو الذي مكَّن له الإمبراطور الوثني والسياسي الداهية قسطنطين].

تأليه البشر عقيدة منتشرة في الإمبراطورية الرومانية:

وكانت فكرة تأليه الإنسان منتشرة في طول وعرض الإمبراطورية الرومانية، فالآلهة البشر لا يُعَدّون كثرة، وفكرة التثليث منتشرة، وأباطرة الرومان أنفسهم كانوا يعدون أنفسهم آلهة بشرية، وكان الإمبراطور ابن الإلٰه، وحتى لدى اليهود الذين يؤكدون على التوحيد نجد تعابير (ابن الله) (أنت ابني أنا اليوم ولدتك) (وأبناء الله) و(إسرائيل ابن الله البكر)، وإن كانت كلها على المعنى المجازي، وهو استعاري وشرفي فقط.

ولكن هذه التعابير المجازية تحولت لدى المسيحيين إلى تعابير مثل (يسوع المسيح ابن الله) ومع نمو اللاهوت عبر القرون، وعبر دخول الوثنيين إلى الدين الجديد، ثم تقمُّص عقيدة الإلٰه الابن والذي تحولت بسرعة إلى عقيدة التثليث

(الله الأب ـ الابن الإلٰه ـ الروح القدس)، وظهرت عقيدة الله المتجسد في صورة بشرية، وأدى ذلك إلى الصراع حول طبيعة هذا الإلٰه المتجسد: هل له طبيعة واحدة (اليعقوبيين في مصر والمشرق)، أو طبيعتان (روما والغرب بأكمله)، وهو ناسوت ولاهوت في نفس الوقت والآن: وما تبع ذلك من انقسامات حادة في الكنيسة وتكفير كل فرقة للفرق الأخرى.

وهكذا تحول المعنى المجازي الشعري في تعبير ابن الله إلى معنى لاهوتي «أنه من جوهر الله ليس بمصنوع ولا مخلوق. إلٰه حق من إلٰه حق». وأدى مجمع نيقية وما جاء بعده من مجامع إلى تأكيد ألوهية يسوع، وإلى جعله الأقنوم الثاني في الثالوث الإلهي المقدس!!.

ولكننا اليوم لا نستطيع أن نقبل كلمة ابن الله إلا على المعنى المجازي البحت. . . وحيث إننا كلنا أبناء الله فإن يسوع المسيح هو ابن الله المثالي، الذي تجلت فيه محبته وطاعته لله، كما تجلّت محبة الله له. وهذا ما يوافق اليهودية الأصلية حيث جاء في أسفار العهد القديم لفظ ابن الله وأبناء الله بهذا المعنى المجازي، وبالتالي لا يمكن أن يكون يسوع المسيح من جوهر الله، إلٰه حق من إلٰه حق، كما تدعي عقيدة نيقية.

التجسُّد الإلٰهي فكرة أسطورية وليست حقيقة:

«إن فكرة التجسد الإلٰهي هي فكرة أسطورية (ميثولوجية)، وأستعمل هنا تعبير أسطورة Myth بالمعنى التالي: الأسطورة هي قصة تروى، ولكنها ليست حرفياً حقيقة. فمقالة: (يسوع كان الإلٰه الابن المتجسد) ليست صحيحة حرفياً؛ لأن هذا التعبير لا معنى له على الواقع، بل هو تعبير أسطوري عن يسوع. . . وهي تماهي فكرة البنوة الإلٰهية التي أضيفت للملك في العالم القديم. وفي حالة يسوع تُعطي تعبيراً نهائياً عن جدواه كمنقذ من الخطيئة والجهل وكمُعْطٍ لحياة جديدة وتعبر عن التزام الأتباع بيسوع كسيد شخصي لكلٍّ واحد منهم. فهو الذي وجدنا أنفسنا باتباعه في حضرة الله، ووجدنا معنى الله في حياتنا. هو مثالنا الكامل للإنسانية الحقيقية في علاقتها مع الله. وهو لذلك فوقنا (في اتجاه) الله إذ يقف بيننا وبين الملأ الأعلى كوسيط ومرشد لخلاصنا. وكل ذلك يعبر عنه في اللغة الأسطورية باسم يسوع المسيح ابن الله.

ابتداء من القرن السابع عشر ووصولاً لأقصى مدى في القرن التاسع عشر برزت التناقضات ونمت، وأجبر أصحاب التفسير الحرفي للكتب المقدسة على موقف خاطئ في استنكار ما اكتشفه علم الفلك وعلم المستحاثات وعلم البيولوجيا التطورية. وعندما نرى عدم قدرة رجال الكنيسة في الماضي قبول المعلومات العلمية على أنها من عند الله (لأنها تناقض وتصادم الكتاب المقدس ظاهرياً)، ورفضهم أن يستفيدوا منها لفهم أرق وأشمل للكتاب المقدس، فإن ذلك أدى إلى ضرر بالغ بالدعوة المسيحية.

والشيء ذاته يقال عن الفهم الحرفي لكلمات مثل ابن الله، الإله المتجسد، الإله الابن، فهذه كلها تعابير خدمت غرضها في زمنها، وهي تعابير أسطورية متأثرة بعصرها الأسطوري حيث كان الملك ابن الإله، وحيث كانت الآلهة حسب زعمهم تتجسد في صورة بشرية، وعلينا أن لا نفهمها إلا بمعناها المجازي الفضفاض، أي نحن جميعاً أبناء الله وأحباؤه، ويسوع المسيح هو الصورة المثلى لهذه المحبة والطاعة الكاملة لله.

ومطلوب منا اليوم الوصول إلى نظرة دينية عالمية تعي وحدة البشرية أمام الله، وتفهم في نفس الوقت المغزى في تنوع أساليب الله داخل مختلف مسارات الحياة الإنسانية، فمن جهة يجب أن تؤكد حبَّ الله المتساوي لجميع الناس، وليس فقط للمسيحيين وأجدادهم الروحيين في التوراة، ومن جهة أخرى يجب أن نعترف أنه لم يكن ممكناً في الماضي ظهور دعوة واحدة موحى بها من الله تعمُّ جميع أنحاء الأرض، بسبب الواقع الجغرافي والتكنولوجي وعدم وجود الاتصال (لقد تمت بالفعل ظهور الدعوة العالمية الواحدة التي اعترفت بجميع الأديان السابقة السماوية وذلك بظهور سيدنا محمد ﷺ ودعوته الجامعة للبشر جميعاً).

ويقول الكاتب: «إن الروح القدس أو اللوجوس (الكلمة) تستطيع أن تصل إلى كل الناس عبر أديانهم وثقافاتهم المختلفة، وليس فقط عبر يسوع الناصري وكنيسته. ويجب علينا أن نعترف مسرورين بالطرق المختلفة لإنقاذ الإنسان في الهندوكية أو البوذية أو الصينية أو الأفريقية (لاحظ أن الكاتب يتحاشى قدر المستطاع ذكر الإسلام مع وضوح التقارب بين أفكاره وأفكار الكتاب كله عن يسوع الرسول البشري المختار من الله وبين ما جاء به الإسلام من حقيقة ناصعة،

وهو أن المسيح عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم. وأنه أدى الأمانة ونصح الأمة، وكان خاضعاً مخلصاً في دعوته لله ﷺ، وأنه تحمل الأذى في سبيل الله، وكان صورة نقية للوداعة والصبر والمحبة).

يسوع الإنسان الناصري المجهول من أتباعه:

«وهدية المسيحيين للعالم كما يقول: هي يسوع الإنسان الناصري غير المعروف كثيراً لدى الناس، ويمكن ليسوع أن يصبح السيد والمحرر للناس بأساليب جديدة. ففي الجداول الإيمانية المختلفة للحياة الإنسانية يمكن الاستجابة الإيمانية ليسوع أن تعبر عن نفسها بأساطير دينية واسعة التنوع. ويجب ألا يسمح لأسطورتنا الغربية الخاصة بنا عن تجسد ابن الله في أن تكون قناعاً حديدياً لا يسمح بالتحدث للبشرية إلا من ورائه. فيسوع هو للعالم ويجب ألا تحدد إقامة يسوع داخل أبنية نظرية وضعناها نحن.

نجد في أفكار غاندي وحياته صورة مثلى لرجل طبق بشكل واقعي صورة يسوع الإنسان وكما قال ستانلي جونز الذي قضى أكثر عمره في الهند مبشراً بالمسيحية. «الرجل الصغير الحجم غاندي، الذي حارب نظاماً أنا أعمل في إطاره، علّمني عن روح المسيح أكثر من أي إنسان آخر في الشرق والغرب».

وقد قال غاندي: «رغم أنني لا أستطيع الادعاء بأني مسيحي بالمعنى الطائفي للكلمة، فإن مَثَلَ يسوع في عذابه وصبره هو عامل في تركيب إيماني الذي لا يموت، وباللاعنف الذي يتحكم بكل أفعالي»... ويقول: «إذا كان ممكناً أن يكون لله أبناء فنحن جميعاً أبناؤه». وفهم غاندي كما هو الحق في ذلك، إن القول: بأن المسيح ابن الله، إنما يعني المعنى المجازي من المحبة والرعاية... وكلنا بذلك أبناء الله، وإن كان للمسيح بحكم تضحيته وإخلاصه الكامل لله وطاعته له مقاماً أعلى من مقامنا ومحبة أعظم من محبتنا. فمحبته لله كاملة ومحبتنا ناقصة، ولذا فإن محبة الله له أعظم بكثير من محبته لنا.

على المسيحية أن تتجاوز عقيدة التجسيد إذا أرادت البقاء:

ويقول الكاتب: نأمل أن تتجاوز المسيحية اللاهوت الأساسي والتفسير الحرفي لفكرة التجسد مثلما تجاوزت إلى حد كبير الأساسية التوراتية، وقصصها وأساطيرها، وإن كان لها معنى ديني عميق.

ولا نزال نعيش التوتر بين الليبرالية وبين الأصولية المستمرة والمنبعثة اليوم، ولم تجد الكنيسة حتى الآن طريقاً لتوحيد البصيرتين الفكرية والأخلاقية. فهل يكون تجاوز الأصولية اللاهوتية أسهل وأقل إنسانية! فإذا كان الجواب (لا) ربما يكون تأثير يسوع المستقبلي خارج الكنيسة بدلاً من داخلها، كإنسان عالمي القدر وتعاليمه ملكية مشاعة للبشر. وسيكون الله معنا بطرقه الخاصة، لجميع البشر في مستقبل الأيام بعيداً عن الأصولية المسيحية المتزمتة أو أي أصولية أخرى.

الخاتمة

✍ دنيس ناينهام

المسيح يدعو لجعل الحياة خالصة لله:

لقد وضع الناس قبل المسيح مركز الثقل في حياتهم ذواتهم، ولكن بعد ظهور المسيح بدأ بعض الناس على الأقل يحذون حذوه في جعل حياتهم خالصة لله. لقد كان يسوع إنساناً لله، وبالتالي إنساناً من أجل الغير، ولقد سيطر حبُّ الله على حياته كلها، وكانت هذه إنسانية جديدة؛ لأن روح يسوع كانت منفتحة كلية لله، وحياته استغرقتها الحقيقة الإلٰهية والسعي لمرضاة الله.

«إن في يسوع، ويسوع وحده يُفتقد أي أثر للأنا... فهناك فقط الحب اللانهائي غير المشروط لله، فكأنما فرَّغ نفسه كليًّا من ذاته حتى أصبح حاملاً لاسم هو فوق كل اسم غيره»، كما يقول د. جون روبنسون في كتابه (بإخلاص لله).

إنسانية يسوع وحبه الكامل لله:

ويقول الدكتور آرثر بيكوك في كتابه (العلم والتجربة المسيحية): إن إنسانية يسوع هي استعداد كامن في طبيعة كل إنسان. حياته هي الحياة الكاملة في المجتمعات البشرية. ومن هنا تفتح للفرد وللمجتمع طريقاً متقدماً لتحقيق كل ما فيهم طبقاً للمشيئة الإلٰهية... وتحقيق كل ما يمكن للناس أن يكونوا، وكل ما أراده الله منهم أن يكونوا، في شخص يسوع الناصري... ليستمر في كونه وسيطاً للتعبير عن المشيئة الإلٰهية حتى لو اقتضى ذلك أن يموت على الصليب.

عقيدة التجسد تبعد يسوع عن الناس:

وفي المسيح يحصل التغير في الحياة الإنسانية بعمق جديد في الشخصية. ما دامت عقيدة التجسُّد قد أُخذت كبيان لحقيقة ميتافيزيقية مجردة، أي أن يسوع هو حرفياً إلٰهي، فإن يسوع لا يعود يصلح مثالاً للإنسان لأن سموه ناتج عن

الجانب الإلٰهي فيه؛ ولذا لكي يكون يسوع مثالاً للبشر في حياتهم وسلوكهم وإخلاصهم لله، لا بد أن يكون بشراً مثلنا في البشرية، وإن كان على مستوى نطمح دائماً في الوصول إليه.

ليست الأناجيل وثيقة تاريخية:

وكما يعرف الجميع **ليست الأناجيل وثائق تاريخية**، وهي تعبر عن فترة قصيرة جداً من حياة يسوع، وكل ما نُقل عن يسوع أنه قاله أو فعله في الأناجيل الأربعة يملأ فقط ثلاثة أسابيع من العمر، إذا وضعنا جانباً الأربعين يوماً التي جرَّبه فيها الشيطان، والتي لا تخبرنا الأناجيل عنهاَ سوى أن الشيطان امتحنه وأنه نجح في الامتحان، ورفض إغراء الشيطان وقال له: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. وللرب إلٰهك وحده تسجد، وإياه تعبد، ولا تجرب الرب إلٰهك».

وهذا يترك أكبر جزء من حياة يسوع وأعماله غير مسجل ولا معروف.

للأسف نجد أن الذين نقلوا مواد الإنجيل كانوا يهتمون بتبرير ادعاءات فوق المستوى الطبيعي عن يسوع، ليوضحوا ما عنَوه في تطبيق هذه الادعاءات. وقد أخذوا كماله الأخلاقي كشيء مسلّم به، ولذا لم يولوه اهتمامهم؛ ولهذا نجد أن ما نشروه من معلومات عن يسوع هو قليل جداً من المعلومات التي تصلح للتطبيق **(هذا بعكس سيرة الرسول محمد ﷺ وسنّته التي سجلتها كتب الحديث وكتب السيرة إذ فيها أدق التفاصيل عن حياته وأقواله وأفعاله وتقريراته بحيث لا تترك شاردة ولا واردة إلا وسجلتها وأوضحتها)**.

الأناجيل لا تظهر أهداف يسوع ولا شخصيته:

لهذا يقول هـ. . . ج كادبري البحّاثة في شؤون المسيحية: «إن قصص الإنجيل لا تظهر أهداف يسوع إلا بصورة مبتسرة، ولا تظهر أنها كتبت بأقلام أشخاص شعروا بأهمية الأخلاق الأصيلة في حياة يسوع، وتبعاً لذلك يجب أن نعترف أننا لا نمتلك دليلاً كافياً لماهية التركيب الذاتي لشخصية يسوع. .، وعدا عن تعاليم يسوع لا يوجد إلا القليل الذي يمكن أن يوضح لنا شخصية يسوع».

ويستغل الباحث اليهودي الصهيوني اللورد. س ج منتيفوري هذه القضية ليقول: «يجب أن يعتبر يسوع أول معلم يهودي كبير يؤطر لأن يحب المرء

أعداءه، ومع ذلك فليست لدينا قصة واحدة عن صنعه للخير أو صلاته من أجل حاخام أو فريسي واحد.

(نعرف قطعاً شدة يسوع المسيح على الفريسيين، ومنتيفوري يشير إلى شدة المسيح ﷺ على هؤلاء المنافقين من اليهود).

ويقدم الباحث الدكتور و. ديوارنت في كتابه (الإسكندر والمسيح) تقييماً عالياً لشخص وعمل يسوع ولكنه يقرر: «أن تراثنا الأخلاقي ومثالياتنا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به، ومتشكلة على مُثُلِهِ، ولكن الأناجيل تظهره بصورة نبي عبري شديد الحماس أكثر مما كان له الهدوء من حكيم إغريقي. وكانت أخطاؤه في الثمن الذي دفعه في سبيل إيمانه الحار الذي مكّنه أن يحرك العالم، وما عدا ذلك فقد كان إنساناً محبوباً أكثر من أي إنسان آخر».

«كان الأسلوب الرمزي في أمثاله معروفاً في الشرق، ومع ذلك فقد تميز حديثه المباشر بالدفء والإخلاص مما رفع كلامه إلى مستوى الشعر العميق والإلهام، ولكن بعض أقواله مبهمة، وبعضها غير محق (هجومه على الفريسيين في نظره)، وبعضها جادة وتتخلّلها السخرية والمرارة. وكل كلامه تقريباً نموذج للصفاء والإيجاز والقوة».

ويقول كادبري: (بالطبع اختلف يسوع عن معاصرية بدرجة لا يمكن تحديدها، سواء كان هو الله أو الإنسان، وللأسف تبدو شخصية يسوع مبنية على فرضيات لاهوتية مسبقة أكثر مما هو دراسة متأنية للأدلة التاريخية».

«لقد كان يسوع نفسه إنساناً طيباً باطنه وظاهره، إنساناً شعر الناس بأنهم قادرون على الإعجاب به إلى حد العبادة. ومع ذلك فقد دفع كلامه وسلوكه أعداءه الشريرين إلى أن يحاكموه ويصلبوه. وكما يقول هـ. ج. كادبري: إن يسوع قد استجلب لنفسه الصلب. وإن إعدامه بسبب عداء اليهود له أمر يبدو حقيقة لا مجال للنقاش فيها». (بل قد أخبرنا الله ﷻ في القرآن الكريم أن اليهود سعوا لقتله وظنوا أنهم قتلوه وقالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ولكن الحقيقة التي لا يعلمها أولئك هو أن الله قد نجاه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

«إن حركة ثورية دينية نمت من حياة يسوع وموته، ولكن للأسف استحدثت الكنيسة بِدَعاً وعقائد لا يقبلها العقل».

«إذن ماذا يمكن استخلاصه من ظهور المسيحيّة؟ إن النجاح النهائي للمسيحية الأولية لم يستند فقط على حياة وتعاليم يسوع، بل إلى عوامل أخرى إضافية جعلت يسوعَ مسيح المستقبل وسيد الحاضر والإله الواقعي لمذهب ديني جذاب. . .

مسيحية الإمبراطورية الرومانية ذات صلة واهية بيسوع:

لست مستعداً للانضمام إلى الذين ينكرون الوجود التاريخي ليسوع **إلا أن على الإنسان أن يكون مستعداً للاعتراف بأن الدين الذي أصبح مسيحية الإمبراطورية الرومانية لم يكن له إلا صلة واهية بما جاء به يسوع المسيح نفسه.** على كل حال ما كان يقال عن يسوع سواء كان دقيقاً تاريخياً أو غير دقيق، كان جذاباً لعقلية العالم القديم مثل ضمان الخلود والحماية من قوة الشيطان.

إن هناك فجوة واسعة تفصل يسوعَ ومعاصريه عن كل ما هو عصري (في القرن العشرين)، وفي ضوء هذا الفهم للتاريخ وللمتغيرات التاريخية، لا معنى للحديث عما كان سيحدث لو أن يسوعَ دخل علينا الآن الغرفة، وأخذ يحدثنا كما لو كتب أحد علماء اللاهوت المعاصرين. إن كل من يدخل الغرفة كإنسان من القرن العشرين لن يكون يسوعَ التاريخي. . . ويسوع التاريخي لا يمكن أن يوجد بدون بيئته التي عاش فيها، والتي كانت تؤكد على فلسفة الحشر والنشر».

يسوع ليس مسيحياً بل كان نبيّاً من بني إسرائيل:

ويمكننا القول (حسب قول ولهاوسن): **«لم يكن يسوع مسيحياً (أي يؤمن بالعقائد التي جاءت بها الكنيسة فيما بعد) بل كان يهودياً، ولم يدعُ إلى دين جديد، ولكنه علَّم الناس أن يطيعوا إرادة الله الموجودة في الناموس (في التوراة وكتب الشريعة). ويؤكد على أهمية إنقاذ الضائعين... وكان على أتباع يسوع أن يكونوا كاملين بمفهوم الكمال في ذلك الوقت، كان عليهم أن يعطوا كل ما يملكون، وأن يديروا ليس خداً واحداً بل خدين، وأن يغفروا ليس سبع مرات بل سبعين مضروبة في سبعة.**

فرادة يسوع الميتافيزيقية حملت معها ضمناً كمالاً أخلاقياً فريداً. والاعتبارات التي قادت بعض اللاهوتيين المعاصرين للشك في ادعاء الفرادة الميتافيزيقية (أي موضوع التجسُّد وحكاية ابن الله) ليسوع، لا تنطبق على فرادته

الأخلاقية. ومن الطبيعي التمسك بهذا الاعتقاد لأسباب عدة منها، إنه إذا كان يسوع وحده كاملاً أخلاقياً فهذا يبرهن أن الله كان يعمل فيه بأسلوب فريد. وإذا كان هذا الكمال ممكناً في بشريته فإنه أيضاً يمكن الاعتقاد بأنه ممكن في بشريتنا نحن بجعله قدوتنا ومثلنا الأعلى.

وهناك أمران يظهران بوضوح:

أولاً: من المستحيل تبرير مثل هذه الادعاءات على أسس تاريخية صرفة لأن الأدلة من الأناجيل وغيرها قليلة جداً، وصورة يسوع الإنسان فيها باهتة، والمعلومات عنه شحيحة(١).

والأمر الثاني: هو الفجوة الثقافية الهائلة التي تفصلنا عن عصر يسوع. وما كان يمكن أن يعني (الكمال الأخلاقي) في عصره يختلف إلى حد كبير عما تعنيه هذه الكلمة بالنسبة لنا الآن.

وعلينا الاعتراف بأنه إذا دخل علينا اليوم يسوع التاريخي إلى غرفتنا فأول انطباع لنا سيكون هو غرابة يسوع وليس عظمته.

الشك في صلب يسوع:

ويميز الدكتور نورمان براين (من ألمانيا) معلومات ثلاث عن يسوع:

(**الأولى**): **المعلومات التاريخية الوصفية**. وللأسف من الصعب التأكد من هذه المعلومات بالمقياس العلمي التاريخي... وهذه المعلومات معرضة دائماً للتصحيح والتغيير تبعاً للأبحاث الجديدة والاكتشافات التاريخية. ويقول حرفياً: «من الممكن نظرياً ومن المشكوك به عملياً أنه يمكن لنا في يوم من الأيام أن نقر بأن يسوع حُمل إلى الصليب» [وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧]].

---

(١) على عكس ذلك تبقى حياة محمد ﷺ، فهي من الوضوح والجلاء لدرجة يمكن للإنسان أن يعرف فيها أدق تفاصيل حياته العادية واليومية منذ لحظة القيام من نومه إلى أن ينام مرة أخرى في الليل. بل ويتابعه في ليله عند قيامه وصلاته وعبادته. إنه المثل الكامل الحقيقي والصورة المجسمة أمام أعيننا على عكس صورة يسوع المسيح الضبابية التي ترسمها الأناجيل.

ومع هذا بالرغم من عدم قدرتنا على جعل حياة يسوع تاريخية بمعنى دقيق (historisch)، فإنها يمكن أن تعتبر تاريخية عندما تترك أثراً على متلقيها بحيث تسبب تغييراً في فكره أو نظرته أو مفهومه الخاص أو طريقة حياته، وهو ما يطلق عليه بالألمانية (geschtich). [والواقع أن ما يقوله ينطبق أيضاً على الأسطورة والعقائد بل وحتى الشعر، وكل ذلك يمكن أن يحدث تغييراً في فكر أو مفهوم شخص ما أو مجموعة من الأشخاص).

ويقول الدكتور براين: إن تلك المعلومات عن يسوع كانت تاريخية بهذا المعنى الفضفاض لا بمعنى حدوثها فعلياً في التاريخ.

(الثانية): إن المعلومات التاريخية قد تتأثر بتغيرات الحقيقة التاريخية، وتاريخية المعلومات تعتمد على نوع المعلومات التاريخية.

(الثالثة): معلومات إيمانية وهي معلومات عن يسوع الناصري ذات مغزى فقط في إطار الإيمان المسيحي، والتي تعترف بيسوع كمسيح وكسيّد. والمعرفة الإيمانية تُضفي على الشخصية أهمية خاصة تقاس بمقاييس الوحي والتجربة الدينية والاعتقاد الديني (وفي الواقع هي خارج البحث العلمي التاريخي). والقول: بأن (يسوع المسيح مات من أجل خطايانا طبقاً لما جاءت به الكتب المقدسة) بيان إيماني وليس تاريخياً بأي حال من الأحوال. وهو محتاج إلى الاعتراف بقضايا إيمانية عدة، منها الاعتراف بيسوع بأنه المسيح وابن الله الحي، وأنه مات على الصليب طبقاً لخطة محددة ومعرفة مسبقة من الله. والتاريخ بالمعنى الحديث يعتبر هذا كله قضايا إيمانية وليست بأي حال من الأحوال قضايا تاريخية، بل ولا يستطيع المؤرِّخ أن يبحثها لأنها خارج نطاق بحثه.

ولهذا فالمعلومات الإيمانية تهم المؤمن أولاً وأخيراً، ولا تكاد تدخل دائرة الضوء لدى المؤرِّخ.

لا بد من ترك أسطورة تجسُّد الإله في يسوع إذا أردنا بقاء المسيحية:

ويقول الدكتور وايلز: إن على يسوع التاريخي ألا يشكل أي إشارة تناقض مع مسيح الوعظ في علاقة أي منهما بالله أو بأتباعه. ويقول: في الوقت الذي لا يمكننا التأكد من نسبة التفسيرات المتأخرة في تفسير الروايات التي وصلتنا، من المستبعد جداً أن المعلومات التاريخية عن يسوع التي لدينا الآن أو التي قد تظهر

في المستقبل، تستطيع أن تشوه تلك الصورة عن يسوع وتلغي الربط بين الأسطورة وشخص يسوع التاريخي... ومع هذا فيؤكد مؤلفوا هذا الكتاب أنه ليس من الممكن بعد الآن التمسك بفكرة أن يسوع هو الإلٰه المتجسد (حرفياً)، ولذا فلا بد من أن تكون البنوة بالمعنى المجازي، ونحن جميعاً أبناء الله بهذا المعنى المجازي.

ولا شك أن المسيحية المعاصرة تجد نفسها في مواقف حرجة حيث يجد الناس من الصعب عليهم الإيمان بالله لأنه ليس لديهم صورة خيالية حية عن أسلوب العلاقة بين الله وبين العالم كما يعرفونه. وربما احتاجوا إلى أسطورة تستأثر بخيالهم بحيث يكون مركز القصة الله وحده، ويشارك يسوع بدور فريد في إيجاد العلاقة بين الله والعالم.

وهناك عدة أسئلة نُجملها في ثلاثة:

١ ـ هل تبقى أي قيمة لمحاولة اقتفاء أثر الفهم المسيحي المتغير دائماً لعلاقة يسوع بالله بأسلوب رجعي حتى نصل إلى عنصر يمكن تحديده في حياة وطباع يسوع الناصري؟.

٢ ـ وإذا قامت مثل هذه المحاولة هل ستقود حتماً إلى درجة من التعقيد بحيث تكون غير مفهومة لغالبية المسيحيين؟ وهل من الضروري الإيمان بيسوع بالمعنى الذي يتطلب تعقيداً من هذا النوع؟.

٣ ـ هل من الممكن أن تكون الطريقة الصحيحة لهذه العلاقة هي بقبول محدودية عقولنا وعلومنا وأن نترك أسرار الله لله؟ وهل من الضروري الإيمان بيسوع أبعد من اعتباره الشخص الرئيسي الذي شرع الله عبره، علاقة غنية بين الله وبين الناس في ظل مفاهيم متعددة كانت ولا تزال خلاصاً بجزء كبير من الجنس البشري؟.

ولا شك أن الموضوع معقد بما فيه الكفاية. ويعلق على ذلك الدكتور كوبيت: بأن علينا التركيز على المبادئ الروحية التي جاء بها يسوع الإنسان وإمكانية السمو النسبي بالنسبة لنا كبشر بحيث تكون الحياة على الأرض أقل بشاعة وأقل دموية، وبها مجالات للحب والإخاء البشري كما جاء به يسوع عبر حبنا لله ولرسوله يسوع. **ويجب أن نقر ونعترف بأن المعلومات التاريخية عن يسوع لم تأت نتيجة أبحاث تاريخية، بل نتيجة بيانات مسيحية دينية. والصورة**

الإيمانية ليسوع بالنسبة لكلِّ فردٍ مسيحي هي خليط من تذكر تاريخي منقول من البعيد، ومن أسطورة، ومن خرافة ومن مثالية.

إن عمل يسوع التاريخي جاء في وقت معيّن، وفي ظروف معينة بحيث كان مثل عود ثقاب أشعل برميل بارود... وتأثير يسوع، وبخاصة عملية الصلب، على معاصريه كان قوياً بحيث دفعهم لاستعمال هذه القصص ومثيلاتها لفهم يسوع ودعوته. وما يقدمه العهد الجديد (الأناجيل) لنا هو إذن مجموعة روايات عن يسوع تختلف حسب سيطرة واحدة أو أخرى من هذه الخلفيات على ذهن كُتّاب الأناجيل. ويؤكد بولتمان على عدم وجود صورة مناسبة في الأناجيل، ولا وجود لدراسة واحدة للمسيح ولا للاهوت واحدٍ في الأناجيل. ومع ذلك فالتصنيفات التي استعملها المسيحيون الأوائل كانت متشابهة بما فيه الكفاية، بحيث تستطيع تشكيل مركب واحد، ومع مرور الزمن انصهرت كلها حول صورة يسوع لتشكيل الابن المتجسد في أرثوذوكسية مجمع نيقية (٣٢٥ ميلادية) والأرثوذكسية المتأخرة.

يسوع التاريخي بشر وليس إلٰهاً أو ابن الإلٰه:

ومع بروز الدراسات التاريخية المعاصرة تبيّن أن المسيح الذي يدعى له في المواعظ الدينية يختلف عن يسوع التاريخي. والسؤال هو: لماذا يستمر المسيحيون في الاعتقاد بالمسيح الذي يدعى له في المواعظ ويقال عنه: ابن الله والأقنوم الثاني، وإلٰه حق من إله حق؟.

والجواب هو... كان الله في عونهم!! فإنهم لا يستطيعون غير ذلك، وتجربتهم تقول: إن يسوع المواعظ يفعل فيهم شيئاً، ويوجههم ويضع أمامهم إمكانية الحياة من جديد تحت ظل قدرة الله ونعمته. وبكلمة أخرى هو العدسة التي تتركز عن طريقها وعود الله وطلباته.

ولقد تغيّرت صورة يسوع من عهد الحواريين (كانوا يؤمنون بأنه رسول من الله بشر وليس بإلٰه ولا ابن إلٰه) إلى عهد مجمع نيقية (القرن الرابع الميلادي) حيث تحول يسوع المسيح إلى ابن الله. الأقنوم الثاني - إلٰه حق من إلٰه حق.

كذلك تغيّر يسوع عبر الأجيال ويجب أن يستمر في التغير، ويجب أن يكون مسيح الوعظ شخصية متغيرة دائماً، كما يقول الدكتور براين.

الباب الثامن

تطور العقيدة النصرانية عبر التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

تطور العقيدة النصرانية عبر التاريخ

رسالة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام:

جاء عيسى عليه السلام برسالته التوحيدية إلى بني إسرائيل، وأيده الله بالمعجزات منذ لحظة مولده إلى حين رفعه ونجاته منهم. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ
جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا
تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ
مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ
عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٥٤].

وهذه الصورة المضيئة المنيرة لسيدنا عيسى عليه السلام لا نجدها إلا بصورة مبتسرة في الأناجيل، وبقية كتب العهد الجديد، وتكريم الله عز وجل لمريم، وقصة مولدها، وكيف كفلها زكريا، وكيف نشأت في الطهر والعفاف والنور. وما حصل لها من الكرامات العديدة، ثم ظهور الملك (جبريل) عليه السلام لها، وبشارته لها بحمل عيسى نبياً ورسولاً معجزة من غير أب.

وتأتي قصتها كاملة في سورة آل عمران وسورة مريم، ثم تلد هذا الغلام المبارك وتخشى ألسنة السوء في قومها فيقول لها (من تحتها): ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۖ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ٢٦ ـ ٣٧].

وقصة مريم وولادتها لا تأتي في الأناجيل إلا بصورة مبتسرة جداً، وتلد الغلام بعد أن تزوجت يوسف النجار (وإن كان لم يمسها)، ووضعته في مذود الحيوانات في بيت لحم. وبما أنها متزوجة ظاهرياً فلم يتهمها أحد بالزنا، ولا حدثت معجزة الكلام لعيسى عليه السلام في المهد... ولا يقول: إنه رسول من الله وإنه بار بأمه... ولو كان لديهم شيء من الآيات الباهرات والمعجزات الغريبات لازدادوا عتواً وكفراً، ولتأكد لديهم أنه إلٰه تجسَّد، مع أنه عليه السلام يكرر القول لهم: (وإن الله ربي وربكم فاعبدون).

ولا تذكر الأناجيل وبقية كتب العهد الجديد معجزة النفخ في الطين على هيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله، ولو عرفوا هذه أيضاً لازدادوا عتواً وتجبراً وضلالاً، ولكان ذلك لديهم دليلاً قطعياً بأنه الله، (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

وتذكر الأناجيل أن هيرودوس الملك أراد أن يقتل الغلام بعد أن سمع من المجوس أنه قد ولد ملك اليهود، فخاف منه، ولكن الملائكة تظهر لهؤلاء المجوس أن لا يعودوا للملك ليخبروه بموضع مولد هذا الغلام، كما تظهر الملائكة أيضاً ليوسف النجار وتأمره بأن يحمل الصبي وأمه بعيداً عن سلطة الملك فيذهب إلى مصر، ويبقى هناك حتى يأتيه المَلَك، ويخبره أن الطاغية قد مات، فيعود إلى الجليل وإلى مدينة الناصرة بالذات، وأن الغلام كان يشبُّ ويتعلم سريعاً وكان يذهب إلى الهيكل، ويتحدث مع كبار الأحبار والكهنة

فيتعجبون من ذكائه وفهمه لأحكام التوراة وكتب الشريعة.

وتظهر الأناجيل يسوع عَلَيْهِ السَّلَامُ بصورة بشرية عادية، يقول الأب سيداروس اليسوعي في كتابه تكوين الأناجيل[1] حين يتحدث عن يسوع الناصري: **«هو يسوع الذي عاش في الناصرة، وبدأ يعلم ويدعو، وهو في سن الثلاثين. وتظهره الأناجيل بصورة بشرية عادية، وهو نفسه لا يدّعي سوى أنه بشر، رسول من عند الله، وله معجزات شفاء المرضى وتكثير الطعام، وإقامة بعض الأشخاص بعد موتهم. ولكنه لا يعلم أنه المسيح فضلاً عن أن يكون ابن الله، والأقنوم الثاني في التثليث المسيحي» (الله الأب، يسوع الابن، والروح القدس).**

نشأة المسيحية في فلسطين:

ويقول أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان (جامعة باريس) شارل جنيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها)[2] وهو يتحدث عن نشأة المسيحية: «ظهر في إقليم الجليل من فلسطين خلال حكم الإمبراطور تبريوس، شخص يُدعى يسوع الناصري، وصار يتحدث ويعمل عمل الرسل اليهود، معلناً قرب قيام مملكة الله وناصحاً الناس بعمل الخير، حتى يجدوا لأنفسهم إلى هذه المملكة سبيلاً... وقد جمع حوله بعض الأنصار المخلصين، ولكن حادثاً عنيفاً أنهى حياته فجأة، غير أن عمله لم يَنتهِ بانتهائه، بل سار أتباعه على هداه. **ثم نجد بعد فترة وجيزة أنه يوضع في مكان الصدارة، ويأتون بمفهوم دين جديد يمتد إلى العالم اليوناني والروماني، وينفصل عن الديانة اليهودية التي نشأ في أحضانها. وتقوى دعائم هذا الدين الجديد، وينتهي بدخول قسطنطين إمبراطور الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي فيسود هذا الدين الجديد أرجاء الإمبراطورية ويضطهد الوثنيين كما اضطهدوه من قبل، ويصبح دين الإمبراطورية الضخمة من أقصاها لأقصاها».**

وقد أوضحنا في الفصول السابقة بالرجوع إلى الأناجيل وإلى كتابات علماء

(١) الأب سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م، سلسلة دراسات في الكتاب المقدس: المقدمة، ص٥ و٦.

(٢) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها. ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر) رَحِمَهُ اللَّهُ، المكتبة العصرية، بيروت: التمهيد (١ ـ ٢٥).

المسيحية أن مجموعة الحواريين (أغلبهم من الصيادين البسطاء) كانوا يرون في يسوع الممجد بشراً رسولاً له المكانة الكبيرة في قلوبهم، وقلوب أتباعه جميعاً... وأن يسوع نفسه لم يكن يرى نفسه إلا بهذه الصفة. وكل ما ورد في الأناجيل من كلمة أبي يمكن إرجاعه إلى قوله: (أبي وأبيكم) ولم يقل عن نفسه: إنه ابن الله، وكان أكثر استعماله لفظ (ابن الإنسان) وكانت البنوّة تفهم أيضاً بالمعنى المجازي (أنتم أبناء الله). ولم يكن له بالتالي أي صفة غير صفته البشرية، وهو رسول يبلّغ ما أُمر به، ولا يقول الكلام من ذاته، بل كل ما يُوحى له به يقوله لهم. والمعجزات الباهرات التي حصلت على يديه إنما حدثت بقدرة الله، وقد كرَّر لهم ذلك مراراً أنه لا يعملها من ذاته، ولكن الله ﷻ هو الذي أجراها على يديه، وأنه لا يعلم الغيب ولا يعلم متى الساعة التي لا يعرف ميقاتها إلا الله وحده.

مجموعة أورشليم وتكوين الكنيسة الموحدة:

وعندما رفع يسوع عليه السلام اجتمع التلاميذ الأحد عشر (بعد أن انتحر يهوذا الإسخريوطي الذي باع المسيح بثلاثين من الفضة)، وبدأوا يدعون في الهيكل والمجامع، واختاروا بديلاً ليهوذا، وكان معهم السبعون الذين أرسلوهم للدعوة، وكانوا يعيشون حياة بسيطة يتقاسمون كل ما معهم، بكل الحب والإخاء، ويعبدون الله، ويذهبون إلى الهيكل ويقرؤون التوراة، والصلوات... وكان كل واحد من هؤلاء المختارين يأتي بجميع ماله فيضعه بين يدي التلاميذ (الحواريين)، ويقتسمون حياتهم بالسوية، يأكلون معاً، ويعيشون معاً. وتولى رئاسة المجموعة يعقوب العادل (يسمى بالإنجليزية جيمس) ويقولون حسب زعمهم: إنه أخو المسيح من أمه. وكان معه سمعان (بطرس)، وبقية التلاميذ. وسمعان (شمعون Simon) لَقّبه يسوع بالصخرة (باليونانية بطرس، وفي الترجمات العربية القديمة سموه الصفا وهي الصخرة).

وسميت هذه المجموعة كنيسة القدس (أورشليم). ولفظ كنيسة ecclesiastes يقصد به التجمع أو جماعة المدعوين، أو دعاء إلى جمع إذ لم تكن هناك كنيسة بالمعنى المفهوم اليوم. ويقول هيام ماكبي في كتابه (بولس صانع الأسطورة)[١]:

---

(١) Hyam Maccoby: The Myth Maker: Paul and the Invention of Christianity, Harper.)

«لم تتأسس الكنيسة إلا بعد فترة من رفع يسوع إلى السماء. وما يقال عن كنيسة أورشليم هو تعبير مجازي، إذ لم تكن كنيسة حقيقية بل تجمعاً لمجموعة من المؤمنين يرأسهم يعقوب العادل (أخو المسيح) ومعه بطرس».

«ولكن الكنيسة اليوم تعارض هذا القول وتدعي أن المسيح نفسه هو الذي أسس كنيسته» وقد اختار حسب زعمهم بطرس لهذه الكنيسة، فقد جاء في (إنجيل متّى) «قال لهم يسوع: وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان (بطرس) وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي(١). فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لم يُعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس (أي صخرة) وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها [متّى ١٦/ ١٥ ـ ١٩]».

ثم ظهرت أسطورة في القرن الثاني الميلادي تقول: إن بطرس مات في روما (مع أنه لم يغادر فلسطين ومات في القدس). والمقصود من هذه الأسطورة أن تمارس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية نفوذها على جميع المسيحيين. وقد زعمت هذه الأسطورة أن بطرس كان أول مطران وأول بابا، وبالتالي تكون روما هي مركز الثقل في الدين المسيحي. والبابوات حسب زعمهم ورثة بطرس. وكما تجسد المسيح في بطرس وأعطاه مفاتيح السماء والأرض، وما يربطه على الأرض يربطه الله في السماء، وما يحلّه بطرس في الأرض يحلّه الله في السماء، فإن ورثة بطرس أيضاً يصلون إلى مرتبته، ويصبح البابا الممثل الشرعي للمسيح يسوع، الرب حسب زعمهم، وأن الله يتجسد فيه ليس فقط في طقوس العشاء الرباني والقربان والتعميد، بل بمنصب البابوية ذاته، ويصبح البابا معصوماً عن الأخطاء والذنوب، بل يقوم هو بغفران الذنوب وإعطاء صكوك الغفران، باعتباره مندوباً عن الرب يسوع المسيح وباعتبار أن يسوع المسيح قد تجسد فيه.

والغريب أن الذي تزعَّم مجموعة الحواريين بعد رفع يسوع كان يعقوب العادل الذي تصوره الأناجيل بصورة منفِّرة حيث جاءت مريم أم المسيح وإخوته،

= (San Francisco, 1986). وقد ترجمت الكتاب واختصرته سميرة عزمي الزين بعنوان (بولس وتحريف المسيحية) فصل: تأسيس الكنيسة، ص٥٩ ـ ٦٥.

(١) هناك روايات بعدم وجود لفظة ابن الله الحي، بل قال: أنت هو المسيح. كما جاء في إنجيل مرقس.

وهو مع أتباعه فأنكرهم يسوع حسب زعمهم، كما يزعمون أن يعقوب العادل (أخا المسيح) لم يكن قد آمن بيسوع في أثناء حياة يسوع، ولكنهم يزعمون أنه عاد وآمن وظهرت منه الكرامات. وبما أنه أخو المسيح فقد ولَّوه قيادة المجموعة رغم وجود بطرس. وعندما قُتل يعقوب العادل سنة ٦٢ ميلادية تولى القيادة شمعون أحد أقارب يسوع ثم تولاها بعد ذلك بطرس.

ولا شك أن تزعم يعقوب العادل يدل على أن اليهود الذين آمنوا بعيسى كانوا يعتبرون يسوع مسيحاً وليس إلٰهاً ولا ابن إله، ولهذا خلفه أخوه يعقوب. وكان أتباع عيسى يعتقدون أنه لم يمت بل رُفع إلى السماء، وأنه سيعود قريباً. وكانوا ينتظرون عودته بلهفة كما وعدهم حسب قولهم.

ولم يعرفوا طقوس القربان المقدس (العشاء الرباني) بمعناه الكنسي، وأن الخبز يتحول فعلياً إلى لحم المسيح، وأن النبيذ يتحول إلى دمه، فيتحد المعبود بالعابد حسب زعمهم ويحلّ فيه. وهذا الطقس المقيت كان موجوداً لدى الأمم الوثنية (كما أسلفنا) ونقله بولس منهم.

وبدون ريب لم يدَّع يسوع بأنه ابن الله الأقنوم الثاني في الثالوث، ولا جاء بطقوس القربان وأسرار القداس وأسرار الكنيسة. وهذه العقائد كلها ابتدأها بولس، وأخرجها ونمَّقها وطوَّرها آباء الكنيسة وخاصة في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م وما جاء بعدها من مجامع كنسية.

ويقول كتاب (إرث المسيانية) The Messianic Legacy[(١)]: **«إن من الحق القول: بأن المسيحية التي نعرفها اليوم لم تنبثق من أيام عيسى، بل من مجمع نيقية، ولأن مجمع نيقية كان جلّه من صنع يدي قسطنطين، فإن المسيحية مدينة له بالفضل»**. ويقول في موضع آخر: **إن الناصريين Nazarenes اليهود المتنصرين أو النصارى (نسبة إلى مدينة الناصرة في الجليل التي جاء منها يسوع ولذا يقال: يسوع الناصري) رفضوا رسائل بولس وسمّوه بالمرتد عن الشريعة كما سمّوه النبي الكذّاب، ودافعوا عن مجموعة أورشليم وبطرس، وقالوا: إن أتباع بولس نسبوا**

---

(١) كما ينقله عنه د. نصر الله أبو طالب (تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله ﷺ) الناشر: المؤلف ٢٠٠٢م، ص٢٤ وما بعدها. (The Messianic Legacy by M. Baigent, R. Leigh and H. Lincolin, 1986).

إليه كلاماً لم يقله، وفي وثيقة وجدت في إستانبول تذكر أن الناصريين يؤمنون بيسوع المسيح كنبيّ وبشر أرسله الله، وليس هو بإلٰه ولا ابن الإلٰه. ويلتزمون تعاليم التوراة. واعتبروا بولس وأتباعه هم الذين حرّفوا دين المسيح وأدخلوا في هذا الدين العقائد الوثنية الرومانية حتى تدخل الجماهير الوثنية في الإمبراطورية الرومانية إلى النصرانية.

والأبيونيون Ebonites (الفقراء إلى الله) هم فرقة من اليهود المتنسكين الذين آمنوا بيسوع الناصري رسولاً من عند الله ومسيحاً أرسله الله وله المعجزات الباهرات.

وهم ينكرون عقائد بولس، ويعتبرونه النبيّ الكذاب الذي حذَّر منه يسوع مراراً، كما حذرت منه أسفار العهد القديم.

وكلمة (أبيون) العبرية التي ينسبون إليها تعني الفقير أو المسكين، والمقصود بذلك الفقير إلى الله. وهم إذن جماعة (الفقراء إلى الله) وهذا التعبير شائع أيضاً عند المسلمين، وخاصة الصوفية، الذين يصفون أنفسهم بأنهم الفقراء إلى الله. وكل المخلوقات لا ريب فقيرة إلى الله ﷻ، ولا قيام لهم إلا به، ولا ملجأ لهم منه إلا إليه.

وقد ذكر المؤرِّخ الألماني جريس أن بعض اللاويين (السِّبْط الذي ظهر منه موسى وهارون ﷺ، وهذا السبط هو المنوط به الكهانة عندهم) قرَّر ألا يؤجر نفسه لأحد، وألا يأخذ على تعليم الدين والتوراة أي مال، وعاشوا عيشة الكفاف والقناعة والزهد وتَسمَّوا باسم الفقراء، وكان منهم الكاهن (عالي) الذي تولى تربية النبي صموئيل. وسبب ظهورهم ما رأوه من فساد عدد كبير من الكهنة، وأخذهم أموال الناس بالباطل، وتعليمهم الدين بالمال، وكثرة نفاقهم وفجورهم. وقد اتبعت هذه الجماعة من الأبيونيين تعاليم النبي أشعياء وغيره ويكررون قول أشعيا (١/ ١١ ـ ٢٣): قال الرب الإلٰه: «لماذا لي كثرة ذبائحكم؟ يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات، وبدم عجول وخرفان، وبتيوس ما أُسرّ (كان اليهود يحرصون على المذابح والمحارق ويزعمون أن الله يتنسم الرضا ويمتلئ بالسرور عندما يشم رائحة المحرقات) لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور مكرهة لي... لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليّ ثقلاً، مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أسترُ

عيني عنكم، وإن كثّرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماء. اغتسلوا، تنقّوا، اعزلوا الشرَّ من أمام عيني. كفُّوا عن فعل الشر، تعلّموا فعل الخير. اطلبوا الحقَّ، أنصِفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة... رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص. كل واحد منهم يحبُّ الرشوة ويتّبع العطايا. لا يقضون لليتيم. ودعوى الأرملة لا تصل إليهم».

ويقول أرميا (٢٠/١٣): «رنموا للرب. سبّحوا الرب، فإنه أنقذ روح المسكين (أبيون) من أيدي فاعلي الشر». ويتحدث الأنبياء عن المساكين المتواضعين، أحباب الله، وأن أبواب السماء مفتوحة لهم. وأما المتجبرون العتاة المتكبرون الظلمة فهم أولياء الشيطان، وأبناء الشيطان يدعون.

ويتحدث النبي صفنيا (٣/١٢، ١٣) عن هؤلاء المساكين المتواضعين من بني إسرائيل، وهم قلة بين كثرة فاجرة «سأبقي فيما بينك شعباً وديعاً فقيراً، فيعتصمون باسم الرب. بقية إسرائيل لا يصنعون الإثم، ولا ينطقون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان مكر».

وقد كتب الفيلسوف اليوناني ثيوفراست، (تلميذ أرسطو، والذي صحب حملة الإسكندر على فلسطين والشام) يصف هذه الجماعة فقال: «ومنهم، أي اليهود، من وهب حياته للتأمل والدرس، وتعليم خفايا الحكمة، ومعرفة الحياة والكون.

وقد بقيت هذه الطائفة المحدودة من بني إسرائيل إلى زمن عيسى عليه السلام فكانوا ممن آمن به وصدَّقه ونصرَه. وقد وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]

وقد ظهرت الطوائف المؤمنة من بني إسرائيل وخاصة بعد رفع يسوع عليه السلام وتكونت جماعة أورشليم من الحواريين، والسبعين، ومن تبعهم من بني إسرائيل بأعداد تبلغ الآلاف المؤلفة، إذ كان في بعض الأيام المباركة يؤمن خمسة آلاف شخص في يوم واحد، وبذلك ظهروا على أعداء يسوع الكفرة من يهود وغيرهم. ولكن سرعان ما ظهر بولس وحرَّف دين المسيح الحق، ورفع مكانة يسوع إلى مقام ابن الله، (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)، وأحلَّ الداخلين الجدد من الأمم من تعاليم التوراة والشريعة، وأباح لهم أكل الخنزير وكل النجاسات بما فيها الدم والمخنوق، بل وما أُهِلَّ به لغير الله. كما أباح لهم أن يبقوا غير مختونين غُرْلاً.

وجاء بعقيدة الفداء، وأن الله أرسل ابنه الحبيب الوحيد ليكون هو الخطيئة بدلاً عنّا فتحمل الخطيئة، وإن كان هو بدون خطيئة، وصار هو بنفسه خطيئة، وصلب، والمصلوب ملعون كما جاء في كتب العهد القديم «ملعون كل من عُلّق على خشبة»، وصار المسيح حسب قوله ملعوناً، بل صار هو لعنة، حتى يتحمل عنّا اللعنة. (وكل ذلك قد أوضحناه فيما سبق من فصول، وخاصة الباب الخامس عن بولس).

وقد آمن هؤلاء الأبيونيون بعيسى ﷺ رسولاً نبيّاً، ودخلوا مع جماعة الحواريين والناصريين (Nasarenes) والآسيين (Essenes) وآمنوا بيسوع المسيح كمعلم عظيم وإنسان فذ، ولكنه بشر أرسله الله لإنقاذ الناس وهدايتهم.

وقد جاء في القرآن الكريم مدح لهذه المجموعات المؤمنة. قال تعالى: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].

وهؤلاء جميعاً ينكرون بولس وعقائده وقد أطلقوا عليه لفظ الكذّاب «والذي يكذب، ورجل الأحلام، والمرتد عن الشريعة Apostate from the Law، والنبي الكذاب الذي حذّر منه يسوع) كما جاء في سِفر متّى (٧/ ٢٢، ٢٣): «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا ربّ يا رب (أي يا سيد يا سيد)، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرّح لهم لأني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

وقد أجمعت هذه الفرق المؤمنة بأن عيسى ﷺ بشر مكرم خلقه الله بمعجزة وأقام على يديه المعجزات، ورُفع بمعجزة إلى السماء، وسيعود قريباً إلى الأرض، ولكنه لم يَدَّع قط أنه إله ولا ابن الإله، وأن العقائد المنحرفة قد بدأها بولس الذي أطلقوا عليه اسم النبي الكذاب واسم سمعان ماخوص(١).

---

(١) سمعان ماخوص: هو رجل من السامرة ادّعى الألوهية وتبعه عدد غفير من الناس وخاصة من الوثنيين، والسامرة. وكانت له شعوذات كثيرة، وأفعى كبيرة مدجّنة يلفها على جسمه. وظهر في أواخر عهد المسيح واستمرَّ بعده. وقد وصف الناصريون بولس بهذا الوصف لأنه مشعوذ مثله ودجّال على منهجه. انظر: كتاب (Hiram Key, by Christopher Knight Robert Lomas, 1997). وهيام ماكبي. (Paul and *(Hyam Maccoby) The Myth Maker: the Invention of Christianity. 1986).

وقد نقلت في الباب المخصص لبولس ما دار بينه وبين الحواريين من صراع، وكيف كان ينافق ويداور حتى لا يثوروا عليه، ومع ذلك فقد اختلفوا معه اختلافاً شديداً، وخاصة يعقوب العادل رئيس المجموعة. وتظهر في رسائل بولس بعض العبارات الشديدة ضد بطرس وغيره من الحواريين، وأنهم يناقضون أنفسهم، ويكذبون ويظهرون التمسك بالشريعة، ويطلبون من الأمم التمسك بالشريعة، وهم لا يتمسكون بها. وأنه أفضل منهم لأنه يتلقّى تعليماته من يسوع المسيح مباشرة حيث يظهر له ويوحي إليه بما يقول، أما هم فقد عاشوا مع يسوع البشر الذي كان يعاني وينسى ويخطئ، وأما هو فيأخذ مباشرة من يسوع الممجد الذي صُلب ومات ودفن وقام وصار على يمين الله وهو ابن الله الربّ الممجد. ويدعي بولس أن تضحياته من أجل هذا الدين تفوق بكثير تضحيات الحواريين وأتباعهم.

بداية الانحراف على يد بولس وأتباعه:

وقد تأثر أتباع يسوع، من الأمم خاصة، بعقائدهم الوثنية كما أوضحناه في باب التأثيرات الوثنية في المسيحية، وبالتالي بدأت تتسرب هذه العقائد الوثنية إلى المسيحية، وخاصة أن بولس تبنّاها ودافع عنها ونشرها.

ويتحدث الدكتور شارل جنيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها)[1] عن الغموض الذي كان يكتنف حياة يسوع المسيح بالنسبة لأتباعه، فيقول: «نستطيع أن ندرك السبب في هذا الغموض من تخيّل أحاسيس هؤلاء الرجال الذين استمعوا إلى دعوة يسوع وآمنوا به، ثم هالهم، وأيأسهم تعذيبه وصلبه، وأعلنوا بعد ذلك بعثه... كانوا على يقين أن يسوع الناصري هو الذي وُعِدت به إسرائيل، وأنه يجلس إلى جانب الربّ في السماء مرتقباً الساعة لكي ينزل ويدين البرَّ والفاجر. ودفعهم هذا اليقين إلى البحث عن معانٍ عميقة لمراحل حياته المتواضعة، ونجاحه المحدود، وطريقة تعذيبه الوضيعة. ودفعهم ذلك إلى أن يستخرجوا التعاليم والتنبؤات من أقل الحوادث شأناً، وأن يطبقوا على أستاذهم كل نصوص التوراة وكتب الأنبياء التي قيل: إنها تتعلق برسول (يهوا) المبارك

---

(١) شارل جينبيير: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود، ص٢٥ وما بعدها.

الموعود فيجدون في حياته مصداق ما أنبأت به النصوص. **وهكذا كان خيالهم بدافع التقوى يُزيِّن لهم الأحداث، ويصبغها في إطار من التعليقات والإضافات التي يفرضها إيمانهم، وكأنها من لوازم سيرة يسوع... فأصبحوا لا يفرّقون بين الحقيقة والخيال، وأصبح أتباعهم لا يميّزون بين واقع الأحداث، وما أضفاه عليها الإيمان من صور شتى. وكان تحمسهم للعقيدة لا يدع لهم مجالاً لمقاومة ما توحي به الرؤى والتكهنات الفردية، فكلّ ما يمليه اتصال الواحد منهم اتصالاً خيالياً بالروح القدس يؤخذ قضية مسلّمة وفرضاً ضرورياً، وعلى الجميع أن يؤمنوا به إيماناً لا يدانيه إيمانهم بالواقع المباشر. فتلك تعاليم بولس التي ادعى أن يسوع أوحى بها إليه وكانت تبدو له ولأنصاره أكثر ثقة ويقيناً من كل ما كان يحكيه صاحبا المسيح بطرس ويعقوب».**

وأدى ذلك ببولس إلى أن يجعل حياة يسوع وتعاليمه كلها متركزة في قصة الصلب والفداء، واخترع قصة الإله الذي ينزل إلى الأرض ليفدي البشرية من خطاياها متأثراً ببيئته في طرسوس حيث كانت الآلهة تنزل وتموت ثم تبعث من جديد حسب تلك الطقوس الوثنية.

ويقول جنيبير في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) موضِّحاً الحقائق التاريخية:

«فمنذ الجيل المسيحي الأول تكونت التقاليد من عناصر متباينة ولم تظهر بذور الشك في قرب العودة المأمولة للمسيح إلا عندما انتهى أجل هذا الجيل الأول من المؤمنين. وبانتهائه لم يعد هناك شهود مباشرون لحياة المسيح... ثم رأى الحريصون من المسيحيين أنه قد يكون من الصالح أن يثبتوا بالتدوين تلك الذكريات التي افترضوا صحتها في الأخبار المتوارثة شفاهاً».

«وكانت هذه الكتيبات المنسوبة إلى متّى، والروايات المنسوبة إلى مرقص المصادر الأولى للأناجيل، إلا أنها لم تكن تضم إلا عناصر مشوشة من حياة يسوع كما تصورها المسيحيون. وقد حاول المحررون المتتابعون أن ينسقوا رواياتهم، ويُدخلوا عليها شيئاً من الانسجام، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مادة يصعب مراسها، فضلاً عن استحالة تحقيق الواقع، وتخليصه من الإضافات الخيالية... ولقد كان من العسير التمييز بين الأحداث التاريخية، وبين تلك التي فرض الإيمان وقوعها من أجل أن تكتمل كلمة الكتاب. أي بين الذكريات

الحقيقية وبين وحي الروح مسافة كبيرة ولم يكن هناك إلى جانب ذلك دافع يدفعهم إلى الجد في طلب هذا التحقيق».

«وتَصفُّح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث، مما يتحتم معه القول: بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخاً ثبتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك: اتبع كل واحد منهم هواه، وخطته الخاصة، في تنسيق وترتيب مؤلفه. ولا شك أيضاً في أنه لم يعتمد واحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح. فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا في كثير أو قليل من المهارة بين أطراف من المرويات، وأن يشكّلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية كما أن عناصرها تبدو مجموعة في إطار مصطنع...».

«ومن المرجح أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل، وأنها تأثرت في مخيلتهم بالأساطير المختلفة الشائعة في الشرق، ثم إنها فسرت تفسيرات غيَّرت وجدَّدت في جوانب كثيرة أساسية منها... وقد اضطروا اضطراراً بسبب موته ثم بعثه إلى أن ينظروا إلى الماضي والمستقبل من خلال صورة المنقذ المنتظر، فيجعلونه الداعي الأول إلى طقوس التعميد وإلى عقيدة تحول الخبز والخمر المقدسين إلى لحم ودم المسيح، وخاصة بعد أن أصبح التعميد خاتماً للإيمان، وأصبحت عقيدة التحول (إلى جسد ودم المسيح) الصلة المباشرة بين المؤمنين وبين المسيح حسب تفسيرات بولس».

«والمسيح قد ولد يهودياً ثم نشأ في بيئة يهودية استعار منها وحدها عناصر ثقافته الفكرية والدينية، بيد أن أمة إسرائيل لم تكن معزولة عن العالم الخارجي وقد تأثرت بالشعوب السريانية والكلدانية التي عاشت بجوارها، كما أنها تأثرت ولا شك بصلاتها المستمرة بالفاتحين الإغريق، البطالسة في مصر، والسلوقيين في الشام...».

ومن ناحية أخرى نجد حول العالم اليهودي في فلسطين بيئة مشركة جذبت إليها أتباعه عقب موته، تلك هي البيئة السورية والفينيقية، والتي كانت مصباً لروافد كثير من التيارات الفكرية والعقائدية وللخرافات والأساطير، بالإضافة إلى

الأديان النابعة من الهند وفارس والمنتهية إلى أرض بابل، والتي تعتبر مصدراً لكثير من الأساطير القديمة. ثم كانت هناك البيئة المصرية في الجنوب حيث تطورت العبادات المحلية ونمت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليوناني الخصب. وأخيراً نجد البيئة الإغريقية في آسيا الصغرى وهي أكثر تعقيداً وخصوبة، فإلى جانب العبادات القومية وأساطير الديانة الأولمبية وتأملات الفلاسفة، نجد في تلك البيئة مؤثرات من سائر البيئات الأخرى التي ذكرناها بما فيها البيئة اليهودية.

كانت هناك مادة دينية ضخمة قابلة لأن تتشكل وتتطور في سهولة حسب رغبات من يريد استغلالها، فكانت مصدراً أساسياً لمستقبل المسيحية، رغم أن يسوع نفسه نشأ في بيئة يهودية بحتة.

وخلاصة القول: إن عيسى بدعوته إنما كان يجدد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة من المنفى، والتي تحاول أن يصل حلقاتها أنبياء آخرون منهم المعمدان يوحنا (يحيى بن زكريا)، فقيامه بالدعوى ليس في الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل.

والنتيجة الأكيدة (والغريبة) لدراسات الباحثين أن يسوع لم يدَّعِ أنه هو المسيح المنتظر، ومن باب أولى لم يقل: إنه ابن الله. وذلك التعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين. فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية. إنها اللغة التي استخدمها بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع (يوحنا) وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدرٍ كافٍ من الوضوح بالنسبة إليهما.

وكلمة عبد بالعبرية تترجم إلى اليونانية بلفظ خادم أو طفل أو فتى وقد استخدمت كلمة فتى أو طفل التي تطورت بالتالي إلى ابن. ومفهوم ابن الله نبع من العالم الفكري اليوناني، وقد أنكره الفكر الديني اليهودي إنكاراً شديداً. ونجد في كثير من الترجمات (هذا فتاي الذي سُرَّت به نفسي) ثم تطورت إلى (هذا ابني الذي سرّت به نفسي).

وقد ورد في الأناجيل لفظ ابن الإنسان إشارة إلى يسوع وهو نص قد استخدمه كتاب دانيال (من العهد القديم) ٧/١٣ ـ ١٤: «كنت أتأمل في رؤى الليل فإذا بي أرى، قادمة على سحب السماء صورة كصورة ابن الإنسان». وقد

استخدم اليهود هذا النص في تصوير مجيء المسيح المنتظر، ولكن يبدو أن أغلب الفقرات التي ظهر فيها لفظ ابن الإنسان في الأناجيل صدرت من محرري الأناجيل لا من يسوع نفسه... وفي بعض الفقرات التي يبدو أنها جاءت من يسوع فإنها تعني لفظ إنسان.

وفي الواقع هناك حجج تدفع إلى الاعتقاد بأن يسوع قد اعتبر نفسه رسولاً تحثه روح (يهوا) على إعلان قرب تحقيق الأمل الأكبر وضرورة التمهيد له، وبأنه قد سلك مسلكاً يتمشّى مع هذا الإيمان.

«ويجب أن لا ننسى أنه لم يؤسس ديناً جديداً ولا حتى أتى بأي طقوس من العبادة جديد. لم يأت إلا بتصور شخصي فريد في إطار الديانة اليهودية. تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي تغيير معتقداتها، أو شرعها، أو شعائرها. واعتمدت تعاليمة على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها كما آمن بها سائر مواطنيه من اليهود... ولهذا فإن ما ينسب إليه من تأسيس كنيسة خاصة به لها طقوسها وعباداتها لهو أمر لا يقره واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي ولا نعدو الحقيقة أن نقول: إن كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفاً لفكرته، وإنه لم يكن يرضى عنه قط لو نمي إلى علمه منه شيء. فالدين المسيحي بطقوسه وعباداته وعقائده لا علاقة له بيسوع البتة».

«ولم يكن للأساطير بُدٌّ من تفسير الوقائع الغريبة، فصنعت منها نسيجاً بالغ الغموض والتعقيد، واختلط فيها العجب العجاب من الأحداث الخيالية المستحيلة، وتعذر بعد ذلك استخلاص الحقيقة لتضارب النصوص وتباين رواياتها. وإن روايات الإنجيل التي تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرِّخ الناقد نوعاً من الإنشاءات التي لا تنسجم عناصرها، قد بُنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة، ثم على حكايات قديمة من تلك التي تعوَّد عليها العالم الشرقي».

«ولو لم يكن إيمان الأتباع ببعث أستاذهم لما كانت المسيحية، وعلى أساس من هذه الفكرة قيل: إن يسوع ـ لولا موته ـ لما دخل قط في سجل التاريخ. فبسبب بعث يسوع بعد الموت وقيامته، أصبح الإيمان بالسيد يسوع أساس دين جديد، لم يلبث أن انفصل عن اليهودية، واتخذ صورة الطريق الإلهي نحو النجاة. وبسببها تسربت آثار الأسطورة الشرقية التي تدور حول فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير بأتباعه نحو الخلود. ولم يلبث يسوع أن تحول بها من

مسيح يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان إلى يسوع المسيح، السيد المنقذ، ابن الله وخليفته على الأرض الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين وتنحني له الخليقة كلها إكباراً وإجلالاً، على حد تعبير بولس».

«وما دام الأتباع قد قبلوا مبدأ البعث في إيمانهم، فلم يكن لهم بد من أن يبادروا بإعلاء شأن هذا الإيمان وتنظيمه. ولذلك قيل: (إن يسوع لم يمت إلا ليبعث)، ثم انتهى الأمر إلى أن أصبح هذا الموت هو السر الأعظم، والنهاية المحتومة، والهدف الأول من حياة يسوع كلها ومن عمله. فقيل: (جاء يسوع الناصري في هيئة رجل ألهمه الله، يكثر من المعجزات ويعمل الخير، وقَتَلَه الأشرار، إلا أنه كان هو المسيح المختار. وقد بيّن الله ذلك إذ بعثه من بين الأموات في اليوم الثالث، وقريباً سوف يعود في مجده السماوي ليقيم المملكة التي وعد بها)».

«وكانت فكرة قرب حلول مملكة الله الفكرة الأساسية في دعوة يسوع، أما دعوة الأتباع فقد تحولت إلى أن يسوع هو المسيح الموعود إلى قرب عودته إلى الدنيا».

لم تستطيع عقيدة أصحاب يسوع أن تشيد صرحها في مهد اليهودية في أورشليم وفلسطين، فانتقلت إلى ربوع اليونان. وفي العالم اليوناني يجب أن نبحث عن مدارج التطور الأول للمسيحية.

«مرت دعوة أصحاب يسوع في عبورها من فلسطين إلى أراضي المهجر بأدوار غاية في التسلسل فمجموعة (أعمال الرسل) تقصُّ علينا أن الحواريين استمالوا إلى عقيدتهم بعض يهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس في الاحتفالات الخاصة ببعض الأعياد... ولكن من بقي من هؤلاء طُرد فرحلوا إلى أنطاكية، وفينيقيا وقبرص، حيث راحوا بدورهم يبشرون بيسوع في المعابد وتحدثوا أيضاً إلى أهل اليونان حيث آمن الكثير منهم».

«وأدى دخول اليونان الوثنيين في المسيحية إلى أزمة في أورشليم لدى المسيحيين اليهود فأرسلوا برنابا غير أن هذا تحمس لدخول الوثنيين في المسيحية ورحل إلى طرسوس حيث كان يقيم بولس وعاد به إلى أنطاكية ليشركه في عمله، وكان بولس هو الدعامة الكبرى للمسيحية المستقبلة».

«وتدّعي بعض الأساطير اللاحقة أن (أندريا) قد ارتحل إلى بلاد السيخ، بينما توجَّه يعقوب الأكبر إلى إسبانيا، وأخوه الأصغر إلى آسيا الصغرى، وتوماس إلى الهند والصين وبطرس إلى روما وكورنيثا، وكلها قصص لا دليل عليها.

«وبدخول اليونان وغيرهم من الأمم استطاع بولس أن يزعم أنه رسول الأمم وأن يقيم الدين الجديد على أساس عقيدة الصلب والفداء، وأن الله أرسل ابنه الوحيد ليموت على الصليب فداء لنا من الخطيئة واللعنة، فصار هو نيابة عنا الخطيئة واللعنة، وتحمّل كل ذلك من أجل محبته لنا».

تأسيس وتنظيم الكنيسة (مختصر عن كتاب المسيحية نشأتها وتطورها، لشارل جنيبير، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود، الفصل الثامن).

أنشأت الكنيسة مجموعة عقائدية جديدة بالغة التعقيد، اعتمدت في صلبها على شخصية المسيح التي نمت من حولها النظريات، حتى تم توحيدها بالله، واستقت عناصرها من التأملات الخاصة، والمذاهب الفلسفية والأديان الوثنية التي وجدتها في البيئة اليونانية، وخرجت مع الناس فيما سمي (شروط الإيمان) التي أقامها المختصون من ذوي السلطة الدينية بناء على الآراء الغالبة... وأخذ علماء اللاهوت يعملون في حماس على توسيع أبعادها ومفاهيمها وترتيبها في انسجام متكامل.

وتحولت الكنيسة إلى هيئة منظمة... ويشرف الأكليروس على إيجاد وتنظيم هذه الطقوس التي أخذت من الأسرار الوثنية، وألبست ثياب الدين الجديد... وأصبحت المسيحية ديناً حقيقياً جديداً تبنَّى من كل دين وثني أو غير وثني خير ما وجده فيه. وكانت المسيحية من أكثر الأديان ترحيباً بالوافدين إليها وأكثرها إيحاء بالصبر والسلوى وقوة الإيمان بحيث يجد البسطاء أنفسهم مندفعين إلى الإيمان بها وإن لم يدركوا مفاهيمها، وإلى طاعة ذوي السلطة في تنظيمها، وذلك حتى يضمنوا لأنفسهم الخلاص والخلود، وفي نفس الوقت يجد الفيلسوف في عقائدها مادة لا تنتهي للتأمل والتفكر...

وأدى ذلك كله إلى تأسيس كنيسة قوية لم يؤسسها المسيح، رغم انتسابها إليه، ولم يعرفها الحواريون، ولا التلاميذ والأتباع الذين عاشوا معه وشاهدوه. وتعتبر هذه القضية أكثر الأمور المحققه ثبوتاً.

وإذا ما قلنا: بأن المسيح صرّح للحواريين الاثني عشر (طرد أحدهم من

رحمة الله بسبب خيانته وهو يهوذا الإسخريوطي ومات منتحراً) بسلطة، وهذا محل جدل حتى اليوم، فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعدَّ سلطة التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله. وعندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة خاصة بهم، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة على شعائرهم مؤمنين بأن المستقبل لمملكة الله وليس لكنيسة ما.

ولم يأت في الأناجيل نص عن المسيح يتحدث فيه عن كنيسته سوى ما جاء في (إنجيل متّى ١٦/١٨ ـ ١٩): «إنك أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة سوف تبني كنيستي». وتدل النصوص والأحداث أن أسبقية بطرس على بقية الحواريين لم يكن لها حظ من الواقع، وأن بطرس لم يَبْنِ أي كنيسة لا في روما كما يزعمون ولا في القدس حيث عاش ومات.

وقد نشأت فكرة الكنيسة عندما انتقل الأمل المسيحي إلى ربوع العالم اليوناني، وخاصة عندما طرد اليهود أتباع الكنيسة من معابد المهجر بعد أن اشتد الخلاف بينهم. كما أن الوثنيين تركوا معابدهم، فكان لا بد أن يلتف الجميع في الصلاة الجماعية، وفي تمجيد يسوع، وطقوس المعرفة، وظهور طقوس القربان. وتحدث بولس عن كنيسة الله التي في كورنثيا باعتبارها جزءاً من الكنيسة العالمية... ولكن لم يكن هناك تنظيم في بداية الأمر لهذه المجموعات بل كان الملهمون هم الذين يقودونها بدون إكليروس، حيث كان الجميع يتوقع عودة المسيح وظهوره بينهم في مساء كل سبت من كل أسبوع. فلما مضت الشهور ثم السنين دون أن يظهر يسوع، ظهرت أضرار الفوضاء، وكان لا بد من إيجاد تنظيم لهذه الجماعة.

ولم تكن الكنيسة في بداية القرن الثاني للميلاد قد تعدت طور (الأخوة) بين المؤمنين المشتتين في مختلف الكنائس الخاصة، وظهرت جماعات دينية من أجل التعاون في الخير والحث على التقوى، وسميت عند اليونان (الآران)، وعند الرومان الكوليجيا (Collegiate)، ولكل جماعة مديرها المنتخب، وصندوقها الذي تموله الاشتراكات والتبرعات والهبات. وقد فرضت الضرورات بعض الوظائف مثل: بريسبتيروس (Presbyterate) بمعنى شيخ كنيسة ومنها الكنيسة المشيخانية (Presbyterianism)، وهي كنيسة منتشرة في الولايات المتحدة حيث يدبر شؤون الكنيسة مجموعة من الشيوخ المنتخبين يتمتعون بمنزلة متساوية. ولفظ إيسكوبوس

(Episcopacy) ومعناها المشرف وهي حكومة الأساقفه في الكنيسة. ومنها لفظ دياكونوس (Diacon ate) أي الشمامسة أو ما له علاقة بشماس الكنيسة أو خادم الكنيسة.

وتغلبت الجماعات على المشاكل الخاصة بتعليم الأتباع الجدد، والمحافظة على النظام والآداب العامة، وتدعيم سنن الإيمان، وشعائر العبادة، وضمان قوت المعوزين... وظهر تنظيم الباستورال (Pastoral) أي نظام الرعوية، ومنها راعي الأبرشية الذي يرعى أتباعه في أمورهم الدينية والعامة. وظهر في بعض الكنائس وظيفة الأسقف الذي يشرف على الجماعة كلها. وبالتالي ينظم أمورهم الدينية والعامة بواسطة عدد من الخدم (الشمامسة)، والقسس والشيوخ. وتطورت وظيفة الأسقف حتى تحولت فيما بعد إلى الأسقفية الملكية التي مهدت لظهور البابا باعتباره رئيساً لكل الأساقفة في مجموعة الكنائس. وقد أدت العوامل المتعددة على تركيز السلطات الأسقفية بيد أسقف واحد وإن كان يعمل بواسطة مجلس للشيوخ (البريسبتوريان) في كل كنيسة. ولكن الأسقف بدأ يتميز عن الآخرين. يقول إيجناس: «لتكن أعينكم معلقة بالأسقف حتى ينظر إليكم الله». ويقول أيضاً: «عليكم بتمجيد الله والأسقف».

وهكذا تحول الأساقفة إلى أنصاف آلهة، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. وكان لهم حق التشريع، وحق الحرمان، وحق الغفران للذنوب، وهي كلها في الأصل لله وحده.

وقد فرض النظام الأسقفي الملكي نفسه بالتدريج على سائر الكنائس فيما بين عامي ١٣٠م، و١٥٠م، على وجه الترجيح، ورغم المقاومة المحددة للنظام الأسقفي إلا أن الغالبية الكبرى من المسيحيين آمنت بأهمية هذا النظام لترتيب حياة جماعة المؤمنين، وقبلت السلطات العظمى المعطاة للأساقفة على حياتهم، وذلك منذ بداية القرن الثالث الميلادي. وقامت الكنيسة بإيجاد تبريرات إنجيلية للسلطات المطلقة المعطاة للأساقفة، حيث جاء في إنجيل متّى (١٦/ ١٩) قول يسوع لبطرس: «ولأعطينك مفاتيح مملكة السموات ولسوف يعقد في السموات كل أمر تعقده على الأرض. ولسوف يحل في السموات أيضاً كل أمر تحله في الأرض». وأوجدت الكنيسة رمزاً لسلطة الأسقف بإيجاد كرسي (كاتيدرا) حيث زعموا أن بطرس جلس عليه بعد المسيح ثم خلفاؤه من بعده. (ومنها جاءت لفظة

كاتيدرائية للدلالة على الكنيسة العظيمة التي يرأسها الأسقف، وتشرف هي على بقية الكنائس في البلدة أو المنطقة).

في البداية كان الأسقف ينتخب مباشرة من قبل الشعب، ولكن الأمر تحول بعد فترة وجيزة إلى هيئة الإكليروس التي تنتخب الأسقف، وتحول ذلك بعد فترة إلى سلطات رئيس الأساقفة أو البطريرك (البطرك)... ولم تكن الكنيسة قد أوجدت بعد نظام الرهبنة فكان القسس يتزوجون بل كان من شروط انتخاب الأسقف أن يكون متزوجاً، أو أرملاً (أي سبق له الزواج)، وأن يكون ذا خلق محمود.

ورغم أن وظيفة الأسقف كانت تُعرضّ صاحبها لبعض المخاطر، وخاصة قبل أن تعترف الدولة الرومانية بالكنيسة وكان الأمر يزداد خطورة في فترات الاضطهاد، إلا أن سلطات الأسقف الضخمة جعلت التنافس على شغل هذه الوظيفة شديداً بين المؤهلين مما أدى إلى ظهور المؤامرات القذرة من أجل تسنم هذا المنصب الرفيع حيث يقوم الأسقف بالطقوس السرية مثل التعميد، والقربان، وإخراج من شاء من نطاق رحمة الرب، وطرده إلى الأبد من ملكوت الله. كما كان يدير الكتبة، ويشرف على المسائل المالية، وينظم المعونات والصدقات، وزيارة المرضى... ولم يكن لهذه السلطات من حدود في واقع الأمر مما أدى إلى المماحكات والتنافس الشديد على هذا المنصب الرفيع.

وفي البداية كانت كل كنيسة مستقلة عن الكنائس الأخرى في تنظيمها، وأوجدوا نظاماً للتعاون والتراسل، ولكن لم تمضِ فترة طويلة حتى تحولت الكنائس إلى نظام هرمي يرأسه كبير الأساقفة، أو البطريارك (البطرك، البطريق). وظهر نظام الإكليروس الهرمي في القرن الثالث الميلادي بحيث أصبح البطريارك السلطة الأعلى التي تتجمع فيها سلطات الأساقفة.

وكل أسقف مسؤول عن كنيسته مع مجموعة من الأبرشيات التابعة لها وينتظم ذلك عدد من الأساقفة الشيوخ (البريسبتوران)، والدياكونوس (الخدم أو الشمامسة)... وهؤلاء منهم الرجال ومنهم النساء. وكان دور النساء مقتصراً على الاتصال بالنساء المؤمنات وتوصيل تعاليم الأسقف إليهن.

وعملت الكنيسة على جعل المسيحيين جسداً واحداً، كما قال (ترتوليان) معتمدة على الوحدة الأخوية، ولكن التنافس على السلطات ظهر جلياً منذ القرن

الثالث حينما رفض (سيبريان) أسقف قرطاجنة هيمنة (أتيين) أسقف روما، وأثار جميع أساقفة أفريقيا (المقصود تونس وما جاورها) ضده.

وقد حرصت كنيسة روما بالذات على فكرة (الإيمان الكاثوليكي) وهي تعني أولاً: الإيمان المشترك العام المقابل للإيمان الفردي الخاص، مدعية أنها الممثل لكنيسة بطرس الذي يزعمون أنه بنى كنيسته في روما (يشكك التاريخ في هذا الزعم)، وبدأت الكنائس الكبرى تسيطر تدريجياً على الكنائس الأصغر، وفي بداية القرن الرابع ظهرت سلطات المطارنة واضحة جلية.

وكانت كنيسة روما معروفة بكثرة أعضائها وغناها ووفرة صدقاتها، وأضافت إلى ذلك زعمها بأنها قد أسسها أعظم الحواريين بطرس الذي جعل له المسيح سلطات الحل والربط في السماء والأرض. هذا بالإضافة إلى أن روما هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية الضخمة، وبالتالي فإن كنيسة روما ينبغي أن تكون أيضاً القائدة لجميع الكنائس الأخرى. ومع نمو سلطة الكنيسة والأساقفة تعقَّدت أعمالها، كما تعقدت أيضاً الطقوس وإجراءات التعميد والدخول في الدين الجديد. وقد أدى ذلك إلى إيجاد نظام **(الكابتيثومينا)**، وهو نظام تعليمي وتدريبي لمن يريد الدخول في الدين الجديد، وعليه أن يقوم بمجموعة من الطقوس وأن يتعلم مجموعة من العقائد، قبل أن يتم تعميده من قبل القسيس. بل أصبح التعميد نفسه احتفالاً معقداً يشتمل على الغسل بالماء ثلاث مرات، وإجراء اللمس باليد الذي يصاحبه المسح بالزيت المقدس، ثم ينتهي إلى طقوس القربان المقدس. والتعميد وحده هو الذي يعقد بين المسيح (ابن الله) وبين المؤمن، تلك الأواصر الخفية التي تجعل الأخير من أمة الأول والمتحدين به. وليس من العسير علينا أن نكشف روح الأسرار الهيلينية في هذا التعليم التدريجي، وفي هذه الطقوس الفعالة، وفي المعاني التي حملتها بما فيها من ارتباطات ومواثيق تؤدي إلى التهلكة حين الإخلال بها. وذلك قد أدى ببعض الذين يؤمنون بالمسيحية إلى الامتناع عن التعميد حتى تأتيهم سكرات الموت فيطلبونه. وذلك حرصاً منهم وخوفاً من الإخلال بشروطه في حياتهم الدنيا فيقعون في مهاوي الهلاك.

وتمثلت عقيدة الكنيسة في القرن الثالث في النقاط التالية:

١ ـ اعتبار التوحيد العقيدة الأساسية.

٢ ـ تقريب شخصية يسوع من الله إلى درجة التوحد معه.

٣ ـ تحديد معالم شخصيات الأقانيم الثلاثة: الآب، الابن، الروح القدس.

ولم يكن للعقول الراجحة إن أرادت الخروج من المأزق سوى الاختيار بين حلين: إما التخلي صراحة عن التوحيد والتسليم وبالتثليث، وإما التخلي عن التمييز بين الشخصيات الثلاث (الأقانيم الثلاثة)، والقول: بأن كلاً من هذه الشخصيات ليس سوى جانب جوهري من جوانب الذات الإلٰهية الواحدة. ولكن غالبية المسيحيين رفضت الاختيار بين الأمرين، وأرادت في نفس الوقت الإبقاء على عقيدة وحدة الله التي لا تتجزأ، وعلى وجود شخصيات ثلاث متميزة فيه. ونتيجة لهذا الفرض الذي يتعارض طرفاه نشأت مناقشات لا تحصى كان من شأنها إثارة مشاكل تراكمت فسببت للكنيسة فتناً هائلة لم يهدأ أمرها إلى وقت طويل.

ومنذ أواخر القرن الثاني أصبح من المبادئ المعتمدة: أن عيسى هو ابن الله ينتسب إليه نسبة مباشرة من نوع خاص، ثم إنه أيضاً هو الله. وهو منظم العالم بإرادة الآب وبمعونة الروح القدس. وتم رفض نظرية التبني التي قال: بها تيودور في روما، والتي تقول: إن يسوع الإنسان تبنّاه الله في نوع من التقمص للوجوس اكتسبه المسيح بفضائله الخاصة. كما تم رفض أن الله جوهر واحد يظهر في وظائف مختلفة، منها وظيفة الخالق والمنقذ، ويقولون: إن الأب قد صُلب عندما صُلب الابن، وكذلك الروح القدس.

ورفضت الكنيسة أيضاً العقيدة الغنوصية التي رسمت شخصية يسوع كشخصية إلٰهية أزلية هي وسط بين الكمال الإلٰهي وبين الطبيعة البشرية، وتعتبر أن حياة المسيح البشرية وصلبه وموته لم تكن إلا أموراً ظاهرية. أما الحقيقة فهو لم يصلب ولم يمت.

وكانت هناك مجموعات أصيلة من اليهود المسيحيين رفضت باستمرار ألوهية يسوع واعتبرته رسولاً نبيّاً كسائر أنبياء بني إسرائيل، وإن كان يتميز عنهم بأنه المسيح المنتظر، وأنه ولد من غير أب. وأشهر هذه الفرق فرقة الأبيونيين (الفقراء إلى الله)، وكانوا يعيشون حياة بسيطة نقية، ولكن الكنيسة بنفوذها نجحت في القضاء عليها، وعلى الفرق التوحيدية الأخرى التي عاشت حتى القرن الرابع للميلاد.

وتحولت المسيحية على أيدي الهيلينستيين إلى ديانة منفصلة تماماً عن

اليهودية، بل تلعنها باعتبارها ألد أعداء الحقيقة، وأعداء المسيح ابن الله الذي قاموا بتعذيبه وصلبه...

وتعقدت الكنيسة بنمو أعداد المؤمنين وزيادة نفوذهم، وازداد النظام الهرمي صرامة، كما أصبح القربان الأولي البسيط قداساً شديد التعقيد، كما أن التعميد البسيط تحول إلى تعميد شديد التعقيد.

وفي هذه الطقوس نرى ذكرى موت الإله، والإيقان بفعالية الموت الإلهي في إنقاذ المؤمن، ملازمين للفكرة الأساسية التي تقول: بالمشاركة في الذات الإلهية بتشرب الإله (بأكل لحمه وشرب دمه). لذلك كان لا بد لفكرة التضحية من أن ترتبط بها وتدخل في مراسمها، كان لا بد لها من هذا لأن جميع ديانات البيئة التي تكونت فيها المسيحية (خارج فلسطين) تأخذ بمبدأ التضحية الإلهية، ومن العسير القضاء على مفهوم بلغ مثل هذا المبلغ من الانتشار بين الناس. وكان لا بد من هذا لأن فكرة التجدد الصوفي لموت الإله فكرة قد تغلغلت بأشكالها العديدة في عبادات الغالبية من آلهة الخلاص. **ولقد قيل: إن القربان المسيحي بحيث يأكل المؤمن جسد يسوع ويشرب دمه حتى يتم الاتحاد بين العبد والرب، إنما هو قطعة من الوثنية أدخلت في الدين المسيحي... والواقع أنها قطعة من وثنية الأسرار المقدسة بكاملها.**

ولم يتطور القربان نحو هذه المعاني إلا أن عقيدتين أخذتا بلبِّ المسيحيين وتغلغلتا في ضميرهم:

الأولى: تقول: بأن السيد (ابن الله) موجود حقيقة في وسط الاجتماع القرباني، وعلى اتصال مباشر ومشاركة فعلية بعباده.

والثانية: هي ذلك المفهوم الذي نسميه (التحول) والذي يعني تحول الخبز والخمر بفضل طقوس التقديس إلى لحم ودم يسوع حقيقة، بحيث يصبح تناول الخبز والخمر المقدسين تجسداً مادياً وروحياً معاً للإله في المؤمن، بالصورة التي أشار إليها هو نفسه باعتبارها الصورة الصالحة لإتمام السر.

وقد بدأ بولس هذه العقيدة، وتطورت طقوسها في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. أما التوبة وطقوس الغفران فلم تظهر إلا متأخرة حيث يقوم المؤمن بالتقدم إلى الكاهن ويعترف له بذنوبه فيطهّره من هذه الذنوب، مقابل صدقات يتقدم بها المؤمن للكنيسة، وطقوس عبادية يقوم بها.

وأخذت طقوس الغفران في التعقد شيئاً فشيئاً بسبب الأهمية التي أضيفت إليها في الحياة المسيحية بالنسبة للمؤمن. وأصبح من المحتم على التائب من الذنب أن يتلقى من جديد ذلك الفيض المنجّي على يد الكاهن.

ومنذ نهاية القرن الثاني برزت طقوس الغفران، وأصبحت أمراً لازماً في نظر المسيحيين، ولكنها أخذت في التعقيد بعد ذلك. وبما أن المسيح قد أعطى بطرس سلطة الحل والعقد في الأرض وفي السماء، فإن خلفاء بطرس في كنيسته قد أعطوا أيضاً ذلك الحق، باعتبارهم ممثلين له. وبمرور الزمن ظهرت طقوس التثبيت في الدين والتنصيب في الوظيفة الكنيسية، والمسحة الأخيرة بالزيت المقدس للموتى، وطقوس الزواج.

قضية الصلب

الشك في قضية الصلب:

قال تعالى عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٥ ـ ١٥٨].

والمسلمون جميعاً على أنه لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه. وغالبية المفسِّرين على أنه رُفع بجسده وروحه إلى السماء، وسيعود ثانية إلى الأرض ليحكم بشريعة الإسلام، حكماً عدلاً. وهناك أقوال ضعيفة: إن الله توفاه، بمعنى أنه عاش ثم مات ثم رفعت روحه.

وقد أنكر إنجيل برنابا كما أسلفنا قضية الصلب وقال: إن الشبه أُلقيَ على يهوذا الإسخريوطي نفسه الذي خان يسوع وأراد أن يسلمه. وقد جاء في إنجيل يوحنا أن الجنود وغيرهم غُشي عليهم عندما دخلوا ليقبضوا على يسوع. (وفي تلك اللحظات التي غُشي عليهم فيها رفع يسوع وأُلقيَ الشبه على يهوذا أو غيره، فقبض عليه وصلب).

وقد أشار (أدولف هرنك)[١] في كتابه (تاريخ العقائد) إلى حقيقة خُلُوّ بعض الرسائل الهامة من ذكر الصلب والفداء، وكذا يوسيفوس المؤرِّخ مع قرب زمنه من زمن المسيح. وجاء في إنجيل مرقس أن التلاميذ هربوا «فتركه الجميع وهربوا»، ولم يحضروا عملية الصلب ذاتها. ولهذا فإن قضية الصلب كانت محل

---

(١) (Adolf Harnack: History of Dogma, London, 1961). نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب: المسيح في المصادر المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٨م.

شك عند بعض الكتّاب والباحثين من النصارى أنفسهم، فضلاً عن غيرهم. ومن هؤلاء الباحث والعالم النصراني إدوارد سيوس أحد أعضاء الإنسيتودي فرانس في كتابه (عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية)(1). وقد جاء في كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة)(2) (Holy Blood and Holy Grail): «كان باسيليس Basilides الإسكندراني والباحث المسيحي المتقدم أحد الذين اتهمتهم الكنيسة فيما بعد بالهرطقة، وحاربت كتبهم وأقوالهم. وكان باسيليدس يهودياً تَنَصَّرَ، وهو على علم بالتوراة وأسفار الأنبياء، والكتابات المسيحية، وعدد كبير من الأناجيل الموجودة في عصره، مع ثقافة يونانية ـ مصرية فلسفية عميقة حيث إن الإسكندرية كانت تمثل عاصمة العلم في الدنيا آنذاك، وكتب باسيليدس أكثر من ٢٤ تعليقاً وشروحاً على الأناجيل، ولكن المطران إرانيوس Irenacus (مطران وأسقف الإسكندرية) اتهمه بالهرطقة لأن باسيليدس ينفي قضية صلب المسيح جملة وتفصيلاً. ويقول: إن يسوع المسيح لم يصلب وإن الذي صلب بدلاً عنه شمعون (سمعان) القيرواني Simon of Cyrene الذي حمل الصليب عن يسوع، وإنه هو الذي ألقي عليه الشبه. وقد احتوت مخطوطات نجع حمادي (صعيد مصر) (التي اكتشفت في ديسمبر ١٩٤٥م، حيث وجد أحد الفلاحين ١٣ مدونة في جرة من الفخار، والتي ثبت بعد دراستها أنها إنجيل توما المشهور والمفقود Gospel of Thomas) على فقرات كثيرة تصرّح بأن يسوع المسيح لم يصلب، وإنما صلب بدلاً عنه الذي شُبِّه لهم، وإليك نص ما جاء فيها على لسان يسوع: «إنني لم أهلك حسبما خططوا ودبروا. ولم أمت في الحقيقة (على الصليب) تلك الميتة المشينة والمخزية، ولكن الخزي والعار لحقهم. لقد سمروا على الخشبة رَجُلَهم (لعله يقصد يهوذا الإسخريوطي الذي خانه بثلاثين من الفضة) في ضلالهم وعماهم، حتى الموت. ولم أشرب أنا من المرارة والخل (وهي التي قُدِّمت للمصلوب عندما كان عطشاناً وطلب منهم الماء كما

(١) مجلة الأزهر مقال: حقيقة المسيح ودعوته، عدد رجب، ١٤٠٠هـ، ج٧ السنة ٥٧م، نقلاً عن بسمة جستنيه (تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ) دار القلم دمشق، سنة ٢٠٠٠م، ص٦٤.

(٢) (The Holy Blood and the Holy Grail by M. Baig ent, R. Leigh and H. Lincolin, Arrow Books, London. 1996 (The No.1 Bestseller) P402, 403).

ورد في الأناجيل)، بل شربهما أبوهم. ولم أكن أنا الذي ضُربت بالقصبة بل كان المصلوب الذي شُبِّه لهم. وكان شمعون (سمعان) هو الذي حمل الصليب. كما كان الذي لبس تاج الشوك شخصاً غيري... وكنت أراهم وأضحك من جهلهم»[١]. ويقول بعض النصارى أيضاً: إن الذي ألقي عليه الشبه شمعون القيرواني، وهو الذي أمر بحمل الصليب... كما ذكر آخرون أن بعض أنصار المسيح تطوع بأن يُلقى عليه الشبه عندما سألهم عيسى ذلك. فألقي عليه الشبه وارتفع يسوع... وهكذا يتبين تماماً ما قاله رب العزة والجلال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧]. وممن ذكر ذلك آرنست بونسن في كتابه (الإسلام: أي النصرانية الحقة)[٢]. وقد اشتهر في العصر الحديث إنجيل برنابا وفيه أن الذي صُلب هو يهوذا الإسخريوطي الذي وقع عليه الشبه[٣].

وتكونت بعد رفع يسوع ﷺ جماعة أورشليم بقيادة يعقوب العدل (أخو المسيح من أمه حسب قولهم)، ولاقت هذه الجماعة المكونة من الحواريين والسبعين نجاحاً كبيراً في اجتذاب أعداد من اليهود في القدس وما حولها، واليهود الذين يأتون للحج إلى أورشليم من كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية (اليهود الهلينستيون أي المتأثرون بالثقافة اليونانية) كما دخل في الدين الجديد مجموعة من السامريين.

ولكن الانحرافات بدأت ببولس وتعاليمه، التي نادت أولاً بترك الشريعة وتعاليميها، وخاصة بالنسبة للوثنيين الذين يدخلون في النصرانية. ورفع عنهم بولس الختان والمحرّمات مثل الخنزير وسائر النجاسات، حتى بلغ به الأمر أن أباح لهم المخنوق والدم وما ذُبح على النصُب، وما أُهِلَّ به لغير الله. وهي كلها محرمة تحريماً شديداً في كتب الشريعة والأنبياء. وكان اليهود المتنصّرون يتمسكون بها تمسكاً تاماً. ثم قام بولس بإيجاد عقيدة الفداء، وأن يسوع صُلب من أجلنا حتى يتحمل عنّا الخطيئة واللعنة، فصار هو الخطيئة واللعنة بسبب حُبِّه لنا. وأوجد قصة الإله الذي ينزل من السماء ليتعذب ويصلب ويموت ثم يقوم،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ لجستنية).

(٣) انظر فصل خلافات بولس مع الحواريين.

ليتوافق مع عقائد الوثنيين التي أسلفنا القول فيها[1]. وواجه بولس نقداً شديداً من جماعة أورشليم، فأعلن في رسائله أنه لا يهتم بهم كثيراً لأنه رسول الأمم، ولأنه أفضل منهم، ولأنه يتلقى الوحي مباشرة من يسوع الرب الممجد حسب زعمه.

---

(١) انظر: الباب الخامس: بولس، والباب السادس: التأثيرات الوثنية في المسيحية.

الاضطهاد الديني للمسيحية

بداية الاضطهاد:

ولما كثر أنصار جماعة أورشليم في فلسطين توجس الرومان منهم خيفة، وخاصة أن الصادوقيين والفريسيين كانوا يكرهونهم ويحاربونهم ويخوّفون الدولة من نشاطهم.

وتزعَّم الملك أغريباس (حفيد هيرودوس الكبير)، والذي حكم فلسطين من عام ٤١م إلى ٤٤م الحملة ضد المتنصرين، وقتل يعقوب الزبدي (أحد التلاميذ) بحدِّ السيف سنة ٤٤م (أعمال الرسل ١٢/١ ـ ٢). وسجن مجموعة منهم بما فيهم بطرس. وأدى ذلك الاضطهاد إلى خروج عدد من اليهود من فلسطين إلى فينيقية (جنوب لبنان)، وقبرص، وأنطاكية، وانتشار الدعوة هناك. ولكن ذلك أدى إلى اختلاطهم بالأمم، وبالتالي ساعد أيضاً على انحراف مسار العقيدة.

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تتوجَّس من هذه المجموعات التي بدأت تنشر هذا الدين الجديد. وقد قامت الإمبراطورية الرومانية على مبدأ الاعتراف بعبادة الإمبراطور. وبما أن النصارى كانوا يرفضون هذه العبادة، ولا يقدمون القرابين للإمبراطور ولا إلى الآلهة، فإنهم أصبحوا في نظر الدولة أعداء خطيرين لها. بل إن الطبقات المختلفة رأت في هؤلاء النصارى خطراً عليها، فالطبقات العليا في المجتمع اعتبرت أن دعوة النصرانية إلى المساواة والأخذ بيد الفقراء والمضطهدين تشكل خطراً عليها. ورأى رجال الدولة أن النظام المبني على احترام الآلهة وعبادتها، وعبادة الإمبراطور وسيادة القوانين، أصبح مهدداً بهذه التعاليم النصرانية التي ترفض الخضوع للآلهة وتمنع عبادة الإمبراطور أو تقديم قرابين له، كما أن الطبقات الشعبية رأت في سلوك النصارى واجتماعاتهم الخاصة وانعزالهم عن المجتمع تهديداً لكياناتها وأديانها وأساطيرها.

لهذا كله اعتبرت الدولة الرومانية النصارى فئة هدامة تعمل على تقويض أمن المجتمع وسلامته، وتهدد الدولة في صميم أمنها رغم أن النصارى لم يعلنوا يوماً

ما أنهم ضد الدولة أو ضد الإمبراطور، ولم يرفعوا قط سلاحاً ضدها، ولا هددوا أمن المجتمع. ولكن التاريخ يشهد دوماً إلى اليوم أن السلطات المتجبرة والتي تخشى على نفوذها وسيطرتها من قيام دعوات تساوي بين الناس، وتدعو إلى المحبة، وترفض الخضوع لغير الله، يشهد التاريخ أن هذه المجتمعات المتجبرة كانت ولا تزال تفتري التهم والأباطيل وتلصقها بالجماعات المؤمنة. . . وتتهمهم بالإرهاب والدموية والديماجوجية والأصولية. . . إلخ.

وقد كان الاضطهاد على فترات، كما كان محلياً في أول الأمر، إذ إن الحاكم المحلي هو الذي يقرر مدى خطورة هذه المجموعة، وبالتالي يقرر نوع العقوبات والاضطهادات المناسبة. وأول اضطهاد كان في عهد يسوع المسيح حيث انتهى ـ بزعمهم ـ بصلب يسوع، ولكن ذلك الأمر كان أساساً من مجلس السنهدرين اليهودي ورئيس الأحبار قيافا، وتردد بيلاطس الحاكم النبطي من قبل الرومان في تنفيذ الحكم لأنه لم يكن يرى ثبوت التهمة على يسوع وقال: أنا بريء من دم هذا البار، فقال اليهود: دمه علينا وعلى أولادنا. فأعطاهم إياه، وأمر بصلبه حسب قرارات مجمعهم اليهودي المسمّى بالسنهدرين. . . وتوالى الاضطهاد من اليهود أساساً، ومن الملك أغريباس الذي يقال: إنه تَهوَّد. فكان الاضطهاد بذلك يهودياً ومحلياً.

اشتداد الاضطهاد في عهد نيرون الطاغية:

ولكن أوّل اضطهاد عام كان في عهد الإمبراطور نيرون الطاغية(١). وقد بدأ

(١) نيرون (٣٧ ـ ٦٨ ميلادية): إمبراطور روماني حكم روما من عام ٥٤م إلى حين وفاته عام ٦٨م. اشتهر عهده بالطغيان وحريق روما المشهور الذي دبّره حتى يتهم النصارى، وكسب بذلك شعبية كبيرة، باعتباره المنقذ لروما من الإرهابيين النصارى. كان والده من النبلاء ووالدته هي أجربينا الصغرى حفيدة الإمبراطور أغسطس. مات والد نيرون عندما كان نيرون طفلاً، وتزوجت أمه من الإمبراطور كلوديوس عام ٤٩م، وقد تبنّى كلوديوس، نيرون. وفي عام ٥٣م تزوج نيرون من أوكتافيا ابنة كلوديوس من زواج آخر.

وفي عام ٥٤م يقال: إن والدة نيرون دسّت السم لزوجها فمات، وتولى العرش بعده ابنها. وكان لنيرون مستشاران أحدهما سنيكا الكاتب والفيلسوف المشهور، والآخر ضابط عسكري يدعى بوروس. وفي عام ٥٩م تخلص نيرون من المستشارين وعمره آنذاك ٢٢ عاماً وحكم حكماً استبدادياً أرعب المعارضين، واستتبّ الأمن في أرجاء الإمبراطورية بحكومة تحكم بالحديد والنار (الموسوعة العربية العالمية، ٢٥/ ٦٢٢).

نيرون حملاته على النصارى عام ٦٤م، وقتل العديد منهم بعد أن انتشرت الدعوة في أرجاء الإمبراطورية، وظهر إصرار النصارى على عدم تقديم القرابين لصور الإمبراطور ورفضهم عبادة الأوثان، وكان نيرون يُلقي بالنصارى إلى الوحوش الجائعة المفترسة، وكان يتفنَّن في تعذيبهم: فتارةً يصلبهم، وتارة يضعهم في جلود حيوانات ويترك كلاب الصيد الجائعة تنهشهم، وتارة يُلْبسهم ثياباً مطليّة بالقار ويجعلهم مشاعل بشرية...

وأدّت الاضطهادات إلى ارتداد المئات وتقديم القرابين للإمبراطور وللآلهة الوثنيّة... كما أدَّت في نفس الوقت إلى تعاطف بعض الجماهير مع هؤلاء المساكين المعذّبين، فتفتق ذهن الطاغية نيرون عن خطّة جهنمية، فأحرق روما وكان يقهقه في قصره وهو يرى الحريق يلتهم أهمّ عواصم الدنيا في عصره، وأشاع لدى الناس أن النصارى هم الذين قاموا بهذه الجريمة النكراء.

صورة مماثلة إلى حدٍّ كبير لما جرى في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، تدبير ماكر لقتل عدد كبير من المدنيّين الآمنين بصورة مروعة تحدث صدمة كبيرة لدى الناس، ثم تُلقى التهمة على الأعداء الإرهابيين المجرمين... فإذا ظهرت بعض الأصوات الخافتة تُنكر ذلك، فسرعان ما يتمّ إخمادها وإسكاتها... اكذب ثم اكذب ثم إذا بدأ الأمر ينكشف ازدَدْ كذباً، كما قال جوبلز وزير الإعلام في عهد هتلر... وهي هي سياسة واحدة منذ عهد نيرون الطاغية إلى عهد بوش الصغير. الكذب دَيْدنهم... وعلى الكذب عاشوا وعليه يموتون... وأبو الكذب يدعون كما قال عنهم يسوع المسيح ﷺ.

وأدّى حريق روما إلى هياج الجماهير والعامَّة، وإلى زيادة الاضطهاد لهؤلاء النصارى القتلة السفّاكين الإرهابيين المجرمين، حسب تعبيرات الإعلام الإمبراطوري الروماني الذي يشبه تماماً الإعلام الإمبراطوري الأمريكي اليوم.

وتمّ قتل الآلاف من المتنصّرين بأبشع الوسائل، وأقاموا لهم عشرات السجون المماثلة لجوانتانامو المرعبة، وتمّ إعدام أساقفة التطهير والختان في أورشليم حيث تمّ إعدام يعقوب العادل رئيس الجماعة في القدس، وبعده شمعون ابن عمه ثم بعده بطرس ومتياس وتوما ويهوذا (غير يهوذا الإسخريوطي قطعاً)، كما تمّ إعدام مرقس وبولس، ولم يفرّق الرومان بين اليهود المتنصّرين والوثنيّين المتنصّرين، كما لم يفرّقوا بين أتباع يعقوب العادل والحواريّين

وجماعة الأبيونيين والآسينيين وأتباع بولس من الأُمم الوثنية التي تَنَصَّرت.

اضطهاد عام للنصارى واليهود وهدم الهيكل عام ٧٠م بواسطة تيطس:

بل إن الرومان لم يفرّقوا حتى بين اليهود المتنصّرين واليهود غير المتنصّرين، فأدَّى ذلك إلى اضطهاد اليهود، والطلب منهم أن يقدّموا القرابين للإمبراطور وللآلهة الوثنية، وهو أمر قد أعفتهم منه الإمبراطورية الرومانية في السابق... ولكن بما أن الأمر قد جاء لليهود المتنصّرين ولكل رعايا الإمبراطورية وهم الرعايا فكان عليهم أن يقدموا القرابين للامبراطور والآلهة أسوة ببقية الرعايا فثار اليهود آنذاك، وبالذات قامت مجموعات إرهابية منهم باغتيال الرموز الرومانية، وقد أُطلق على هؤلاء اسم القنّائيين، أو السفَّاحين، أو السقَّارين، وكلمة قنّاء العبرية تعني الغيور، والمقصود بذلك صاحب الغيرة، أو الحميّة الدينية. وتشبه هذه الفرقة في عقائدها الفريسيّين إلا أنهم كانوا يتّهمون الفريسيين بالجبن والخيانة لأنهم رضوا بحكم الرومان، وتعاونوا معهم، وكانوا هم يرون: أنه لا ينبغي لوثني أن يحكم يهودياً. وقد اغتالوا مجموعة من الرموز الرومانية، ومن تعاون معهم من اليهود وخاصة الصادوقيّين. وقامت الدولة الرومانية بإعدام هؤلاء الإرهابيّين والقَتَلة (سيقارين) والخارجين على القانون (بريوناي) أي المتمردين.

وقد مدح المؤرِّخ اليهودي الإسكندري يوسيفوس هذه الجماعة، وأطلق عليها صفات البطولة والجهاد، ونفى عنها التُّهم، واعتبر مواقفها ثورة في سبيل الدين وإقامة أمره على عكس الفئات اليهودية الأخرى التي رأت فيها جماعة يهودية إرهابية ستؤدّي إلى قتل اليهود وتشريدهم وهدم الهيكل.

وهذا بالفعل ما قام به تيطس الروماني الذي دخل أورشليم وهدمها، وهدَّم الهيكل وذلك سنة ٧٠ ميلادية، وقضى على ثورة يهوذا الجليلي وابنه مناحم بن يهوذا، وتحقّقت نبوءة يسوع بقوله عن الهيكل: لا يبقى حجر على حجر (في بناء الهيكل)... وكان يسوع قد حذّر من خراب أورشليم وخراب الهيكل وطلب من أتباعه أن يبتعدوا عن أورشليم إذا ظهرت الفتن. وبالفعل كان كثير من اليهود المتنصّرين قد ابتعدوا عن أورشليم، ومنهم من ذهب إلى بادية الأردن بالقرب من أريحا (جماعة الآسيّين)، ومنهم من انتقل إلى السامرة، ومنهم من خرج إلى فينيقية (جنوب لبنان).

وكان عدد القتلى من اليهود عام ٦٦م، ثلاثة آلاف قتلهم الحاكم جيسيوس قلوروس، ولما حدثت الثورة العامة وأخضعها تيطس عام ٧٠م كان القتلى بعشرات الآلاف، وربما وصل إلى أكثر من مئة ألف. وتمّ تدمير الهيكل وأورشليم تدميراً تامّاً. ولم يكن هناك تفريق بين يهودي متنصّر ويهودي غير متنصّر بالنسبة للرومان، فالجميع يرفضون أن يقدّموا القرابين للإمبراطور وللآلهة الوثنية، والجميع في نظر الدولة إرهابيّون ومثيرون للفتن ومخرّبون. . .

الفترة المجهولة (٧٠م ـ ١٣٥م) وظهور الأناجيل:

وتعتبر الفترة ما بين سنة ٧٠م (تخريب الهيكل وأورشليم) وسنة ١٣٥م (الحملة الثانية على أورشليم وتدميرها مرة أخرى بعد أن أُعيد بناؤها، وذلك في عهد الإمبراطور أدريان) فترة شبه مجهولة.

يقول حبيب سعيد في كتابه (تاريخ الكنيسة)[١] عن هذه الفترة: «من اليسير جمع نتف من هنا وهناك عن هذه الفترة إلّا أن الأربعين سنة من ٧٠م إلى ١١٠م تبقى أكثر فترات التاريخ غموضاً وإبهاماً؛ لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير في الكنيسة نفسها، وفيها برز كثير من دعاة المسيحية المجهولين من بعد بولس، وظهرت كثير من الأفكار التي حملها المتنصّرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية، وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية مثل: الأسرار، والصوم، وأشكال العبادة، ودستور الكنيسة نفسه خضع لبعض التعديلات».

وفي هذه الفترة الهامّة ظهرت الأناجيل وسِفر أعمال الرسل، كما تمّ تجمُّع رسائل بولس والرسائل المنسوبة إلى بطرس. ولكن نهاية الحواريّين وبولس كلها غامضة، وإن كانت المصادر تشير إلى أن معظمهم قُتِلوا أو صُلِبوا.

وأخذت الكنائس خارج فلسطين تمتلىء باليونان والرومان المتنصّرين، وأصبح لها طابع روماني ـ يوناني بعيداً عن الدين اليهودي.

اضطهاد دومتيانوس وتراجان:

وفي هذه الفترة ظهر الإمبراطور دومتيانوس وازداد اضطهاد النصارى بعد أن بلغه أن النصارى يرغبون في السيطرة على العالم حيث يعتقدون أن المخلص

---

(١) حبيب سعد: «تاريخ الكنيسة»، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة ١/ ٤٧.

يسوع الربّ سيأتي قريباً ويقيم مملكة، ويدين الكفرة ومضطهدي النصارى، فأمعن من أجل ذلك في الانتقام منهم، وتشتيتهم وقتلهم[1]، وممّن قتل في هذه الفترة تيموثاوس سنة ٩٧م في أفسس (في تركيا حالياً)، ويوحنا الإنجيلي (أي كاتب الإنجيل المنسوب إليه). وقُتِلَ عددٌ من أساقفة أزمير وأثينا وليون وقرطاجة والإسكندرية[2].

وفي عهد الإمبراطور تراجان (٩٧م ـ ١١٧م) ازداد الاضطهاد، وأصدر أوامره إلى ولاته بأن يقضوا على النصرانية، ويمنعوا الاجتماعات التي كانوا يقيمونها لأداء الشعائر والصلوات. واستخدم هذا الإمبراطور الملعب الروماني حيث كان يلقيهم إلى الوحوش الجائعة، والجماهير تصفّق وتتفرّج. وممن قتلوا بهذه الطريقة البشعة كردونوس البطريرك القبطي، وأغناطيوس أسقف أنطاكية وكثيرون غيرهم[3].

ومع ذلك فقد كان بعض الولاة يرون أن هؤلاء النصارى لا يشكّلون خطراً حقيقيّاً على الإمبراطورية. يقول بلين الذي كان والياً على آسيا (الصغرى) أي تركيا اليوم في خطابه إلى الإمبراطور تراجان: «جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة التالية: وهو أني أسألهم إذا ما كانوا مسيحيّين، فإذا أقرّوا أعيد عليهم السؤال مهدّداً بالقتل، فإن أصرّوا نفذت عقوبة الإعدام فيهم، مقتنعاً بأن غلطهم الشنيع وعنادهم الشديد، يستحقّان، هذه العقوبة... وقد وجهت التهمة إلى كثيرين فأنكروا أنهم نصارى، وكرّروا الصلاة على الأرباب الذين ذُكرت أسماؤهم أمامهم، وقدَّموا الخمور والبخور لتمثالٍ أتيتُ به عمداً، مع تماثيل الأرباب، بل إنهم شتموا يسوع المسيح. ويقال: إن من الصعب إكراه النصارى الحقيقيّين. ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى، ولكنهم كانوا يثبتون أن جريمتهم هي أنهم اجتمعوا في بعض الأيام قبل طلوع الشمس على عبادة يسوع المسيح على أنه ربّ، وعلى إنشاد الأناشيد إكراماً له، وتعاهدوا بينهم لا على

(١) Arnold Toynbee: The Crucible of Christianity, PP. 277، (بوتقة امتحان النصرانية) لأرنولد توينبي.

(٢) بسمة جستنيه: «تحريف رسالة المسيح»، ص ٩١ ـ ٩٣، وهي تنقل عن تحفة الأريب، ومختصر تاريخ المسيحية، وتاريخ أوروسيوس.

(٣) المصدر السابق، ص ٩١ ـ ٩٣.

ارتكاب جرم، بل على ألا يسرقوا، ولا يقتلوا، ولا يزنوا، وأن يوفوا بعهودهم. ورأيت من الضروري لمعرفة الحقيقة أن أعذب امرأتين ذكرتا أنهم خادمتا الكنيسة، بيد أني لم أقف على شيء سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها»[1]. (أي قصة تجسّد الإله في يسوع).

هدريان يهدم أورشليم ويحولها إلى مدينة رومانية (إليا كابيتولينا) سنة ١٣٥م:

خفَّ الاضطهاد بعد موت تراجان قليلاً حتى جاء عهد هدريان الذي هدَّم أورشليم والهيكل مرة أخرى بعد أن سمح الأباطرة الذين قبله بإعادة بنائها. ولكن ثورات اليهود المتكرّرة أدَّت إلى غضب الإمبراطور بحيث أنهى وجود هذه المدينة العاصية ودمَّر هيكلها، وبنى بدلاً عنه هيكلاً للإله جوبيتير (كبير الآلهة عند الرومان، وهو يوازي زيوس كبير الآلهة عند اليونان وهو النجم زحل)، كما بنى أورشليم على النمط الروماني وسمّاها إيليا كابيتولينا، واختفت الجماعة اليهودية النصرانية بعد تدمير القدس للمرة الأخيرة وتدمير هيكلها ولم يعد لها أيّ نفوذ، وظهرت بدلاً عنها كنائس أنطاكية وأفسس والإسكندرية وروميه... إلخ.

وفي عام ١٦٢م عاد الاضطهاد ضدّ النصارى على يد الإمبراطور ماركوس أوريليوس، واستمرّ ذلك مدة عشرين عاماً، ثم خفّ الضغط والاضطهاد. وفي عام ٢٠٢م صدر مرسوم يمنع الدعوة إلى النصرانية أو اليهودية، وتشتّتت مدرسة الإسكندرية وجرت إعدامات كبيرة في قرطاجة وغيرها من المدن. واشتدّ الاضطهاد عام ٢٠٣م عندما تولّى سانيروس الإمبراطورية، ولكن الكنيسة عاشت فترة سلام نسبي في أواخر عهده، ما لبث أن زال بتولّي كاراكلا سنة ٢١١م مقاليد الأمور.

عهد مكسيمانوس ودقلديانوس وزيادة الاضطهاد في مصر:

وفي عهد مكسيمانوس تجدّد الاضطهاد وخاصة في مصر، وذلك منذ عام ٢٣٥م حيث بدأ المصريون في الثورة على الحكم الروماني برمّته، واتُّهم النصارى بأنهم كانوا وراء هذه القلاقل، فتمّ قتل وإبادة الكثيرين منهم. وزاد البلاء في عهد

---

(١) كتاب «تاريخ الحضارة»، نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ٣٠، ٣١.

ديسيون (ديسيوس) (٢٤٩م ـ ٢٥١م)، وبصورة أكبر في عهد دقلديانوس (٢٨٠م وما بعدها). ففي عهده ثارت مصر مرة أخرى ضدّ الرومان، فجاء بجيشٍ كثيف عام ٢٨٤م وأعاد فتحها وإخضاعها، وقد استشهد في عهده عدد كبير من الأقباط تجاوز مئة وأربعين ألفاً (وأوصلهم بعض المؤرِّخين إلى ثلاثمئة ألف) وتمّ هدم الكنائس والبِيَع، وقُتِل عدد كبير من القسس، وسُجِنَ الآخرون واضطر كثير من هؤلاء إلى الارتداد عن المسيحية، وإعلان عبادتهم للإمبراطور والآلهة[1]. وقد قيل: إن الذين قتلوا في عهد دقلديانوس الذي استمرّ عشرين عاماً في طول الإمبراطورية وعرضها مليون شخص... ولذا سُمِّيَ عصره عصر الشهداء[2].

انتهاء عصر الاضطهاد:

تولّى فاليريوس في الشرق الحكم سنة ٣٠٤م وكان صهر دقلديانوس، وبدأ يضطهد النصارى حتى عام ٣٠٨م. وقد انقسمت الإمبراطورية الرومانية، وكان يحكمها أربعة حكّام كل واحد منهم يلقّب نفسه بالإمبراطور، وهم: فاليريوس، ولوقيانوس، ومكسيمان، وقسطنطين... وانتشرت النصرانية بشكل كبير جدّاً في أيامهم مما اضطرهم إلى محاولة كسب ودّ النصارى بالسماح بممارسة شعائرهم، وذلك منذ عام ٣١١م.

عهد قسطنطين الأكبر والمسيحية:

وقد عمل قسطنطين (٢٧٥م ـ ٣٣٧م) الذي تولّى الحكم سنة ٣٠٦م بدهاء ومكر حتى يتخلّص من الأباطرة الثلاثة ويوحّد الإمبراطورية مرة أخرى تحت حكمه. واتّفق قسطنطين مع فاليرويوس لسينيوس Valarius Licinius، وزوَّجَهُ أخته قسطنطية Constantia، وارتبط معه في حلف في ميلانو للقضاء على منافسه في الجزء الغربي ماكسيمان (ماكسنتيوس Maxentius)، وبالفعل تمَّ له ذلك. وأصدر فاليريوس وقسطنطين مرسوماً بالبراءة سنة ٣١٣م، يعلن حرية المعتقد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وذلك ليكسبا النصارى إلى صفّهما.

وما أن تمّ لقسطنطين التخلّص من ماكسيمان (ماكسنيتوس) حتى عاد

---

(١) محمد أبو زهرة: في «محاضرات في النصرانية»، ص ٣١، ٣٢.

(٢) قصة الحضارة لديورانت (١١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠، و«تاريخ المسيحية» (١/ ١١٢.

وحارب صهره فاليريوس وقضى عليه. واستطاع قسطنطين أن يقضي على الأباطرة الثلاثة الذين كانوا يقتسمون معه عرش الإمبراطورية الرومانية الباذخة.

وكان قسطنطين وثنياً يعبد الشمس، ومع ذلك كان يعتبر نفسه موحّداً، مكرراً مقولة الفرعون المصري أمنحوتب الثالث المشهور باسم أخناتون عابد الشمس، والذي يعتبره المصريون المحدثون من الكتاب أول موحد عرفته البشرية (وهو خطأ قطعاً، لأن أول الموحدين آدم ثم أبناؤه من بعده واستمرّ ذلك زمناً طويلاً ثم ظهر إدريس المعروف باسم أخنوخ، ثم نوح وهكذا إلى سلسلة الأنبياء والرسل المطهّرين الذين نادوا بالتوحيد قبل أخناتون عابد الشمس الذي تزوّج أخته). وكانت عبادة ميثرا (الشمس) منتشرة في أرجاء الإمبراطورية وخاصة القسم الشرقي منها. ووحّدوا الآلهة في عبادة الشمس، وكان قسطنطين يعتبر نفسه رئيس كهنة عبادة الشمس، وسمّى مملكته (إمبراطورية الشمس Sun Emprorship)، وعندما احتاج لدعم النصارى في حروبه أعلن أنه رأى في المنام صليباً كبيراً من نور فتحقّق له النصر بذلك. وبالفعل اتّخذ الصليب شعاراً فاندفع النصارى للمقاتلة في صفه وتصفية أعدائه ومناوئيه، فتحقّق له ما يريد.

يقول كتاب (الدم المقدس والكأس المقدّسة) لمجموعة من الكتاب(١): «إن قضية الإيمان لدى قسطنطين هي باختصار قضية سياسية، وأي إيمان سيدعم وحدة الإمبراطورية المقسّمة سيعامل بكل تأييد. ورغم أن قسطنطين حمل الصليب في حروبه إلا أنه كان يبني كنيسة في ناحية من المدينة، بينما كان ينصب صنماً للشمس، وصنماً آخر للأم الآلهة سيبيل، (Goddess Cybel)، وحتى تكسب الكنيسة ودّه اتّخذت يوم الشمس (Sunday) (الأحد)، يوماً للراحة الأسبوعية بدلاً من السبت وهو يوم زحل (Saturn day)، وكان بعضهم يعظم يوم القمر الاثنين (Moon day) فاتّخذ قسطنطين يوم الأحد (أي يوم الشمس) العطلة الأسبوعية وتبعته في ذلك الكنيسة. واتّخذت الكنيسة أيضاً من يوم ولادة الشمس (يوم التحول عن الشتاء بالجزء الشمالي من الكرة الأرضية وهو يوم ٢٥ ديسمبر) أو ما يُعرف بالانقلاب الشمسي اتّخذه عيداً للاحتفال بمولد يسوع المسيح، رغم أن

---

(١) The Holy Blood and the Holy Grail by M. Baigent, R. Leigh and H. Lincolin. Arrow Books, U.K., 1996, p. 388.

المسيح لم يولد في ٢٥ ديسمبر. وأكثر الظنّ أنه وُلد في ٦ يناير حسب حسابات الكنيسة، ولكن إرضاءً لقسطنطين عابد الشمس، تحوّل العيد الوطني الذي يحتلفون به وهو عيد الانقلاب الشمسي في ٢٥ ديسمبر إلى عيد للميلاد.

وقد نافقت الكنيسة الإمبراطور قسطنطين حتى زعم بعض رؤسائها أنه المسيا المنتظر والمخلص في آخر الزمان. بل زعم أسقف روما أيسوبيوس Eusebius أن الخالق قد تجسّد في الإمبراطور قسطنطين.

يقول كتاب (إرث المسيانية) لنفس مؤلفي كتاب (الدم المقدس والكأس المقدسة)[١]: «إن بابا روما أُيسوبيوس قال عن قسطنطين: إنه الإمبراطور المتّقي الذي منذ بداية الزمان تجسّد فيه الإله الحاكم على الكون نفسه، وأعطاه القوة لتطهير الحياة الإنسانية». ويقول المؤلفون نقلاً عن المفسر (كي) Kee: «منذ بدء الخليقة قسطنطين وحده هو الذي أُعطي القدرة على الخلاص والإنقاذ». وأصبح بذلك قسطنطين المنقذ الوحيد للعالم ليحلّ محل يسوع المسيح أو يكون معه في مرتبته!. وقال يسبوس (أوزيبوس): «كما أن الله للكون كذلك الإمبراطور للدولة، فالكلمة الإلٰهية تستوطن الإمبراطور معلمة إياه الفضائل، ليصبح الراعي الصالح لشعبه وينقذهم من الخطيئة». والملك نوع من الإلٰه المتجسّد الذي يمثل الصلة بين الأرض والسماء[٢]، ويقول والتر نيج (Walter Nnigg) في كتابه (الهراطقة) (The Heretics): «تعامل قسطنطين مع القضية الدينية فقط من زاوية سياسية، وضمن الحصول على الإجماع (في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م) عن طريق طرد كل القساوسة الذين توقع عدم توقيعهم على الإعلان الإيماني الجديد. وتمّ له بهذه الطريقة الحصول على الوحدة التي أرادها. إنه شيء لم يسمع به من قبل ولا من بعد أن يحدّد الإمبراطور عقيدة شاملة كونية. وكان هذا الإمبراطور في ذلك الوقت لم يتعمّد بعد، أي لم يصبح نصرانياً بعد، فكيف يمكن أن يتحكّم شخص

---

(١) The Messianic Legacy by M. Baigent, R. Leigh and H. Lincolin.
نقلاً عن «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ» للدكتور نصر الله أبو طالب، ٢٠٠٢م، الناشر المؤلف، ص ٦٢) وما بعدها.

(٢) دون كيوبت Don Cupitt فصل: مسيح البلاد المسيحية The Christ of Christendom، من كتاب أسطورة تجسّد الإلٰه The Mythe of God Incarnate، تحرير جون هيك، SCM Press، لندن، ١٩٧٧م، ص ١٣٣ ـ ١٤٧.

غير نصراني في تأسيس عقيدة النصارى التي تقرّرت بموجبها العقيدة المسيحية إلى اليوم. وعلى فرض أنه اعتبر مبتدئاً في النصرانية، فإنه لم يكن مؤهلاً أبدًا ليحكم في أسرار قضايا الإيمان. الغريب حقاً هو أنه لم يتفوّه ولا قسيس واحد ولا حتى بكلمة واحدة ضدّ هذا العمل الشنيع».

والعجيب حقاً أن قسطنطين كان يحضر احتفالات عيد الإله الشمس حتى بعد مؤتمر نيقية (سنة ٣٢٥م)، ولم يتعمّد إلا عند احتضاره عام ٣٣٧م، أي بعد ١٢ عاماً على مؤتمر نيقية الذي قرّر العقيدة النصرانية لكل الأجيال القادمة. وفي عام ٣٣٠م قام قسطنطين بإقامة التماثيل لإله الشمس، وتماثيل للأم الآلهة سيبيل (Cybel)، أي بعد خمسة أعوام كاملة من مؤتمر نيقية الذي قرّر العقيدة النصرانية.

وفي عام ٣٢٦م أصدر الإمبراطور قسطنطين أمره بتدمير كل أعمال وكتابات المناهضين لقرارات نيقية. وفي عام ٣٣١م أصدر أمراً بإعادة كتابة الكتاب المقدّس وإلغاء ما عداها من الكتب المسيحية.

وإذا تذكّرنا أن الأباطرة السابقين الذين اضطهدوا المسيحيّين أحرقوا العديد من الأناجيل قبل عهد قسطنطين وجميع ما وجدوه من الكتب النصرانية، فإن هذا أتاح إلى حدٍّ كبير، لأتباع قسطنطين أن يغيّروا ويبدّلوا في الأناجيل، وأصبح ينظر إلى قسطنطين كمنقذ ومخلّص ومسيّا.

وكما نافق أوزيبوس (إيسبوس) الإمبراطور قسطنطين، قام الإمبراطور بردّ الجميل إلى كبير الأساقفة أوزيبوس وجعل له سلطات واسعة، وأقطعه أراضي شاسعة، وأنشأ بذلك النظام البابوي، وجعل للبابا نفوذاً على كلّ المسيحيّين في جميع أرجاء الدولة الواسعة. وبنى له قصر لاتران في روما الذي بقي مقراً للبابا لمدة عشرة قرون كاملة!!.

ولذا يقول كتاب (إرث المسيانية The Messianic Legacy): «**إن من العدل القول: بأن المسيحية التي نعرفها اليوم لم تنبثق من أيام يسوع المسيح، بل من مؤتمر نيقية (٣٢٥م)؛ ولأن مجمع نيقية كان جُلّه من صنع يدي قسطنطين، فإن المسيحية الموجودة منذ عهد قسطنطين إلى اليوم مدينة له بالفضل في وجودها**»[(١)].

---

(١) كما ينقله عنه د. نصر الله أبو طالب في كتابه: «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ»، للناشر المؤلف، ٢٠٠٢م، ص ٢٤ وما بعدها.

ويقول برتون ماك (Burton Mack) في كتابه (الإنجيل المفقود)[١] (The Lost Gospel): **«لقد صُوِّرَ يسوع المسيح منذ عهد قسطنطين كمالك للموت وحاكم للكون، بينما كانت صورته قبل ذلك كمنقذ للشعب وهادٍ للأُمّة إلى الدار الآخرة»**.

وتحوّلت المسيحية من دين مُضْطَهد إلى دين مسموح به أول الأمر ثم إلى الدين الرسمي للدولة بعد أن تمّ التحالف التامّ بين قسطنطين والكنيسة، ووقع الاتّحاد بين الكنيسة والدولة، وتغلّبت المسيحية على الأديان الوثنية في أصقاع الإمبراطورية، وبدأت تضطهدها، كما أن الاضطهادات اشتدَّت بصورة أكبر على المجموعات الموحدة من النصارى الذين لم يقبلوا عقيدة التثليث الممثلة في مجمع نيقية، وخاصة آريوس ومجموعاته، التي اتُّهمت بالهرطقة والمروق من الدين، وإن ظلت تقاوم بأشكال شتّى لفترة غير قصيرة.

وقد جاء في ترجمة قسطنطين في (الموسوعة العربية العالمية)[٢] أنه أول إمبراطور روماني يدخل النصرانية، وأنه أعاد بناء بيزنطة وأسماها القسطنطينية وجعلها عاصمته (وهي اليوم إستانبول)، وبالتالي جعل نفوذ المقاطعات الشرقية كبيراً، وبذلك أرسى أسس الإمبراطورية البيزنطية.

وأعطى قسطنطين الكثير من الهبات للكنيسة النصرانية، وبنى أول كاتدرائية في روما وهي لاتران بازليكا، كما بنى العديد من الكنائس في أنطاكية والقسطنطينية والقدس.

وُلِد قسطنطين في نايسا (نيس حالياً في جنوب فرنسا) عام ٢٧٥م، وكان والده قائد فرقة في الجيش الروماني ثم أصبح إمبراطوراً للمقاطعات الغربية عام ٣٠٥م. وكان قسطنطين مثل والده ضابطاً كبيراً في الجيش، وتدرّب منذ نعومة أظفاره على الحياة العسكرية، وعندما توفي والده عام ٣٠٦م أعلن الجيش قسطنطين خلفاً لوالده. وانقسمت الإمبراطورية فعلياً إلى أربعة أقسام، وكان في القسم الشرقي من الإمبراطورية اثنان هما فاليريوس أليسنيوس (Valarius Licinius) وماكمسين دانا ويدعى أيضًا لوقيانوس (Maxmin Dana). أما القسم الغربي، فكان فيه قسطنطين ومنافسه الخطير ماكسنتيوس (ماكسيمان) (Maxentius)[٣]، فبدأ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ١٨/١٧٩، ١٨٠.

(٣) نصر الله أبو طالب: «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ»، ص ٦٢.

بمنافسه ماكستيوس وتحالف مع فاليريوس وزوّجه أخته، حتى يتمكّن من القضاء على ماكسنتيوس، فلما تمَّ له ذلك قضى على حليفه فاليريوس، كما قضى على ماكسمين دانا المعروف أيضاً باسم لوقيانوس، ودانت له الإمبراطورية بكاملها بعد أن حمل راية الصليب، وقاتل معه النصارى بشراسة، رغم أنه لم يدخل آنذاك في النصرانية، وعمل على توحد الإمبراطورية الشاسعة تحت حكمه.

وفي عام ٣٢٥م عقد مجمع نيقية الذي قرّر العقيدة المسيحية للأجيال القادمة، وحارب الموحدين من النصارى وخاصة آريوس، وأثبت التثليث الذي لا تزال النصرانية تدين به إلى اليوم.

ويقول المؤرّخ المقريزي في كتاب (القول الإبريزي للعلامة المقريزي)[١]: جمع الأستاذ مينا إسكندر (نصراني قبطي، جمع أقوال المقريزي في الخطط عن النصارى وجعلها في كتاب حقّقه عبد المجيد دياب) عن قسطنطين أن أمّه هيلانة (هيلاني) كانت من أهل الرّها وأنها قد تنصّرت (وهو أمر لا دليل عليه ولا تذكره المصادر النصرانية الحديثة)، فلما مرّ بها (قسطس) صاحب شرطة الإمبراطور دقلطيانوس (دقليديانوس الذي اضطهد النصارى) أعجبته فتزوّجها، وحملها معه إلى بيزنطية، مدينته، فولدت له قسطنطين، وكان الغلام جميلاً مثل أمّه.

وأنذر منجمو الإمبراطور دقلديانوس بأن هذا الغلام (قسطنطين) سيملك الروم ويبدل دينهم فأراد الملك قتله؛ ففرَّ قسطس بابنه وزوجته إلى الرّها، فلما مات دقليديانوس اختاره الجيش ليتولّى الأمر بعده. (لا تذكر المصادر النصرانية الحديثة ودوائر المعارف هذه الحكايات). فلما مات قسطس تولّى بعده الأمر (كما أوضحناه من قبل)، ويقول المقريزي: ورأى قسطنطين في المنام من يقول له: احمل هذه العلامة (أي الصليب) تنتصر على عدوّك، فحملها فانتصر على مكسيمانوس وملك روما وتابعه جميع نصارى الإمبراطورية وقاتلوا معه أعداءه، فقرَّبهم إليه وعبدوه وعظّموه. وفي السنة الثانية عشرة من ملكه على روما أمر ببناء الكنائس وكسر الأصنام.

ويقال: إن أمّه هيلانة حجّت إلى بيت المقدس سنة ٣٣٥م، وبنت العديد

---

(١) «القول الإبريزي للعلامة المقريزي» جمع مينا إسكندر، وتحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٢ ـ ٦١.

من الكنائس الهامّة في تاريخ النصرانية وأهمّها كنيسة المهد في بيت لحم التي وُلِد فيها يسوع المسيح، وكنيسة القمامة (القيامة) في أورشليم القدس، التي تعتبر أهم المعالم المسيحية في العالم. وفيها كما يزعمون القبر الذي دُفِن فيه يسوع المسيح وقام منه، (Holy Sepulcher)، وكنيسة الجثمانية أو الجمجمة أو كنيسة كل الأُمم وتقع خارج أسوار القدس. ويزعمون أن يسوع قضى عيد الفصح فيها أواخر أيامه قبل أن يقبض عليه بسبب خيانة يهوذا الإسخريوطي. وقد زعموا أن هيلانة أم قسطنطين بنت كل هذه الأماكن المقدّسة وأخرجت الصليب الذي صُلب عليه يسوع، وعرفته من الصلبان الأخرى التي معه بأن وضعت الصلبان على الميت، فالذي أحيا الميت هو صليب المسيح[١].

وكان النصارى يسمونه الصلبوت، وقد أدى استيلاء المسلمين عليه من قبل الدولة الفاطمية إلى الحروب الصليبية بالإضافة إلى أن الحاكم بأمر الله الفاطمي هدم كنيسة القيامة لأن النصارى هدموا عدة مساجد للمسلمين.

(١) انظر: فصل الآثار النصرانية في القدس من كتاب «القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ» لمحمد علي البار، الدار السعودية، جدة، ٢٠٠٢، ص ٤٨) وما بعدها.

المجامع النصرانية:

يعتبر النصارى أن أول مجمع عُقِد هو مجمع أورشليم الذي تمّ سنة ٥٥م، أي بعد رفع يسوع باثنتين وعشرين سنة. وقد عُقِد من أجل النظر في قضية ختان الداخلين الجُدُد في النصرانية من الأمم الوثنية التي لم تكن تختتن. وقد وصف سفر أعمال الرسل هذا الاجتماع وما كان فيه من خلاف بين بولس من جهة، ومجموعة أورشليم التي يرأسها يعقوب العادل (أخو المسيح من أمّه حسب زعمهم) ومعه الحواريون والسبعون، واتّفقوا على كلمة يعقوب: «يكتب للوثنيين الذين آمنوا أن يجتنبوا نجاسة الأصنام والفحشاء (الزنا واللواطة) والميتة والدم». واختاروا يهوذا الذي يقال له: برسابا وسيلا وبعثوهما رسولين إلى أهل أنطاكية بهذه الرسالة (أعمال الرسل ١٥/١٣ ـ ٣٠) وسمحوا لهم بعدم الختان. ولكن بولس توسّع بعد ذلك، فأباح لهم كل النجاسات ما عدا الزّنا واللواطة والمساحقة. (انظر: باب سِفر أعمال الرسل وباب بولس صانع الأسطورة).

ويقسمون المجامع إلى قسمين:

(١) مجامع عامة (مسكونية): أي تجمع رؤساء الكنائس من جميع أنحاء المعمورة. والواقع الفعلي أنها لم تحدث قطّ، بل كانت تجمع كثيراً من الأساقفة من مناطق مختلفة من العالم، ولكنها لم تكن تشمل جميع الكنائس.

(٢) مجامع محلّية (إقليمية): تخصّ إقليماً بعينه، أو مِلّيةً تخصّ ملّة بعينها أو طائفة بعينها.

يقول صاحب كتاب (سوسنة سليمان)[1]: وهذه المجامع تنقسم بالنظر إلى عدد أربابها ودرجاتهم وشوكتهم إلى ثلاثة أقسام، وهي: مجامع عامّة، ويقال لها: مسكونية (أي تمثل المسكونة أو الأرض كلها)، ومجامع مليَّة، أي خاصة

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ١٢١.

بملّة أو طائفة معينة من النصارى دون غيرها أو مجامع إقليمية، أي خاصة بإقليم مخصوص.

مجمع نيقية[1] سنة ٣٢٥م:

بعد أن أصدر الإمبراطور قسطنطين وصهره الإمبراطور فاليريوس ليسنيوس قرارهما بحرية العبادة في الإمبراطورية بالمرسوم المعروف بمرسوم ميلان (٣١٣م وقيل: بل سنة ٣١١م) ارتفع الاضطهاد عن النصارى وبدأت الخلافات الحادّة تظهر على السطح بين فرق النصارى المختلفة. وقد كان الاضطهاد يمنع ظهور هذه الاختلافات، وكان من أبرز وجوه الاختلاف ذلك الخلاف بين دعوة كنيسة الإسكندرية التي لم تكتفِ بعقيدة بولس ورفع يسوع المسيح إلى مرتبة ابن الله، وإن كان يطيع الأب وبالتالي هو أقلّ منه قدراً، بل رفعت مقام يسوع إلى ابن الله القديم إله حق من إله حق. ليس بمصنوع ولا مخلوق وهو مساوٍ للأب. وبين دعوة الموحدين من أتباع آريوس[2] الذي يقول: إن المسيح يسوع، بشر مخلوق اصطفاه الله وهو بكر الخلائق، وبواسطته خلق الأشياء، وله المكانة العليا، ولكنه في النهاية مخلوق من مخلوقات الله وليس له في الألوهية شيء.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية)[3]: «وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح: أهو رسول من عند الله فقط، من غير أن تكون له منزلة أكثر من شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له بالله صلة خاصّة، أكبر من رسول، فهو بمنزلة (الابن) لأنه خلق من غير أب؟ ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته، ومن قائل: إنه ابن الله، له صفة القدم، كما لله تلك الصفة. وهكذا تباينت نِحَلُهم واختلفت، وكلٌ يزعم أن نحلته هي المسيحية

(١) نيقية مدينة في آسيا الصغرى (تركيا حالياً، وتسمّى الآن أرنك (أزينق). وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية من (١٢٦م ـ ٢٠٤م).

(٢) آريوس: أسقف ليبي الأصل، يوناني ـ إسكندري المنشأ (٢٥٦م ـ ٣٣٦ ميلادية). كان يقول: بأن يسوع بشر اصطفاه الله، وليس بإله ولا ابن الإله. استنكر منه ذلك أسقف الإسكندرية وطرده وأتباعه سنة ٣١٨م، واعتبره مهرطقاً. ولكن مذهبه بقي وانتشر. وعمد قسطنطين في مؤتمر نيقية إلى اعتباره خارجاً عن الملّة. وحُورب، ولكن مذهبه استمرّ رغم الاضطهاد لعدّة قرون، ثم اختفى.

(٣) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ١٢٢.

الصحيحة التي جاء بها المسيح ﷺ ودعا إليها تلاميذه من بعده... ويظهر أن ذلك الاختلاف وتلك النِّحل المتضاربة المتنازعة قد ظهرت بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيّين من الرومان واليونان والمصريّين، فتكون في المسيحية مزيج غير تامّ التكوين، غير تامّ الاتحاد والامتزاج، وكل قد بقي عنده من عقائده الأولى ما أثّر في تفكيره في دينه الجديد، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير أن يشعر أو يريد» (انتهى).

ولا شكّ أن عقيدة التثليث بدأت بمقالات بولس ورسائله، وأن يسوع ابن الله الذي أرسله ليموت عنّا على الصليب ويتحمل خطايانا، واللعنة التي كانت علينا، فيصير هو بذاته الخطيئة، وهو بذاته اللعنة؛ لأنه مكتوب «كل من عُلّق على الخشبة ملعون»، فمن محبتنا تحمَّل عنا يسوع كل ذلك، ولكنه قام بعد الموت ليجلس على يمين الأب وسيأتي ليدين الجميع. يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي (١/١٣ ـ ٢٢): «شاكرين الأب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا. **الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل: ما في السماوات وما في الأرض، ما يُرى وما لا يُرى... الكلّ به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة. الذي هو البداءة، بكر من الأموات، لكي يكون متقدّماً في كل شيء**».

وهكذا فإن عملية تأليه يسوع بدأها بولس الذي جاء بعقيدة الفداء والصلب والبنوّة...، وإن كان يقرُّ بأن يسوع المسيح الممجّد في حياته البشرية لا يعلم الغيب، وهو معرّض للخطأ، وسلوكه بشري، ويقرُّ أيضاً بأنه أقل من الأب (الله)، وأنه بكر كل خليقة مما يوحي بأنه مخلوق، وإن كان أول الخلائق. ثم ازدادت عملية التأليه، وكان للإسكندرية دور كبير في ذلك حيث عقيدة التثليث المصرية، وأشهرها أوزيس وأوزريس وحوريس مما قد سبق شرحه، وفلسفة أفلوطين (وفاته سنة ٢٧٠م) التي أعلن فيها أن الكون قد صدر عن خالق أزلي دائم لا تُدركه الأبصار ولا تصل إلى معرفته الأفهام. وأوّل شيء صدر عنه العقل الكلّي (Logos)، ولهذا العقل الكلّي قدرة على الخلق. ومن هذا العقل الكلّي انبثقت الروح الكلّية، والتي يتمّ بواسطتها خلق الأشياء. ويرى هذا الفيلسوف (تبعاً لنظريات أفلاطون في المثل) أن الله اللامتناهي وغير المادي لا

يمكن أن تصدر عنه المخلوقات المادية أو المتناهية. لذا صدر عنه العقل الكلّي، ومن العقل الكلي صدرت الروح الكلية التي بواسطتها تمّ الخلق عبر مراحل. وكما يقول سيريل: «إن الفلاسفة اليونان كانوا يؤمنون بالتثليث المقدّس».

وهكذا كانت الإسكندرية وكنيستها من أشدّ الكنائس تعصّباً للتثليث؛ إذ إن ذلك مطابق لعقائد المصريّين القدماء، ومطابق لفلسفة أفلوطين الإسكندراني.

لهذا كلّه كان أسقف الإسكندرية شديداً جدّاً على آريوس الليبي الذي كان يقول: إن يسوع بشر وليس بإله ولا ابن الإله، وأنه كان هو أول مخلوق ومن نوره خلق الله الأكوان[1]. وكان أورجين السابق لآريوس (١٨٥ ـ ٢٥٤) يقول: «إنني أعتقد أن الله الذي يمسك بشتات الكون كائن هو فوق الكائنات، أما الابن فهو أقلّ درجة من الأب، ولكنه أعلى درجة من الكائنات العقلية لأنه يأتي بعد الأب مباشرة، أما الروح القدس فأدنى مرتبة من الأب والابن»، وذلك في كتابه (المبادىء الأولى).

ويقول ابن البطريق كما ينقله عنه محمد أبو زهرة في (محاضرات في النصرانية) أن آريوس كان يقول: إن الأب وحده هو الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن. وجاء في كتاب (تاريخ الأُمة القبطية) (نقلاً عن أبي زهرة): «الذنب ليس على آريوس بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع، فأخذ هو عنها. ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان تأثير آريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون الأُلوهية، حتى انتشر هذا التعليم».

وبالفعل انتشرت عقيدة آريوس هذه في المسيح، وكانت كنيسة أسيوط في

---

(١) هذا الكلام يذكّرنا بأقوال الصوفية وخاصة في الموالد التي تزعم أن الله أول ما خلق من الأشياء نور محمد ﷺ، وأن من نوره خُلِقت كل الأشياء العلوية والسفلية بما في ذلك الملائكة والشياطين، وإبليس اللعين، وجميع البشر، وجميع المخلوقات، ويستشهدون بحديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيّك يا جابر»، ونسبوه إلى مصنّف عبد الرزاق، ولا يوجد في مصنف عبد الرزاق المطبوع هذا الحديث. ويردّدون أنه كان موجوداً في إحدى النسخ المخطوطة، ويحتاج الأمر إلى تحقيق علمي. وأغلب الظنّ أن هذا الكلام غير صحيح، ولو وُجد في إحدى النسخ فعلاً ولم يوجد في جميع النسخ الأخرى، فذلك يدلّ على أن ناسخاً كتبه وأدخله في مصنف عبد الرزّاق.

مصر على هذا الرأي، وكذلك كان له مشايعون وأنصار في فلسطين وأنطاكية ومقدونية، بل في القسطنطينية ذاتها.

وقام بطريرك الاسكندرية بمحاربة هذه الفكرة بكل ما أُوتي من قوّة، وعمد إلى لعن آريوس ومن تبعه، وطرده وحرمه من حظيرة الكنيسة والإيمان، واختلق لذلك رُؤىً وقصصاً، منها أنه رأى يسوع في النوم يلعن آريوس... ورؤية أخرى أنه رأى بطرس يقول: «إن السيد المسيح لعن آريوس هذا فاحذروه، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت له: يا سيدي، من شقَّ ثوبك؟ فقال: آريوس، فاحذروا أن تدخلوا معه».

وهكذا أوجد سلسلة من المخاريق والرُّؤى والأحلام ليحارب بها آريوس ويدعم بها لعنه وطرده من الكنيسة، ومن حظيرة الإيمان كلّه. ولكن ذلك كلّه لم يُجْدِ فتيلاً.

ولما تولّى البطريرك إسكندر (إسكندروس) أمر الكنيسة أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة؛ إذ رأى أن اللعن من سابقه لم ينفع، ولم يزد الأمر إلا اشتعالاً، فكتب إلى آريوس يدعوه إلى العودة إلى الدين الحقّ حسب زعمه، ولكن محاولته لم يُكتب لها النجاح، فحاول أن يستميل بعض أنصار آريوس، وكذلك لم يفلح، فقام إسكندر (إسكندروس) بعقد مجمع محلي في الإسكندرية وحكم على آريوس بالحرمان والطرد، فاضطر آريوس إلى الخروج من مصر والذهاب إلى فلسطين حيث لا يزال له عدد كبير من الأنصار.

ولما بلغ الخلاف حدّاً كبيراً خَشِي الإمبراطور قسطنطين على وحدة مملكته التي قام بتوحيدها بعد جهود جبارة، ومحاربة لثلاثة من الملوك منهم صهره فاليريوس، وقد حمل الصليب من أجل كسب النصارى في صفّه، فلما رأى الانقسام الشديد خَشِي على مملكته، فدعا إلى مؤتمر يجمع الأساقفة ليخرجوا برأي واحد يسدّ باب الاختلاف والشقاق، فجمع الجميع في نيقية سنة ٣٢٥م.

وانحاز الملك إلى رأي بطريرك الإسكندرية ومن معه وناصر عقيدة التثليث لعدّة أسباب، منها أنها أقرب إلى نفسه (باعتباره عابداً للشمس)، وأقرب إلى الأمم التي كان يحكمها والتي كان أغلبها وثنياً، وتعبد الآلهة المثلثة، وبالتالي فإن هذا المذهب أقرب لأن يحقّق الوحدة في مملكته الشاسعة والتي لم يوحدها إلا بعد جهدٍ جهيد.

يقول ابن البطريق[١] كما ينقله عنه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية)[٢]: «بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطارقة الأساقفة، واجتمع من الأساقفة في مدينة نيقية (٢٠٤٨) ثمان وأربعون وألفان، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمّه إلٰهان من دون الله، وهم البربرانية، ويُسمَّون (المَرْيَمِيّين) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، وهي مقالة سابليوس وشيعته، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مرّ في بطنها كما يمرُّ الماء في الميزاب؛ لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها. وهي مقالة البيان وأشياعه.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح خُلِق من اللاهوت كواحد منّا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مخلِّصاً للجوهر الإنسي، صحبته النعمة الإلٰهيّة، وحلَّتْ فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سُمِّي ابن الله. ويقولون: الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ويسمّونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي، بطريرك أنطاكية وأشياعه، وهم البوليقانيون.

---

(١) سعيد بن البطريق: (٢٦٣ ـ ٣٢٨ هـ/ ٨٧٧ ـ ٩٤٠ ميلادية. وُلد في الفسطاط من أرض مصر. عُرِف هو وأخوه عيسى بالطبّ، وله كتاب في الطب: «علم وعمل» (كناش. وكان عالماً بمذاهب النصارى وتاريخهم. ولما كان في أول سنة من خلافة القاهر العباسي ولاه منصب بطريرك الإسكندرية، وتسمّى باسم أنطخيوس (Entychius). وهو أول من أطلق اسم اليعاقبة على السريان الذين اتّبعوا تعاليم يعقوب البراذعي المتوفى سنة ٥٧٨م. له كتاب «نظم الجوهر» في تاريخ النصارى ومللهم وملوكهم وأعيادهم، كتبه لأخيه عيسى بن البطريق الذي كان طبيباً مثله.

وكانت رئاسته في البطركية سبع سنين وستّة أشهر، من سنة ٣٢١ إلى حين وفاته سنة ٣٢٨ هجرية. وكان في أيامه شقاق عظيم وشرّ متصل بينه وبين شعبه. واعتلّ سعيد بن البطريق بالإسهال فحدس أنها علّة موته، ومات بالإسكندرية في نهاية رجب من سنة ٣٢٨. (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، والأعلام للزركلي.

(٢) ص١٢٤.

ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح، وطالح، وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون اللعين وأصحابه[1]. وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس.

ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمئة وثمانية عشر أسقفاً، وأهمّهم أسقف الإسكندرية إسكندر (إسكندروس) ونائبه أثنا سيوس».

وقد اجتمعت كل هذه الفرق في نيقية ودهش قسطنطين الملك من كثرة مقالاتهم وشدّة اختلافهم، وتعدّد مذاهبهم، وبعد أن سمع مقالاتهم قرَّر أن ينحاز للمجموعة التي تؤلّه يسوع المسيح التابعين لبولس رسول الأمم كما يدعونه، فعقيدته أقرب إلى قلوب الجماهير الوثنية المرتبطة بالتثليث والآلهة المثلّثة، وعقيدة الإلٰه الذي ينزل ويتعذّب ويموت من أجل خطايانا، ثم يقوم بعد الموت ويرتفع، كما سبق أن أوضحناه في الفصول السابقة وخاصّة باب (التأثيرات الوثنية في المسيحية).

وبما أن المجموعة المؤلّهة ليسوع لم تكن الغالبية، وإنما تشكّل ٣١٨ أسقفاً من جملة الأساقفة ٢٠٤٨، فإنه عمل أولاً على تفتيتهم، ورغم ذلك انحاز إلى آريوس الذي سبق أن شرحنا مقالته أكثر من سبعمئة أسقف.

---

(١) مرقيون (قيل: مولده سنة ٨٥م ووفاته سنة ١٦٠ ميلادي) من مدينة سينوب بالقرب من أنقرة في تركيا حالياً. أوجد الفرقة الغنوصية، كان يكره اليهود ولم يعترف بالتوراة وكتب الأنبياء (العهد القديم، بل اعتبرها خاصة باليهود، واعتبر إلٰه اليهود (يهوه) شريراً، والإلٰه الحق إلٰه الخير هو الذي ظهر وتجسّد في يسوع المسيح. وكان من أوائل من دعوا إلى استخدام الأناجيل التي ظهرت في عهده وانتشرت، وعمل على إيجاد أناشيد خاصة للطقوس اللتيرجية، واستبعد تماماً العهد القديم... وكان يدعو إلى المعرفة الاستبطانية (العرفانية)، وقيل: إنه يؤمن بتناسخ الأرواح، وأن المسيح الذي ظهر بالجسد وتعذّب وصُلب كان الصورة الظاهرة. أما الحقيقة، فإن يسوع المسيح الربّ لا يتعذّب ولا يُصْلب، فكيف يتعذّب ويُصلب ويُهان الإلٰه؟ وهذه العقيدة عرفت بالدوستية (Docetism) وهي أن الذي ظهر وتعذّب وصُلب وأُهين صورة ظاهرية غير حقيقية. وأن الله تجسّد في يسوع وكان مثالاً للحب والخير، بينما الإلٰه الذي تصوّره أسفار العهد القديم إلٰه الحرب والانتقام والانحياز الكامل لبني إسرائيل ضد بقية البشر. ولذا صبّ جام غضبه على العهد القديم وأتباعه (انظر: دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م، المايكروبيديا، ٦/ ٦٠٥).

وانتهى الأمر بتبنّي الإمبراطور قسطنطين لرأي الثلاثمئة وثمانية عشر شخصاً، واجتمع بهم الملك اجتماعاً خاصّاً وأظهر تأييده الكامل لمقولتهم. يقول ابن البطريق كما ينقله الشيخ محمد أبو زهرة في (محاضرات في النصرانية)[1]:

«وضع الملك للثلاثمئة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه، وقضيبه، فدفعه إليهم، وقال لهم: قد سلّطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين. فباركوا الملك، وقلّدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذُبَّ عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به».

وصار قسطنطين ممثلاً للرب يسوع في الأرض، وقد وصل النفاق بأسقف روما أيسوبيوس (أوزيبوس) (Eusebius) أن يدَّعي أن الله كما تجسّد في يسوع قد تجسّد أيضاً في الإمبراطور قسطنطين. وإليك نص ما كتبه (دون كوبيت) (Don Gupitt) أستاذ علم اللاهوت وعميد كلية عمانوئيل. ن (جامعة كامبردج) مسيح البلاد المسيحية في الفصل السابع، من كتاب (أسطورة تجسّد الإله) (The Myth of God Incarnate)[2]:

«وقد أظهر بينز في مقاله عن البطريرك أوزيبوس كيف تَبِع هذا البطريرك الشهير في سياسته اللاهوتية، الفلسفة اليونانية الهلينية في الملك، فكما أن الله هو للكون، كذلك الإمبراطور للدولة، فالكلمة الإلٰهية تستوطن الإمبراطور، معلّمة إياه محاكاة الفضائل ليصبح الراعي الصالح لشعبه، لينقذهم من الخطيئة، ويقودهم في طريق الإخلاص إلى مملكة السماء؛ فالملك كان نوعاً من الإلٰه المتجسّد ويمثّل الصلة بين الأرض والسماء».

ويقول ليزلي هولدن: «وليجعل هذا المخطط مسيحياً أعلن أن المسيح هو الإمبراطور العالمي للكون، وجعل وكيله على الأرض ونائبه الإمبراطور، وبالتالي أضفى الشرعية الإلٰهية على حكمه، واتّخذ أوزيبوس الخطوة الأولى في هذا

---

(١) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ١٢٥.

(٢) Don Cupitt The Christ of Christendom. In ed. John Hick, The Myth of God Incarnate, SCM, London, pp. 133 - 147.

انظر: الباب السابع: مختصر الكتاب أسطورة تجسّد الإلٰه (في المسيح).

الاتجاه وتبعه الآخرون»[١].

«وفي النظام الجديد حصل رؤساء الكنيسة الكبار على الكرامة والامتيازات والشعارات، التي حافظوا عليها حتى اليوم، واستعارت العبادات الكنيسة طقوس البلاط الملكي».

وينقل هولدن عن ثيودر كلاوس: «لقد حوّلوا الطريقة التي كان يعرض بها يسوع المسيح... لقد بدؤوا النظر إليه كحاكم كلّي القدرة... ويصوّرونه حاكماً جالساً على عرش مزيّن بالجواهر والطنافس الوردية، وتحيط به الهالة الملكية، وتقبّل يداه ورجلاه. ولم يبقَ من آثار يسوع إلا وجهه السامي الأسمر... وللأسف أصبحت مريم الأم والإمبراطورة، وحُوِّل الحواريون إلى مجلس الشيوخ (Senators) والملائكة شكّلوا أفراد البلاط السماوي. أما القدّيسون، فقد مُثِّلوا كضيوف يطلبون لقاء الإمبراطور حاملين معهم الهدايا».

والغريب حقاً أن قسطنطين هذا الذي وضع أُسس العقيدة المسيحية في مجمع نيقية لم يكن قد تعمّد بعد، وبالتالي لا يُعَدّ نصرانياً. ولم يتعمّد إلّا عند احتضاره عام ٣٣٧م، أي بعد ١٢ عاماً من مجمع نيقية.

ومن العجائب أيضاً أنه أقام نصباً للإله الشمس وتماثيل للآلهة الأمّ سيبيل (Cybel)، وذلك عام ٣٣٠م، أي بعد خمسة أعوام من مجمع نيقية!!.

عقيدة مجمع نيقية كما ذكرها كتاب (تاريخ الأمّة القبطية)[٢]: «**إن الجامعة المقدّسة والكنيسة الرسولية تحرّم كل قائل: بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وُجِد من لا شيء، أو من يقول: إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله الأب. وكل من يؤمن أنه خُلق أو من يقول: إنه قابل للتغيّر ويعتريه ظلّ الدوران**»، أي يعتبر كافراً وخارجاً عن المِلّة.

وتضمّن قانون الإيمان النيقوي ما نصّه[٣]: «نؤمن بإله واحد: الله الأب كلّي

---

(١) Don Cupitt: The Christ of Christendom. In ed. John Hick, The My th of God Incarnat, SCM London, pp. 133 - 147.

انظر: الباب السابع: مختصر لكتاب أسطورة تجسّد الإله (في المسيح).

(٢) كما ينقله الشيخ محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ١٢٦.

(٣) بسمة أحمد جستنيه في كتابها «تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ ـ أسبابه ونتائجه)، دار القلم، دمشق، سنة ٢٠٠٠م، ص ٣١٩، وهي تنقله عن تاريخ المسيحية ١/ ٤٨، قصة =

القدرة، خالق كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى. ونؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ. مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسّد وعاش بين الناس، الذي تألّم، وفي اليوم الثالث قام، وصعد إلى السماوات، ويأتي ليدين الأحياء والأموات».

وقد أورد المؤرِّخ المقريزي في خططه وغيرها ما جاء في مؤتمر نيقية[1]، وسببه أن بطرك الإسكندرية (الإسكندروس) طرد آريوس وحرمه واشتدّ الخلاف بين أتباع آريوس وأتباع الإسكندروس مما اضطرّ الإمبراطور إلى عقد مجمع في نيقية سنة ٣٢٥م. واجتمع الأساقفة في نيقية وكان عددهم ٢٣٤٠ أسقفاً. وكل منهم على قول، فمنهم من قال: «الابن من الأب بمنزل شعلة تعلّقت من شعلة من نار». ونقل كلام ابن البطريق مع اختلاف يسير في العبارة عما نقلناه من قوله كما ذكره أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

وأورد محاورة بين آريوس القائل: ببشرية يسوع وأنه مخلوق، وبين الإسكندروس القائل: بألوهية يسوع المسيح، فقال آريوس: كان الأب (الله)، إذ لم يكن الابن، ثم خلق الله الابن فصار كلمة له؛ فالابن محدث مخلوق، فوّض إليه الأب كل شيء، فخلق الابن بالكلمة كل شيء من السماوات والأرض وما فيهما، فكان هو الخالق بما أعطاه الأب، ثم إن تلك الكلمة تجسّدت من مريم وروح القدس، فصار ذلك مسيحاً، فإذاً المسيح معنيان: كلمة وجسد وهما جميعاً مخلوقان.

فقال الإسكندروس: أيّما أوجب عبادة مَنْ خَلَقَنا أم عبادة من لم يخلقنا؟ فقال آريوس: بل عبادة من خلقنا أوجب. فقال الإسكندروس: فإن كان الابن خلقنا كما وصفت، وهو مخلوق، فعبادته أوجب من عبادة الأب الذي ليس بمخلوق، بل تكون عبادة الخالق كفراً وعبادة المخلوق هي الحقّ، وهذا من أقبح القبح.

= الحضارة (١١/ ٣٨٧، وتاريخ الكنيسة، والنصرانية والإسلام. . .

(١) قام الأستاذ القبطي مينا إسكندر بجمع أقوال المقريزي المفرقة في النصرانية وتاريخ النصارى في مصر، وجعلها في كتاب سمّاه (القول الإبريزي للعلامة المقريزي)، وقد حقّقه د. عبد المجيد دياب، ونشرته دار الفضيلة بالقاهرة ١٩٩٨، انظر: ص ٥٣ ـ ٦١.

وإذا صحّ هذا القول المنسوب لآريوس، فإنه أوجب على نفسه الحجّة بقوله: إن المسيح هو الذي خلق الأشياء. ولو اكتفى بأن المسيح مخلوق بشر رفع الله مكانته لا يعلم الغيب، وليس بخالق لأصاب وأفلح، ولم يجعل على نفسه دليلاً يقام ضدّه.

يقول المقريزي: «فاستحسن الملك قسطنطين كلام إسكندروس وجماعته والقائلين بقوله وأمره أن يحرم آريوس فحرمه».

وصدر القرار المعروف بمجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م باتفاق ٣١٨ أسقفاً من جملة ٢٣٤٠ أسقفاً كما يقول المقريزي، أو ٢٠٤٨ كما يقول ابن البطريق، وأي القولين هو الصواب، فإنه لا يغيّر من الحقيقة شيئاً، وهي أن الأقلية هي التي قرّرت عقيدة النصارى لكل الأجيال القادمة، رغم أن آريوس، وأنصاره استمرّوا فترة ليست بالقصيرة متمسكين بقولتهم، ولم تندثر أقوالهم إلا بعد مرور عدة قرون من الزمن.

ولكن الأمانة (عقيدة مؤتمر نيقية) لم تتحدث عن الروح القدس، ولهذا جاء مؤتمر القسطنطينية ليكمل هذه العقيدة الصعبة والعسيرة على الفهم والمنطق والعقل.

ويورد الإمام أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري (نسبة إلى جعفر الطيار) المتوفّى سنة ٦٦٨م في كتابه (تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل)[١] هذه الأمانة بالنصّ التالي: «نؤمن بالله الواحد، ضابط الكل مالك كل شيء، صانع ما يُرى وما لا يُرى، وبالربّ الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلّها، الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلّها، وليس بمصنوع، إله حقّ من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده (أي يسوع) أتقنت العوالم وخُلق كل شيء. الذي من أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسّد من روح القدس وصار إنساناً وجعل ووُلد من مريم البتول وأُوجع (تألم) وصُلب أيام فيلاطس (بيلاطس) النبطي، ودُفن وقام في اليوم الثالث ـ كما هو مكتوب ـ وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات

(١) أبو البقاء صالح بن حسين الجعفري: «تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل»، تحقيق وتعليق د. محمود قدح، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م، الرياض ٢/٥٠١، ٥٠٢.

والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محبّته، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية[(١)] (كاثوليكية) وبقيامة أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين».

وقد انتبه القاضي أبو البقاء الجعفري إلى أن هذه الأمانة (العقيدة) جاءت على مراحل وليست دفعة واحدة، حيث قال: «فاتّفق رأي الأسكندروس وجماعة على نظم هذه الأمانة بعد أن أفسدوها دفعات وزادوا ونقصوا».

ويقول المحقّق د. محمود عبد الرحمٰن قدح[(٢)]: من العجب أن قانون الإيمان (الأمانة) قد وُضع على مراحل، ففي مجمع نيقية (٣٢٥م) وضع الجزء الأول من الأمانة ابتداء من عبارة (نؤمن بإله واحد) حتى عبارة (للقضاء بين الأموات والأحياء) وفي مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م وضعت مؤخرة الأمانة (ونؤمن بروح القدس. . .) والمرحلة الأخيرة (جاءت) في مجمع أفسس سنة ٤٣١م حيث وضعت مقدمة الأمانة، ونصّها: «نعظّمك يا أمّ النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء المقدّسة، والدة الإلٰه، لأنك ولدت لنا مخلّص العالم، أتى وخلّص نفوسنا. المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح فخر الرُّسل، إكليل الشهداء، تهليل الصدّيقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشّر بالثالوث المقدّس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجّده، يا ربّ ارحم، يا ربّ بارك آمين».

وقد ناقش القاضي أبو البقاء الجعفري هذه الأمانة نقاشاً تفصيلياً، لأنها مما تجمع عليه الفرق النصرانية من اليعاقبة (المونوفست)، والملكية (الكاثوليك فيما بعد)، والنسطورية (وأغلبهم في العراق حتى عُرفوا بالآشورية والكلدانية) ومن جاء بعدهم من الفرق.

وهكذا انتصر القائلون: بألوهية يسوع المسيح بدعم الإمبراطور قسطنطين

(١) الجاثليق والجثليق متقدم الأساقفة وهي كلمة يونانية معرّبة، والمقصود بذلك الكنيسة المقدسة الكهنوتية وعلى رأسها الجثليق (البطريرك)، وتترجم أحياناً باسم كاثوليكية أو كنيسة جامعة عامة.

(٢) د. محمود قدح محقق كتاب «تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل» ٢/٥٠١، الهامش رقم (٣)، وقد نقله المحقّق من كتاب تاريخ الأقباط لزكي شنودة (١/١٧٨، ١٧٩، ومجموعة الشرع الكنسي جمع حنانيا إلياس ص ٨٢ ـ ٩٠.

لهم، لكن هذا لم ينه الخلاف. يقول القس حنّا الخضري[1]: «ولكن للأسف الشديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كله عن القرارات المجمعية، فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم، وبدأ كل واحد منهم يُعلِّم ما كان يُعلِّم به قبلاً. بل إن البعض تطرَّف في الهرطقة التي فاقت هرطقة آريوس نفسه، فمع أن آريوس وبعض أتباعه نُفوا، إلا أن الآريوسية بَنَتْ عُشَّها في حدائق كثير من الأساقفة والرُّعاة».

مجمع صور سنة ٣٣٤م ومناصرة آريوس الموحد:

وقد أمر المجمع (أي مجمع نيقيا) بتحريق الكتب التي تخالف رأيه، وحثّ الناس على تحريم قراءتها. كما أن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تُلقي على الناس أوامر الدين، وعليهم أن يطيعوا راغمين، وأن أقوالهم حجّة ولا يجوز مناقشة ما قرّره المجمع. ولكن كثيراً من الكنائس رفضت هذه القرارات، ويذكر سعيد بن البطريق في كتابه (نظم الجوهر)[2] أن أوسابيوس أسقف نيقوميدية كان من مناصري آريوس، ولكنه عمل الحيلة، وأظهر أنه وافق على قرار مجمع نيقية، فأزال عنه قسطنطين اللعنة، وجعله بطريكاً، للقسطنطينية، وعمل على عقد مؤتمر في صور سنة ٣٣٤م وقرّر فيه إعادة آريوس إلى الكنيسة وخَلْعَ إثناسيوس أسقف الإسكندرية الذي خلف إسكندروس (الإسكندر)، والذي كان من أشدّ المتحمسين لعقيدة تيقية، وتأليه يسوع المسيح. وقد وقعت مشادة عنيفة بين أنصار آريوس وكانوا الأغلبية الكبيرة وأنصار بطريرك الإسكندرية حتى إن بطرك الإسكندرية ضُرِب حتى أدمَوْه وكادوا أن يقتلوه.

ويقول ابن البطريق: «في ذلك العصر (أي بعد مؤتمر نيقية) غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية»[3]. وكانت أسيوط تقول دائماً: بمذهب آريوس.

---

(١) بسمة أحمد جستنيه: «تحريف رسالة المسيح» ص ٣٢٠، وهي تنقله عن تاريخ الفكر المسيحي «ص ٦٤٣»، ومجلة إسلاميات مسيحيات التي يصدرها الفاتيكان روما. مقالة بورمانس موريس ص ٥، لعام ١٩٧٦م.

(٢) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية» ص ١٢٩، ١٣٠، وجستنيه: «تحريف رسالة المسيح» ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٣) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية» ص ١٢٩ ـ ١٣١.

ويقول: «فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين، فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية، ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم».

لهذا كلّه نجد أن ابن الإمبراطور قسطنطين، قسطنطينوس، مال إلى مذهب آريوس، ولكن ما لبثت الكفة المؤلّهة ليسوع أن عادت وتغلّبت. وذلك أن قسطنس الابن الثاني لقسطنطين أثّر على أخيه، وأعادوا أثناسيوس إلى الإسكندرية عام ٣٤٦م، وحدثت اضطرابات عام ٣٥٦م، مما اضطر أثناسيوس إلى الفرار مرة أخرى. ولكن عاد تأثير الجماعة المؤلّهة ليسوع للمرة الأخيرة.

مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م:

رغم أن مجمع نيقية ٣٢٥ قرّر أُلوهية يسوع بوضوح، إلا أنه لم يقرّر شيئاً عن الروح القدس؛ ولهذا ظهر الأسقف مقدونيوس (أسقف القسطنطينية) ونادى بأن الروح القدس مخلوق وليس إلهاً، وشاعت مقالته بين الناس.

وظهر أيضاً سابليوس الذي كان يُنكر وجود ثلاثة أقانيم. وقام «أبوليناريوس» أسقف اللاذقية ـ الشام ـ بإنكار وجود نفس بشرية في يسوع المسيح. فتنادى الأساقفة وعقدوا مجمعاً في القسطنطينية عام ٣٨١م. وكان عدد المجتمعين مئة وخمسين أسقفاً فقط يتقدّمهم أسقف الإسكندرية تحت رعاية الإمبراطور (ثيودسيوس)، ومال هؤلاء المجتمعون إلى رأي أسقف الإسكندرية ثيموثاوس القائل: بألوهية الروح القدس وتكملة الإيمان النقوي.

ويقول ابن البطريق[1]: إن المجمع أخذ برأي أسقف الإسكندرية الذي يقول: «ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته. فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حيّ، وإذا زعمنا أنه غير حيّ فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللّعن». وهي مسألة فيها كثير من السفسطة تعتمد على تعريف روح القدس وجعله روح الله أو حياة الله، وهو أمر غير مسلّم به؛ فروح القدس ملك خلقه الله واتّخذه رسولاً بينه وبين من يريد من خلقه. وقام المجمع

(١) المصدر السابق، ص ٣٣١.

بطرد مقدونيوس ولعنه، وبالتالي أمر الإمبراطور بإخراجه من منصبه وهو أسقف القسطنطينية كما طَرد ولعن كل المخالفين.

وهكذا صدر قرار المجمع المنعقد في القسطنطينية (٣٨١م) **بالتأكيد على عقيدة نيقية (نؤمن بإله واحد: الله الأب كلي القدرة. خالق كل شيء: ما يُرى وما لا يُرى. نؤمن بربّ واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ. مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل وتجَسَّد وعاش بين الناس، الذي تألم، وفي اليوم الثالث قام وصعد إلى السماوات، ويأتي ليدين الأحياء والأموات»**.

وأضافوا إلى ذلك: **«نؤمن بروح القدس الربّ المحيي المنبثق من الأب، الذي هو الأب والابن مسجود له، وممجد»، وأثبتوا كما يقول ابن البطريق في (نظم الجواهر): «أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص. وحدية (أي وحدانية) في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم. إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة»**[١].

وهو أمر يعسر فهمه، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد. ولهذا يضطر من يقول بهذا القول أن يدع عقله ويتبع ما قرّره الآباء في مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية.

ولم يُنْهِ هذا المجمع الخلافات، بل أدّى إلى خلافات جديدة حول الأقنوم والطبيعة مما استدعى إلى مزيد من الانشقاقات ومزيد من المجامع.

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م:

ظهر الخلاف بين الأساقفة حول مفهوم الأقنوم والطبيعة، فقد قرّر نسطور[٢]

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٢) نسطوريوس، وُلد بسوريا سنة ٣٨٠م، وتقدم في النصرانية حتى صار أسقفاً لعاصمة الدولة وهي القسطنطينية سنة ٤٢٨م، وبقي كذلك حتى أعلن مذهبه الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبوستيني المتوفى سنة ٤٢٨م، وهو أن مريم العذراء أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله. وبالتالي فقد ولدت مريم العذراء بشراً مثلنا، ولكنه اتّحد بالمحبة بعد ولادته بالله، فهو ابن الله بالمجاز والحب، وليس على الحقيقة. (وهو ما يقول به الآن مؤلّفو كتاب أسطورة تجسّد الإله. انظر: الباب السابع من هذا الكتاب).

ولما قال نسطور مقالته تلك كاتبه بطريرك الإسكندرية أنطاكية ليعدل عن رأيه، ولكنه أبى =

بطريرك القسطنطينية أن هناك أقنوماً وطبيعة للربّ يسوع المسيح؛ فأقنوم الألوهية من الأب. وأما الطبيعة، فهي الإنسان الذي ولدته مريم؛ ولذا فمريم أمّ الإنسان وليست أمّ الإلٰه.

ويقول في المسيح الذي ظهر بين الناس وخاطبهم وعلّمهم وتعذّب وتألّم كما ينقله عنه ابن البطريق في كتابه (نظم الجوهر): «إن هذا الإنسان الذي يقول: إنه المسيح، بالمحبّة متّحد مع الأب، ويقال: إنه الله وابن الله ليس بالحقيقة، ولكن بالموهبة»[1].

وهذا يؤكّد أن نسطور يرى أن يسوع المسيح لم يكن إلٰهاً بل هو مبارك بما وهبه الله من الآيات، وينبغي أن يفهم لفظ (ابن الله) بالمعنى الرمزي، وليس بالمعنى الحقيقي.

وعقد المجمع في أفسس سنة ٤٣١م بطلب من بطاركة الإسكندرية وأنطاكية وروما واجتمع ١٦٠ من هؤلاء الأساقفة، ولم يحضر نسطور ولا أنصاره هذا المجمع، فأصدر المجتمعون قرارهم بلعنه وطرده ولعن وطرد كل من شايعه وقال بقولته.

وقرّر المجتمعون: «أن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إلٰه حقّ وإنسان معروف بالطبيعتين، متوحّد في الأقنوم».

ووضعوا مقدمة للأمانة (وهي عقيدة نيقية + عقيدة القسطنطينية)، وفي هذه المقدمة قالوا: «إن مريم القديسة العذراء ولدت إلٰهنا وربّنا يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت والطبيعة. وأقرّوا بطبيعتين، ووجه واحد، وأقنوم واحد».

العقيدة الكاثوليكية (أي العقيدة الجامعة):

ويتحدّث الكاثوليك عن عقيدتهم وينسبونها إلى ما تقدم ويقرّرون ما يلي:

= وأصرّ على مقالته. فانعقد لذلك مجمع أفسس سنة ٤٣١م، وتقرّر فيه وضع مقدمة قانون الإيمان، وأن مريم العذراء والدة الله، وأن للمسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرّر خلع نسطور من الكنيسة ولعنه وطرده. ومات نسطور عام ٤٥١م بعد أن أوجد له أنصاراً في المشرق حيث تكوّنت الكنيسة النسطورية والتي انتشرت بالذات في العراق وفارس والموصل ونصيبين والفرات والجزيرة. ولكن كنيسته لم تبقَ على عقيدته الأصلية واعتبرت يسوع ابن الله على الحقيقة وحلّ الله فيه بعد مولده من مريم.

(١) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية»، ص ١٣٥.

«تقوم العقيدة الكاثوليكية على الإيمان بإله واحد في الثالوث. ونؤمن بالثالوث المتوحّد. إننا لا نمزج أحداً بالآخر ولا نقسم الجوهر، فهناك واحد يمثل الأب، وآخر يمثل الابن، وآخر يمثل الروح القدس، لكن الألوهة للأب والابن والروح القدس واحدة. فمجدها واحد وجلالتها أبدية. وكما هو الأب كذلك هو الابن والروح القدس. الأب الذي لم يُخْلَق، والابن الذي لم يُخْلَق، والروح القدس الذي لم يخلق. الأب السرمدي الخالد، الابن السرمدي الخالد، الروح القدس السرمدي الخالد. وبرغم ذلك فليس هناك ثلاثة خالدون، بل واحد خالد. وليس هناك ثلاثة غير مخلوقين بل واحد. وليس هناك ثلاثة سرمديون بل واحد سرمدي غير مخلوق.

وكما أن الأب إلٰه كذلك، فإن الابن إلٰه، وكذلك الروح القدس إلٰه. ومع ذلك فليس هناك ثلاثة آلهة أو أرباب، بل إلٰه واحد وربّ واحد. وإننا بإيماننا المسيحي ملزمون باعتبار كل واحد من هؤلاء إلٰهاً وربّاً في آن. ولكننا أيضاً ملزمون بإيماننا الكاثوليكي بأن لا نقول بإلٰهة ثلاثة أو أرباب ثلاثة. إن الأب مصنوع من عدم ولم يُخْلَق ولم يولد!!؟ أما الابن، فإنه من الأب فقط. وهو غير مصنوع ولا مخلوق ولا مولود (مناقض للعقائد السابقة وقد ولد يسوع بالفعل). أما الروح القدس، فهو من الأب والابن معاً، وهو لم يُخلق ولم يُصْنَع بل ينبع منهما. وبالتالي هناك أب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح القدس واحدة لا ثلاثة أرواح قدسية. وفي هذا التثليث ليس هناك واحد قبل الآخر أو بعده. كما ليس هناك أعظم، أو أقل عظمة، فالثلاثة خالدون معاً متساوون. وهكذا إذن يجب عبادة الثلاثة عبر الواحد وعبادة الواحد في الثالوث».

وهي أشدّ عسراً على الفهم والعقل والمنطق من سابقاتها ومهينة للعقل.

وقد أدّى الكلام عن الطبيعتين إلى مزيد من الانشقاق في الكنيسة ومزيد من ظهور الفرق والعقائد حول هذه المسائل الشائكة، والتي تؤدي بسبب الانحراف الأول وهو القول بألوهية يسوع المسيح، إلى انحرافات جديدة حول طبيعة يسوع وهل هو ناسوت ولاهوت (أي إنسان وإلٰه) أي ذو طبيعتين، أم إلٰه في شكل بشري أي ذو طبيعة واحدة؟ وهكذا دواليك.

مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م، وظهور المونوفست والملكانية:

لم يحسم مجمع أفسس الخلاف بل أدّى إلى خلافات جديدة، فبالإضافة

إلى أتباع نسطورس الذين كوّنوا كنيسة منفصلة باقية إلى اليوم في المشرق والعراق (الموصل والفرات والجزيرة)، وفارس، فإن بطريرك الإسكندرية أتى برأي جديد، وهو أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وناصره في هذا الرأي أساقفة مصر وغيرها وعقدوا مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م، وقرّروا فيه أن ليسوع المسيح طبيعة واحدة، ولكن الكنائس الغربية وبالذات الكاثوليك رفضوا هذا المجمع وسمَّوه مجمع اللصوص، لأنهم اجتمعوا خفية مثل اللصوص، ولم يدعوا إليه معارضيهم إلا نفراً قليلاً، منهم أسقف القسطنطينية الذي عارضه، وأدّى ذلك كما هو معتاد عندهم إلى حرمانه ولعنه... وحدث صخب شديد وعراك كاد يؤدّي إلى قتل بطريرك القسطنطينية.

ولهذا اشتدّ الخلاف حول مجمع أفسس الثاني، وهل هو مجمع مسكوني عام أم مجمع خاص غير ملزم، وهل قراراته ملزمة أم غير ملزمة؟ واشتدّ الخلاف حول قراراته بالحرمان التي أصدرها أهي ملزمة أم باطلة ولاغية؟.

لهذا كلّه أمرت الإمبراطورة وزوجها بالدعوة إلى مجمع عام في خلقيدونية عام ٤٥١م حيث اجتمع ٥٢٠ أسقفاً من مختلف أرجاء الإمبراطورية.

وحاول المجتمعون طرد أسقف الإسكندرية ديسقورس ولكنهم فشلوا في ذلك، ولم يصادق مندوبو الإمبراطورية على ذلك؛ فزاد الصراخ والعراك بين المجتمعين حتى قال مندوبو الدولة: «إنه لا يجدر بالأساقفة وأئمّة الدين أن يأتوا مثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ وسبّ وقذف، وضرب ولَكْم، بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب في الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد، ولذلك نرجوكم أن تستخدموا البرهان بدل المهاترة، والدليل عوضاً عن الهراء وأميلوا آذانكم إلى سماع ما سيُتْلى عليكم»[(١)].

وتوصّل المجمع في النهاية إلى القرار التالي كما ينقله ابن البطريق[(٢)]: «إن مريم العذراء وَلدت إلٰهنا، ربّنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلٰهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية». وشهدوا أن المسيح له طبيعتان،

---

(١) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية» ص ١٣٨ نقلاً عن كتاب «تاريخ الأمة القبطية»، ولعلّه تاريخ الأقباط لزكي شنودة.

(٢) المصدر السابق.

وأقنوم واحد، ووجه واحد. ولعنوا نسطورس، ولعنوا ديسقورس (بطريرك الإسكندرية)، ومن يقول: بمقالته ونفَوه، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس، ونفي ديسقورس إلى فلسطين.

وقد أدّى هذا الاختلاف إلى انشقاق الكنائس الذي استمرّ إلى يومنا هذا، وقد غضب المصريّون لما أصاب بطريركهم (بطريرك الإسكندرية ديسقورس) وتعصّبوا له. ويقول كتاب (تاريخ الأمة القبطية)[1]: «ولما طرق مسامع المصريّين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا، واتّفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم، وأعلنوا رضاهم ببقاء بطريركهم رئيساً عليهم، ولو أنه محروم (ملعون مطرود) مشجوب، وأعلنوا أن إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم».

وغضب المصريون أكثر عندما رأوا بطريركاً يعيّن على غير مذهبهم رئيساً عليهم. ولما سار ديسقورس إلى فلسطين دعا إلى مذهبه، واستطاع أن يستميل أساقفة فلسطين وبيت المقدس إلى مقولته.

وأدّى هذا الخلاف إلى ظهور فرقتين هامّتين:

(١) **المونوفست** القائلين: بالطبيعة الواحدة، وهو قول بطرك الإسكندرية ديسقورس ومن شايعه. وعُرفت فيما بعد باسم اليعقوبية نسبة إلى يعقوب البراذعي (السروجي) أسقف أديسا (Jacob Baradous) (٥٤٢م ـ ٥٧٨م) الذي دافع عن هذا المذهب، وكان حاضر البديهة لَسِناً، فاشتهر المذهب باسمه. وعُرِف أتباعه باليعقوبية، وكانت مصر كلها على مذهب المونوفست (Monophysiytes)، ولهذا عرفوا منذ القرن السادس للميلاد باسم اليعقوبية (Jacobites)، وعُرِفت جماعة المونوفست أيضاً باسم الأرثوذكس (Orthodox) أي أصحاب الطريقة المستقيمة أو الدين المستقيم، وتبع هذا المذهب الكنائس الرئيسة التالية:

(أ) الأرثوذكسية القبطية الحبشية.

(ب) الأرثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من نصارى الشام (سوريا الكبرى) والعراق.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٩.

(ج) الأرثوذكسية في مناطق مختلفة من العالم.

وتختلف الأرثوذكسية اليونانية عن هؤلاء كما سنوضحه بعد قليل.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أصحاب هذا المذهب بقوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧١ ـ ٧٢].

(٢) **الملكية أو الملكانية**؛ لأنها كانت المذهب الرسمي للملوك الرومان وللدولة البيزنطية، وقد تَبِع هؤلاء قرارات مجمع خلقيدونية واعتبروا أنْ للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً ووجهاً واحداً. وتطوّر بعد ذلك إلى القول: بأنَّ ليسوع المسيح طبيعتين ومشيئتين وهؤلاء هم الكاثوليك. وقد تقرّر القول: بالطبيعتين والمشيئتين في مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٧٠م خلافاً للمارونية الذين قالوا: بأن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.

وحدث انقسام جديد بشأن انبثاق روح القدس، أكان من الأب وحده؟ أم من الأب والابن معاً؟ ولأجل ذلك عقد مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩م مما أدّى إلى ظهور ما يسمّى الأرثوذكسية اليونانية الذين يقولون: بأن روح القدس انبثق من الأب وحده، والكنيسة الكاثوليكية الغربية الذين يقولون: إن الروح القدس انبثق من الأب والابن معاً. وتوالت الانشقاقات بعد ذلك حتى ظهرت البروتستانتية منشقّة عن الكاثوليكية. والبروتستانتية بدورها ظهر منها الكنيسة الإنجليكانية الإنجليزية التي يرأسها ملك إنجلترا والكنائس الأخرى التي تُنْكر ذلك نكراناً شديداً، وهناك مئات الكنائس البروتستانتية وكل فرقة تضلّل الأخرى وتُبدِّعها، (ولا يزالون مختلفين).

وخلاصة القول: إن كل مجمع من هذه المجامع يؤدّي إلى انشقاق جديد بدءاً من أول مجمع يزعمون أنه حدث في أورشليم بعد ٢٢ سنة من رفع يسوع، الذي أدّى إلى ظهور بولس رسول الأمم، والداعي إلى تأليه يسوع، ومجموعة أورشليم التي لم تكن ترى في يسوع إلا بشراً رسولاً. ثم توالت المجامع حيث ظهر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، والذي أرسى عقيدة تأليه يسوع ولم يتحدّث عن

روح القدس. وانفصل عنه آريوس الذي يقول: ببشرية يسوع ويرفض تأليهه. ثم ظهر مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م لإثبات أن الروح القدس جزء من الإلٰه، وأكمل بذلك عقيدة التثليث: الأب الابن والروح القدس، والذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾. ثم ظهر مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م للردّ على نسطور الذي قال: إن يسوع لم يكن إلٰهاً في حدّ ذاته، بل هو بشر مملوء من النعمة والبركة ومحبة الله له، وهو معصوم لم يرتكب خطيئة، والقول: بأنه ابن الله يعني بالمحبّة أو بالمعنى المجازي؛ فكلّنا أبناء الله.

ثم جاء مجمع خلقيدونية وليقرر أنْ للمسيح طبيعتين لا طبيعة واحدة، كما قرّره مجمع أفسس الثاني الذي قرّر أن للمسيح طبيعة واحدة. وأدّى ذلك إلى انفصال مصر والكنائس الأرثوذكسية لأنهم يقولون: بالطبيعة الواحدة بينما يقول الغربيون: بالطبيعتين.

وتتالت المجامع والانشقاقات حتى إنه لَيَصْعُبُ حصرُها جميعاً، بل يكاد أن يكون ذلك مستحيلاً.

وكل المجامع التي حدثت بعد مجمع خلقيدونية لم يحضرها المصريّون ولا الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، وبالتالي لا يمكن أن تعتبر مجامع مسكونية عالمية عامّة.

المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م:

يذكر ابن البطريق أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح وسار فيها إلى أقصى مداها حتى قال: ليس هناك قيامة (فكرة تناسخ الأرواح تنفي القيامة لأن الأرواح تنتقل من بدن إلى آخر حتى تتصل بالحقيقة الكاملة في الكون وتتّحد بها، وتسمّى تلك الحالة النرفانا أو السعادة التامّة).

والسبب في ذلك أن بعض الأساقفة الذين تأثّروا بفلسفة الهند ومذاهبها الغنوصية زعموا أن المسيح لم يكن حقيقة بل خيالاً، فاجتمع لذلك هذا المجمع. والواقع أن الغنوصية والدوستية (Docetism) كانت قديمة منذ القرن الثاني عندما ظهر مرقيون وأتباعه، ولكن فرقته اندثرت أو كادت ثم ظهرت مرة أخرى بصورة جديدة في القرن السادس الميلادي، وأدّى ذلك إلى انشقاقات

جديدة؛ ولذلك اجتمع الأساقفة والبطاركة في القسطنطينية سنة ٥٥٣م ليقرّروا في هذا الأمر. واجتمع ١٤٠ أسقفاً وأصدروا قرارهم بحرمان وطرد ولعن من يقول بتناسخ الأرواح أو الدوستية (Docetism)، وأن المسيح البشري كان خيالاً، ولم يُصلب حقيقة، بل ذلك ما كان يبدو للناس في ظاهره، أما الحقيقة فلم يتألّم ولم يمسّ، فكيف يُصلب الإلٰه ويتألّم؟.

قد أكّد المجتمعون على ضلال هذه الفرقة كما أكّدوا على قبولهم قرارات مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية الأول، ومجمع أفسس الأول ومجمع خلقيدونية.

مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠م وظهور المارونية:

نادى يوحنّا مارون في سوريا (ربما في لبنان لأنها كانت جزءاً من سوريا) أن يسوع ذو طبيعتين: إلٰهية وناسوتية، ولكنه ذو مشيئة واحدة، فتنادوا لعقد مجمع في القسطنطينية وذلك في سنة ٦٨٠م، واجتمع ٢٨٩ أسقفاً وقرّروا أن يسوع المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين وأيّدهم في ذلك الإمبراطور يوغاقوس حيث جاء في أحد كتبه لهم: «نحن نُقرّ ونؤمن بطبيعتين ومشيئتين، وفعلين لسيّدنا المسيح، وأقنوم واحد ونلعن من خالف هذا».

وصدر قرار المجمع كالتالي: «إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الأب الإلٰه في أقنوم واحد، ووجه واحد، يعرف تماماً بناسوته، تماماً بلاهوته، في الجوهر الذي هو ربّنا يسوع المسيح، بطبيعتين تامّتين، وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد». وشهدوا كما شهد المجمع الخلقيدوني أن الإلٰه الابن في آخر الزمان اتّخذ من العذراء السيّدة مريم القديسة جسداً إنسانياً بنفس ناطقة عاقلة، وذلك برحمة الله محبّ البشر، ولم يلحقه في ذلك اختلاط ولا فساد، ولا فرقة ولا فصل، ولكن هو واحد يعمل ما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته، وما يشبه الإلٰه أن يعمله في طبيعته، الذي هو الابن الوحيد، الكلمة الأزلية المتجسّدة التي صارت لحقّه لحماً، كما يقول الإنجيل المقدّس من غير أن تنتقل من مجدها الأزلي، وليست بمتغيّرة، ولكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلٰه وإنسان، وبهما يكمل قول الحقّ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها، فتعملان

بمشيئتين غير متضادتين»[1].

وهو كلام سقيم متناقض من أوّله إلى آخره، وقد أدّى بهم القول: بتأليه يسوع إلى مجموعة من المتناقضات والبحث في يسوع هل هو إله؟ هل هو إنسان (ناسوت ولاهوت) وكيف يجمع بين الطبيعتين؟ فانقسموا إلى القائلين: بأصحاب الطبيعة الواحدة (المونوفست)، وأصحاب الطبيعتين، ثم إن أصحاب الطبيعتين انقسموا أيضاً عندما بحثوا: هل له مشيئة واحدة أم مشيئتان؟ ثم إن أصحاب المشيئتين اختلفوا. وفي كل مرة يتمّ لعن المخالف وطرده وحرمانه واعتباره عدوّاً للدين الحقّ ومارقاً عنه.

وهكذا انفصل المارّون عن الكنيسة الغربية ويوجد ٩٦ بالمئة من المارون في لبنان، ومنها طبعاً هاجروا إلى مختلف أصقاع الأرض، وخاصة إلى الأمريكتين (الشمالية والجنوبية)، ولكن المارون عادوا في أثناء الحرب الصليبية عندما اتّصل بهم البابوات ووطّدوا الصّلات بهم، وعادوا إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية معترفين بالبابا كسلطة عُليا، وبالبطريرك المحلي رئيساً لهم في القرن السادس عشر الميلادي.

مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٧٥٤م لتحريم الصور والتماثيل:

لقد تأثر النصارى الموجودون في البلاد الإسلامية بمحاربة الإسلام للصور والتماثيل وفي عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك بتحطيم التماثيل الموجودة في البلاد الإسلامية، وإن كانت للنصارى أو غيرهم، على اعتبار أن الإسلام اعترف بالنصرانية كدين سماوي وأنهم من أهل الكتاب. وأمّا عبادة الصور والأوثان، فهو وثنية خالصة ولا يمكن أن يعتبروا بذلك أهل كتاب، ويتمتّعوا بالميّزات التي أعطاها الإسلام أهل الكتاب حيث أحلّ الإسلام طعامهم وذبائحهم ونكاح المحصنات العفيفات منهم.

ويقول الأستاذ أمين الخولي في بحثه صلة الإسلام بإصلاح المسيحية: «إن النصارى تأثّروا بالإسلام في هذا الموضوع، واشتهر ليون الثالث بذلك حتى لُقّب: مكسّر الأصنام». ويقول الأستاذ أمين الخولي نقلاً عن كتاب الطرق النيقية

---

(١) محمد أبو زهرة: «محاضرات في النصرانية» كما ينقله عن ابن البطريق في تاريخه المسمّى «نظم الجوهر».

إن ليون فعل ذلك لكي يتقرّب إلى المسلمين، كما تأثر بما فعله المسلمون في بلادهم من تحطيم للصور والأصنام وإن كانت للنصارى أو غيرهم. وكانت حركة ليون الثالث بعد ستّ سنوات فقط من قيام يزيد بن عبد الملك بن مروان بتحطيم الأوثان والصور، أي في عام ١٠٨هـ/ ٧٢٦م.

واستمرّ نقد الصور والأصنام في الكنائس في أوروبا، وقرّر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤م، عقد مجمع لمناقشة هذه القضية، فاجتمعوا في القسطنطينية للمرة الثالثة. وقرّروا تحريم اتّخاذ الصور والتماثيل، كما حرَّموا طلب الشفاعة من مريم العذراء. وقد اعتذر عن الحضور بطاركة أنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية. وحضره ٣٤٠ أسقفاً برئاسة بطريرك القسطنطينية... ونتيجة غياب مطارنة وبطاركة أنطاكية وبيت المقدس والإسكندرية لم يعتبر مجمعاً مسكونياً عاماً.

وكان يوحنا الدمشقي (٦٧٥م ـ ٧٤٥م) مؤيّداً لاستخدام الأيقونات وعبادتها، وقد ردّ على المنتقدين الذين قالوا: إن الأيقونات ليست في الكتب المقدسة قائلاً: «إنكم لن تجدوا (التثليث أو وحدة جوهر الأب والابن) أو (إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين) لن تجدوا أيّاً من ذلك في الكتب المقدّسة. ولكننا نعلم أن هذه المعتقدات صحيحة... وهي كلّها بدع مستحدثة جاء بها الآباء، وإذا ضاعت هذه التقاليد يصبح الإنجيل كلّه مهدّداً»[1].

ويبدو أن مؤتمر القسطنطينية هذا كان ردّاً على يوحنا الدمشقي وأمثاله الذين أصرّوا على رأيهم، ولهذا لم يحضروا هذا المجمع. (توفي يوحنا الدمشقي قبل مجمع القسطنطينية هذا، ولكن أنصاره بقوا على مذهبه، واستمرّ تعظيم الأيقونات).

المجمع النيقوي الثاني سنة ٧٨٧م، لإباحة تعظيم الصور والأيقونات والتماثيل:

أثار المجمع السابق (القسطنطينية لعام ٧٥٤م) امتعاض كثير من الكنائس،

---

(١) نقلاً عن دون كوبيت: مسيح البلاد المسيحية في الفصل السابع في كتاب: «أسطورة تجسّد الإله» لمجموعة من علماء اللاهوت البريطانيين.

The Myth of God Incarnate, editor John Hick, SCM Press, London, pp. 133 - 147.

لهذا أقنعوا الملكة إيريني بالدعوة إلى مجمع آخر في نيقية لمناقشة هذه القضية مرة أخرى. وبالفعل تمّ اجتماع ٣٧٧ أسقفاً في نيقية وأصدروا القرار التالي: «إنا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدّسة والملابس الكهنوتية فقط، بل في البيوت وعلى الجدران وفي الطرقات؛ لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القدّيسة والرسل وسائر القدّيسين في صورهم شعرنا بالميل الشديد إلى التفكير فيهم، والتكريم لهم، فيجب أن تؤدّى التحية والإكرام لهذه الصورة، لا العبادة التي لا تليق إلا بالطبيعة الإلٰهيّة». وهكذا أُعيد الاحترام والتوقير للصور والأيقونات، وتمّت عبادتها فعلاً دون أن يصرّحوا بتلك العبادة. وقد وافق على قرارات المجمع معظم الكنائس، ولذا اعتبروه عاماً رغم مخالفة بعض الكنائس له.

ويقول دون كوبيت في الفصل السابع (مسيح البلاد المسيحية) الذي كتبه ضمن مجموعة من الكتّاب اللاهوتيّين البريطانيين (أسطورة تجسُّد الإلٰه) عن موضوع الفن والصور ما يلي[1]: «الغريب حقاً أن الفن المسيحي قبل عهد قسطنطين كان بصورة عامة ضد الصور، ولاقى الفن المسيحي معارضة شديدة حتى في عهد قسطنطين. فقد كتبت أخت الإمبراطور قسطنطين إلى البطريرك أوزيبوس تطلب صورة للمسيح، ولم يكن هناك أسقف أكثر خضوعاً للملوك من أوزيبوس، ومع ذلك فقد رفض طلبها بحدّة مفسّراً لها الأُسس التوراتية والتقاليد في كراهة الكنيسة لعبادة الأصنام والصور. والفنّ المسيحي كما يقول لا يوجد ولا يمكن أن يوجد. . .».

«إلا أن احتجاجات رجال الكنيسة الكبار ذهبت أدراج الرياح، وبرز الفنّ المسيحي كجزء من عملية مركّبة أصبحت من خلالها المسيحية وثنية بصورة واسعة جداً في إيمانها وعبادتها وتنظيمها وتعاليمها الاجتماعية».

«والفترة التي وضعت فيها أُطر العقيدة المسيحية الكلاسيكية عن المسيح وتمّ فيها تأليه المسيح (مجمع نيقية الأول ٣٢٥م، ومجمع خلقيدونية وما بعدها) كانت هي أيضاً الفترة التي نمت فيها بأسلوب واسع العملية الوثنية في تصوير ونحت الأيقونات عن المسيح. . .».

---

(١) المصدر السابق: «أسطورة تجسّد الإلٰه»، ص ١٣٣ ـ ١٤٧.

وينقل كوبيت كلام ثيودور كلاوس[1]: «لقد حوّلوا الطريقة التي كان يعرض بها يسوع المسيح، لقد بدأوا النظر إليه كحاكم كلي القدرة الذي يحكم جميع الخلائق... ويصوّرونه حاكماً جالساً على عرش مزين بالجواهر والطنافس الوردية وتحيط به الهالة الملكية، وتُقبّل يداه ورجلاه. ولم يبقَ من آثار يسوع إلا وجهه السامي الأسمر الملتحي المتطلّع إلى الدنيا بحزن... وللأسف أصبحت مريم الأم والإمبراطورة، كما حُوّل الحواريون إلى مجلس الشيوخ (Senators)، والملائكة شكّلوا أفراد البلاط السماوي. أما القدّيسون فقد مُثّلوا كضيوف يطلبون لقاء الإمبراطور حاملين معهم هداياهم».

وانتشرت بعد ذلك الأيقونات والصور، وكما يقول كوبيت أدَّت إلى آثار ضارّة بالنسبة للإيمان بالله وبالنسبة لإدراك علاقة الإنسان به، وأضعفت عقيدة التجسيد تقدير الناس لأسلوب يسوع في الدعوة، والقيم المتميّزة التي كان يدعو إليها. وبدلاً من ذلك نمت دراسة أيقونات المسيح، وتحوّلت الاستعارات والرموز إلى حقائق.

«وتمّ تصوير الإلٰه بصورة بشرية في الفنون، واستخدمت الأيقونات والصور في ذلك، وظهر التثليث في أعمال فنية عديدة في أوروبا منذ فترة طويلة حيث يظهر الإلٰه الأب بشكل بشري أيضاً (ولكنه أكبر سنّاً وذو لحية بيضاء) مع الابن الذي يختلف عنه تماماً. ونادراً ما يدرك المرء هول البشاعة اللاهوتية في الصور. وإذا كان للألوهية نفسها شكل بشري مسبق قبل التجسّد (وظهور يسوع)، يجب إذن فهم التجسّد بالطريقة الوثنية... وفي لوحة فنية قديمة في فارصوفيا ثلاثة رجال وامرأة وحمامة: الله الأب وابنه الخالد في فئة الأبوّة، والعذراء مريم وولدها الابن المتجسّد في طبيعة بشرية. والحمامة معششة في تاجها (ممثلة للروح القدس. وقد ورد في إنجيل يوحنا أن يوحنا المعمدان رأى الروح القدس بصورة حمامة تنزل على يسوع بعد أن عمَّده في نهر الأردن)، وكل هؤلاء في مجموعة واحدة».

«وظهر الله في الفنّ الغربي الأوروبي كرجل عجوز، وهذا كلّه نتيجة للعقيدة

---

(١) المصدر السابق نقلاً عن:

T. Klauser: A Short History of Western Liturgy. Oxford University Press, 1969, pp. 32 - 37.

الخلقيدونية التي اعتمدتها جميع الكنائس المسيحيّة الموجودة. وقد أَنْسَنَتْ (أي جعله إنساناً) عقيدة التجسّد الألوهية إلى درجة لا تُطاق»[1].

مجمع القسطنطينية سنة ٨٦٩م وانفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية:

أدّت العقائد المنحرفة في التثليث إلى المزيد من الخلافات: حيث وقع خلاف جديد بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما حول الروح القدس: هل انبثق من الأب فقط؟ أم من الأب والابن معاً؟.

نادى أسقف القسطنطينية (فوسيوس) بأن الروح القدس منبثق من الأب فقط. بينما نادى أسقف روما بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً.

واجتمع المجمع في القسطنطينية للمرّة الرابعة سنة ٨٦٩م، وخرج بالقرارات التالية:

١ ـ إن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً.

٢ ـ إن المرجعية الدينية في أمور العقيدة المسيحية تعود لروما.

٣ ـ إن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يصدرها رئيس كنيسة روما.

٤ ـ لعن وطرد البطريرك فوسيوس وحرمانه هو وأتباعه واعتباره مارقاً من الدين خارجاً عن الملّة، ملعوناً أبد الآبدين.

لكن فوسيوس عاد إلى منصبه في القسطنطينية وجمع الأنصار، وعقد مجمعاً آخر سنة ٨٧٩م جمع فيه أنصاره من اليونان وبعض الكنائس الشرقية. ولذا عُرف باسم المجمع الشرقي اليوناني تمييزاً له عن المجمع السابق الغربي اللاتيني. ورفض هذا المجمع الجديد كل القرارات السابقة. ولعن رئيس الكنيسة في روما لعناً أبدياً خالداً ردّاً على لعنته له، وطرده إيّاه.

وأدّى هذا المجمع إلى انقسام تامّ وعداء مستمر بين الكنيسة اليونانية الشرقية والتي أُطلق عليها أيضاً الكنيسة الأرثوذكسية (أي المستقيمة) اليونانية تمييزاً لها عن الكنائس الأرثوذكسية في مصر والحبشة والسريان والنساطرة،

---

(١) المصدر السابق: دون كوبيت: (مسيح البلاد المسيحية) ضمن كتاب أسطورة تجسّد الإله، ص ١٣٣ ـ ١٤٧.

وبين الكنيسة اللاتينية الغربية والتي عُرفت بالكاثوليكية، ومقرّها روما ويرأسها البابا، والحرب بين الفريقين مستمرة إلى يومنا هذا؛ فالكنيسة الأرثوذكسية اليونانية كان مركزها القسطنطينية، وانتشر مذهبها في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، وخاصة في روسيا وأوروبا الشرقية، بينما انتشرت الكاثوليكية في أوروبا الغربية، وبقيت على ذلك حتى انفصل عنها البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي كما سيأتي.

ويرأس الكنيسة الغربية الكاثوليكية البابا، وله مجلس من الكرادلة يمثّلون الأساقفة من مختلف الأراضي. ولا يختار البابا إلا من مجلس الكرادلة، وللبابا سلطات واسعة، وهو معصوم عندهم؛ لأنه قد تجسَّد فيه الإله يسوع المسيح كما تجسّد من قبل في بطرس (الحواري) الذي يدّعون أنه ذهب إلى روما، وأسّس كنيستها، وهو أمر لا دليل عليه من التاريخ، بل الواقع التاريخي أن بطرس بقي في أورشليم وقُتل فيها. على أيّة حال يسمّون كنيسة الفاتيكان الكبرى كنيسة القدّيس بطرس (St. Peter)، ويعتبرونها أمّ الكنائس. وقد انتشرت الكاثوليكية في العالم مع الاستعمار الإسباني والبرتغالي، فأمريكا الجنوبية والوسطى كلها كاثوليكية والفليبين كاثوليكية، وكثير من البلدان التي دخلتها المسيحية مع الاستعمار الإسباني والبرتغالي في آسيا وأفريقيا كلّها كاثوليكية، وكثير من دول أوروبا الغربية كاثوليكية، فإيطاليا وفرنسا وبلجيكا وإسبانيا والبرتغال وإيرلندة وبولندة كلها كاثوليكية، وفي ألمانيا نصف السكان أو أكثر من الكاثوليك، وهكذا تعتبر الكاثوليكية اليوم أكبر الفرق النصرانية وأشدّها تنظيماً وقوة ويدَّعون أن أتباعها يقتربون من ثمانمئة مليون، بل يوصلها بعضهم إلى المليار.

أما الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، فأتباعها جميع سكان اليونان وقبرص وروسيا والدول الأوروبية الشرقية التي كانت تحت الستار الحديدي مثل بلغاريا وهنغاريا وصربيا ما عدا بولندا التي أغلب سكانها كاثوليك، ومنهم البابا يوحنّا الحالي.

وقد انعقدت بعد انفصال الكنيستين عدة مجامع لكنها كلها لم تكن مسكونية؛ لأن جميع الكنائس الأرثوذكسية اليونانية والمصرية الحبشية والسريانية لم تكن تحضرها ولا تشارك فيها، ورغم ذلك يزعم الكاثوليك أن تلك المجامع مسكونية عامّة.

المجامع اللاحقة (غير مسكونية):

المجمع التاسع: مجمع لاتران الأول عام ١١٢٣م[1]: وأهم قراراته أن تعيين الأساقفة هو من شأن البابا وحده، لا من شأن الحكّام المدنيين (الأباطرة والملوك).

المجمع العاشر سنة ١١٣٩م في روما (مجمع لاتران الثاني): حاول هذا المجمع إزالة الخلافات بين الكنيستين الشرقية اليونانية الأرثوذكسية والغربية اللاتينية الكاثوليكية، ولكنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً.

المجمع الحادي عشر سنة ١١٧٩م (مجمع لاتران الثالث): توصّلوا فيه إلى أن البابا ينتخب من مجمع الكرادلة بثلثي الأصوات على الأقل. وقرّروا السكوت عن القربان (العشاء الرباني) والتحوّل الفعلي للخبز إلى جسد يسوع والخمر إلى دم يسوع المسيح الممجّد؛ لأن أصواتاً ارتفعت تستنكر التحوّل الفعلي في العشاء الربّاني، وتقول: إن ذلك أمر رمزي؛ فاختلف المندوبون وقرّروا السكوت عن هذه المسألة، وبالتالي تستمر العقائد السابقة فيما يسمّى العشاء الرباني (القربان) (Eucharist) وأن التحوّل يتمّ فعلياً، حتى يتم عقد مؤتمر جديد.

المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٠م ـ ١٢١٥م (مجمع لاتران الرابع): قرّر بالفعل تحوّل القربان (العشاء الرباني) إلى يسوع الممجّد لحماً ودماً؛ فالخبز الذي يقدّمه الكاهن بعد الطقوس يتحوّل إلى لحم المسيح، والخمر الذي يكرّسه الكاهن يتحول فعلاً إلى دم المسيح، وبالتالي نأكل المسيح ونشرب دمه، ويحلّ فينا ونحلّ فيه.

وقرّر المجمع أيضاً أن الكنيسة البابوية تملك حقّ إصدار صكوك الغفران وتمنحه لمن تشاء؛ لأن البابا هو ممثل المسيح، والمسيح قد حلّ فيه، وبالتالي يأخذ مكانة يسوع في العصمة، وفي إصدار الغفران، وله تقرير العقوبات المناسبة ليتمّ الغفران.

وقد أعاد مجمع لاتران التأكيد على عقيدة التثليث التي يراها:

«إننا نؤمن إيماناً جازماً ومن أعماق قلوبنا بأن هنالك إلٰهاً واحداً خالداً لا نهائياً لا يحول ولا يزول، إلٰهاً لا نفهمه، عظيماً لا يمكن التعبير عنه: الأب

---

(١) لاتران قصر في روما كان مقاماً للبابوات مدة عشرة قرون تقريباً، أول من أقامه قسطنطين من أجل صديقه أزيبوس بطريرك روما. وبنى له كنيسة وأغدق عليه الأموال والأراضي.

والابن والروح القدس. ثلاثة أقانيم لكنهم جوهر واحد بسيط جداً في مادّته وطبيعته. إن الأب لم يولد من شيء، وأن الابن صدر عن الأب فقط. أما الروح القدس، فقد صدر عن الاثنين معاً؛ وذلك إلى الأبد وبلا نهاية. الأب ينجب، والابن يُولد، والروح القدس ينبثق، وكلّهم متساوون في العظمة والخلود»[1].

ويعلّق على ذلك الباحث الألماني د. ف. ستراوس: «الحقيقة أن كل من يُعلن إيمانه بهذه العقيدة، إنما يُعلن تخلّيه عن كل قوانين التفكير البشري».

ويقول كارل جوستاف يونج العالم النفسي الشهير في كتابه (علم النفس والدين الغربي)[2] (Psychology and Western Religion):

«عندما تطوّرت فكرة التثليث المسيحية عبر القرون حاربت كل التيارات العقلانية، وخاصة ما سُمّي الهرطقة الآريوسية التي كانت تذهب إلى أن المسيح إنسان وليس ابناً لله... وبذلك كانت عقيدة التثليث كَبْحاً للحرية وللفكر العقلاني، وكانت التصريحات الدينية غير عقلانية بالمعنى الحرفي للكلمة».

«والتطوير المسيحي للتثليث نسخ المثال المصري القديم لفكرة الأب والابن (رع موتف) والتي كانت سائدة في اللاهوت المصري... وهكذا نجد أن تصوّرات الإنسان لله كانت منتظمة في مفاهيم تثليثية وآلهة مثلثة، بل إن كثيراً من الشعائر والطقوس والممارسات السحرية كانت تعتمد على أساس ثلاثي». (سبق أن ناقشنا التأثيرات الوثنية في المسيحية بتفصيل في الباب السادس من هذا الكتاب، فليرجع إليه القارىء).

«وقد شهد مفهوم التثليث المسيحي كل أنواع الجدل والسفسطة والمناورة والدسائس والصراعات الممكنة. وكان ذلك وصمة عار في تاريخ عقيدة التثليث التي قامت أصلاً على الآثار القويّة للمثال الأصيل المستمدّ من الوثنيات القديمة. وقد قامت الكنيسة بجهود قاتلة ويائسة لمحاولة عقلنة هذه العقيدة التي لا يمكن أصلاً عقلنتها.

---

(١) كارل يونج: علم النفس والدين الغربي، اختصار وترجمة سميرة عزمي الزين، الأصول الوثنية للمسيحية، المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت ١٩٩١م، ص ١٠٦.

C.G. Jung: Psychology and Western Religion.

(٢) المصدر السابق، (١١١ ـ ١٢٠.

وقد سبّبت هذه العقيدة من الدماء والحروب فيما بين معتنقيها بمختلف مذاهبهم ما لم يحدث للإنسانية ما يشبهه أو يقرب منه. وقد أثارت هذه العقيدة آثاراً نفسية خطيرة للإنسان دامت قروناً طويلة».

«ويخبرنا التاريخ عن ردّات الفعل القوية للعالم المتحضّر في تلك الفترة. ولا تزال ردّات الفعل مستمرة، والتي تنسب دائماً إلى روح القدس؟؟!! وهذا يدلُّ على أن عقل الإنسان لا يشكل العامل الأساسي في اختراع هذه الأفكار، بل هناك نزعة قويّة متسلّطة من اللاوعي هي التي تحدّد ذلك، وهو أمر نفسي لا يدخل تحت نطاق العقل والفكر...

«وهكذا يبدو أن تاريخ التثليث المسيحي ليس إلا بَلْوَرةً للمثال الأصيل المتحدّر من الوثنيات القديمة، ويبدو الثالوث المسيحي بصفاته الباطنة السرّية التي تتحدّى العقل والمنطق مثل دراما إلٰهية يمثّل فيها الإنسان في أحسن أحواله دوراً سلبياً مُرهَقاً بالتثليث.

«ولا بدّ لنا من القول: إنه يصعب علينا أن نفهم ما يعنيه التثليث، سواء على المستوى العملي أو على المستوى الأخلاقي أو الرمزي. إن اللاهوتيين يشعرون أحياناً أن المناقشات حول هذه القضية تظهر وكأنها نوع من الشعوذة الفارغة وغير المُجْدِية، بل إن كثيراً من اللاهوتيين المعاصرين لا يرتاحون إلى فكرة تأليه المسيح، ويعتقدون أن حشر الروح القدس في التثليث الإلٰهي إحراج لا معنى له».

«والأنسَنة (أي أن المسيح إنسان) في المسيح تضرب أعماقها في العقائد المسيحية الأولى (مجموعة أورشليم والأبيونيون ثم آريوس... الخ) التي ناهضت التثليث، بينما نجد مناهضة التثليث في عصرنا الحاضر تطلق صوراً للألُوهة أقرب إلى اليهودية أو الإسلام منه إلى المسيحية». ويواصل يونج كلامه فيقول: «ولا شكّ أن كل من يحاول التعرض لمسألة التثليث من وجهة نظر فكرية أو عقلانية سيضطر إلى الجدل والخصام والتعرّض لغوغائية آباء الكنيسة الفارغة من المعنى. إن عودة الإنسان وخصوصاً رجل اللاهوت إلى العقل والمنطق يدلّ على أن كل الجهود التي بذلتها المجامع المسيحية واللاهوت قد فشلت، ولم تستطع أن تقدّم للأجيال تصوراً فكرياً لهذه العقيدة يجعلهم يدعمونها أو يتعاطفون معها على الأقل. وهنا لا يبقى إلا الإذعان للإيمان والإقلاع عن الفهم (اترك عقلك واتبعني، التي نادى بها كثير من أحبار الكنيسة وباباواتها). وهذا الأقنوم الثالث من الجانب

النفسي أمشاج متنافرة خارجة عن العلاقة بين الأب والابن. ولا يمكن فهمه إلا كفكرة شوهاء اخترعها البشر».

ويرى يونج أن الإيمان بدون تفكير يؤدي إلى الشك والحيرة ثم النقد الذي ينشر مناخاً تنويرياً عقلياً، ولكنه يرى أن النقّاد لفكرة التثليث يخطئون عندما يعالجون هذه القضية فكرياً وعقلياً، لأنها بالأساس غير عقلية ولا منطقية، ولا تخضع للفكر من أساسها، وإنما هي ظاهرة نفسية تمثّل العقل اللاواعي للإنسان. إن كل الحكايات والعقائد الأسطورية التي قدّمتها المسيحية والوثنيات القديمة تعبّر عن تصورات أسطورية نعثر عليها غالباً في أحلام الناس. وهي جميعاً تدور حول الحلم بكائن بالغ القوة وبطل كامل... إنها تشبه أحلام الناس بحيوانات ذات صفات سحرية أو بتركيبة سحرية...

وقد حضر مجمع لاتران الرابع الأساقفة الكاثوليك، وحضر معهم أيضاً بطريرك الموارنة أرميا الثاني، وازداد التقارب بين الموارنة والكاثوليك الذي بدأ منذ الحروب الصليبية، وفي القرن السادس عشر للميلاد اعترفت كل المراتب والهيئات المارونية الكنيسية بالسلطة العليا لبابا روما[(١)]، وبالتالي أصبحت في إطار الكنيسة الكاثوليكية بعد أن انفصلت عنها فترة.

وتوالت المجامع بعد ذلك، ولكنها كلها كانت محصورة في الكاثوليك، وأهم هذه المجامع:

المجمع التاسع عشر: مجمع ترنتو (ترنت)[(٢)] من عام ١٥٤٢م إلى عام ١٥٦٣م لمناقشة البروتستانتية:

وقد تمّ انعقاد هذا المجمع لمناقشة انقسام الكنيسة الغربية وظهور المجموعة

---

(١) أليكسي جوارفسكي (الإسلام والمسيحية) ترجمة د. خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢١٥، نوفمبر ١٩٩٦م، ص ١٩٨.

(٢) ترنت (ترنتو) مدينة إيطالية وهي مقاطعة أيضاً تقع في شمال إيطاليا على نهر أديجي (Adige)، صارت مقر دوقية اللومباردي ووقعت تحت حكم الأساقفة الأمراء منذ عام ١٠٢٧م، وعقد فيها مجمع ترنت، وفيها آثار رومانية من القرون الوسطى، وبها صناعات النسيج والأثاث والطباعة ودباغة الجلود، وتزرع فيها الفواكه والخضروات. حكمتها النمسا منذ عام ١٨١٤م حتى عام ١٩١٨م.

البروتستانتية. وتواصل الاجتماع لواحد وعشرين سنة (١٥٤٢م ـ ١٥٦٣م)، وذلك لمناقشة الفصائل البروتستانتية، وأقوالها، وكيفية الردّ عليها. وقد أدّى ظهور البروتستانتية إلى تغيير لخارطة أوروبا، وقيام حروب عديدة، منها ما استمرّ ثلاثين عاماً، ومنها ما عُرِف بحرب المئة عام، ومنها حرب الروزيس، التي دمرت أوروبا وقسمتها طوال ثلاثة قرون. وبقيت بقاياها في الحرب في شمال إيرلندة إلى اليوم.

وقد كانت الكنيسة الكاثوليكية قد فسدت فساداً كثيراً، وظهر البابوات الفسقة ـ كما تقول دائرة المعارف البريطانية ـ وأشهرهم عائلة بورجيا، وعلى رأسهم البابا إسكندر السادس الذي حكم في البابوية من عام ١٤٩٢م إلى عام ١٥٠٣م. وقد أوضحنا في الباب الثالث ما ذكرته عنه دائرة المعارف البريطانية من فضائح وسلوك شائن، حتى إنه كان يزني بابنته لوكريزا وأنجب منها طفلاً، ونُحيل القارىء على ذلك الباب.

وكانت الكنيسة قد تحوّلت إلى دولة زمنية، ودخلت مختلف أنواع الحروب القذرة، واشتدَّت في معاركها ضد ملوك أوروبا الذين لم يتحالفوا معها. كما وقفت سدّاً منيعاً ضدّ العلم الحديث والعلماء؛ فقتلت كوبرنيكس واضطر جاليلو إلى التنكّر لما قاله عن دوران الأرض حول الشمس... وتدخّلت في الحياة العامة بشكل جعل الحياة كئيبة، وانتشرت محاكم التفتيش والبحث عن الساحرات والهراطقة. وقد ذكر مجلة (دير شبيجل) الألمانية كما ينقله عنها الدكتور خالص جلبي في صحيفة الشرق الأوسط في مقالة: (شمس الحرية)، أن الكنيسة أحرقت مليون امرأة بتهمة السحر، وذلك بين عامي ١٤٥٠م و١٧٥٠م. وقد كانت احتفالات حرق الهراطقة في إسبانيا مشهداً ممتعاً للملك ولرجال الكنيسة. وكادت أم الفلكي الألماني كبلر أن تنتهي مشوية على الحطب. وفي عام ١٥٥٦م أُحرق المصلح الديني البريطاني توماس كرامر. وقد أحصى الأديب والفيلسوف الفرنسي فولتير إحراق ملايين البشر بسبب دعوى الهرطقة والسحر. وقد أدّى هذا كلّه إلى قيام الثورات العنيفة ضد الكنيسة، ومنها الثورة الفرنسية التي كانت ضد تحالف الكنيسة مع الملكية والإقطاعية... وجعلت الثورة شعارها: (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس).

وأخيراً اعترف البابا الحالي بولس الثاني بهذه الجرائم، وقال: «إن ما

حدث في تاريخ الكنيسة عار كبير. كيف يمكن للإنسان أن يسكت عن هذه الألوان من ممارسة العنف في صورة حروب دينية تُشَنّ، ومحاكم تفتيش تصبُّ العذاب على البشر باسم الإيمان؟!! إن ما فعلته محاكم التفتيش في العصور الوسطى كان التمهيد الفعلي لقيام أنظمة توتاليتارية (Totalitarism) في القرن العشرين وأنظمتها القمعية من نموذج الجستابو (النازي)، وجهاز الاستخبارات الـ(KGB) الشيوعي، والأستازي (STASI) في ألمانيا الشرقية.

وبقي السجل الأسود للكتب الممنوعة في الكنيسة ساري المفعول حتى الخمسينات من القرن العشرين عندما وافق الفاتيكان على الاطلاع على ٤٥٠٠ ملف سرّي تعود لمحاكم التفتيش واستخبارات الكنيسة».

ومن الواضح جداً أن المجامع الكنسية المتتالية زادت من انغلاق الكنيسة وتشدّدها، وتكفيرهم لكل من خالفهم من رجال الكنيسة، ومن تَبِعهم، وزيادة التعصّب المقيت، وظهور دولة الكنيسة الزمنية حيث تحول البابا إلى إمبراطور فعلي، والكرادلة إلى ملوك، والقسس إلى حكّام محليين، وأجهزة مخابرات، وأدوات تعذيب. تفنّنوا في ذلك بشكل لا يُصدَّق، وهناك كتب كثيرة تعالج هذه القضية، ولعلّ كتاب (الجانب المظلم من التاريخ المسيحي) (The Dark Side of Christian History) للباحثة هيلين أليربي من أفضلها وأحدثها (صدر عام ١٩٩٥م - الطبعة السادسة ٢٠٠١م عن دار مورننمج ستار ولارك (Morning Star and Lark Orlando U.S.A.)، وكتاب (المسيحية والسيف) تأليف المطران برتولومي دي لاس كازاس، ترجمة سميرة عزمي الزين، إصدار المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت ١٩٩١م، فنُحيل القارىء الكريم عليهما، ففيهما ما يكفي ويغني.

ولم تكتفِ المجامع بلعن وطرد كل من خالفها من رجال الكنيسة (ابتداء من لعن آريوس في مؤتمر نيقية وانتهاء بلعن مارتن لوثر وكالفن في مجمع ترنتو)، وإنما لعنت وطردت من رحمة الله مجموعة من الملوك، فقد تمّ طرد فردريك ملك فرنسا، ولعنه، وذلك بواسطة البابا أينوست الرابع في المجمع الثالث عشر في ليون سنة ١٢٤٥م. كما تمّ طرد ولعن هنري الثامن ملك إنجلترا، عندما تزوّج وطلّق للمرة الثامنة، فقرَّر الملك هنري الثامن إقامة كنيسة جديدة تولّى هو بنفسه رئاستها، وعُرِفت باسم الكنيسة الإنجليكانية، المستمرة إلى يومنا هذا حيث يرأس الكنيسة ملك بريطانيا، وينوب عنه في تسيير أمورها أسقف كانتربري. وقد قام

البابا بلعن هنري الثامن، وذرّيته إلى أبد الآبدين، وجعلهم جميعاً مخلّدين في نار جهنم ـ ملعونين أينما ثُقفوا ـ ولهذا فإن العلاقة بين بريطانيا وبين الفاتيكان متوترة حتى اليوم. ولا يستطيع أي بابا أو أسقف رسمي من الكنيسة الكاثوليكية أن يذهب إلى بريطانيا. ولا تزال وثيقة لعن ملوك بريطانيا موجودة ومستمرة، ولا بدّ أن يجتمع مجلس الكرادلة أو يعقد مجمعاً خاصاً لإزالة هذه اللعنة عنهم.

ووقفت الكنيسة ضد العلم في العصور الوسطى ـ كما هو معروف ـ مما أدّى إلى الحرب بين العلم والدين، وأن يصبح الدين في أوروبا بالفعل أفيوناً للشعوب، كما قال ماركس. وقامت ثورات متعددة تبغي الإصلاح من رجال الكنيسة أنفسهم، ومن هؤلاء ثورة الإصلاحيين.

يوحنا هوس وتلميذه الذي رفض أن يكون للكنيسة سلطان في غفران الذنوب، وإصدار صكوك الغفران، فأدّى ذلك إلى انعقاد (مجمع كونستاس) الذي قرّر قتل العالمين الثائرين، وبالفعل تمّ إعدامهما بواسطة رجال الكنيسة!!.

ثم ظهر **أرزم** (أرزا موس) (١٤٦٥م ـ ١٥٣٦م) ووجّه دعوته إلى الحكّام المستنيرين ودعا إلى قراءة الكتب المقدّسة، وأن تترجم بلغات الناس في أوروبا، ولا تبقى محصورة باللاتينية أو اليونانية التي لا يفهمها إلا القلّة، ورفض البابا آراءه بشدّة.

وظهر **تومس مور** الفيلسوف والأديب المفكّر الإنجليزي (١٤٧٨م ـ ١٥٣٥م) ودعا إلى إصلاح الكنيسة متّبعاً في ذلك منهجاً هادئاً، ومعلناً بأن سلطان البابا الديني يجب أن يشمل الجميع، لكن لا بدّ من إصلاح الكنيسة ومناهجها فلم تُقبل دعوته.

وظهر في ألمانيا **مارتن لوثر** (١٤٨٢م ـ ١٥٤٦م) الذي صُدم عندما زار الفاتيكان والبابا والأساقفة الكبار حيث رأى مجموعة من الفَسَقة الذين انغمسوا في الملذّات والشهوات المحرَّمة، وتكالبوا على الأموال، وأخذوها بكل وسيلة محرَّمة، وجعلوا أنفسهم آلهة من دون الله، فأخذ ينتقدهم بعد عودته إلى ألمانيا. وممّا زاد في غضبه وحنقه ضدّهم أن البابا أرسل مندوبين يبيعون صكوك الغفران في ألمانيا ليجمع الأموال لإعادة بناء كنيسة القدّيس بطرس في روما وتوسيعها وتجميلها. وهنا ثار (مارتن لوثر) وأعلن بطلان صكوك الغفران، وأن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب... واعتبرها وسيلة حقيرة لابتزاز الأموال والإثراء على حساب المؤمنين؛ فتهيّج الرأي العام، وغضب البابا، وأصدر قراره بحرمان مارتن لوثر، ولعنه، وطرده من ملكوت السماوات والأرض، وأن مقرَّه في قعر جهنم وبئس المصير. واجتمع مجمع (ورمز) لمحاكمة لوثر الذي صادق على قرار الحرمان، ولكن بعض الأمراء في ألمانيا تعاطفوا مع لوثر، ومنهم أمير سكسونية،

بسبب تدخّلات البابا في شؤونهم. وفي عام ١٥٢٩م حاول الإمبراطور الألماني أن ينفذ قرار الحرمان، ولكن لوثر كان قد كسب قوة شعبية هائلة في أرجاء ألمانيا، مما جعل الأمر مكلفاً وباهظاً بالنسبة للإمبراطور، فترك الأمور الدينية للبابا يعالجها بطريقته مع مخالفيه.

صورة من صكوك الغفران التي بسببها ثار مارتن لوثر:

فيما يلي نصّ لأحد صكوك الغفران التي كانت تُباع، ويقوم مندوب البابا ببيعها واستلام الثمن في مقابل هذا الصكّ ليدخل خزينة كنيسة روما، ويتصرّف بها البابا.

«ربنا يسوع المسيح رحمك يا فلان، ويُحلُّك باستحقاقات آلامه الكليَّة القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلُّك من جميع القصاصات (جمع قصاص) والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علّة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القدّيسين، أردّك ثانية إلى الطهارة والبرّ اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخُطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح لك الباب الذي يؤدّي إلى فردوس الفرح. وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيّرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة. باسم الأب والابن والروح القدس».

ورسول البابا لا يمحو الذنوب الماضية فقط بهذا الصك الذي يدفع فيه المذنب مبلغاً من المال، وإنما يدخله أيضاً في شراكة القدّيسين. ولا يعيده كما نقول نحن كيوم ولدته أمّه، لأنه يوم وُلد كان مضمخاً بالخطيئة، ومتحمّلاً لجريمة آدم الذي أكل من الشجرة، وإنما يعيده إلى لحظة المعمودية التي بانغماسه في الماء تطهّر على يد الكاهن من ذنب آدم ومن كلِّ ذنب تلاه. ولا يكتفي مندوب البابا بذلك كلّه وإنما يغلق أمامه باب الجحيم، ويفتح أمامه باب الجنّة عندما يحين أجله. ولو عاش دهراً طويلاً منذ شرائه هذا الصكّ وارتكب في تلك السنين

ما تقشعر لهوله الأبدان، فإن مفعول هذا الصكّ يستمرّ في غفران الذنوب السابقة واللاحقة، والماضية والآتية غفراناً تامّاً أكيداً مهما بلغت الجرائم وارتفعت الذنوب إلى عنان السماء ومهما سفك من الدماء البريئة، وأزهق من الأنفس الطاهرة واعتدى على الأعراض والأموال، فكل ذلك مغفور له بهذا الصكّ البابوي، ومكانه في الجنّة محجوز.

انفصال لوثر عن الكاثوليكية وتكوين مذهب جديد، وموقف لوثر من اليهود:

وقد انفصل مارتن لوثر عن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي يرأسها البابا، وأسّس الكنيسة اللوثرية. وقد عُرفت حركته وحركة كالفن وزونجلي باسم المحتجين أو المعترضين (البروتستانت) (Prostentants) لاحتجاجهم على صكوك الغفران وعلى الفاتيكان، **وكانت أهم النقاط التي اختلف فيها مارتن لوثر مع الفاتيكان كالتالي:**

١ ـ **الكتاب المقدس بقسميه (العهد القديم والعهد الجديد) يشكلان المرجعية للمسيحية**، ويجب ترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية واليونانية التي لا يعرفها إلا النخبة لتكون بلغة المخاطبين... أي تتمّ الترجمة بكافة اللغات الأوروبية وغير الأوروبية، حتى يستطيع كل فرد أن يتّصل بالله عن طريق الكتاب المقدّس. وكل فرد مسؤول بذاته أمام الله، ولا داعي لواسطة البابا والكهنوت، وبالتالي لا يملك البابا ولا الكهنوت حقّ إصدار الغفران، فالذي يغفر الذنوب هو الله وحده.

٢ ـ **الخلاص عن طريق النعمة الإلٰهية**، وليس عن طريق الإيمان أو العمل؛ فالله هو الواهب وبرحمته وكرمه وجوده نخلص.

٣ ـ **الأسرار الدينية التي تحرص عليها الكنيسة الكاثوليكية ليست هي الإيمان**؛ وإنما مساعدة للإيمان.

٤ ـ **المعمودية ضرورية للتجديد**؛ ولكن لم يحدد لوثر طريقة معينة للتعميد، تاركاً ذلك لكل كنيسة على حدة.

٥ ـ **تختار كل كنيسة طقوسها في إطار الكتاب المقدس**؛ ويختار المنتسبون لهذه الكنيسة رجالها وكهنتها، أي أنه أدخل النظام الديمقراطي في صلب الكنيسة.

٦ ـ اعتبر العشاء الرباني والقربان رمزياً ولا يحدث في الحقيقة؛ وبالتالي لا يتجسّد المسيح في آكلي الخبز من يد الكاهن. . . ولا يدخل دمه في الذين يشربون كأس النبيذ من يد الكاهن.

٧ ـ لا قداسة للبابا ولا للكهنوت؛ ويجوز لرجال الدين الزواج، وبالتالي ألغى نظام الرهبنة.

٨ ـ كان لوثر في أول أمره يعظم اليهود نتيجة اهتمامه بالعهد القديم؛ ونتيجة استدلاله بقصة المرأة الكنعانية التي كانت تصرخ وتطلب من يسوع أن يشفي ابنتها المريضة، فقال لها: لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالّة، فسجدت له قائلة: يا سيد أعنّي. فقال: ليس حقاً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فقالت: نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك ما تريدين، فشفيت ابنتها من تلك الساعة (إنجيل متّى ١٥/٢١ ـ ٢٨). وكان لوثر يقول: «إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء. ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها كالمرأة الكنعانية تماماً». ذكر ذلك في كتابه المشهور (يسوع وُلد يهودياً) الذي نشره سنة ١٥٢٣.

وهذا الكتاب لا يزال يُطبع ويعاد طبعه بملايين النسخ، ولاقى عناية فائقة من اليهود والمسيحيين المتصهينين، وخاصة في العصر الحديث وبالذات في العقدين الأخيرين.

وبما أن مارتن لوثر أعاد النظر في المسألة اليهودية، وعرف الكثير عن حقائق اليهود، فإنه وضع كتاباً جديداً مناقضاً تماماً لكتابه الأول، وأسمى كتابه الجديد (فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم) ونشره عام ١٥٤٤م أي بعد ٢١ سنة من نشر كتابه الأول. وفيه أوضح أكاذيب يهود، وأن الأفضلية التي كانت لهم قد نزعها الله عنهم، وأنهم لم يعودوا أبناء إبراهيم، بل أبناء إبليس كما قال عنهم يسوع الممجّد.

ولكن الجماعات اللوثرية خاصة، والبروتستانتية عامة، لا تزال تنشر كتابه الأول الذي مدح فيه يهود، وتخفي كتابه الثاني الذي فضح فيه اليهود وأكاذيبهم.

وقد بلغت الوقاحة بالاتحاد العالمي للوثريين أن يصدر عام ١٩٨٣م من استكهولم بالسويد بياناً يعلن فيه براءتهم من كتاب مارتن لوثر (فيما يتعلق باليهود)، وكل ما صدر عن لوثر من إدانة لليهود في مقالاته المتأخرة بما فيها هذا الكتاب. واجتمع في نفس العام رؤساء الكنائس اللوثرية في سانت لويس بالولايات المتحدة وأعلنوا أسفهم للملاحظات المهينة والمتطرفة التي أبداها لوثر عن اليهود، وأنهم لا يلتزمون بها، بل ينكرونها ويشجبونها أشدّ الإنكار والشجب.

والواقع أن كتابات لوثر وكالفن (اليهودي الأصل) وهما مؤسّسا البروتستانتية التي تمدح اليهود وتلزم المؤمنين بالعهد القديم، هي الأساس الأول الذي بُنِيت عليه الصهيونية المسيحية الملتزمة بدعم قيام كيان لليهود في فلسطين ودعم إسرائيل بدون حدود بعد قيامها بصورة تجعل من المستحيل على هذه الجماعات ألّا تدعم إسرائيل دعماً كاملاً؛ لأن ذلك ينبع من عقيدة دينية يغذّيها اليهود باستمرار بذكاء وخفاء. يظهر هذا الدعم لإسرائيل بصورة واضحة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عهد ترومان إلى اليوم. وكلما جاء رئيس جديد كان التزامه بدعم إسرائيل أكثر من سابقه. والمسلسل مستمر ومخطّط اليهود إقامة الدولة العالمية التي يحكمون بها العالم. وقد ترشح ليبرمان الديمقراطي للانتخابات الرئاسية (ديسمبر ٢٠٠٤م)، وهو أوّل يهودي يعلن ترشيح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة، وفي انتخابات سنة ٢٠٠٠م كان هو نائباً للمرشح الديمقراطي إلجور، وقد فشل أمام جورج بوش الابن الأكثر تعصباً للصهيونية المسيحية.

ويسعى هؤلاء المتصهينون إلى هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل بزعم أن المسيح لن يأتي إلّا بعد تحقيق النبوءات الثلاث التي جاءت في سِفر حزقيال، وهي أن يعود بنو إسرائيل إلى فلسطين كما تعود الطير إلى أوكارها (من بعد الشتات)، والثانية أن تعود لهم أورشليم، وتكون تحت حكمهم، وكلاهما قد تحقّق. والثالثة أن يتمّ هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل حتى يأتي المخلص يسوع المسيح الممجّد. والواقع أن نبوءات حزقيال قد تحقّقت بعودة المنفيّين من بابل على يد قورش الإمبراطور الفارسي، وأن أورشليم صارت لهم، وأن الهيكل بُنِي من جديد في عهد قورش قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام.

٩ ـ انتقد لوثر جميع الكنائس البروتستانتية عبادة الصور والأيقونات والتماثيل، واعتبر ذلك كلّه نوعاً من الوثنية. وكانت صور مريم والمسيح والروح

القدس تملأ الكنائس، كما كانت التماثيل تقام لمريم في كل مكان، فحاربها لوثر حرباً شديدة. ومنع أن تدخل هذه الصور والتماثيل إلى الكنائس، بل وحتى خارجها.

واعتبر مريم امرأة صالحة ولكنها لا تملك الشفاعة، وشنَّع على ما أسماه عبادة مريم المنتشرة لدى فرق كثيرة من الكاثوليك وغيرهم (الأرثوذكس أيضاً).

ولهذا ترى الكنائس البروتستانتية بسيطة وخالية من الصور والتماثيل، ما عدا الصليب الذي لم يدخلوه في القائمة، واعتبروه رمزاً للمسيحية فقط.

١٠ ـ **موقف لوثر من الإسلام**: يقول أليكسي جوارفسكي في كتابه (الإسلام والمسيحية)[1]: «في القرن السادس عشر حصلت تغييرات كبرى في موقف المسيحيين إزاء الإسلام حيث إن الأوروبيين بدؤوا يلمسون كيف أن السبق الثقافي أصبح يتحوّل إلى صفّهم. وبدءاً من نهاية العصر الوسيط لم يعد الأوروبيون ينظرون إلى الإسلام بوصفه منافساً جدّياً في ميدان العقل والعلم. حتى إن مارتن لوثر تهكّم على تصوّرات القرون الوسطى الأوروبية حول الإسلام، وقدّم لتأييد وجهة نظره هذه عيّنات ونماذج تقليدية مما أسماه (خرافات الأوروبيين وجهالاتهم حيال الإسلام)، ورفض لوثر فكرة الحروب الصليبية وأدانها، ونادى بدلاً من ذلك بوجوب اتّخاذ موقف صبور ومتسامح من الأتراك (كانت الدولة العثمانية قويّة آنذاك)، لأنه رأى فيهم عقوبة ربانية عادلة للمسيحيّين بسبب خطاياهم وذنوبهم».

«ولكن ما أن اقتربت الجيوش التركية العثمانية في عام ١٥٢٩م من فيينا، حتى تغيّرت تلك اللهجة فأصبحت أكثر عدائية وحِدَّة، وانبعثت القوالب القديمة (القرون وسطية: القروسطية) التقليدية من جديد، مركّزة على وصف الإسلام بأنه دين عنف، والذي يخدم المسيح الدجال، وأن المسلمين معادون للعقل والعقلانية؛ ولهذا فإنه لا فائدة تُرجى ولا طائل من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصحيح. ولكن الحلّ الأجدى هو مجابهتهم بقوّة السيف وحده وإبادتهم!!!».

نفس الكلام يتكرّر في أجهزة الإعلام الغربية بصورة متفاوتة، ولكن الحقد

---

(١) ترجمة خلف جراد، نشر عالم المعرفة، الكويت ٢١٥، نوفمبر ١٩٩٦م، ص ٩٧.

الصليبي القديم ينبعث من حين لآخر ويشتدّ ضراوة متّهماً الإسلام بالتعصّب والانغلاق والتخلّف، ومتّهماً معتنقيه بالإرهاب، والديماجوجية، وعدم القدرة على التفكير السليم، وأنهم أصبحوا سُبَّة للبشرية وتهديداً مستمراً لأمْنها وسلامتها وتقدّمها. ولا بدّ من إخضاعهم بقوة الحديد والنار، وتغيير مناهجهم الدراسية وإعادة صياغة أفكارهم وعقائدهم من جديد، وأعلن هنتنجتون (صراع الحضارات) ومن قبله وصف الرئيس الأمريكي نيكسون (الإسلام) بأنه الخطر الذي يتهدّد الحضارة الغربية، رغم أن الشيوعية والاتحاد السوفيتي والحرب الباردة كانت كلّها قائمة، ولكنه لم يرَ الخطر الحقيقي إلّا في الإسلام.

انتشرت الكنيسة اللوثرية وصارت هي الرسمية في كل من ألمانيا والدانمارك وآيسلندا والنرويج والسويد وفنلندا، وهي أكبر الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة.

وظهر في نفس الفترة زونجلي من سويسرا (١٤٨٤م ـ ١٥٣١م) وأيّد دعوة مارتن لوثر، وكذلك ظهر الفرنسي جون كالفن (١٥٠٩م ـ ١٥٦٤م) الذي أيّد دعوة مارتن لوثر ودعمها ووسّعها وأصَّلها؛ بل تُعتبر كتاباته الأصل في تنظيمات الكنيسة البروتستانتية، وأقام حكومة مشيخية في جنيف (Presbyterian)، وعُرِف أنصاره في شمال فرنسا باسم الهجونتُ (Huguenot)، وانتشرت دعوته في هولندا وإسكوتلندا.

وقد أدّى ظهور البروتستانتية إلى انفصال تامّ بين الكنيستين (الكاثوليكية والبروتستانتية) وإلى حروب دامية. ورغم أن إنجلترا اخترعت لنفسها ديناً جديداً، وهو الإنجليكانية، والذي حافظت فيه على النظام الهرمي في الكنيسة مماثلة بذلك للكاثوليكية، مع تشابه الطقوس، وبعض السلطات لرجال الكنيسة، إلّا أنها تزعّمت التيار المحارب للبابا واعتبرت نفسها بروتستانتية.

ولم يكن البروتستانت الإنجليز والإسكوتلانديون يعترفون بالكنيسة الإنجليكانية ووجدوا أنفسهم بين نارين: نار البابا واضطهاده، ونار الملكية البريطانية التي تزعمت الكنيسة، فآثروا الهجرة إلى هولندا أولاً، ومنها هاجروا إلى العالم الجديد، وكوّنوا أول المستعمرات في أمريكا الشمالية حيث وصلوا إلى الساحل الشرقي الشمالي بواسطة السفينة (ماي فلاور)، وكوَّنوا هناك مدناً جديدة مثل بوسطن ونيويورك ونيوجرسي، كما كوّنوا مقاطعات عُرِفت باسمهم نيو

أنجلندا... إلخ. ومع مرور الزمن تحسَّنت العلاقة مع الكنيسة الإنجليكانيكية وازداد الترابط بينهم وبينها، وتكوّنت عشرات بل مئات الكنائس البروتستانتية التي لم يكن يجمعها نظام واحد، بل لكل واحدة نظامها وأسلوبها، ويكوّن المنتسبون لها مجلس الكنيسة وسمحوا للقســس بالزواج، على عكس الكاثوليكية. كما أن الانتخابات كانت ديمقراطية حقيقية، ورفضوا وجود الصور والتماثيل في الكنائس أو غيرها واعتبروها شِرْكاً فاضحاً ووثنية... وأكّدوا على قراءة الكتاب المقدّس بلغة الناس، واهتمّوا جداً بالعهد القديم لدرجة قد تفوق اهتمامهم بالعهد الجديد. ولهذا تخيّلوا أنفسهم وكأنهم بنو إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر فراراً من فرعون (الملك جيمس الأول ملك بريطانيا) واتّجهوا إلى أرض كنعان الأرض الموعودة، وقتلوا الهنود الحمر، وهم يتخيّلون أنفسهم النبي يوشع وهو يُبيد الكنعانيين والفلسطينيين كما تزعم التوراة المحرّفة. وتخيّلوا أن الرب يأمرهم بذلك فأقاموا الولايات المتحدة على الدماء من أول يوم، وعلى الإبادة من أول لحظة، وربطوا أنفسهم بصهيون، وأوجدوا الحركة الصهيونية المسيحية قبل أن توجد الحركة الصهيونية اليهودية. وهذا ما يفسّر تعاطفهم الشديد مع إسرائيل حيث يسقطون عليها كل ما قرؤوه في العهد القديم، تماماً كما فعلوا من قبل عندما أبادوا الهنود الحمر وحضارتهم. (تقول دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢م: أن عدد الهنود الحمر في الأمريكتين كانوا يبلغون قرابة مئة مليون أباد الرجل الأوروبي معظمهم وأخذ أراضيهم... في أمريكا الجنوبية انطلق الإسبان والبرتغال يبيدون الأخضر واليابس ويسرقون الذهب، وفي أمريكا الشمالية جاء الإنجليز أولاً ثم تبعهم الهولنديون والألمان والفرنسيون... إلخ، وأبادوا الهنود الحمر واستولوا على أرضهم، وعندما ظهر الذهب في الغرب من أمريكا الشمالية، جلبت حمى الذهب ملايين الأوروبيين بحيث ملؤوا القارّة بعد أن أبادوا سكّانها الأصليين. وعندما احتاجوا لليد العاملة الرخيصة جاؤوا بالأفارقة، وخاصة من أفريقيا الغربية، وازدهرت تجارة العبيد. وفي خلال قرنين من الزمن جلب الرجل الأبيض مئة مليون أفريقي مات منهم تحت التعذيب وأعمال السخرة وفي الثورات ونتيجة الأمراض وسوء التغذية سبعون مليوناً، كما تقول دائرة المعارف البريطانية، وتمّ تدمير غرب أفريقيا تدميراً تامّاً).

فهذه هي تعاليم الكنيسة بشقَّيْها الكاثوليكي والبروتستانتي بُنِيت على الدماء،

وعلى أشلاء الملايين من سكّان القارتين في أمريكا الشمالية والجنوبية وبعدها قامت حركة الاستعمار الأوروبي لنهب خيرات العالم... وكان الصليب والقسس والكتاب المقدس أحد أهم الأدوات المستخدمة في هذه الحرب القذرة المروعة... وهم أبعد الناس عن يسوع المسيح السمح الكريم النبيل، المحب للسلام، الكاره للحروب، المدافع عن الأرملة والفقير والمسكين.

المجمع العشرون: الفاتيكان المسكوني الأول عام ١٨٦٩م:

وقد انعقد هذا المجمع في روما لمواجهة العصر الحديث وعلومه والاكتشافات العلمية والتاريخية التي تقطع بعدم مصداقية الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) من الناحية التاريخية والعلمية، وبالتالي فإن الذين كتبوا هذا الكتاب المقدّس بشقّيه لم يكونوا معصومين من الخطأ... وبالتالي فإن الذين كتبوا هذا الكتاب المقدّس بشقَّيْه لم يكونوا معصومين من الخطأ... واحتدم الجدال بين مَن يرون وجوب الاعتراف بذلك، وبين من يرون عصمة الكتاب المقدّس، وأنّ كل ما فيه حقّ. واضطر المجمع إلى الاعتراف بوجود الأخطاء التاريخية والعلمية والجغرافية؛ لأن الذين اشتركوا في كتابة تلك الأسفار العديدة، وقاموا بتعديلها ونسخها بشر، وهم لا يمكن أن يسبقوا زمنهم. وكل معلومات عصرهم بما فيها من أساطير وأخطاء علمية لا بدّ أن تظهر في ثنايا الكتاب المقدّس. ولكن المهم هو الجانب الروحي والديني الذي ألهمهم الله إياه بواسطة الروح القدس، وبالتالي فإن الجانب الروحي والأخلاقي والديني هو الذي ينظر إليه بعين القداسة.

ونوقش موضوع عصمة البابا حيث أراد بعض الأساقفة إزالة هذه الصفة عنه، ولكن البابا وأنصاره تمكّنوا في النهاية من إيجاد الأغلبية الكافية لإصدار قرار يؤكّد على عصمة البابا الممثل ليسوع الرب الممجّد الذي حلَّ بصورة ما في البابا، فإذا كان يسوع يحلّ فينا بواسطة العشاء الرباني وبالتعميد، فمن باب أوْلى أن يحلَّ في ممثله الرئيسي ورئيس الكنيسة البطرسية الممتدة عبر الزمان من بطرس الحواري الذي قال له يسوع: على هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (متّى ١٦/ ١٥ ـ ١٩)؛ فعَبْر هذه السلسلة من آباء الكنيسة يتّصل البابا بيسوع الرب الممجّد ـ حسب زعمهم ـ. ولا شكّ أن يسوع يحلّ فيه بصورة

أكبر بكثير مما يحلّ فينا في العشاء الرباني (القربان)، وفي طقوس التعميد، حسب قولهم؛ ولهذا فإن البابا يعتبر مقدّساً، وبالتالي يطلقون عليه لفظ قداسة البابا. والغريب حقاً أن ترى أجهزة الإعلام العربية والإسلامية تضفي لقب القداسة على البابا، مع أن الدول البروتستانتية وإعلامها لا تمنحه هذا الشرف، فكيف نقدّسه نحن المسلمين؟!! إنها لمأساة مروعة ومهزلة مضحكة في آنٍ معاً!!.

مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني ١٩٦٢م - ١٩٦٥م:

ودعا البابا (جون) يوحنا الثالث والعشرين إلى عقده، ولكنه توفي سنة ١٩٦٣م، ثم تولّى رئاسته خليفته البابا بولس السادس (١٩٦٣م - ١٩٧٨م). لقد اتّخذ هذا المجمع سياسة بعيدة المدى لتنصير العالم وإدخاله في المذهب الكاثوليكي، وكانت قرارات المجمع تتلخص في الآتي، كما تقول الباحثة بسمة جستنيه[1]:

١ - نشر العقيدة الكاثوليكية في العالم.

٢ - محاربة الشيوعية والاتحاد السوفيتي (وكان التعاون وثيقاً مع المخابرات الأمريكية ومكارثي، وبالتالي أصبح الفاتيكان طرفاً في الحرب الباردة. وقد دبّر الفاتيكان عدّة مؤامرات في إيطاليا متعاوناً مع المخابرات الأمريكية لإقصاء الحزب الشيوعي الإيطالي عن الحكم، كما دبّر عدة مؤامرات في أوروبا الشرقية وخاصة بولندا، التي ظهر منها البابا يوحنا بولس الثاني (١٩٧٨م - ٢٠٠٥م).

٣ - التوغل في البلاد الإسلامية ونشر النصرانية فيها (بأسلوب حديث)، ومحاولة القضاء على الإسلام بشتّى الطرق بما فيها الطرق الحوارية أو ما أطلق عليها اسم الحوار الإسلامي المسيحي.

وقد ناقش المجمع مجموعة من القضايا الهامّة ومحاولة البتّ فيها، مثل: مفهوم الله والإنسان المسيحي المعاصر، البنية الداخلية للكنيسة ودور البابا فيها، ومناقشة التوترات الموجودة في داخل الفاتيكان نفسه ومشاكله المالية والأخلاقية والاتّهامات ضدّه، وكيفية تكوين القساوسة ورجال اللاهوت، ودور مريم العذراء في الكنيسة، وما هي مكانتها، وإلى أيّ حد تصل قداستها؟ كما درس المجمع

---

(١) بسمة أحمد جستنيه: «تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ»، دار القلم، دمشق ٢٠٠٠م، ص ٣٣٢ بتصرف وإضافة وحذف.

الأحداث السياسية وكيفية مواجهة الإلحاد والشيوعية والإسلام المتنامي، وإيجاد الصلات مع العلمانية ورجالها وتجديد الحوار معها للوصول إلى قواسم مشتركة، وبالتالي إيجاد مسمّى (تحديث الكنيسة) بمعنى إعادة صياغة العقائد المسيحية بصورة يمكن أن تتّفق مع الاكتشافات العلمية الهائلة وعصر التنوير والتحديث. وبحيث لا يضطر عامّة أتباع الكنيسة وخاصة ذوي الفكر إلى الهروب منها إلى الإلحاد والعلمانية المعادية للدين. (انتهى باختصار وتصرف يسير).

وخصّص المجمع جزءاً كبيراً من نشاطه حول (علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية) والتي عُرِفت بمسألة (Nostra Aetate)، ونُوقشت هذه العلاقة في مجموعة من الوثائق الصادرة عن المجمع: في الدستور العقائدي في الكنيسة، وفي الدستور الرعوي في الكنيسة وعالم اليوم، وفي القرارات المجمعية (في رسالة العلمانيّين) وفي مهمة الأساقفة الرعوية في الكنيسة، وفي نشاط الكنيسة الإرسالي، وفي البيانات الصادرة عن المجمع (في الحرية الدينية) وفي التربية المسيحية.

وأوْلى هذا المجمع اهتماماً خاصاً بالإسلام، فكما يقول أليكسي جورافسكي في كتابه (الإسلام والمسيحية)[1]: فللمرة الأولى منذ أربعة عشر قرناً من وجود المسيحية والإسلام يتحدّث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابية (نسبياً) عن المسلمين، معترفاً بوضعهم الديني المتميّز، وشبّهوا التغيير الحاصل في موقفهم من الإسلام بالانقلاب الكوبرنيكي الذي غيّر مفاهيم الفلك القديمة وقلبها رأساً على عقب، خاصة أن الهجوم على الإسلام بعنف استمرّ من الفاتيكان بصورة رسمية حتى عام ١٩٥٧م، عندما أصدر البابا بيوس الثاني عشر وثيقة (Fidei Donum) التي هاجم فيها الإسلام، ورأى في انتشار الإسلام في أفريقيا خطراً على الكنيسة، كما أصدرت الكنيسة الكاثوليكية كتابها الضخم المكوّن من أربعة مجلدات بعنوان (تاريخ الإرساليات الكاثوليكية)، وفيه اعتبر الإسلام عدوّاً، واعتبر نشاط الإسلام وفعاليته العالمية كارثة تضاهي إن لم تَفُقْ وتزيد على خطر الشيوعية والإلحاد.

(١) أليكسي جورافسكي: «الإسلام والمسيحية»، ترجمة د. خلف جراد، عالم المعرفة، الكويت (العدد ٢١٥)، نوفمبر ١٩٩٦م، ص ١٣٧ ـ ١٥١.

«وفي عام ١٩٦٠م كلّف البابا يوحنا الثالث والعشرون الكاردينال بإعداد مسودة نص مجمعي عن اليهود يزيل عنهم تهمة قتل الله!!»[١].

وقاوم البطاركة الكاثوليك من البلاد العربية (أنطاكية، ومصر وسوريا وغيرها) تبرئة اليهود؛ لأن ذلك سيعتبر عملاً سياسياً يخدم دولة إسرائيل، ويمكن أن يوتّر العلاقات بين المسيحيّين والمسلمين في البلاد العربية. هذا بالإضافة إلى أن المسيحيّين العرب يُعانون في فلسطين مثل المسلمين هناك من تعنُّتِ إسرائيل التي تضايقهم في حياتهم مثلما تضايق المسلمين.

وعندما زار البابا بولس السادس منطقة الشرق الأوسط في ديسمبر ١٩٦٤م، وألقى خطاباته في عمان والقدس والقاهرة تقدم (بتحية أخوية للمسلمين) وأعلن «احترام الكنيسة الكاثوليكية لأولئك الذين يعتقدون التوحيدية، والذين يعبدون معنا إلٰهاً واحداً وحقيقياً». وكوّن البابا سكرتارية (أمانة سر) لشؤون الديانات غير المسيحية وحدّد مهمتها الأساسية في إقامة «حوار مخلص مع أولئك الذين يؤمنون بالله ويعبدونه. وأكّد البابا على ضرورة التقارب والحوار مع المسلمين بصفة خاصة».

وتحدّث الدستور العقائدي في الكنيسة (De Ecclesia) عن اليهود والمسلمين معتبراً إيّاهم ينتمون إلى شعب الربّ، حيث جاء فيه ما نصّه[٢]: «وأولئك الذين لم يأخذوا الإنجيل بعد، ولكنهم بدرجة مختلفة ينتمون إلى شعب الربّ. وأوّلهم ذلك الشعب الذي منحهم الرب العهود والمواثيق، والذين منهم المسيح حسب الجسد (أي اليهود)، الشعب الذي من جهة الاختيار منهم أحباء من أجل الآباء (أي آباء الكنيسة والحواريّين الذين كانوا كلهم من اليهود)؛ لأن هبات الله هي بلا ندامة (أي أنه لا يندم ولا يرجع عنها)؛ لأن الخلاص سيشمل الذين يعترفون بالخالق، وأوّلهم المسلمون الذين يعتقدون أنهم يتّبعون ملة إبراهيم، ويعبدون معنا الإلٰه الواحد الحيّ القيوم الرحيم، الذي سيحاسب الناس يوم الدين. الإلٰه الذي خلق العالم وكلّ ما فيه، الذي يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء؛ لأن المخلّص (يسوع المسيح الممجّد) يريد أن جميع الناس يخلصون. أولئك الذين ليس ذنبهم لا يعرفون إنجيل المسيح وكنيسته، ولكنهم يبحثون بإخلاص عن

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٨. (٢) المصدر السابق، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

الربّ، وبتأثير النبل والخير يسعون لأن ينفّذوا بأعمالهم إرادته، حيث يقودهم إلى ذلك ضميرهم، وبذلك يمكن أن يحوزوا على الخلاص الأبدي، فالإرادة الإلٰهية لا ترفض منح المساعدة لأجل الخلاص لأولئك، الذين ليس لهم ذنب في عدم بلوغهم المعرفة الواضحة للربّ، ولكنهم يتبعون حياة صحيحة بعون الربّ ذاته. والكنيسة تنظر إلى أن كل ما تمكنوا من بلوغه من خير وصالح وحقيقي إنْ هو إلّا تهيئة للإنجيل، وهبة من ذلك الرب الذي يهدي كل فرد، وبالتالي فإنه يملك الحياة ذاتها في نهاية المطاف».

ولا شكّ أن هذا الدستور العقائدي يختلف عن كل عقائدهم السابقة واللاحقة في المسلمين حيث يعتبرونهم كفرة وثنيين يعبدون محمداً ﷺ، الأفّاق بزعمهم، والذي كان قسّيساً مسيحياً فارتد، وأن المسلمين مجموعة من القتلة (Saracenes) الإرهابيين، مصابون بالتخلّف والتعصّب المقيت، ولا يرجى منهم أي خير إلا إذا أمكن تحويلهم إلى المسيحية، وهو أمر أثبت التاريخ الطويل للتبشير بينهم أنه أمر عسير المنال لشدّة تعصّبهم، وأن لا سبيل إلى ذلك إلّا بأخذ أطفالهم وتبنّيهم، وذلك بإثارة الحروب الشديدة بينهم أو ضدّهم، بحيث يبقى آلاف الأطفال دون عائل ولا كفيل، ومثاله ما حدث في الصومال حيث تمّ في أثناء الحرب الأهلية ونزول قوات الأمم المتحدة اختطاف آلاف الأطفال إلى روما وغيرها من دول أوروبا والعمل على تنصيرهم، وما حدث في البوسنة والهرسك حيث قامت أوروبا بدعم السفاح ميلوسيفتش وعصابته مثل كراديتش (الطبيب النفسي والشاعر)، وحيث أقاموا المجازر في البوسنة للمسلمين، ثم قامت المؤسسات الدينية باختطاف أطفال المسلمين إلى أوروبا والولايات المتحدة وتمّ تبنّيهم حتى ينشؤوا نصارى، وقد حدث مثل ذلك في أفريقيا وأندونيسيا، وكانت الكنيسة منذ القرن التاسع عشر تأخذ اللقطاء من المسلمين في البلاد التي كانت ترضخ تحت الاستعمار، وبالتالي ينشؤون على النصرانية منذ نعومة أظفارهم. وموضوع التبشير يحتاج إلى مجلّدات، وبالفعل هناك العديد من الكتب العربية الجيّدة في هذا المضمار والتي تتحدّث عن الحركة التبشيرية بين المسلمين ووسائلها العديدة، آخرها مقرّرات مؤتمر كلورادو ١٩٧٨م.

ومن الواضح أن الدستور العقائدي الذي بقي مشروعاً ولم يصادق عليه يعتبر خطوة إلى الأمام استخدم عبارات جيّدة عن المسلمين، ولكنه اعتبر أن ذلك

خطوة هامة أقامها الرب حتى يتعرّفوا على الإنجيل وعلى يسوع الرب الممجَّد، حسب زعمهم، أي لا بدّ من تنصيرهم في نهاية المطاف.

وقد صدر التصريح الخاص بعلاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٥م، ووافق عليه ٢٢٢٦ أسقفاً بينما اعترض عليه ٨٨ صوتاً فقط.

ويتحدّث (تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية) عن تعزيز المحبة بين الناس والأمم والبحث عمّا هو مشترك بين الناس، وما يقودهم إلى مصير واحد. وأثنى على الهندوسية والبوذية وما فيهما من جوانب زهدية وتنوير للنفس البشرية والتسامي بها، والتي اعتبر أنها تحمل شعاعاً من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس.

وجاء في ذلك **التصريح عن الإسلام**، ما نصّه[١]: «إن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار أيضاً إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الأحد الحيّ القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، ومكلّم البشر، الذين يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفيّة، كما خضع له إبراهيم، الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي. وأنهم يجلّون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون أمه مريم العذراء، كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحياناً (**هذا غير صحيح بل هو كذب وافتراء**). علاوة على ذلك، فإنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضاً، ويؤدّون العبادة لله لا سيما بالصلاة والزكاة والصوم».

«وإذا كانت قد نشأت، على مرّ القرون، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع المقدس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معاً العدالة الاجتماعية، والخيور الأخلاقية، والسلام والحرية لفائدة الناس جميعاً».

ويحتوي هذا التصريح على وصف إيجابي بالنسبة للعقيدة الإسلامية، ويفتح الباب أمام آفاق التعاون في المجالات المشتركة. ولكن هذا المجمع في القسم

---

(١) المصدر السابق: «المسيحية والإسلام»، ص ١٤٣ ـ ١٤٨.

السادس عشر من الدستور العقائدي لم يعتبر المسلمين أتباع ملّة إبراهيم، بل قال عنهم: «الذين يعتقدون أنهم أتباع ملة إبراهيم».

ولم يعتبر المجمع أن محمداً ﷺ رسول نبيّ من عند الله، بل سكت عن ذلك سكوتاً تاماً، وإن كان لم يقم بسبّ الرسول كما كانت تفعل الكنيسة في السابق. واللاهوتيون الكاثوليك المعاصرون يعترفون بالدور الإيجابي التاريخي لمحمد، ولكنهم لم يعترفوا به قطّ كرسول ونبيّ من عند الله، وإنما اعتبروه رجلاً مصلحاً للبدو العرب في مرحلة تاريخية معينة.

وأكّد المجمع على أن المسلمين: «يجلّون يسوع كنبيّ وإن لم يعترفوا به كإله»، وهذا حقّ، ومن نقاط الخلاف الأساسية بين المسيحية والإسلام. ولا بدّ في نظرهم كي يكمل الخلاص من الاعتراف بألوهية يسوع المسيح الممجّد. هذا رغم أن علماء الغرب وكثيراً من رجال الكهنوت أنفسهم وعلماء اللاهوت قد بدؤوا يعيدون النظر في موضوع ألوهية يسوع. وكتابنا هذا كله ينقل عشرات الأقوال لعلمائهم وكتّابهم وأساتذة علم اللاهوت في جامعاتهم الذين يُنكرون ألوهية يسوع ويعتبرون أن ذلك من التأثيرات الوثنية التي دخلت إلى المسيحية، والتي بدأها بولس ووصلت قمّتها في مجمع نيقية والقسطنطينية وأفسس (القرن الرابع ـ الخامس بعد الميلاد) كما قد مرّ معنا بتفصيل وافٍ وشرحٍ كاف.

الموحدون من النصارى

التوحيد عقيدة جميع الأنبياء والرسل:

لا شكّ أن التوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن آدم عليه السلام كان أول الموحدين من البشر، واستمرّوا على ذلك التوحيد أجيالاً بعد أجيال، ثم انحرفوا وعبدوا الطواغيت؛ فأرسل الله لهم الرسل مبشّرين ومنذرين. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقد ورد عن ابن عباس يرفعه إلى النبيّ ﷺ قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم كانوا على شريعة من الحقّ، فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين»[(١)].

وفي قراءة لعبدالله كما يقول الطبري[(٢)]: (كان الناس أمّة واحدة فاختلفوا).

واستدلّ الطبري على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس: ١٩].

ويقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن[(٣)]: «فالقرآن يُقِرّ أن الناس من أصلٍ واحد وهم أبناء الأسرة الأولى، أسرة آدم وحواء وذراريهم قبل اختلاف التصوّرات والاعتقادات». ثم يقول: «كل نبيّ جاء بهذا الدين الواحد في أصله، يقوم على القاعدة الأصلية، قاعدة التوحيد المطلق، ثم يقع الانحراف عقب كل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٤٦، ٥٤٧، وقال: هذا صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجه البخاري ومسلم ووافقه الذهبي.

(٢) «جامع البيان عن تأويل القرآن» لأبي جعفر الطبري ٤/٢٧٦.

(٣) سيد قطب: «في ظلال القرآن» ج١/٢١٥، ٢١٦.

رسالة، وتتراكم الخرافات والأساطير حتى يبعد الناس نهائياً عن ذلك الأصل الكبير، وهنا تجيء رسالة جديده تجدد العقيده الأصلية، وتنفي ما علق بها من انحرافات». ولا شكّ أن آدم عليه السلام هو أول الموحّدين، فقد روى ابن حبان في صحيحه عن أبي أُمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ قال: «يا رسول الله أنبيّ آدم؟ قال: نعم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون». وهو موافق لحديث ابن عباس الذي أخرجه الحاكم في المستدرك، قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلّهم على شريعة من الحقّ».

والإسلام هو دين الرسل جميعاً من لدن آدم عليه السلام الذي أرسل إلى بنيه ثم من بعده ابنه شيث ثم إدريس (أخنوخ) ثم نوح، وهكذا في قائمة الرسل الكرام عبر إبراهيم وأبنائه ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وخاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في وصيّته: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣١ ـ ١٣٣].

وكان من دعاء يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

والقرآن كلّه يؤكّد على هذه الحقيقة الناصعة في وحدة العقيدة من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ. والاختلاف يكون في تفاصيل الشرائع، أما أصولها فهي واحدة، وهي كلها تأمر بالبرّ، وعمل الخير، والصدق، والأمانة، وصلة ذي القربى، وبرّ الوالدين، وتنهى عن الكذب، والخيانة، والغشّ والخداع، والزّنا، والرّبا، وجميع الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، والأمر بمحبة الخير للناس أجمعين. وتأمر بالصلاة والزكاة والصوم، ثم تختلف كيفيات الصلاة ومقدار الزكاة وأيام الصوم... وما عدا ذلك فهي كل واحدة، ودين الله واحد، ولكن الأهواء والشهوات والشياطين تثير الخلافات والأحقاد.

ولا يكون المسلم مسلماً حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من لدن آدم

إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يفرّق بين أحد من رسله لأنها رسالة واحدة ودين واحد. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٥٢ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ۝١٥٣﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾ [المائدة: ٥٩].

والآيات بعد ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كثيرة جداً، وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة؛ فالأنبياء عليهم السلام أبناء علاّت: أبوهم واحد وأمّهاتهم شتّى، أي عقيدتهم واحدة وشرائعهم تختلف حسب الزمان والمكان، وإن كانت أصولها كلها واحدة. والرسول محمد ﷺ ليس إلا لَبِنَة في بناء الأنبياء والرسل. وكلما طاف طائف بذلك البناء الجميل قال ما أحسنه، لولا مكان هذه اللبنة! فكان ﷺ تلك اللبنة الأخيرة الهامة التي اكتمل بها بناء الرسالة، فهو خاتم الرسل وإمامهم وقائدهم صلّى الله عليه أفضل ما صلّى على أحد من الخلق أجمعين، الذي أعاد الناس إلى الفطرة بعد أن اجتالتهم الشياطين؛ ففي الحديث القدسي: «إني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم فاجتالتْهم الشياطين وحرَّمتْ

عليهم ما أحللتُ، وأمرتْهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً»[1]. وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن دعوة التوحيد لدى الأنبياء عليهم السلام، وخصّ الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام بمزيد من الآيات التي توضح موقفه الحقيقي.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ [الأعراف: ٧٣].

والدعوة ذاتها تتكرّر على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ [طه: ١٣ ـ ١٥].

ويلخّص القرآن دعوة هؤلاء الرسل والأنبياء جميعاً في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ويقول سبحانه وتعالى موضحاً موقف عيسى بن مريم عليه السلام من أتباعه الدين ألَّـهـوه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

ويقول عيسى ابن مريم لبني إسرائيل كما يرويه عنه ربّ العزّة في القرآن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنّة ج٤/٢١٩٧.

الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥١ ـ ٥٢].

وقال الله عن عيسى عليه السلام حاكياً مقولته: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٢، ٧٣].

وقد أوضح الله سبحانه وتعالى فرق النصارى، فمنهم من قال: إن الله هو المسيح ابن مريم، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة هم (الأب، الابن، والروح القدس)، ومنهم من جعل مريم داخله في الألوهية وهم المريميون وقد اندثروا، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ولا تزال طوائف من الكاثوليك تعظم مريم وتجعل لها الأصنام وتقدم لها القرابين، وإن لم يقولوا صراحة: إنهم يعبدونها... ولكنهم يجعلونها شافعة فيتقربون إليها ويدعونها ويتوجّهون إليها بالعبادة.

التوحيد في العهد القديم والعهد الجديد:

جاءت فقرات كثيرة في العهد القديم وفي العهد الجديد تأمر بعبادة الله وحده وأن لا يتّخذوا من دونه أرباباً.

جاء في سفر الخروج (٢٠/١ ـ ٦): «تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الربّ إلٰهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، ولا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ، لأني أنا الرب إلٰهك إله غيور».

وفي سفر الخروج (٢٣/ ٢٤ ـ ٢٥): «ألا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها، ولا تعمل كأعمالهم بل تُبيدهم وتكسر أنصابهم، وتعبدون الربّ إلٰهكم».

وفي (سفر اللاويين ١٩/ ٤): «لا تلتفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم. أنا الربّ إلٰهكم».

وفي سفر التثنية (٦/ ٤ ـ ٩) تأتي أهم الوصايا: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلٰهنا واحد، فتحبّ الربّ إلٰهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك، وقُصَّها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة في يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم بيتك وعلى أبوابك».

وهي وصية عظيمة أن تذكر الله في كل وقتٍ وآن، وأفضل الذكر لا إلٰه إلّا الله. وفيها التنبيه الشديد على أن يقولها في كل وقت ويذكرها في كل وقت، ويذكّر بها أهل بيته وبنيه لئلا يزوغوا فيهلكوا.

وفي سِفر أشعيا: «أنا أنا الربّ وليس غيري مخلص... أنا الأول وأنا الآخر لا إلٰه غيري، أنا الربّ وليس آخر، لا إلٰه سواي»، وفيه: «أنا الربّ وليس آخر؟ مصور النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق البشر». وفيه: «أنا الرب ولا إلٰه غيري، إلٰه بارّ ومخلّص، ليس سواي». وفيه: «بمن تشبهون الله وأي شيء تعادلون به... بمن تشبهونني وتسوّونني وتمثلونني لنتشابه... لأنني أنا الله وليس آخر. أنا الإلٰه وليس مثلي». وفيه أيضاً: «أنا إلٰه الدهر، الربّ خالق أطراف الأرض لا يكلّ ولا يعيا». وفي سفر أرميا: «لا مثل لك يا رب، عظيم أنت، وعظيم اسمك في الجبروت». وفي سفر ملاخي: «أليس أب واحد لكلنا؟ أليس إلٰه واحد خلقنا». وكل سفر من أسفار العهد القديم مليء بالتوحيد كما أن فيه التشنيع الشديد والإنكار البليغ على بني إسرائيل بسبب انحرافهم وعبادتهم للعجل وللأوثان وكل الرجاسات.

والنصارى يؤمنون بالعهد القديم، فقد جاء في سفر متّى (٥/ ١٧): «لا تظنّوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكلّ».

وفي إنجيل متّى (٢٢/ ٣٥ ـ ٤٠)، وإنجيل مرقس (١٢/ ٢٨ ـ ٣٤) عندما سأل أحدهم يسوع: أي وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الربّ إلٰهنا واحد. وتحب الربَّ إلٰهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه الوصية الأُولى. وثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين».

وقال يسوع في إنجيل متّى (١٩/ ١٨ ـ ١٩): «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمّك، أحب قريبك كنفسك».

وفي إنجيل يوحنا (١٧/ ٣): «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلٰه الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».

وقال لهم يسوع: «تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني» (يوحنا ٧/ ١٦).

ويقول يسوع للشيطان عندما امتحنه الله به فأراه الشيطان جميع ممالك الأُمم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي. حينئذ قال له يسوع: «اذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب للرب إلٰهك تسجد وإياه وحده تعبد» إنجيل متّى (٤/ ٨ ـ ١٠).

وحذَّرهم يسوع ليس فقط من عبادة التماثيل والصور والآلهة الأخرى، بل حذّرهم من عبادة المال وحب الدنيا. قال يسوع في (إنجيل متّى الإصحاح السادس):

«لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون... انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟»، إلى آخر الكلام الجميل الداعي إلى الزهد في الدنيا ومتاعها الفاني، وإلى النظر إلى ما عند الله، ويحثّهم على الإخلاص في العبادة لله وحده، ويشدد النكير على المرائين والمنافقين، وخاصة من الكتبة والفريسيين والناموسيين الذين يتظاهرون بالتقوى، وقد حوت قلوبهم كل نجاسة وطمع في الدنيا. وقد سبق أن نقلنا الكثير من أقواله فيهم (الباب الثالث: التعاليم الحقّة في الأناجيل)، فليرجع إليها القارىء الكريم.

المجموعات الموحدة من النصارى:

١ - **الحواريون**: لقد كان الحواريون المجموعة الأُولى التي آمنت بعيسى بن مريم ﷺ رسولاً ونبياً؛ هم من بني إسرائيل، وتذكر الأناجيل أنهم اثنا عشر شخصاً، أوّلهم سمعان بن يونا الذي لقبه يسوع بالصخرة (بطرس باليونانية، ولهذا فإن الترجمات العربية القديمة سمته الصفا. والصفا والصفوان هو الصخرة القوية الملساء). وفي إنجيل متّى (١٦/١٣ ـ ١٩): أن بطرس أجاب المسيح عندما سألهم: من تقولون إني أنا؟ فقال بطرس حسب زعمهم: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ». ونجد نفس القصة في إنجيل مرقس حيث يكون رد بطرس: «أنت هو المسيح» بدون إضافة ابن الله الحيّ. مما يجعل هذه الإضافة إمّا من متّى أو من شخص آخر أدخلها في إنجيل متّى.

وقد كان الحواريون الإثنا عشر (ما عدا يهوذا الإسخريوطي الذي قالوا: إنه خان يسوع) والرسل السبعون وأتباعهم كلّهم من الموحدين.

وقد تحدّثنا في فصول عديدة منها ما جاء عن بولس وصراعه مع مجموعة أورشليم الذي كان يرأسها يعقوب العادل (أخو المسيح من أمّه حسب قولهم)، ومعه بطرس وبقية التلاميذ، ومجموعة الرسل ومنهم برنابا. وقد اشتدّ الصراع بين هذه المجموعة وبين بولس الذي كان أول من ادّعى أن يسوع ابن الله، كما كان بولس هو الذي أصّل لهم التحلّل من أحكام الشريعة. يقول برنابا في مقدمة إنجيله: «إنه كتب هذا الإنجيل بسبب جماعة يقومون بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً، ومجوزين أكل كل نجس»، وأبدى أسفه الشديد لانضمام بولس إلى هؤلاء.

ونحن نعلم أن برنابا كان هو الذي جاء بشاول (الذي دُعِي فيما بعد بولس) إلى جماعة أورشليم، إلى الحواريين وأخبرهم عن دخوله في دين المسيح، وأنه أصبح من الدُّعاة، ولم يصدق الحواريون ذلك لمعرفتهم بتاريخه القديم في محاربة المسيحيين، وإدخالهم السجون، ومشاركته في تعذيبهم.

ولهذا فقد كانت صدمة برنابا شديدة عندما انحرف بولس وافترقا بعد ذلك افتراقاً تامّاً، ليس بسبب أخذ مرقص معهم، كما يدّعي سفر أعمال الرسل، بل بسبب انحراف بولس.

ويقرّر ذلك إنجيل برنابا، كما يقرّره أيضاً كثير من الباحثين الذين لم يطلعوا على إنجيل برنابا، ومنهم هيام ماكبي في كتابه (بولس صانع الأسطورة) أن السبب الحقيقي هو انحراف بولس وادّعاءه أنه يجتمع بالمسيح، وأن المسيح يوحي له، وأن يسوع قد أصبح ابن الله، كما أن تحلّله من أحكام الشريعة وإباحته الختان وكل نجس كانت من الأسباب الهامّة للفرقة بينهما. وقد سبق أن شرحنا ذلك كلّه تفصيلاً.

٢ ـ **الناصريون** (Nasarenes) **أو المتنصّرون**: وهم اليهود الذين تنصّروا وكان أغلبهم من منطقة الجليل (شمال فلسطين) ومن مدينة الناصرة، والنسبة لها، ولذا يقال يسوع الناصري. والناصريون أو النصارى نسبة إلى مدينة الناصرة في الجليل، وقد انضموا إلى الحواريين والرسل وكانوا شديدين في إنكارهم على بولس، وكادوا أن يقتلوه كما سبق أن ذكرناه في فصل بولس عندما جاء إلى أورشليم.

٣ ـ **الأبيونيون** (Ebonites): وهم الفقراء إلى الله، وهم فرقة من اليهود ظهرت قبل زمن عيسى ﷺ، وكانت متمسّكة بالتعاليم الحقّة وبالزهد وكانت تكره الفريسيين الشديدي الرياء والنّفاق، كما تكره الصادوقيين الذين أنكروا البعث وتأثّروا باليونان، وتبعوهم، وكانوا (أي الصادقيون) يعبدون المال ويتزلّفون إلى اليونان ثم الرومان. وقد سبق الحديث عنهم. ولما ظهر عيسى ﷺ اتّبعوه وآزروه وآمنوا به نبيّاً ورسولاً.

٤ ـ **الأسيون**: هم فرقة من اليهود ظهروا في القرن الثالث قبل الميلاد واستمرّوا إلى ما بعد زمن يسوع. وقد اهتمّ الباحثون بهم بعد اكتشاف مخطوطات مغارة قمران في منطقة أريحا قرب البحر الميت، ولذا تُعرف باسم (Dead Sea Scrolls) التي تعتبر ثورة في عالم المخطوطات في الكتب المقدّسة. ويعتبرها الباحثون في هذا المجال أعظم اكتشاف في عالم المخطوطات في العصر الحديث.

وقد كتب الفيلسوف والمؤرّخ اليهودي فيلون الإسكندري (القرن الأول بعد الميلاد) عن هذه الفرقة وسمّاها (Theraputy Theo) أي أطباء الله (لأنهم يداوون الخلق مجاناً وتقرّباً إلى الله). وكلمة ثيرابيوتي اليونانية تعني الطبيب، أو المعالج أو المداوي كما تعني أيضاً الخادم، وبالتالي يمكن أن تعني خدّام الله.

وهؤلاء القوم يسمون أيضاً الآسيّين، والآسي هو المداوي أو الطبيب باللغة الآرامية، والعربية أيضاً. والآسيّون كانوا يداوون المرضى تقرباً إلى الله، وكانوا يمزجون علاج الجسد بعلاج الروح، ويقومون بمداواة المرضى بالأعشاب وبالأدعية والرقى تقرّباً إلى الله. وقد ذكر هذه الجماعة أيضاً المؤرِّخ والعالم الطبيعي الروماني بلينوس الذي عاش في القرن الأول للميلاد.

وقد انتهج الآسيون حياة الزهد والتقشّف والطهارة الحسّية والمعنوية، وكانوا يكثرون من الاغتسال في الماء، ويصلّون الفجر جماعة في صفوف متّجهة إلى الجنوب (مكّة)، كما كانوا يلبسون الثياب البيضاء، وقد اعتزلوا مجتمع اليهود منذ أن احتلّ الإسكندر المقدوني أرض فلسطين وتبعه السلوقيّون (ضباط الإسكندر وأتباعه من اليونان) الذين حكموا سوريا وفلسطين، ثم حكم الرومان فلسطين. وكانوا هم يكرهون هؤلاء الوثنيين ويبتعدون عنهم فعاشوا في عُزلة بالقرب من أريحا في مجموعات منظّمة خاصة، تهتم بالنظافة الحسّية والمعنوية، ويلبسون الثياب البيض، ويكثرون من الاغتسال، ويصلّون صفوفاً، ويرأسهم أفضلهم ويسمّى العدل أو الهادي، ويمتنعون عن أكل اللحوم، وعن الزواج، ويتبنّون الأطفال ويربونهم على مذهبهم، ويعيشون حياة فيها كثير من الشظف والزهد، جماعة واحدة، يأكلون ويعيشون بالسويَّة، يعملون بأيديهم، ولا يسألون الناس إلحافاً ويعملون بالزراعة في منطقتهم ويأكلون مما يزرعون، ويكتفون بالقليل من الطعام.

ولهم نظام صارم أشبه بالنظام العسكري منتظرين مجيء المسيح، وكانت الكتب التي لديهم تؤكّد لهم قرب ظهوره، فلما ظهر آمنوا به ونصروه وعزروه واتّبعوا النور الذي جاء به...

وقد أُبيدت هذه الجماعة المتطهّرة والتي كانت أيضاً تنتظر مجيء النبيّ من فاران (مكة المكرمة) وتتجه جنوباً في صلواتها، كما تُوَجِّه موتاها جنوباً (أي صوب مكّة) وقد سبق الحديث عن مخطوطات مغارة قمران في الباب الأول، فليرجع إليه القارىء الكريم وفيه ذكر لبعض صفاتهم وأخلاقهم.

ويبدو أن هذه المجموعة قد أُبيدت بشكل غامض، وقد حفظت كتبها في جِرار مقفلة بشكل جيّد، ووضعتها في المغارات الموجودة في قمران (بالقرب من أريحا)، ولم تُكتشف إلاّ في عام ١٩٤٨م، ولعلّ تيطس الروماني الذي هدم

الهيكل عام ٧٠م وحطم أورشليم، كان أيضاً هو الذي أبادها. ولكن مما يشكل على ذلك وجود مخطوطة ضمن مخطوطات مغارة قمران ترجع إلى عام ١٣٤ بعد الميلاد... ولعل هذه المجموعة قد أُبيدت على مرحلتين، الأولى في هجوم تيطس عام ٧٠م، والثانية في عهد هدريان سنة ١٣٥ بعد الميلاد.

ولا شكّ أن هذه المجموعة المتطهّرة المتنسّكة المنتظرة لمقدم المسيح قد آمنت بعيسى ﷺ، وخاصّة أن دعوته مشابهة لدعوتهم من حيث إخلاص العبادة لله وحده، ومن حيث الزهد، ومن حيث شفاء المرضى... وهم ينكرون على الفرق اليهودية الأخرى تَنَطُّعها ونفاقها وتمسّكها بالمظاهر والقشور دون اللُّب، وخاصة ما كان يفعله الفريسيون والأحبار والكَتَبة، وهو عين ما كان يقوله عنهم عيسى ﷺ، كما كانوا يُنكرون على الصادوقيّين سيرهم في ركاب الكَفَرة والوثنيّين من الحكّام اليونان أولاً ثم الرومان، كما يُنكرون عليهم إنكارهم للآخرة.

فهذه المجموعة من اليهود الصالحين كانوا ممن آمن بعيسى ﷺ، ويبدو أن ذلك تمّ بعد رفع عيسى ﷺ فالتقوا بالحواريين وذهبوا إلى أورشليم عندما بلغتهم الدعوة، ثم عادوا إلى موطنهم بالقرب من أريحا، حتى أُبيدوا بشكل غامض كما أسلفنا.

هذه هي مجموعة الفرق اليهودية التي آمنت بعيسى ﷺ رسولاً نبيّاً، وكانوا على أنقى صور التوحيد والعبادة لله، وانتقدوا بولس وأتباعه بشدّة وحاربوه حتى كادوا يقتلونه لولا أن أنقذه قائد الجند الروماني.

ثم ضُربت هذه المجموعات المؤمنة بواسطة الرومان أولاً، ثم بواسطة المتنصّرين الجُدُد من الأُمم الوثنية التي أدخلها بولس إلى المسيحيّة.

٥ ـ بولس الشمشاصي وفرقته والبولقانيون:

كان بولس الشمشاصي أسقفاً لأنطاكية سنة ٢٦٥ ميلادية، من أتباع أرتيمون، وكان يعتقد ويُعلن أن يسوع المسيح هو رسول أرسله الله مثلما أرسل غيره من البشر، غير أنه وُلد لمريم العذراء من غير أب، كما وُلد آدم من غير أب ولا أم، وأن يسوع المسيح لم يَدَّعِ قط أنه إلٰه أو ابن الإلٰه، وإنما قال: إنه رسول الله. وكان يرى أن ما ورد من لفظ ابن الله على سبيل المجاز، ونحن كلنا أبناء الله، أي بمعنى أحبابه، وكما يرعى الأب أولاده ويحبّهم فالله كذلك يرعانا ويحبّنا، وليسوع المسيح المكانة العليا من ذلك.

وهو لا يؤمن بالأقانيم الثلاثة: الأب، الابن، الروح القدس، (إنما هو إلٰه واحد) لا إلٰه إلّا هو، ويسمّي المؤرِّخون أتباعه (البولقانيين)، وقد اتُّهم بولس الشمشاصي بأنه من المهرطقين من أجل ذلك.

وقد عُقدت ثلاثة مجامع محلية في أنطاكية من عام ٢٦٤م إلى عام ٢٦٩م لطرده وحرمانه، بعد إصراره على مذهبه، وبقي مذهبه وأتباعه متفرقين ثم انقرضوا بعد ذلك. وقال عنه ابن حزم[١]: «كان بطريركاً» بأنطاكية، وكان قوله: التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله، كأحد الأنبياءﷺ. خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلٰهية فيه، كان يقول: ما أدري ما الكلمة، ولا روح القدس.

ويقول ابن البطريق في بيان مذهب بولس الشمشاصي[٢]: «إن المسيح إنسان خُلق من اللاهوت كواحد منّا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلَّصاً للجوهر الأنسي، صحبته النعمة الإلٰهية، وحلّت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سُمّي ابن الله، ويقولون إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة، ولا بروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاصي بطريرك أنطاكية، وهم البوليقانيون».

وهذه التعبيرات مستغربة لدينا، ولكنها عادية بالنسبة لابن البطريق وسائر المسيحيين، وواضح أن بولس الشمشاصي وأتباعه ينكرون ألوهية يسوع ويعتقدون أنه بشر، ولا يؤمنون بالأقانيم الثلاثة، وإنما هو إلٰه واحد وأقنوم واحد له الأسماء الحسنى.

٦ ـ **آريوس (٢٥٦م ـ ٣٣٦م)**: ظهر آريوس الليبي الأصل، الإسكندراني المنشأ في الإسكندرية، وكان يقول: إن يسوع بشر وليس بإلٰه ولا ابن الإلٰه، وأنه كان أول مخلوق، ومن نوره خلق الله الأكوان، وله المكانة العالية عند الله التي لا يُدانيها أحد، ولكنه مع ذلك بشر ومخلوق من مخلوقات الله، وقد كان يقول: بمقالته عدد من المسيحيّين قبله، ولكن لم يكن لهم نفوذ ولا أتباع، فلما جاء أريوس تبعه جمّ وعدد كبير من الناس، ونشر دعوته مما أدّى إلى أن يحرمه

---

(١) نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «محاضرات في النصرانية» ص ١٥١.
(٢) المصدر السابق.

بطريرك الإسكندرية الإسكندروس، فذهب إلى فلسطين وما حولها وانتشرت دعوته هناك، مما اضطرّ الإمبراطور قسطنطين إلى عقد مجمع نيقية خوفاً من انقسام في الإمبراطورية التي بذل جهوداً جبارة في توحيدها مما سبق توضيحه.

ولَمْ تمتْ دعوة آريوس بعد عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م الذي طرده ولعنه، وإنما ازدادت دعوته قوّة، خفيةً أول الأمر، ثم علناً بعد ذلك. ويذكر ابن البطريق أن أوسابيوس أسقف نيقوميدية كان من مناصري آريوس، ثم صار أسقفاً للقسطنطينية وعقد مؤتمراً ومجمعاً في صور سنة ٣٣٤م، وقرّر فيه عودة آريوس إلى الكنيسة، وخلع أثناسيوس أسقف الإسكندرية (الذي خلف الإسكندروس) والذي كان من أشدّ المتحمسين لمجمع نيقية وتأليه يسوع. واشتدّ الحاضرون على أثناسيوس فضربوه، وأدمَوه، وانتصرت دعوة آريوس وغلبت في القسطنطينية وأنطاكية وبابل ومصر.

ولكن ما لبثت الجماعات المؤلّهة ليسوع أن تجمعت وتغلّبت على الموحدين واجتمع مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م، وقرّر عقيدة نيقية، وأضاف ألوهية الروح القدس ليكتمل التثليث: الأب، الابن، الروح القدس. إله واحد في ثلاثة أقانيم.

وكان سابيليوس ينكر وجود ثلاثة أقانيم، ويقول: إنما هو إله واحد. ولكن الغالبية في مجمع القسطنطينية قرّرت التثليث، وكان الإمبراطور ثيودسيوس يدعم هذا المجمع، ثم جاء الإمبراطور يوبيانوس، واعتنق عقيدة التثليث ونَكَّلَ بكل من خالفها ووطّد أمانة الثالوث المقدّس كما يقول بطرك الإسكندرية في رسالته إلى باسيليوس[(١)].

٧ ـ **نسطورس** (٣٨٠م ـ ٤٥١م): وُلِد بسوريا وتقدّم في النصرانية حتى صار أسقفاً لكنيسة عاصمة الدولة وهي القسطنطينية، وأعلن مذهبه بأن مريم ولدت يسوع الإنسان، وليس الإله. وقد ولدت مريم العذراء بشراً مثلنا، ولكنه اتّحد بالمحبة بعد ولادته بالله، فهو ابن الله بالمجاز، وليس بالحقيقة، مثل زعم اليهود

---

(١) تاريخ أثناسيوس (بطريرك الإسكندرية). تأليف كامل صالح كما ينقله عنه المهندس اللواء أحمد عبد الوهاب في كتابه طائفة الموحدين من المسيحيين عبر العصور، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٢.

والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه. . . والمقصود بذلك المعنى المجازي، فكلّنا حسب قولهم أبناء الله (أي بالمحبة)، والخلق عيال الله (أي معتمدون عليه كما يعتمد الطفل على أبيه وأمّه).

واجتمع مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م للنظر في مقولته، فحرمه ولعنه وطرده. ولكن نسطورس أوجد له أنصاراً في المشرق وبالذات في العراق وفارس والموصل ونصيبين والفرات والجزيرة، ولكن كنيسته لم تَبْقَ على عقيدته، فبعد قرون تحوّلت إلى القول: بألوهية يسوع.

أفراد موحدون في زمن البعثة المحمدية

٨ ـ **ظهر أفراد موحّدون هنا وهناك**، وكان منهم قبيل البعثة المحمدية **ورقة بن نوفل**، وكان امرأ قد تنصّر وقرأ التوراة والإنجيل، فلما أوحي إلى النبيّ ﷺ في غار حِراء أخذته زوجته خديجة ﵂ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وقالت: (اسمع من ابن أخيك)، فلما سمع ما ذكره النبيّ ﷺ من مجيء الملك. قال ورقة: «والله إن هذا لهو الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني أكون حيّاً حين يُخرجك قومك فأنصرك. فقال رسول الله ﷺ: أوَ مُخرِجيَّ هم؟ قال: ما جاء نبيّ بمثل ما جئت به إلا أخرجه قومه. ليتني فيها جَذِعاً، لأنصرنك. وما لبث ورقة أن توفي، فهو أول من آمن بعد خديجة ﵂».

ومنهم **سلمان الفارسي** ﷺ وأرضاه تنقّل من دين المجوسية ودخل النصرانية، وتبع أحد الأحبار الرهبان المتنسّكين، وكل واحد يوصي به إلى الآخر حتى أخبره الأخير أنه قد أظلّ زمنُ نبيّ من جزيرة العرب يظهر بين ماء ونخل فاتّجه إلى يثرب، فأخذه العربان وباعوه ليهودي في المدينة. وما زال كذلك حتى ظهر رسول الله ﷺ في المدينة فآمن.

ومنهم **عدّاس** الذي كان يعمل في بستان لصفوان بن أُميّة في الطائفة، فلمّا لجأ رسول الله ﷺ إلى ذلك الحائط (البستان) بعد أن آذاه سفهاء ثقيف وغلمانهم أقبل عليه عدّاس وأعطاه قَطْفاً من عنب فسأله النبيّ ﷺ: من أين أنت؟ فقال: من نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من مدينة يونس بن متّى؟ فقال عداس: وما أعلمك بيونس بن متّى؟ قال: ذاك أخي نبيّ الله يونس بن متّى. وأنا نبيّ ورسوله مثله، فأكَبَّ عليه عدّاس يقبّل يديه ورجليه.

ومنهم النجاشي **أصحمة** ملك الحبشة الذي لجأ إليه المسلمون، وسمع من جعفر بن أبي طالب سورة مريم فأعجبه ذلك، وأسلم. ثم أسلم مجموعة من القسس من الحبشة وتتالى دخول كثير من النصارى في الإسلام لأنهم كانوا في الأصل موحِّدين فعرفوا دين الحق، وعرفوا ما عليه النصارى الآخرون من ضلال، فاندفعوا بفضل الله تعالى إلى الإسلام.

قال تعالى في وصفهم: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

إسلام الملايين من النصارى:

ومنذ أن ظهر الإسلام أسلم الملايين من النصارى في الشام واليمن (نجران)، وفي العراق وفي مصر وليبيا وكل شمال أفريقيا (تونس والجزائر، والمغرب وموريتانيا) وفي جنوب مصر والسودان ثم في أوروبا ذاتها معقل النصرانية... مع أن الإسلام لا يُجبر أحداً على التخلّي عن دينه ومعتقده، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ولا يزال نور الإسلام ينير الدياجير رغم الحملات المغرضة الصليبية العنيفة ضدّه والتي تتّهمه بالإرهاب، والتخلّف، والتعصّب، واضطهاد المرأة والاعتداء

على حقوق الإنسان. وفي كل يوم يدخل إلى دين الله أعداد من هؤلاء النصارى في أوروبا والولايات المتحدة التي تشنّ حروباً صليبية حاقدة مُغرضة ضد الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

حركة الإصلاح في المسيحية وظهور الموحدين من جديد:

لقد قامت الحركة الإصلاحية التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي بالاحتجاج على فساد البابا والكهنوت، وعلى رفض صكوك الغفران، وعلى تنقية الكنائس والمسيحية من عبادة الأوثان والصور التي كانت تُقام وتُعلّق في الكنائس والميادين للمسيح ولمريم والروح القدس. ولكنها لم تكن صريحة في نبذ التثليث، بل إننا نجد أنها بصورة عامة أقرَّت التثليث.

ورغم ذلك نجد أن **دائرة المعارف الأمريكية**[(١)] تقول: إن أرزاموس (أرزم ١٤٦٥م ـ ١٥٣٦م) حين طبع العهد الجديد الإغريقي ونشره عام ١٥١٦م حذف منه أقوى نصّ للتثليث كما في رسالة (يوحنا الأولى ٥/٧) حيث تقول هذه الفقرة: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم، والثلاثة هم واحد».

ويذكر فلبر في كتابه (تاريخ الموحدين)[(٢)]: إن كالفن قد أعلن أن قانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية كان يناسبه أكثر أن يُغنّي كأغنية بدلاً من أن يحفظ كبيان عن العقيدة.

«لقد رفض كالفن قانون الإيمان الذي أصدره أثناسيوس (أسقف الإسكندرية)، وبدلاً من ذلك جعل قانون الرسل والوصايا العشر والصلاة الربانية أساس كتابه (خلاصة العقيدة) الذي صدر في جنيف عام ١٥٤١م؛ فمن النادر جداً أن نجد ذكراً للثالوث في هذا الكتاب.

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية. طبعة ١٩٥٩م ج٢٧، (Encyclopedia Americana)، كما ينقله عنها اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في الكتيب الصغير الحجم، الجليل القدر: «طائفة الموحدين من المسيحيين عبر العصور» ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق.

ولو كان لعقيدة الناموس أهمية كبيرة لكان كالفن قد ركّز عليها».

وكتب سرفتس (وُلد عام ١٥١١م، في نافار في أسبانيا) كتاباً أسماه (أخطاء التثليث)[١]، وفيه قال عن الثالوث والجوهر: إنما هي اختراعات فلسفية لا تعرف عنها الأسفار المقدّسة شيئاً، وندّد باضطهاد المسلمين واليهود في بلده إسبانيا.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية[٢]: إن عقيدة التوحيد لا تقبل أي معتقد لمجرد أنه صدر عن شخصية عظيمة في التاريخ، أو أنه وجد في كتاب قيل: إنه مقدّس. إنها تبجّل فكر يسوع الناصري وتعترف بعظمة حكمته، ولكنها تُنكر أن يسوعاً كان معصوماً من الخطأ (وأنه فوق البشر). إن كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدّس تسجيلاً قيّماً للخبرات الإنسانية، وهي تصرّ على أن كُتّابها كانوا معرضين للخطأ. ولهذا السبب فإن أغلب الأجزاء الرئيسية للمعتقدات المسيحية قد رفضت.

«إن الموحدين يعتقدون أن العقيدة الدينية مليئة بالحركة. إنها الوسيلة للتعامل مع المسائل التي تختصّ بالوجود الإنساني كله. إن التعليم اللاهوتي الذي لا يمسّ الحياة في أي نقطة يفقد قيمته الدينية».

إن الموحدين يؤمنون بوجود إله واحد وأقنوم واحد بدلاً من ثلاثة أقانيم. ويقول شانينج عام ١٨١٩م: «إن الثلاثة أقانيم تتطلّب ثلاثة جواهر، وبالتالي ثلاثة آلهة... إن الأسفار لم تُعطِ أي مستند للاعتقاد في التثليث. إن نظام الكون يتطلّب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية»[٣]، وهو موافق لما جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

«إن عقيدة بولس وهي أن يسوع ابن الله مات من أجل خطايانا وصار هو الخطيئة واللعنة حتى يقينا اللعنة، إنما هي عقيدة أسطورية وغير منطقية، وتعني الطعن في أخلاق الله (الأب). إن الله يجب أن لا يُعرف عن طريق اللعنة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة. إن الأب الحكيم، المحب لبنيه لا يُهلك الولد المخطىء (فضلاً عن أن يهلك ويعذب ابنه الوحيد الحبيب)، لكنه يعلّمه ويقوده في طريق الحكمة والفضيلة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٨.

إن الموت الدموي على الصليب من أجل إطفاء لعنة الله لهو أمر مناقض للحلم الإلٰهي والصبر والحكمة والمحبة التي لا نهاية لها»[1].

وقامت الحركة **المضادة للتثليث في شمال إيطاليا**، وانتشرت ما بين عام ١٥١٧م و١٥٥٣م، وكانت تنكر الأقانيم الثلاثة، وتقول: «إنما هو إلٰه واحد لا إلٰه إلّا هو». كما كان في ألمانيا عدد من الموحدين الذين سخروا من التثليث واعتبروه عقيدة وثنية تسلّلت إلى المسيحية منذ أيام بولس وزادتها المجامع الكنسية، وخاصة مجمع نيقية سنة ٣٢٥م على يد الإمبراطور الوثني قسطنطين عابد الشمس، ومنهم مارتن سيلاريوس وهانزدنك ويوحنا كمبنوس. وظهر **داود يوريس في هولندة**، وكان من دعاة التوحيد.

الموحدون في بولندا[2]:

الغريب أن حركة الإصلاح انتشرت في بولندا وبحلول منتصف القرن السادس عشر الميلادي تحوّلت أكثر من ٢٠٠٠ كنيسة إلى البروتستانتية.

ثم جاءت الحركة المعادية للتثليث لتسلك سبيلها إلى بعض الكنائس الإصلاحية، وقد تزعَّم الطبيب والعالم المشهور جورجيو بيندراتا، طبيب الملكة بونا، المدرِّس في جامعة مونتبلييه، الحركة المعادية للتثليث، وكان رئيساً لها منذ عام ١٥٥٨م. وفي عام ١٦٠٥م صدر بيان الليبراليين البولنديين الموحدين الذي جاء فيه «إن الله واحد في ذاته، وأن المسيح إنسان حقيقي، ولكنه ليس مجرد إنسان، وأن الروح القدس ليس أقنوماً، لكنه قدرة الله». وتنكر هذه المجموعة قصة الخطيئة الأصلية (خطيئة آدم). وفي عام ١٦٥٨م صدر مرسوم من الكنيسة بطرد جماعة موحدة، وبدأ اضطهادهم، وبحلول عام ١٧٣٦م كانت كل الحقوق السياسية والدينية قد سُحبت من غير الكاثوليك ونُفيت المجموعات الموحدة.

الموحدون في المجر وترانسلفانيا[3]:

بدأ الإصلاح الديني مبكراً في المجر، فمنذ أواسط القرن السادس عشر (١٥٥٧م، ١٥٦٣م، ١٥٦٨م) ظهرت ثلاثة مراسيم بالتسامح الديني، وبالتالي السماح

(١) المصدر السابق، ص ٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٠ ـ ٤٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٢ ـ ٤٥.

للبروتستانت أن يظهروا وينفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية. وكان الملك سيجموند (١٥٤٠م ـ ١٥٧١م) أول ملك موحد في أوروبا. وقد دعم بالتالي الحركة التوحيدية.

في ترانسلفانيا ظهر فرانسيس داود (ولد عام ١٥١٠م) وكان أول الأمر كاثوليكاً، فلما ظهرت حركة الإصلاح صار لوثرياً ثم تابعاً لمذهب كالفن (كلاهما من البروتستانت) ثم تحول عام ١٥٦٦م إلى التوحيد الخالص. وبالتالي واجه الكنيسة التي اعتبرته مبتدعاً ومهرطقاً، فعُزِل من وظيفته الكنسية وحُكِم عليه بالسجن إلى أن توفي عام ١٥٧٩م.

وازداد اضطهاد الموحدين عندما استعادت الكنيسة الكاثوليكية سيطرتها واشتدّ الأمر سوءاً عندما خضعت ترانسلفانيا لحكم النمسا من عام ١٦٩٠م، وزاد الأمر سوءاً في عهد ماريا تريزا (١٧٤٠م ـ ١٧٨٠م).

وتحسّن الوضع عندما حكم الإمبراطور يوسف الثاني وخليفته فرانسيس الأول؛ إذ صارت مراسيم التسامح الديني جزءاً من القانون المدني. وفي العشرينات من القرن التاسع عشر قدَّم الموحّدون البريطانيون إعانات مالية للإبقاء على مدارس الموحدين في ترانسلفانيا. وفي بداية القرن العشرين اهتمّ الموحدون من الولايات المتحدة بأحوال الموحدين من أهل المجر وترانسلفانيا. وكان على رأس هؤلاء الموحدين من الولايات المتحدة لويس كونش والدكتور جون ليثروب. وفي بداية القرن العشرين كان في المجر وترانسلفانيا نحو ١٦٠ كنيسة موحدة. ومجموعة من القسس الذين درسوا في إنجلترا والولايات المتحدة عند مجموعات الموحدين هناك.

الموحدون في هولندا[(١)]:

لقد كان الهولنديون أوّل من تقبل دعوات الإصلاح، وخرجوا من الكاثوليكية. وقد ثارت بينهم وبين البلجيكيين صراعات وحروب دامية بسبب هذا التحوّل. ودعموا الإنجليز والإسكوتلنديين المتطهرين (Puritans) الذين خرجوا على الكاثوليكية، وعلى الكنيسة الإنجليكانيكية. ومن هولندا أبحرت سفينة (ماي فلاور) التي حملت المهاجرين الجدد الإنجليز والاسكوتلنديين إلى شمال القارة

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٥ ـ ٤٧.

الأمريكية، وكوّنوا أول المستعمرات في بوسطن ونيويورك ونيو أنجلند.

ولكن الهولنديين من قبل الإصلاح الديني، كانوا يعترضون على الكاثوليكية والبابا، وقد ظهر توماس أكمبس في كتابه (على خطى المسيح) يتحدّث عن التناقض الذي يقع عند الحديث عن المسيح باعتباره الأقنوم الثاني في الثالوث المقدّس الإلٰهي، وثم يُطلب من الإنسان العادي أن يسير على نهجه، فإذا كان المسيح إلٰهاً، فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثره والسير على نهجه، ولا بدّ أن يكون بشراً حتى نستطيع أن نجعله قدوة لنا.

وكان الهولنديون أكثر تحرّراً وليبرالية من أيّ بلد أوروبي آخر، وسمحوا بالحرية الدينية ونقد الآراء الدينية الجامدة، وصارت جامعة ليدن مركزاً للجماعات الموحدة والمنتقدة للتثليث. ولم يتركوا كنائسهم الأصلية، وإنما بقوا تحت مسمّى اللوثرية والإصلاحية.

وظهر من الموحدين عدد ليس بالقليل، منهم شولتن وتيلية وكنن. وفي هولندا ظهرت الجمعية الدولية للحرية الدينية، وتولّى رئاستها الهولنديون.

الموحدون في بريطانيا[1]:

ظهر في إنجلترا جون بيدل (١٦١٦م ـ ١٦٦٢م) ونادى بالتوحيد بعد أن حصل على الماجستير من جامعة أوكسفورد عام ١٦٤١م، وعيّن مديراً (للمدرسة الحرة)، وقد أدَّت مناداته بالتوحيد إلى أن يسجن مرتين، وأن يُنْفى إلى جزيرة صقلية.

ورغم صدور قانون بالتسامح الديني عام ١٦٨٩م، إلا أنه لم يُتَسامح مع الذين يُنْكرون التثليث.

وكان لكتابات الفيلسوف والأديب الإنجليزي جون لوك تأثير قويّ على معاصريه من المفكّرين الإنجليز. وكان لوك ينادي بأن يُفهم الكتاب المقدّس في إطاره التاريخي. ولم يصرّح جون لوك بالتوحيد. ثم قال الدكتور صموئيل كلارك في كتاب (عقيدة التثليث من الأسفار):

«إن الأب هو الإلٰه الأسمى، وأن المسيح أقلّ منه رتبة»، ولكنه كذلك لم يصرّح بالتوحيد.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٧ ـ ٥١.

وظهر العالم الطبيعي جون بريستلي، وانتقد التثليث وصار آريوسياً ثم موحداً تامّاً في عام ١٧٦٨م، وطبع رسالة بعنوان: (التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين)، ووزّع منها ثلاثة آلاف نسخة. وبسبب هذه الرسالة أُرغم على ترك أنجلترا، والهجرة إلى الولايات المتحدة حيث عاش في بنسلفانيا، وقضى آخر سنوات عمره هناك، رغم شهرته، ومكانته العلمية وعضويته للجمعية العلمية الملكية.

ويعتبر ثيوفلس ليندساي (١٧٢٣م ـ ١٨١٨م) من معارف بريستلي ومن المؤيّدين له وأسس كنيسة خاصة للموحدين... وقد انضمّ إلى حركة الموحدين هذه توماس بلشام (١٧٥٠م ـ ١٨٢٩م) الذي كان قد عُيّن في منصب ديني بكلية هاكني. وتأسّست جمعية للموحدين باسم: (الجمعية التوحيدية لترقّي المعرفة المسيحية وممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب)، وأخيراً تكوّن (الاتحاد البريطاني ـ الأجنبي للتوحيد) ليضمّ الموحدين من دول أخرى.

وكان لجيمس مارتينو (١٨٠٥م ـ ١٩٠٠م) دور كبير في توضيح أن الكتاب المقدس كُتِبَ بأقلام بشر عاديّين ليسوا معصومين من الخطأ، وأن يسوع الممجّد ليس أكثر من إنسان. وتقول دائرة المعارف الأمريكية (١٩٥٩م): «يوجد في الوقت الحالي ما بين ٣٥٠ إلى ٤٠٠ كنيسة موحدة في بريطانيا ومستعمراتها السابقة. وتوجد مدرستان لتعليم التوحيد هما كلية مانشستر بأوكسفورد، وكلية التوحيد بمانشستر»[1].

وقد أفردنا الباب السابع لكتاب (أسطورة تجسُّد الإلٰه) الذي وضعه سبعة من أساتذة علم اللاهوت في أربع من الجامعات البريطانية المشهورة. والكتاب كلّه دعوة كاملة للتوحيد، وأن يسوع ليس إلا بشراً. ولم يكن إلٰهاً ولا ابن الإلٰه ولم يَدَّعِ هو ذلك، ولم يقل: بذلك سوى بولس وأتباعه ثم تطوّر الأمر بصورة أشدّ في مجمع نيقية وما تبعه من مجامع كنسية.

الموحدون في الولايات المتحدة[2]:

ظهر في القرن الثامن عشر مجموعة من الآريوسيين الذين يقولون: ببشرية

---

(١) دائرة المعارف الأمريكية لعام ١٩٥٩م، ٢٩٨/٢٧، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: «طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون».

(٢) دائرة المعارف الأمريكية لعام ١٩٥٩م ج٢٧/٢٩٨ ـ ٣٠٠، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: «طائفة الموحدين» (٥١ ـ ٥٣).

يسوع، منهم الدكتور شارلز شاونسي (١٧٠٥م ـ ١٧٨٧م) راعي كنيسة بوسطن، والقس الدكتور جوناثان ميهيو الذي ناضل ضد التثليث بشجاعة.

وفي القرن التاسع عشر تأسّست كنائس توحيدية في بلتيمور، وواشنطن، وبفلو، وأماكن أخرى.

وكان راعي كنيسة بوسطن وليم ألري شاننج (١٧٨٠م ـ ١٨٤٢م) من جماعة الموحدين، وكانت موعظته التي ألقاها عند ترسيم القسّ جارد سباركس راعياً لكنيسة الموحدين في بالتيمور في مايو ١٨١٩م واحدة من أعظم الوثائق الدينية التي كتبت في الولايات المتحدة.

وتكوّنت جمعية التوحيد الأمريكي عام ١٨٢٥م التي زاد الاهتمام بها عام ١٨٦٥م. ويبلغ عدد الكنائس الموحدة كما تقول دائرة المعارف الأمريكية لعام ١٩٥٩ ميلادية ٣٧٠ كنيسة[١]، وتوجد مدرستان للتوحيد إحداهما في شيكاغو، والأخرى في بركلي بكاليفورنيا. كما أن مدرسة اللاهوت في هارفارد تخرج مجموعة من القسس الموحدين بسبب حرية أفكارها.

الموحدون في أماكن أخرى من العالم المسيحي:

لقد استعرضنا في الكتاب من أوّله إلى الباب السابع آراء مجموعة كبيرة من علماء تاريخ الأديان المسيحيين من أشهرهم شارل جينبير أستاذ ورئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس في كتابه (المسيحية نشأتها وتطوّرها) الذي ترجمه الإمام الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله، ومنهم الدكتور هيام ماكبي أستاذ تاريخ الأديان في معهد ليوبايك في لندن في كتابه (بولس صانع الأسطورة، واختراع المسيحية)، وقد استعرضنا مقاطع وفصولاً من الكتاب في الفصل الخامس، كما استعرضنا مجموعة من الكتب منها كتاب أندريه نايتون: (الرموز الوثنية للديانة المسيحية)، وكتاب عالم النفس الشهير كارل يونج (علم النفس والأديان الغربية)، ومجموعة من الكتب اختصرتها وترجمتها الكاتبة الفاضلة سميرة عزمي الزين، ونشرتها بعنوان (الأصول الوثنية للمسيحية)، كما استعرضنا عدداً من المؤلفين، ودائرة المعارف البريطانية والأمريكية، وكلّهم يوضحون بجلاء

---

(١) المصدر السابق.

الأصول الوثنية للمسيحية التي عُرِفت منذ أيام بولس، وتوطّدت بعد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م، مثل المجموعة التي وضعت كتاب (الدم المقدّس والكأس المقدّسة) (The Holy Blood, the Holy Grill).

وما كتبه وول ديورانت في كتابه الموسوعي (تاريخ الحضارة)، وآرنولد توينبي في كتابه (بوتقة امتحان النصرانية)، وما كتبه المؤلفون لكتاب (إرث المسيانية) وفي كتابنا هذا العديد من المراجع الغربية لمجموعات الموحدين، والمنتقدين للتثليث وتأليه يسوع. وقد نقل أيضاً اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب أقوال كثير من هؤلاء في كتابه الجيّد (المسيح في المصادر المسيحية) حيث استعرض كثيراً من هذه الآراء حتى عام ١٩٨٠م، وقد استعرضنا نحن ما جدّ بعد ذلك إلى مشارف نهاية القرن العشرين.

ويقول اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب في كتابه الوجيز والمفيد (طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون): إن الموحدين كوّنوا (الاتحاد الدولي للحرية الدينية) وقد انضمّ إليهم عام ١٩٠٢م الكنيسة المستقلة للفيليبين. وانتشرت الأفكار التوحيدية في كثير من الكنائس في أوروبا دون أن ينفصلوا عن كنائسهم الرسمية. ويذكر أمثلة على الهيئات المنادية بالتوحيد مثل:

1 - International Association for Religious Freedom (Holland).

2 - The British and Foreign Unitarian Association (England).

3 - The General Alliance of Unitarian and other Christian Women (U.S.A.).

4 - The Religious Union of Free Protestant German Unitarians (Germany).

5 - The Unitarian Service Committee (U.S.A.).

وقد خصّص الكاتب والباحث والديبلوماسي الألماني السابق مراد هوفمان فصلين كاملين في كتابه الجديد (دين صاعد: الإسلام في الألفية الثالثة)[1]؛ لمناقشة موضوع الإسلام والمسيحية وعقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى ﷺ، وكيف تحوّلت بداية على يد بولس إلى دين آخر غير الدين الذي جاء به يسوع نتيجة خروجه إلى الأُمم الوثنية، واضطراره للدعوة بينهم، فحاول أن يجتذبهم بفكرة الإله الذي نزل في صورة بشرية إلى الأرض ليتعذّب ويموت ثم يُبعث من

---

(١) Murad Hofman: Religion on the Rise. Islam in the Third Millenium. Amana Publication, Maryland U.S.A. 2001, Chapter 8 and 9.

جديد ليفتدي أتباعه ويأخذهم معه في رحلة الخلود الأبدية.

وتحوّلت قصة الصلب من مأساة إلى قمة العمل التراجيدي الهادف الذي قام به الله ليخرج البشر من الخطيئة الأُولى التي وقع فيها آدم، وبالتالي جميع نسله، وكان لا بدّ من عقاب لهذه الخطيئة، وعقابها الموت؛ فكان أن قام الله بإنزال ابنه الحبيب في صورة بشرية تألّمت وعُذِّبت وصُلِبت من أجل تحقيق عدالة الله من جهة، وتحقيق محبّته لنا من جهة أخرى حيث أرسل ابنه الحبيب ليتعذّب بالنيابة عنّا.

ثم تطوّرت هذه العقيدة في مجمع نيقية وتتالت التطوّرات ليتمّ التثليث بصورة كاملة في مجمع أفسس، وأدّى ذلك إلى الانشقاقات في الكنيسة كما هو معروف. ولكن منذ القرن التاسع عشر أوضحت الدراسات المكثّفة عدم عصمة ما يسمّى الكتاب المقدس ووجود الأخطاء فيه، كما أوضحت التناقضات الشديدة في قصة حياة يسوع كما ترويها الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل... وأصبح الشكّ يكتنف هذه الكتب من كل جهة، كما أن العقائد المسيحية التي استمرّت منذ مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥م إلى القرن التاسع عشر بدأت تتهاوى تحت مطارق الأبحاث التاريخية. وأن التثليث غير قابل بأي حال من الأحوال للمنطق والعقل السليم... وأدّى ذلك إلى ظهور عدد كبير من الباحثين واللاهوتيين والفلاسفة (مثل جوتة ثم كيركجود) الذين رفضوا تماماً العقائد (الدوجما) حول المسيح وتأليهه، كما رفضوا قصة الصلب والفداء، ورفضوا تماماً فكرة تجسّد الإله، وازداد هذا التيار قوّة في القرن العشرين وظهر فيه مجموعة كبيرة من علماء اللاهوت ومن المفكّرين الذين رفضوا تماماً فكرة تجسّد الإله، واعتبروا يسوع المسيح بشراً، وإن كان ذا مكانة عالية رفيعة، ومثالاً نورانياً للبشرية على مدى الأزمنة.

ودخل كثير من هؤلاء الباحثين في الإسلام، مثل محمد أسد (ليبولد فاس)، ومريم جميلة، وجيفري لانج، ومراد هوفمان، وغيرهم كثير؛ لأن الإسلام هو الوحيد الذي أوضح حقيقة يسوع ورفع مقامه.

وبفضل الله سبحانه وتعالى ورغم الهجوم الشَّرس على الإسلام والمسلمين إلّا أن الله سبحانه وتعالى يفتح بهذا القرآن أعيناً عُمْياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غُلفاً، ففي كل يوم يدخل في الإسلام رجال ونساء وشباب وشابات من كل الفئات

والمستويات الاجتماعية، والظاهرة الأعجب أن غالبيتهم من المثقفين ثقافة عالية... وأن دخولهم إلى الإسلام كان بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بجهود أفراد محدودين، وبجهود هؤلاء الأفراد أنفسهم عند بحثهم عن الحقّ بعدما عاشوا فترات من القلق والتيه التمزّق، فوجدوا في الإسلام الراحة التي كانوا يُنْشدونها، والسكينة التي كانوا يبحثون عنها.

وعلى المسلمين أن يبذلوا جهوداً حقيقية وجبارة لتوضيح الرؤية لهؤلاء الذين تضلّلهم أجهزة الإعلام الجبارة، وتفعل المستحيل لتملأ قلوبهم حقداً وغِلّاً وعدم فهم للإسلام والمسلمين، متّهمة إياهم بالإرهاب، والتعصّب المقيت، والاعتداء على حقوق الإنسان، واغتيال حقوق المرأة، وبما تفعله هذه الأجهزة من الهجوم على القرآن وعلى الرسول الكريم محمد ﷺ، وقذفه بأقذع الأوصاف والصفات.

ثم إن الاتّصال بالموحدين خاصة أمر ذو أهمية قصوى، فخطوط التماس ومواقع اللقاء كثيرة جداً، وكثير منهم أساتذة في الجامعات، وقادة للفكر، وكسبهم أمر في منتهى الأهمية، ولو لم يتحوّلوا إلى الإسلام بصورة كاملة، وهم أقرب المجموعات إلى الإسلام عقائدياً.

ولا بدّ من الوصول إلى الإعلام الغربي مهما كان الثمن، ويحتاج ذلك إلى إدخال مجموعات إسلامية شابّة متمرّسة بالإعلام في داخل الإعلام الغربي، وبالفعل هناك أفراد حالياً، ولكنهم يحتاجون إلى دعم قوي كامل، والمعركة طويلة، والله غالب على أمره. والنصر في نهاية المطاف لهذا الدين الذي وعدنا الله سبحانه وتعالى بأن يُظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون، ووعدنا رسوله ﷺ بأن يدخل كل بيت بعزّ عزيز أو ذلّ ذليل... إن نصر الله لآتٍ... إن نصر الله قريب... **وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.**

المصادر والمراجع

القرآن الكريم والتفاسير:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار مطابع الشعب ـ القاهرة.

٣ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، طبعت بالأوفست ١٩٧٨م.

٤ ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، عيسى البابلي الحلبي، القاهرة.

٥ ـ سيد قطب: في ظلال القرآن (الطبعة السادسة) غير مذكور الناشر.

كتب الحديث:

١ ـ د. وتسنك: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مكتبة بريل ـ ليدن، ١٩٣٦م، طبعة مصورة.

٢ ـ محمد بن إسماعيل البخاري (الجامع الصحيح) بحاشية السندي، طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت.

٣ ـ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت (غير مذكور سنة الطبع).

٤ ـ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٥ ـ محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

٦ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي: سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، غير مذكور سنة الطبع.

٧ ـ أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، دار الكتب العلمية، بيروت (غير مذكور سنة الطبع).

٨ ـ مالك بن أنس: موطأ مالك (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: للإمام السيوطي) دار الندوة الجديدة، بيروت.

٩ ـ شيرويه بن شهردار الديلمي: فردوس الأخبار. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
١٠ ـ إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

الكتاب المقدّس وشروحه، وكتب عن المسيحية:

انجيل برنابا:

١ ـ الكتاب المقدس (العهد الجديد والعهد القديم) دار الكتاب المقدس، القاهرة.
٢ ـ الكتاب المقدس: العهد الجديد، منشورات دار المشرق، بيروت الطبعة ١٩، سنة ٢٠٠٠م.
٣ ـ الكتاب المقدس: العهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت.
٤ ـ الإنجيل كتاب الحياة: ترجمة تفسيرية للعهد الجديد، بيروت، ١٩٨٤م، الطبعة السادسة.
٥ ـ الأب فاضل سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠م.
٦ ـ الأب إسطفان شربنتيه: دراسة في الإنجيل كما رواه متّى، دار المشرق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.
٧ ـ جان دلوم: دليل إلى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦م.
٨ ـ أوغسطينس جورج: دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩م.
٩ ـ الأب دونا سيان ملا اليسوعي: قراءات في إنجيل يوحنا، دار المشرق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
١٠ ـ مجموعة من الباحثين: أعمال الرُسل، دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة، ١٩٩٠م.
١١ ـ مجموعة من الباحثين: رؤيا القديس يوحنا، دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة، ١٩٩٠م.
١٢ ـ الأب فاضل سيداروس اليسوعي: مدخل إلى رسائل القديس بولس، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩م.
١٣ ـ أدوار كوتنه: رسالتا بطرس، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م.

١٤ ـ أحمد طاهر: الأناجيل دارسة مقارنة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.
١٥ ـ فتحي عثمان: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، غير مذكور سنة الطبع.
١٦ ـ الأنبا يوانس: الكنيسة المسيحية في عصر الرُسل، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
١٧ ـ شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الإمام الشيخ عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية ـ بيروت، مطبعة دار المعارف، القاهرة، غير مذكور سنة الطبع.
١٨ ـ أحمد عبد الوهاب (لواء مهندس): اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٩ ـ أحمد عبد الوهاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر العصور، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢٠ ـ أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة ـ القاهرة، ١٩٨١م.
٢١ ـ أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
٢٢ ـ محمد أحمد الحاج: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٣ ـ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٦م.
٢٤ ـ موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م.
٢٥ ـ هيام ماكبي: بولس وتحريف المسيحية. ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م.
٢٦ ـ أندريه نايتون، إدجارويند، كارل يونج: الأصول الوثنية للمسيحية. ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م.
٢٧ ـ المطران برتولومي دي لاسي كازاس: المسيحية والسيف، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، بيروت، ١٩٩١م.
٢٨ ـ بسمة أحمد جستنية: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ: أسبابه ونتائجه. دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢٩ ـ القاضي أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري: تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل. دراسة وتحقيق د. محمود عبد الفتاح قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.
٣٠ ـ أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، مكتبة وهبة، القاهرة. تحقيق وتعليق د. بكر زكي عوض.
٣١ ـ نصر الله أبو طالب: تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد، الناشر المؤلف، ٢٠٠٢م.
٣٢ ـ د. عبد الغني عبود: المسيح والمسيحية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٣ ـ إليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ترجمة د. خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م.
٣٤ ـ مجموعة من المؤلفين تحرير جون هيك: أسطورة تجسّد الإلٰه في المسيح، الكويت.
٣٥ ـ د. علي مظهر: محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، المكتبة العلمية، مصر الجديدة، القاهرة ١٩٤٧م.
٣٦ ـ محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
٣٧ ـ محمد علي الخولي: حقيقة عيسى المسيح، الناشر المؤلف، الرياض.
٣٨ ـ د. عبد الودود شلبي: الزحف إلى مكة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.
٣٩ ـ الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري بولاية كولورادو بالولايات المتحدة، سنة ١٩٧٨م. التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي The Gospel and Islam.
٤٠ ـ أبو هلال الأندونيسي: غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، دار الشروق، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
٤١ ـ أحمد ديدات: هل الكلام المقدس كلام الله، ترجمة أحمد النومان، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٩٨٧م.
٤٢ ـ نقولا زيادة: المسيحية والعرب، قدمس، دمشق، ٢٠٠٠م.
٤٣ ـ محمد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م.
٤٤ ـ محمد علي البار: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م.

الموسوعات:

١ ـ وول ديورانت: قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
٢ ـ الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٩٩٩.
٣ ـ دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، لعام ١٩٨٢م.
٤ ـ خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

باللغة الإنجليزية:

1 - Encyclopedia Britannica 15th edition, 1982.
2 - John hick (ed) The Myth of Gid Incarnate, S C M press, London, 1985, (7th impersion).
3 - Hyam Maccoby: The Myth Maker: Paul and the Invention of Christianity, Harper, San Francisco, U.S.A., 1987.
4 - M.Baigent, R. Leigh a H. Lincolin: The Holy Blood and The Holy Grail, Arrow Books, U.K., 1996.
5 - M. Apkhuli: The Truth about Jesus, Swaileh, Jordan, 1990.
6 - R. E. Friedman: Who Wrote the Bible? Harper, San Francisco, U.S.A, 1997.
7 - Helen Ellerbe: The Dark Side of Christian History. Morningstar and Lark. Orlando, USA, 1995.
8 - J.C. Vander Kam: The Dead Sea Scrolls Today. William Eerdman Pub. Co., Michigan, USA (SPCK), 1994.
9 - Good News Bible. Todays English Vesrion. The Bible Societies, Collins/ Fontana, Glasgow, 1979.
10 - Murad W. Hofmann: Religion on the Rise. Amana publication, Beltsville, Maryland, USA, 2001.

الفهرس

* الباب الثاني *
الأناجيل الأربعة
(متّى ومرقس ولوقا ويوحنا)

الموضوع	الصفحة

* الباب الثالث *

التعاليم الحقة في الأناجيل

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

*** الباب السادس ***

إعجاز القرآن الكريم في توضيح التأثيرات الوثنية في المسيحية

الموضوع	الصفحة

* الباب السابع *
أسطورة تجسد الإله

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* الباب الثامن *

تطور العقيدة النصرانية عبر التاريخ

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة